

تفسير ابن كثير

ميراث بالكلية. وقال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن مكحول وعطية وحمزة وراشد عن زيد بن ثابت أنه سئل عن زوج وأخت أب لم تترث شيئا لأنه يحجبها بالإجماع فدل على أنه لا ولد له بنص القرآن ولا والد بالنص عند التأمل أيضا لأن الأخت لا يفرض لها النصف مع الوالد بل ليس لها إليه ولكن الذي يرجع إليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه الذي لا ولد له ولا والد ويدل على ذلك قوله وله أخت فلها نصف ما ترك ولو كان معها من ذهب إلى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد وهو رواية عن عمر بن الخطاب رواها ابن جرير عنه بإسناد صحيح هالك إلا وجهه كل شيء يفنى ولا يبقى إلا الله عز وجل كما قال كل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وقوله ليس له ولد تمسك به الرحم من العصبه رواه ابن جرير. ذكر الكلام على معناها وبالله المستعان وعليه التكلان. قوله تعالى إن امرؤ هلك أي مات قال الله تعالى كل شيء سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولى الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله مما جرت التي نزلت في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية التي ختم بها صلى الله عليه وسلم عن الكلالة فقال أليس قد بين الله ذلك فنزلت يستفتونك الآية. قال قتادة وذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته ألا إن الآية أن يكون لي حمر النعم. وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير حدثنا الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب قال سأل عمر بن الخطاب النبي إلى تفهمها فإن فيها كفاية نسي أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن معناها ولهذا قال فلأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب إلي من رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي بكر بن عياش به وكان المراد بآية الصيف أنها نزلت في فصل الصيف والله أعلم ولما أرشده النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو بكر عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الكلالة فقال يكفك آية الصيف. وهذا إسناد جيد عنها أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم وهذا إسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا بين إبراهيم وبين عمر فإنه لم يدركه. وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم عن إبراهيم عن عمر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة فقال يكفك آية الصيف فقال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مختصرا وأخرجه مسلم مطولا أكثر من هذا. طريق أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك يعني ابن مغول يقول سمعت الفضل بن عمرو الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألت عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال يكفك آية الصيف التي في آخر سورة النساء هكذا الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة قال: قال عمر بن الخطاب ما سألت رسول عنه في الصحيحين أنه قال: ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهدا ننتهي إليه: الجد والكلالة وباب من أبواب الربا. وقال الكلالة من لا ولد له كما دلت عليه هذه الآية إن امرؤ هلك ليس له ولد وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت الكلالة واشتقاقها وأنها مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه ولهذا فميرها أكثر العلماء: بمن يموت وليس له ولد ولا والد ومن الناس من يقول قل الله يفتيكم في الكلالة وكأن معنى الكلام والله أعلم يستفتونك عن الكلالة قل الله يفتيكم فيها فدل المذكور على المتروك. وقد تقدم الكلام على قل الله يفتيكم في الكلالة الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان وقال ابن الزبير قال يعني جابرا نزلت في يستفتونك الصحيحين من حديث شعبة ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر به وفي بعض الألفاظ فنزلت آية الميراث يستفتونك عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل قال فتوضأ ثم صب علي أو قال صبا عليه فقلت إنه لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث؟ فأنزل الله آية الفرائض أخرجه في نزلت يستفتونك وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء قال آخر سورة نزلت براءة وآخر آية

قيل وما وقوع الحجاب؟ قال تخرج النفس وهي مشركة ولهذا قال الله تعالى أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما أي موجعا شديدا مقيما. 18 أبي عن مكحول أن عمر بن نعيم حدثه أن أبا ذر حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقبل توبة عبده أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب بن أنس ولا الذين يموتون وهم كفار قالوا نزلت في أهل الشرك وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان حدثني يموتون وهم كفار يعني أن الكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ولا يقبل منه فدية ولو بملء الأرض. قال ابن عباس وأبو العالية والربيع طالعة من مغربها في قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا الآية. وقوله ولا الذين الموت قال إنى تبت الآن وهذا كما قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآيتين وكما حكم تعالى بعدم توبة أهل الأرض إذا عابنوا الشمس ولهذا قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم

أن يعطف عليها فيرزق منها ولدا ويكون في ذلك الولد خير كثير وفي الحديث الصحيح لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر. 19 ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي فعسى أن يكون صبركم في إمساكنهم مع الكراهة فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس في هذه الآية هو الله أسوة حسنة وأحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتب الأحكام ولله الحمد. وقوله تعالى فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا بالإزار وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم. وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول عليه وسلم فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام قبل أن أحمل اللحم ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقتني فقال هذه بتلك ويجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عاتية أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك قالت سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقتة وذلك

تفسير ابن كثير

خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر بداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن هو كالعضل في سورة البقرة. وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم ويشهد فإذا جاء الخاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها. قال فهذا قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الآية وقال مجاهد في قوله بن زيد كان العضل في قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها عن ذلك. قال عكرمة والحسن البصري: وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجاهلية ولكن نهى المسلمون عن فعله في الإسلام. وقال عبدالرحمن ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قال وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم الله عن ذلك أي نهى تقدم فيما رواه أبو داود منفردا به من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ذلك كله الزنا والعصيان والنشوز وبذاء اللسان وغير ذلك. يعني أن هذا كله يبيح مضاجرتها حتى تبرئه من حقها أو بعضه ويفارقها وهذا جيد والله أعلم. وقد مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله الآية وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك: الفاحشة المبينة النشوز والعصيان واختار ابن جرير أنه يعم الزنا يعني إذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتضاجرها حتى تتركه لك وتخالعها كما قال تعالى في سورة البقرة ولا يحل لكم أن تأخذوا ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والضحاك وأبو قلابة وأبو صالح السدي وزيد بن أسلم وسعيد بن أبي هلال يعني بذلك في الجاهلية ولا تعضلوهن في الإسلام وقوله إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري السلماني قال: نزلت هاتان الآيتان إحداهما في أمر الجاهلية والأخرى في أمر الإسلام. قال عبدالله بن المبارك يعني قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها مهر فيضرها لتفتدي به وكذا قال الضحاك وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن المبارك وعبدالرزاق أخبرنا معمر أخبرني سماك بن الفضل عن ابن طلحة عن ابن عباس في قوله ولا تعضلوهن يقول ولا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبته ولها عليه ما آتيتموهن أي لا تضاروهن في العشرة لتترك ما أصدقتها أو بعضه أو حقا من حقوقها عليك أو شيئا من ذلك على وجه القهر لها والإضرار. وقال علي بن أبي ذلك. قلت: فالآية تعم ما كان يفعله أهل الجاهلية وما ذكره مجاهد ومن وافقه وكل ما كان فيه نوع من ذلك والله أعلم وقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض أو يزوجها ابنه رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح وأبي مجلز والضحاك والزهري وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان نحو الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها. وقال مجاهد في الآية: كان الرجل يكون في حجره البتيمة هو يلي أمرها فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبا فإن كان له ابن صغير أو أخ حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها فإن هي انفلتت فأثت أهلها ولم يلق عليها ثوبا نجت فأنزل الله عليه وسلم: فقالت يا رسول الله: لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فأنكح! فأنزل الله هذه الآية وقال السدي عن أبي مالك: كانت المرأة في الجاهلية إذا مات أخيه. وقال ابن جريج قال عكرمة نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم بن الأوس توفي عنها أبو قيس بن الأسلت فجنح عليها ابنه فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم ترثوا النساء كرها الآية. وقال ابن جريج قال مجاهد كان الرجل إذا توفي كان ابنه أحق بامرأته ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن ثم روى من طريق ابن جريج قال: أخبرني عطاء أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم فنزلت لا يحل لكم أن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية فأنزل الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها. ورواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل به بن إسحاق حدثنا علي بن المنذر. حدثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لما توفي أبو قيس بن أراد حتى تفتدي منه ببعض ما أعطاها فهي الله المؤمنين عن ذلك رواه ابن أبي حاتم وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا موسى امرأته من يرث ماله وكان يعضلها حتى يرثها أو يزوجه من أراد وكان أهل تهامة يسيء الرجل صحبة المرأة حتى يطلقها ويشترط عليها أن لا تنكح إلا من بفدية. فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها. وقال زيد بن أسلم في الآية عن أهل يثرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث وروى العوفي عنه عن الرجل من أهل المدينة إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها ولم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه كرها قال كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوجه وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء وكيع عن سفيان عن علي بن نديمة عن مقسم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبا كان أحق بها فنزلت فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم الله تعالى عن ذلك أي نهى عن ذلك تفرد به أبو داود وقد رواه عن غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك. وروى عباس قال لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته كلاهما عن ابن عباس بما تقدم وقال أبو داود حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت المروزي حدثني علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن وابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث أبي إسحاق الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان عن عكرمة وعن أبي الحسن السوائي واسمه عطاء كوفي أعمى شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها هكذا ذكره البخاري وأبو داود والنسائي يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجه وإن شاءوا زوجوها وإن محمد بن مقاتل حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال الشيباني وذكره أبو الحسن السوائي ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس

سليم أمرأته فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن طلاق أم سليم لحوب فكف. والمعنى: إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه. 2
فأمسكها ثم روى ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث علي بن عاصم عن حميد الطويل سمعت أنس بن مالك أيضا يقول: أراد أبو طلحة أن يطلق أم
بن موسى حدثنا هودة بن خليفة حدثنا عوف عن أنس أن أبا أيوب أراد طلاق أم أيوب فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن طلاق أم أيوب لحوب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا أيوب إن طلاق أم أيوب كان حوبا قال ابن سيرين: الحوب الأثم. ثم قال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي حدثنا بشر
في سنن أبي داود اغفر لنا حوبنا وخطايانا وروى ابن مردويه بإسناده إلى واصل مولى عيينة عن ابن سيرين عن ابن عباس: أن أبا أيوب طلق امرأته
وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وأبي مالك وزيد بن أسلم وأبي سنان مثل قول ابن عباس وفي الحديث المروي
الله صلى الله عليه وسلم عن قوله حوبا كبيرا قال إثمنا كبيرا ولكن في إسناده محمد بن يوسف الكندي وهو ضعيف وروى هكذا عن مجاهد وعكرمة
بن حسين: أي لا تخلطوها فتأكلوها جميعا. وقوله إنه كان حوبا كبيرا قال ابن عباس: أي إثمنا عظيما. وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال: سئل رسول
ويطرح مكانه الزيف يقول درهم بدرهم. وقوله ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن سيرين ومقاتل بن حيان والسدي وسفيان
لا تعط زيفا وتأخذ جيدا. وقال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السميكة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول: شاة بشاة ويأخذ الدرهم الجيد
أموالكم يقول: لا تبدلوا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام وقال سعيد بن المسيب والزهري: لا تعط مهزولا وتأخذ سميئا. وقال إبراهيم النخعي والضحاك:
الثوري عن أبي صالح: لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قدر لك وقال سعيد بن جبير: لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من
يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم ولهذا قال ولا تبدلوا الخبيث بالطيب قال سفيان
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ففرض لها بالصدقة وفرق بينهما وأمر بجلدها وقال الولد عبد لك والصدقة في مقابلة البضع. 20
من فرجها وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها وفي سنن أبي داود وغيره عن نضرة بن أبي نضرة أنه تزوج امرأة بكرا في خدرها فإذا هي حامل من الزنا
يعلم أن أحدهما كاذب فهل منكما تائب قالها ثلاثا فقال الرجل: يا رسول الله مالي يعني ما أصدقها قال لا مال لك إن كنت صدقت فهو بما استحلت
والسدي وغير واحد: يعني بذلك الجماع وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد فراغهما من تلاعنهما الله
قال منكرا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض أي وكيف تأخذون الصدقة من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضيت إليك قال ابن عباس ومجاهد
من صفة النساء طويلة في أنفسها فطس ما ذاك لك قال: ولم ؟ قالت: إن الله قال وآتيتهم إحداهن قنطارا الآية فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ ولهذا
عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي القصة يعني يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة
شيئا فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته طريق أخرى عن عمر فيها انقطاع قال الزبير بن بكار: حدثني عمي مصعب بن عبد الله عن جدي قال: قال
امرأة: ليس ذلك لك يا عمر إن الله يقول وآتيتهم إحداهن قنطارا من ذهب قال وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود فلا يحل لكم أن تأخذوا منه
إسحاق بن إبراهيم عن عبدالرزاق عن قيس بن ربيع عن أبي حصين عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب لا تغالوا في مهور النساء فقالت
درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل إسناده جيد قوي طريقة أخرى قال ابن المنذر حدثنا
الآية قال: فقال اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إنى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة
مهر النساء على أربعمئة درهم ؟ قال: نعم فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال: وأي ذلك ؟ فقالت: أما سمعت الله يقول وآتيتهم إحداهن قنطارا
إليها فلأعرفن ما زاد رجل في صدق امرأة على أربعمئة درهم قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوه
خالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس ما إكثركم في صدق النساء وقد
طريق أخرى عن عمر قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني محمد بن عبدالرحمن عن
القربة ثم رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن محمد بن سيرين عن أبي العجفاء واسمه هرم بن سيب البصري وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية وإن كان الرجل ليبتلئ بصدقة امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول كلفت إليك علق
النساء فإنها لو كانت مكرومة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه
أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال: نبئت عن أبي العجفاء السلمي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ألا لا تغالوا في صدق
كفاية عن إعادته ههنا. وفي هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجزيل وقد كان عمر بن الخطاب نهى عن كثرة الإصداق ثم رجع عن ذلك كما قال الإمام
أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها فلا يأخذ مما كان أصدق الأولى شيئا ولو كان قنطارا من مال وقد قدمنا في سورة آل عمران الكلام على القنطار بما فيه
وقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناً وإثمنا مبينا أي إذا أراد أحدكم

خطبة حجة الوداع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها: واستوصوا بالنساء خيرا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله. 21
عليه وسلم ليلة أسري به قال له وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عهدي ورسولي رواه ابن أبي حاتم وفي صحيح مسلم عن جابر في
أنس في الآية هو قوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فإن كلمة الله هي التشهد في الخطبة قال: وكان فيما أعطي النبي صلى الله

تفسير ابن كثير

ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والحسن وقتادة ويحيى بن أبي كثير والضحاك والسدي نحو ذلك. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن بذلك العقد وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان قال قال تعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وقوله تعالى وأخذن منكم ميثاقا غليظا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن المراد ولهذا

وكان عبدالله بن مسعدة هذا وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فريته ثم أعتقته ثم كان بعد ذلك مع معاوية على رضي الله عنه. 22 فإنها لا تصلح له. ثم قال نعم ما رأيته ثم قال: ادع لي عبدالله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الأدمة. فقال: دونك هذه بيض بها ولدك قال: عمرو الحارسي وكان فقيها فلما دخل عليه قال إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذاك وذاك وإنني أردت أن أبعث بها إلى يزيد فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين فأدخلها عليه مجردة وببده قضيب فجعل يهوي به إلى متاعها ويقول نعم المتاع لو كان له متاع أذهب بها إلى يزيد بن معاوية ثم قال لا ادع لي ربيعة بن الإمام أحمد رحمه الله أنها تحرم أيضا بذلك وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية قال: اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة على تحريم من وطنها الأب بتزويج أو ملك أو شبهة واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع أو نظر إلى ما لا يحل له النظر إليه منها لو كانت أجنبية فعن عليه وسلم فقلت له: أي عم أين بعثك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه. مسألة وقد أجمع العلماء وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: مر بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وسلم عن خاله أبي بردة وفي رواية ابن عمر وفي رواية عمه أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن يقتله ويأخذ ماله لمن سلكه من الناس فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه فيقتل ويصير ماله فينا لبيت المال كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن البراء بن عازب بل حبه مقدم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه. وقال عطاء بن أبي رباح في قوله ومقتا أي يمقت الله عليه وساء سبيلا أي وبئس طريقا زوجها قبله ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة لأنهن أمهات لكونهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهو كالأب بل حقه أعظم من حق الأباء بالإجماع فزاد ههنا ومقتا أي بغضا أي هو أمر كبير في نفسه ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته فإن الغالب أن من يتزوج بامرأة يبغض من كان قال تعالى إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وقال ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا الأختين وهكذا قال عطاء وقتادة ولكن فيما نقله السهيلي من قصة كتابه نظر والله أعلم وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة مبشع غاية التبشع ولهذا قال: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأخنتين فأنزل الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء وأن تجمعوا بين لهم ذلك فأراد أنهم كانوا يعدونه نكاحا فقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبدالله المخزومي حدثنا قراد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس بن خزيمة تزوج بامرأة أبيه فأولدها ابنه النضر بن كنانة قال: وقد قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح قال: فدل على أنه كان سائعا أن نكاح نساء الآباء كان معمولا به في الجاهلية ولهذا قال إلا ما قد سلف كما قال وأن تجمعوا بين الأخنتين إلا ما قد سلف قال وقد فعل ذلك كنانة عثمان بن عبدالدار وكانت عند أبيه خلف وفي فاختة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد كانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية وقد زعم السهيلي نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد الله ضمرة وكانت تحت الأسلت أبيه وفي الأسود بن خلف وكان خلف على ابنة أبي طلحة بن عبد العزيز بن الآية وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف قال: ابنه قيسا خطبني وهو من صالح قومه وإنما كنت أعده ولدا فما ترى؟ فقال لها ارجعي إلى بيتك قال: فنزلت ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء قيس امرأته فقالت: إنما أعذك ولدا وأنت من صالح قومي ولكن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أبا قيس توفي فقال: خيرا ثم قالت إن بن الربيع حدثنا أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: لما توفي أبو قيس يعني ابن الأسلت وكان من صالح الأنصار فخطب ابنه أن توطأ من بعده حتى أنها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها وهذا أمر مجمع عليه. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا قيس وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء الآية يحرم الله تعالى زوجات الآباء تركة لهم وإعظاما واحتراما

يجب أن يكون نظرا وقياسا الجمع بين الأخنتين وأمهات النساء والربائب وكذلك هو عند جمهورهم وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذ عنها. 23 وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم إلى آخر الآية أن النكاح وملك اليمين في هؤلاء كلهن سواء وكذلك وقد ترك من يعمل ذلك ظاهرا ما اجتمعنا عليه وجماعة الفقهاء متفقون على أنه لا يحل الجمع بين الأخنتين بملك اليمين في الوطاء كما لا يحل ذلك في النكاح يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار والحجاز والعراق ولا ما وراءهما من المشرق ولا بالشام والمغرب إلا من شذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس من الحرائر إلا العدد وعن ابن مسعود والشعبي نحو ذلك قال أبو عمرو قد روى مثل قول عثمان عن طائفة من السلف منهم ابن عباس ولكن اختلف عليهم ولم يعني في النكاح ثم قال أبن عمر: وروى الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سلمة عن هشام عن ابن سيرين عن ابن مسعود قال: يحرم من الإمام ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأخنتين فلما جاء الإسلام أنزل الله ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف وأن تجمعوا بين الأخنتين إلا ما قد سلف وأحلتها آية يعني الأخنتين قال ابن عباس: يحرم من علي قرابتي منهن ولا يحرم من قرابة بعضهن من بعض يعني الإمام وكانت الجاهلية يحرمون ما تحرمون عبدالله بن المبارك المخزومي حدثنا عبدالرحمن بن غزوان حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب حرمتها آية رحلته قلت: وقد روي عن علي بن أبي حاتم. وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن العباس حدثني محمد بن

تفسير ابن كثير

من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب ثم قال أبو عمر: هذا الحديث رحلة رجل ولم يصب من أقصى المغرب والمشرق إلى مكة غيره لما خابت لك. ثم أخذ علي بيدي فقال لي: إنه يحرم عليك مما ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العدد أو قال إلا الأربع ويحرم عليك كنت تطأ ثم تطأ الأخرى. قلت: فإن ناسا يقولون بل تزوجها ثم تطأ الأخرى فقال علي: أرأيت إن طلقها زوجها. أو مات عنها أليس ترجع إليك ؟ لأن تعتقها أسلم أبي طالب فقلت إن لي أختين مما ملكت يميني اتخذت إحدهما سرية فولدت لي أولادا ثم رغبت في الأخرى فما أصنع. فقال علي رضي الله عنه: تعتق التي بن لبابة قالوا: حدثنا أبو زيد عبدالرحمن بن إبراهيم حدثنا أبو عبدالرحمن المقرئ عن موسى بن أيوب الغافقي حدثني عمي إياس بن عامر قال: سألت علي بن طالب رضي الله عنه ثم قال أبو عمر: حدثني خلف بن أحمد قراءة عليه أن خلف بن مطرف حدثهم حدثنا أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان ومحمد بن عمر عبدالبر النمري رحمه الله في كتاب الاستذكار: إنما كنى قبيلة بن ذؤيب عن علي بن أبي طالب لصحبته عبدالملك بن مروان وكانوا يستثقلون ذكر علي بن أبي لي من الأمر شيء ثم وجدت أحدا فعل ذلك لجعلته نكالا وقال مالك: قال ابن شهاب أراه علي بن أبي طالب قال: وبلغني عن الزبير بن العوام مثل ذلك قال ابن فقال عثمان: أحلتها آية وحرمتها آية وما كنت لأمنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال: لو كان السلف قد توقف في ذلك وقال الإمام مالك عن ابن شهاب عن قبيلة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان بن عفان عن الأختين في ملك اليمين هل يجمع بينهما ما ملكت أيمانكم فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: وبغيرك مما ملكت يمينك. وهذا هو المشهور عن الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم وإن كان بعض سلمة عن قتادة عن عبدالله بن أبي عتبة أو عتبة عن ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين فكرهه فقال له يعني السائل يقول الله تعالى إلا لعنه الله وأما الجمع بين الأختين في ملك اليمين فحرام أيضا لعنوم الآية. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن طلق أهما شئت فالديلمي المذكور أولا هو الضحاك بن فيروز الديلمي رضي الله عنه وكان من جملة الأمراء باليمن الذين ولوا قتل الأسود العنسي المتنبئ حدثنا يحيى بن إسحاق عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن زر بن حكيم عن كثير بن مرة عن الديلمي قال: قلت يا رسول الله إن تحتني أختين قال: عن اثنين عن فيروز الديلمي والله أعلم. وقال ابن مردويه: حدثنا عبدالله بن يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن يحيى الخولاني حدثنا هيثم بن خارجة في الجاهلية فقال إذا رجعت فطلق إحدهما قلت: فيحتمل أن أبا خراش هذا هو الضحاك بن فيروز ويحتمل أن يكون غيره فيكون أبو وهب قد رواه عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن أبي وهب الجشاني عن أبي خراش الرعياني قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أختان تزوجتهما اختر أيتها شئت ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن وقد رواه ابن ماجه أيضا بإسناد آخر فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدالسلام بن حرب عن أبي وهب الجشاني قال الترمذي واسمه دليم بن الهوشع عن الضحاك بن فيروز الديلمي عن أبيه به وفي لفظ للترمذي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم وسلم أن أطلق إحدهما. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن لهيعة وأخرجه أبو داود والترمذي أيضا من حديث يزيد بن أبي حبيب كلاهما حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي وهب الجشاني عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال: أسلمت وعندي امرأتان أختان فأمرني النبي صلى الله عليه وآله والأئمة قديما وحديثا على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح ومن أسلم وتحتنه أختان خير فيمسك إحدهما ويطلق الأخرى لا محالة. قال الإمام أحمد: لأنه استثنى مما سلف كما قال لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى فدل على أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدا وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين عليكم الجمع بين الأختين معا في التزويج وكذا في ملك اليمين إلا ما كان منكم في جاهليتهم فقد عفونا عنه وغفرناه. فدل على أنه لا مثنوية فيما يستقبل ؟ فالجواب من قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقوله تعالى وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف الآية أي وحرم بمجرد العقد عليها وهذا متفق عليه فإن قيل فمن أين تحرم امرأة ابنه من الرضاعة كما هو قول الجمهور ومن الناس من يحكيه إجماعا وليس من صلبه وأمهات نسائكم ثم قال: وروى عن طاوس وإبراهيم والزهري ومكحول نحو ذلك قلت معنى مبهمات أي عامة في المدخول بها وغير المدخول فتحرم حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا خالد بن الحارث عن الأشعث عن الحسن بن محمد أن هؤلاء الآيات مبهمات وحلائل أبنائكم فأنزل الله عز وجل وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ونزلت وما جعل أدعياءكم أبناءكم ونزلت ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال ابن أبي عن قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم قال: كنا نحدث والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نكح امرأة زيد قال المشركون بمكة في ذلك في الجاهلية كما قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم الآية وقال ابن جريج: سألت عطاء تعالى وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم أي وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم يحترز بذلك عن الأدعياء الذين كانوا يتبنونهم الرجل بامرأة لا تحرم ابنتها عليه إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها وقبل النظر إلى فرجها بشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع. وقوله بين رجلها قالت: أرأيت إن فعل ذلك في بيت أهلها ؟ قال: هو سواء وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها. وقال ابن جريج: وفي إجماع الجميع على أن خلوة العالية. ومعنى قوله اللاتي دخلتم بهن أي نكحتموهن قاله ابن عباس وغير واحد وقال ابن جريج عن عطاء: هو أن تهدي إليه فيكشف ويفتش ويجلس على ذلك أحد من أئمة الفتوى ولا من تبعهم. وروى هشام عن قتادة: بنت الربيعة وبنت ابنتها لا تصلح وإن كانت أسفل ببطون كثيرة وكذا قال قتادة عن أبي ذلك في النكاح قال وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم وملك اليمين عندهم تبع للنكاح إلا ما روي عن ابن عمر وابن عباس وليس آية ولم أكن لأفعله وقال الشيخ أبو عمر بن عبدالبر رحمه الله: لا خلاف بين العلماء أنه لا يحل لأحد أن يطأ امرأة وبنتها من ملك اليمين لأن الله حرم أبو الأحوص عن طاووس عن طارق بن عبدالرحمن عن قيس قال: قلت لابن عباس أيقع الرجل على امرأة وابنتها مملوكين له ؟ فقال: أحلتها آية وحرمتها توطأ إحدهما بعد الأخرى فقال عمر: ما أحب أن أجيئهما جميعا يريد أن أطأهما جميعا بملك يميني وهذا منقطع. وقال سنيد بن داود في تفسيره: حدثنا

تفسير ابن كثير

حجورك قال: في بيوتكم وأما الربيبة في ملك اليمين فقد قال الإمام مالك بن أنس عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبنتها من ملك اليمين تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فاستشكله وتوقف في ذلك والله أعلم. وقال ابن المنذر: حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا الأثرم عن أبي عبيدة قوله اللاتي في أصحابه وحكاها أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله واختاره ابن حزم وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الإمام حجرك إنما ذلك إذا كانت في حجرك هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب على شرط مسلم وهو قول غريب جدا وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري نعم وهي بالطائف قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا هي بالطائف قال: فانكحها قلت: فأين قول الله وربائبكم اللاتي في حجورك؟ قال: إنها لم تكن في بن الحدثن قال: كانت عندي امرأة فتوفيت وقد ولدت لي فوجدت عليها فلقيني علي بن أبي طالب فقال: مالك فقلت: توفيت المرأة فقال علي: لها ابنة؟ قلت: أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا هشام يعني ابن يوسف عن ابن جريج حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعه أخبرني مالك بن أوس مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الخلف والسلف. وقد قيل بأنه لا تحرم الربيبة إلا إذا كانت في حجر الرجل فإذا لم يكن كذلك فلا تحرم. وقال ابن أخواتكن. وفي رواية للبخاري إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي فجعل المنط في التحريم مجرد تزوجه أم سلمة وحكم بالتحريم بذلك وهذا هو بنت أم سلمة قالت: نعم قال: إنها لو لم تكن ربييتي في حجر ما حلت لي إنها لبنت أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة توبية فلا تعرضن على بناتكن ولا ذلك؟ قالت: نعم لست بك بمخلية وأحب من شاركني في خير أختي قال فإن ذلك لا يحل لي قالت: فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة قال إن أردن تحصنا وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان وفي لفظ لمسلم عزة بنت أبي سفيان قال أو تحبين حرام سواء كان في حجر الرجل أو لم تكن في حجره. قالوا: وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء في إجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره. وأما قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجورك فالجمهور على أن الربيبة له أن يتزوج أمها دخل بالبت أو لم يدخل فإذا تزوج بالأثم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج الابنة ثم قال: وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه فإن موسى حدثنا ابن المبارك أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل فيما جاءت به متفقة عليه وقد روي بذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غريب وفي إسناده نظر وهو ما حدثني به ابن المثنى حدثنا حبان بن والصواب قول من قال الأثم من المبهمات لأن الله لم يشترط معهن الدخول كما اشترطه مع أمهات الربائب مع أن ذلك أيضا إجماع الحجة التي لا يجوز خلافها وابن سيرين وقتادة والزهري نحو ذلك وهذا مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الفقهاء قديما وحديثا ولله الحمد والمنة قال ابن جريج: تحل له أمها وروي أنه قال: إنها مبهمة فكرها ثم قال: وروى عن ابن مسعود وعمران بن حصين ومسروق وطاووس وعكرمة وعطاء والحسن ومحكول محمد حدثنا هارون بن عروة عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول: إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم إنها عليك حرام ففارقها. وجمهور العلماء على أن الربيبة لا تحرم بالعقد على الأم بخلاف الأم فإنها تحرم بمجرد العقد. قال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها فتزوجها وولدت له أولادا ثم أتى ابن مسعود المدينة فسنل عن ذلك فأخبر أنها لا تحل له فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل: عن الثوري عن أبي فروة عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود: أن رجلا من بني كمْخ من فزارة تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته فاستفتى ابن مسعود بن محمد الصابوني فيما نقله الرافعي عن العبادي وقد روى عن ابن مسعود مثله ثم رجع عنه. قال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري حدثنا عبد الرزاق ترى مروى عن علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس وقد توقف فيه معاوية وذهب إليه من الشافعية أبو الحسن أحمد مبهم. وقال ابن جريج أخبرني عكرمة بن كليل أن مجاهدا قال وأمها نساكن وربائبكم اللاتي في حجورك أراد بهما الدخول جميعا فهذا القول كما ينكحنيها. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن سماك بن الفضل عن رجل عن عبد الله بن الزبير قال: الربيبة والأثم سواء لا بأس بها إذا لم تدخل المرأة وفي إسناده فأخبره بما قال فكتب معاوية: إني لا أحل ما حرم الله ولا أحرم ما أحل الله وأنت وذاك والنساء سواها كثير فلم ينه ولم يأذن لي فانصرف أبي عن أمها فلم فقال أبي: هل لك في أمها؟ قال: فسألت ابن عباس وأخبرته؟ فقال: انكح أمها قال: وسألت ابن عمر فقال: لا تنكحها فأخبرت أبي بما قال فكتب إلى معاوية بكر بن حفص عن مسلم بن عويمر الأجدع أن بكر بن كنانة أخبره أن أباه أنكح امرأة بالطائف قال: فلم أجامعها حتى توفي عمي عن أمها وأمها ذات مال كثير فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها فإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل. وقال ابن المنذر: حدثنا إسحاق عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني أبو عن زيد بن ثابت قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها. وفي رواية عن قتادة عن سعيد عن زيد بن ثابت أنه كان يقول: إذا ماتت تعالى عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج بأمرها قال: هي بمنزلة الربيبة. وحدثنا ابن بشار حدثنا يحيى عن قتادة عن سعيد بن المسيب دخلتم بهن فلا جناح عليكم وقال ابن جريج: حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن علي رضي الله وقد فهم بعضهم عود الضمير إلى الأمهات والربائب فقال: لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها لقوله فإن لم تكونوا قال وربائبكم اللاتي في حجورك من نساكنم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم في تزويجهن فهذا خاص بالربائب وحدهن على بنتها سواء دخل بها أو لم يدخل بها. وأما الربيبة وهي بنت المرأة فلا تحرم حتى يدخل بأمرها فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها ولهذا نساكنم وربائبكم اللاتي في حجورك من نساكنم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم أما أم المرأة فإنها تحرم بمجرد العقد أو إنما يختص الرضاع بالأثم فقط ولا ينتشر إلى ناحية الأب كما هو قول لبعض السلف على قولين تحريم هذا كله في كتاب الأحكام الكبيرة وقوله وأمهاات البقرة عند قوله يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة. ثم اختلفوا هل يحرم لبن الفحل كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم

تفسير ابن كثير

قال الشافعي وأصحابه ثم ليعلم أنه لا بد أن تكون الرضاعة في سن الصغر دون الحولين على قول الجمهور. وقد قدمنا الكلام على هذه المسألة في سورة سهيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن ترضع سالما مولى أبي حذيفة خمس رضعات وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع خمس رضعات وبهذا فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن وروى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة نحو ذلك. وفي حديث سهلة بنت عن عبدالله بن أبي بكر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات وأم الفضل وابن الزبير وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير رحمهم الله. وقال آخرون: لا يحرم أقل من خمس رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق مالك الإملجة ولا الإملاجتان رواه مسلم. ومن ذهب إلى هذا القول الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد وأبو ثور وهو مروي عن علي وعائشة عن عبدالله بن الحارث عن أم الفضل قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحرم الرضعة والرضعتان والمصة والمصتان وفي لفظ آخر لا تحرم صحيح مسلم من طريق هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة والمصتان وقال قتادة عن أبي الخليل الآية وهذا قول مالك ويروى عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري. وقال آخرون: لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما ثبت في يرد على الحديث شيء أصلا البتة ولله الحمد وبه الثقة. ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرمة فذهب ذاهبون إلى أنه يحرم مجرد الرضاع لعموم هذه ست صور هي المذكورة في كتب الفروع والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك لأنه يوجد مثل بعضها في النسب وبعضها إنما يحرم من جهة الصهر فلا وفي لفظ لمسلم يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وقال بعض الفقهاء كل ما يحرم من النسب يحرم من الرضاعة إلا أربع صور وقال بعضهم: بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة الرضاعة أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عبدالله بن أبي في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإنها لا تترث بالإجماع فكذلك لا تدخل في هذه الآية والله أعلم وقوله تعالى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وقد حكى عن الشافعي شيء في إباحتها لأنها ليست بنتا شرعية فكما لم تدخل في قوله يوصيكم الله وبنات الأخ فهن النسب وقد استدلل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بعموم قوله تعالى وبناتكم فإنها بنت فتدخل في العموم مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم والآية وحدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن عمير محمد بن سنان حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان بن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: حرمت عليكم سبع نسبا وسبع صهرا وقرأ حرمت هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا يوفيه صداقها ثم يخيرها يعني في المقام أو الفراق. وقوله تعالى إن الله كان عليهما حكيمًا مناسب ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات. 24 شيئا فهو لك سائق واختار هذا القول ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا جناح عليكم فيما تراضيتهم به من بعد الفريضة والتراضي أن أن رجلا كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة فقال: ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتهم به من بعد الفريضة يعني إن وضعت لك منه منه أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم الحضرمي بينهما ميراث فلا يرث واحد منهما صاحبه ومن قال بهذا القول الأول جعل معناه كقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة الآية أي إذا فرضت لها صداقا فأبرأتك جناح عليكم فيما تراضيتهم به من بعد الفريضة قال السدي: إذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل وهي منه بريئة وعليها أن تستبرئ ما في رحمها وليس الذي أعطاهما على تمتعه بها قبل انقضاء الأجل بينهما فقال: أتمتع منك أيضا بكذا وكذا فإن زاد قبل أن يستبرئ رحمها يوم تنقضي المدة وهو قوله تعالى ولا إلى أجل مسمى قال: لا جناح عليكم إذا انقضى الأجل أن تتراضوا على زيادة به وزيادة للجعل قال السدي: إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى يعني الأجر في حجة الوداع وله ألفاظ موضعها كتاب الأحكام وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما تراضيتهم به من بعد الفريضة من حمل هذه الآية على نكاح المتعة في الاستمتاع من النساء وأن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا وفي رواية لمسلم الأحكام وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني عن أبيه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ولهذا الحديث ألفاظ مقررته هي في كتاب به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن أجروهن فريضة وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة ولكن الجمهور على خلاف ذلك والعمدة ما ثبت في الصحيحين وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة وهو رواية عن الإمام أحمد وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون فما استمتعتم العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح مرتين وقال آخرون: أكثر من ذلك. وقال آخرون: إنما أبيح مرة ثم نسخ ولم يبيح بعد ذلك وقد روى عن ابن عباس آتيتموهن شيئا وقد استدلل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة ولا شك أنه كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعي وطائفة من ذلك كما قال تعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وكقوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وكقوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما ولهذا قال محصنين غير مسافحين وقوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة أي كما تستمتعون بهن فاتوهن مهورهن في مقابلة وحرمتها آية وقوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين أي تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو السراي ما شئتم بالطريق الشرعي قتادة: وأحل لكم ما وراء ذلك يعني مما ملكت أيما نكاح وهذه الآية هي التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين وقول من قال: أحلتها آية

تفسير ابن كثير

إبراهيم كتاب الله عليكم يعني ما حرم عليكم. وقوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم ما دون الأربع وهذا بعيد. والصحيح قول عطاء كما تقدم. وقال يعني الأربع فالزمو كتابه ولا تخرجوا عن حدوده والزموا شرعه وما فرضه. وقال عبدة وعطاء والسدي في قوله كتاب الله عليكم يعني الأربع وقال وعبدة والمحصنات من النساء ما عدا الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيما نكم. وقوله تعالى كتاب الله عليكم أي هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم حرام عليكم حتى تملكو عصمتهم بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا حكاه ابن جرير عن أبي العالية وطاوس وغيرهما. وقال عمر عليه وسلم فلما خيرها دل على بقاء النكاح وأن المراد من الآية المسببات فقط والله أعلم وقد قيل المراد بقوله والمحصنات من النساء يعني العفاف خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الفسخ والبقاء فاخترت الفسخ وقصتها مشهورة فلو كان بيع الأمة طلاقها كما قال هؤلاء ما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في الصحيحين وغيرهما فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقتها ولم يفسخ نكاحها من زوجها مغيب بل خالفهم الجمهور قديما وحديثا فأروا أن بيع الأمة ليس طلاقا لها لأن المشتري نائب عن البائع والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوقة عنها من النساء إلا ما ملكت أيما نكم قال: إذا كان لها زوج فبيعها طلاقها. وروى عوف عن الحسن بيع الأمة طلاقها وبيعه طلاقها فهذا قول هؤلاء من السلف وقد نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها وقال معمر: وقال الحسن مثل ذلك وهكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن في قوله والمحصنات طلاقها وطلاق زوجها طلاقها: وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قوله والمحصنات من النساء قال: هذه ذوات الأزواج حرم الله وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن خلود عن عكرمة عن ابن عباس قال: طلاق الأمة ست بيعها طلاقها وعتقها طلاقها وهبتها طلاقها وبراءتها عن ابن مسعود قال: إذا بيعت الأمة ولها زوج فسيدها أحق ببضعها. ورواه سعيد عن قتادة قال أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس قالوا: يبيعها طلاقها وكذا رواه سفيان عن منصور ومغيرة والأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود قال: يبيعها طلاقها وهو منقطع ورواه سفيان الثوري عن خلود عن أبي قلابة عن مغيرة عن إبراهيم أنه سئل عن الأمة تباع ولها زوج؟ قال: كان عبدالله يقول: يبيعها طلاقها ويتلو هذه الآية والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكم وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها أخذوا بعموم هذه الآية وقال ابن جرير حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة كذا قال وقد تابعه شعبة والله أعلم. وقد روى الطبراني من حديث الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في سبايا خيبر وذكر مثل حديث أبي سعيد من حديث همام بن يحيى ثلاثتهم عن قتادة بإسناده نحوه وقال الترمذي هذا حديث حسن ولا أعلم أن أحدا ذكر أبا علقمة في هذا الحديث إلا ما ذكر همام ذلك والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكم وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة زاد مسلم وشعبة ورواه الترمذي سبيا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وتأثموا من غشيانهن قال: فنزلت هذه الآية في أحمد: حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة عن أبي سعيد الخدري أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصابوا عن معمر عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري به وروى من وجه آخر عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد الخدري قال الإمام البتي ورواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي مريم عن أبي سعيد الخدري فذكره وهكذا رواه عبدالرزاق بن منيع عن هشيم ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ثلاثتهم عن عثمان البتي ورواه ابن ماجه من حديث أشعث بن سوار عن عثمان فسألنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت هذه الآية والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكم فاستحللنا فزوجهن وهكذا رواه الترمذي عن أحمد سفيان هو الثوري عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبيا من سبي أوطاس ولهن أزواج ففكرنا أن نقع عليهن ولهن أزواج إلا ما ملكت أيما نكم يعني إلا ما ملكتموهن بالسبي فإنه يحل لكم وطؤهن إذا استبرأتموهن فإن الآية نزلت في ذلك. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أخبرنا وقوله تعالى والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكم أي وحرم عليكم من الأجنبية المحصنات وهى المزوجات

من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي العفاف وهو يعم الحرائر والإماء وهذه الآية عامة وهذه أيضا ظاهرة في الدلالة على ما قاله الجمهور والله أعلم. 25 بحرة جاز له نكاح الأمة المؤمنة والكتابية أيضا سواء كان واجدا لطول حرة أم لا وسواء خاف العنت أم لا وعمدتهم فيما ذهبوا إليه قوله تعالى والمحصنات رق الأولاد ولما فيهن من الدناءة في العدول عن الحرائر إليهن وخالف الجمهور أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين فقالوا متى لم يكن الرجل مزوجا ومن هذه الآية الكريمة استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء على أنه لا بد من عدم الطول لنكاح الحرائر ومن خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة جاء أولاده أرقاء لسيدها إلا أن يكون الزوج غريبا فلا تكون أولاده منها أرقاء في قول قديم للشافعي ولهذا قال وإن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم وشق عليه الصبر عن الجماع وعنت بسبب ذلك كله فله حينئذ أن يتزوج بالأمة وإن ترك تزوجها وجاهد نفسه في الكف عن الزنا فهو خير له لأنه إذا تزوجها سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم أي إنما يباح نكاح الإماء بالشروط المتقدمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا مائة وبعده خمسين كما هو المشهور عن داود وهو أضعف الأقوال أنها تجلد قبل الإحصان خمسين وترجم بعده وهو قول أبي ثور وهو ضعيف أيضا والله رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها لا تضرب قبل الإحصان وإن أراد نفيه فيكون مذهبا بالتأويل. وإلا فهو كالقول الثاني القول الآخر أنها تجلد قبل الإحصان الصون وذلك مفقود في نفي النساء والله أعلم والثاني أن الأمة إذا زنت تجلد خمسين بعد الإحصان وتضرب تأديبا غير محدود بعدد محصور وقد تقدم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام وبإقامة الحد عليه رواه البخاري وذلك مخصوص بالمعنى وهو أن المقصود من النفي أن النفي إنما هو على الرجال وإماء النساء فلا لأن ذلك مضاد لصيانتهم وما ورد شيء من النفي في الرجال ولا النساء. نعم حديث عبادة وحديث أبي هريرة أن مذهب الشافعي وأما أبو حنيفة فعنده أن النفي تعزير ليس من تمام الحد وإنما هو رأي الإمام إن شاء فعله وإن شاء تركه في حق الرجال والنساء وعند مالك

تفسير ابن كثير

وبعده وهل تنفي فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنها تنفي عنه. والثاني لا تنفي عنه مطلقا والثالث أنها تنفي نصف سنة وهو نصف نفي الحرة وهذا الخلاف في الذي احتج به الجمهور إذا زنت أمة أحكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ملخص الآية أنها إذا زنت أقوال. أحدها تجلد خمسين قبل الإحصان أيها الناس أقيموا الحد على أركانكم من أحسن منهم ومن لم يحسن وعموم الأحاديث المتقدمة ليس فيها تفصيل بين المزوجة وغيرها لحديث أبي هريرة هذه لم ندر ما حكم الإمام في التنصيف وأوجب دخولهن في عموم الآية في تكميل الحد مائة أو رجمهن كما ثبت في الدليل عليه وقد تقدم عن علي أنه قال: قول في مذهب أحمد رحمه الله فأما قبل الإحصان فله ذلك والحد في كلا الموضعين نصف حد الحرة وهذا أيضا بعيد لأنه ليس في الآية ما يدل عليه ولولا فكيف يفهم منها التنصيف فيما عداها وقال بل أريد بأنها في حال الإحصان لا يقيم الحد عليها إلا الإمام ولا يجوز لسيدها إقامة الحد عليها والحالة هذه وهو عن الشافعي فيما رواه ابن عبدالحكم وقد ذكر البيهقي في كتاب السنن والآثار عنه وهو بعيد عن لفظ الآية لأنها إنما استفدنا تنصيف الحد من الآية لا من سواها الحرائر في الحد وإن كن محصنات وليس عليهن رجم أصلا لا قبل النكاح ولا بعده وإنما عليهن الجلد بالحالين في السنة قال ذلك صاحب الإفصاح وذكر هذا الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وجلدهما خمسين وخمسين وقيل بل المراد من المفهوم التنبيه بالأعلى على الأدنى أي أن الإمام على النصف من قد زنت برجل من الحمس فولدت غلاما فادعاه الزاني فاخصما إلى عثمان فرفعهما إلى علي بن أبي طالب فقال علي أقضي فيهما بقضاء رسول الله صلى المراد من العذاب الذي يمكن تبغيضه وهو الجلد لا الرجم والله أعلم. وقد روى أحمد حديثا في رد مذهب أبي ثور من رواية الحسن بن سعيد عن أبيه أن صفية منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض للتزويج بحرة وقوله نصف ما على المحصنات من العذاب يدل على أن الآية دلت على أن عليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والألف واللام في المحصنات للعهد وهن المحصنات المذكورات في أول الآية من لم يستطع فأخطأ في فهم الآية وخالف الجمهور في الحكم بل قد قال أبو عبد الله الشافعي رحمه الله ولم يختلف المسلمون في أن لا رجم على مملوك في الزنا وذلك لأن فإن عليهن نصف ما على المحصنات المزوجات الرجم وصولاً يتناصف فيجب أن ترجم الأمة المحصنة إذا زنت وأما قبل الإحصان فيجب جلدتها خمسين عليك وذكر الحديث وهكذا هذا السؤال. الجواب الرابع عن مفهوم الآية جواب أبي ثور وهو أغرب من قول داود من وجوه ذلك أنه يقول: فإذا أحسن ثم قال والسلام ما قد علمتم وفي لفظ لما أنزل الله قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً قالوا هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الآية نزلت لكن لما علموا أحد الحكمين سألو عن الآخر فبينه لهم كما في الصحيحين أنهم لما سألو عن الصلاة عليه فذكرها لهم حكمها كما زعم داود لوجب بيان ذلك لهم لأنهم إنما سألو عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الإحصان في الإمام وإلا فما الفائدة في قولهم ولم تحصن الإحصان وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال وهذا الشارع عليه السلام سأله أصحابه عن الأمة إذا زنت ولم تحصن فقال اجلدوها ولم يقل مائة فلو كان الضعف لأن الله تعالى إذا كان أمر بجلد المحصنة من الإمام بنصف ما على الحرة من العذاب وهو خمسون جلدة فكيف يكون حكمها قبل الإحصان أشد منه بعد بالثيب جلد مائة ورجمها بالحجارة والحديث في صحيح مسلم وغير ذلك من الأحاديث. وهذا القول هو المشهور عن داود بن عن الظاهري وهو في غاية فاجلدها كل واحد منهما مائة جلدة وكحديث عبادة بن الصامت خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب أن الآية دلت على أن الأمة المحصنة تحد نصف حد الحرة فأما قبل الإحصان فعمومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلدتها مائة كقوله تعالى الزانية والزاني ولم يبلغه الحديث وإن أراد أنها لا تضرب حداً ولا ينفى ضربها تأديباً فهو كقول ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه في ذلك والله أعلم. الجواب الثالث بن جبير يقول: لا تضرب الأمة إذا زنت ما لم تتزوج وهذا إسناده صحيح عنه ومذهب غريب إن أراد أنها لا تضرب الأمة أصلاً حداً وكأنه أخذ بمفهوم الآية الثيب أو اللاتط والله أعلم. وقد روى ابن ماجه وابن جرير في تفسيره: حدثنا ابن المنني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد جلد من زنا بأمة امرأته إذا أذنت له فيها مائة وإنما ذلك تعزير وتأديب عند من يراه كأحمد وغيره من السلف. وإنما الحد الحقيقي هو جلد البكر مائة ورجم الجلد لأنه لما كان الجلد اعتقد أنه حد أو أنه أطلق لفظة الحد على التأديب كما أطلق الحد على ضرب من زنا من المرضى بعثكال نخل فيه مائة شمراخ وعلى فاجلدها ثم إن زنت فاجلدها ثم إن زنت فبيعهها ولو بضمير الرابع أنه لا يبعد أن بعض الرواة أطلق لفظ الحد في الحديث على وأيضاً فقد رواه النسائي بإسناد على شرط مسلم من حديث عباد بن تميم عن عمه وكان قد شهد بدراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا زنت الأمة من بعض الرواة بدليل الجواب الثالث وهو أن هذا من حديث صحابييين وذلك من رواية أبي هريرة فقط وما كان عن اثنين فهو أولى بالتقديم من رواية واحد هريرة عنه أجوبة أحدها أن ذلك محمول على الأمة المزوجة جمعاً بينه وبين هذا الحديث الثاني أن لفظة الحد في قوله فليقيم عليها الحد مقحمة خطأ إنما هو من قول ابن عباس وكذا رواه ابن خزيمة عن عبد الله بن عمران وقال: مثل ما قاله ابن خزيمة قالوا: وحديث علي وعمر قضايا أعيان وحديث أبي يعني تزوج فإذا أحصنت بزوج فعليها نصف ما على المحصنات وقد رواه ابن خزيمة عن عبد الله بن عمران العبادي عن سفيان به مرفوعاً وقال: رفعه منصور عن سفيان عن مسعر عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أمة حد حتى تحصن أقت في المحصنة وكما وقت في القرآن بنصف ما على المحصنات فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك والله أعلم وأصرح من ذلك ما رواه سعيد بن ولو بضمير قال ابن شهاب: لا أدري بعد الثالثة أو الرابعة أخرجاه في الصحيحين وعند مسلم قال ابن شهاب: الضفير الحب. قالوا: فلم يؤقت فيه عددكما أبي هريرة وزيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ قال إن زنت فحدوها ثم إن زنت فاجلدها ثم يبيعهها بن سلام وداد بن علي الظاهري في رواية عنه وعمدتهم مفهوم الآية وهو من مفاهيم الشرط وهو حجة عند أكثرهم فقدم على العموم عندهم. وحديث أن الأمة إذا زنت ولم تحصن فلا حد عليها وإنما تضرب تأديباً وهو المحكي عن ابن عباس رضي الله عنه وإليه ذهب طاوس وسعيد بن جبير وأبو عبيد القاسم

تفسير ابن كثير

ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا من ولاند الإمارة خمسين خمسين من الزنا. الجواب الثاني جواب من ذهب إلى فليبعها ولو بحبل من شعر ولمسلم إذا زنت ثلاثا فليبعها في الرابعة وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس بن أبي صلى يقول إذا زنت أمة أحكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها أحسنت أتركها حتى تتماثل وعند عبد الله بن أحمد عن غير أبيه فإذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فأمرني أن أجدها فإذا هي حديثة عهد بنفاس فخشيت إن جلدها أن أقتلها فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما رواه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه خطب فقال: يا أيها الناس أقيموا الحد على إيمانكم من أحسن منهن ومن لم يحصن فإن أمة لرسول عن ذلك فأما الجمهور فقالوا: لا شك أن المنطوق مقدم على المفهوم وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الإماء فقدمناها على مفهوم الآية. فمن ذلك خمسون جلدة سواء كانت مسلمة أو كافرة مزوجة أو بكرا مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حد على غير المحصنة ممن زنا من الإماء وقد اختلفت أجوبتهم بقوله فإذا أحصن أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره وعلى كل من القولين إشكاله على مذهب الجمهور وذلك أنهم يقولون: إن الأمة إذا زنت فعليها منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد في تفسيره وقرره ونصره والأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان هنا التزويج لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى ومن لم يستطع عن الشعبي والنخعي. وقيل: معنى القراءتين متباين فمن قرأ أحصن بضم الهمزة فمراده التزويج ومن قرأ بفتحها فمراده الإسلام اختاره أبو جعفر ابن جرير أنه قال: إحصان الأمة أن ينكحها الحر وإحصان العبد أن ينكح الحرة وكذا روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس رواهما ابن جرير في تفسيره وذكره ابن أبي حاتم والحسن وقتادة وغيرهم ونقله أبو علي الطبري في كتابه الإيضاح عن الشافعي فيما رواه أبو الحكم بن عبد الحكم عنه. وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد لا تقوم به حجة وقال القاسم وسالم: إحصانها إسلامها وعفافها وقيل: المراد به هنا التزويج وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاوس وسعيد بن جبير وعفافها وقال: المراد به هنا التزويج قال: وقال علي أجدها ثم قال ابن أبي حاتم: وهو حديث منكر قلت وفي إسنادها ضعف وفيه من لم يسم ومثله أبيه عن أبي حمزة عن جابر عن رجل عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أحصن قال إحصانها إسلامها أكثر أهل العلم. وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً مرفوعاً قال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله حدثنا أبي عن وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب وهو منقطع وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي في رواية الربيع قال: وإنما قلنا ذلك استدلالاً بالسنة وإجماع هنا الإسلام روى ذلك عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأنس والأسود بن يزيد وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وعطاء وإبراهيم النخعي والشعبي والسدي الصادق مبنى لما لم سم فاعله وقرئ بفتح الهمزة والصاد فعل لازم ثم قيل: معنى القراءتين واحد واختلفوا فيه على قولين أحدهما أن المراد بالإحصان كذلك وقوله تعالى فإذا أحصن فإن أتيت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اختلف القراء في أحصن فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر أخلاء وقال الحسن البصري يعني الصديق وقال الضحاك أيضاً ولا متخذات أخدان ذات الخليل الواحد المقرة به نهى الله عن ذلك يعني تزويجها ما دامت ومتخذات أخدان يعني أخلاء وكذا روى عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ويحيى بن أبي كثير ومقاتل بن حيان والسدي قالوا: تعالى ولا متخذات أخدان قال ابن عباس: المسافحات هن الزواني المعلنات يعني الزواني اللاتي لا يمنعن أحداً أرادهن بالفاحشة: وقال ابن عباس: مملوكات وقوله تعالى محصنات أي عفاف عن الزنا لا يتعاطينها ولهذا قال غير مسافحات وهن الزواني اللاتي لا يمنعن من أرادهن بالفاحشة وقوله نفسها وقوله تعالى وآتوهن أجورهن بالمعروف أي وادفعوا مهورهن بالمعروف أي عن طيب نفس منكم ولا تبخسوا منه شيئاً استهانة بهن لكونهن إماء عاهر أي زان. فإن كان مالك الأمة امرأة زوجها من يزوج المرأة بإذن لها لما جاء في الحديث لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج فدل على أن السيد هو ولي أمته لا تزوج إلا بإذنه وكذلك هو ولي عبده ليس له أن يتزوج بغير إذنه كما جاء في الحديث أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه فهو بقوله والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض أي هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الأمور ثم قال: فانكحوهن بإذن أهلهن اللاتي يملكن المؤمنين ولهذا قال من فتياتكم المؤمنات قال ابن عباس وغيره: فليكن من إماء المؤمنين وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان. ثم أعترض هوأه فيها رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم أخذ يشنع على هذا القول ويرده فمما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات أي فتزوجوا من الإماء المؤمنات العفاف. وقال ابن وهب: أخبرني عبد الجبار عن ربيعة عن ربيعة: الطول الهوى يعني ينكح الأمة إذا كان يقول تعالى ومن لم يستطع منكم طولاً أي سعة وقدرة أن ينكح المحصنات المؤمنات أي الحرائر

الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها ويتوب عليكم أي من الإثم والمحارم والله عليم حكيم أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله. 26
تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنون ما أحل لكم وحرم عليكم بما تقدم وذكره في هذه السورة وغيرها ويهديكم سنن الذين من قبلكم يعني طرائقهم يخبر

الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً أي يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً. 27
وقوله ويريد

ما هو أقل من ذلك ففجزوا وإن أمتك أضعف أسماً وأبصاراً وقلوباً فرجع فوضع عشراً ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمساً الحديث. 28
فرض عليكم فقال: أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال له ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني قد بلوت الناس قبلك على

تفسير ابن كثير

يذهب عقله عندهن وقال موسى الكليم عليه السلام لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء حين مر عليه راجعا من عند سدرة المنتهى فقال له: ماذا قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن طائوس عن أبيه وخلق الإنسان ضعيفا أي في أمر النساء وقال وكيع ونواهيته وما يقدره لكم ولهذا أباح الإمام بشروط كما قال مجاهد وغيره وخلق الإنسان ضعيفا فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته يريد الله أن يخفف عنكم أي في شرائعه وأوامره

كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكيناً نحر بها يده فما رقا الدم حتى مات قال الله عز وجل عبدي بادرني بنفسه حرمت عليه الجنة . 29 أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة. وفي الصحيحين من حديث الحسن عن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم بنحوه وعن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه يشيء عذب به يوم القيامة . وقد يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بسم تردى به فسمه في يده الله صلى الله عليه وسلم ثم أورد ابن مردويه عند هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فدعاه فسأله عن ذلك فقال: يا رسول الله خفت أن يقتلني البرد وقد قال الله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فسكت عنه رسول القواريري حدثنا يوسف بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أشبه بالصواب. وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي حدثنا محمد بن صالح بن سهل البلخي حدثنا عبد الله بن عمر بن الحرث كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه وهذا ولم يقل شيئا وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب به ورواه أيضا عن محمد بن أبي سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول الله عز وجل ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب قال: قلت يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال: فلما قدما على رسول حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عام معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل إن الله كان بكم رحيما أي فيما أمركم به ونهاكم عنه. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة المعاطاة في المحقرات فيما بعده الناس بيعا وهو اختيار طائفة من الأصحاب كما هو متفق عليه وقوله ولا تقتلوا أنفسكم أي بارتكاب محارم الله وتعاطي ولو إلى سنة في القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله وصحوا بيع المعاطاة مطلقا وهو قول في مذهب الشافعي ومنهم من قال يصح بيع هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابهما وجمهور السلف والخلف ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه مال البيع عليه وسلم قال البيهقي بالخيار ما لم يتفرقا وفي لفظ البخاري إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وذهب إلى القول بمقتضى بعد الصفقة ولا يحل لمسلم أن يغش مسلما هذا حديث مرسل ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا وكيع حدثنا أبي عن القاسم عن سليمان الجعفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيع عن تراض والخيار وهو احتياط نظر من محققي المذهب والله أعلم وقال مجاهد إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم بيعا أو عطاء يعطيه أحد أحدا ورواه ابن جرير ثم قال كما تدل على التراضي وكذلك الأفعال تدل في بعض المحال قطعا فصحوا بيع المعاطاة مطلقا ومنهم من قال يصح في المحقرات وفيما بعده الناس بيعا إلا بالقبول لأنه يدل على التراضي نصا بخلاف المعاطاة فإنها قد لا تدل على الرضا ولا بد وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة وأحمد فرأوا أن الأقوال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وكفوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى. ومن هذه الآية الكريمة احتج الشافعي على أنه لا يصح البيع المحرمة في اكتساب الأموال لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال كما قال تعالى الآية وكذا قال قتادة وقوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم قرئ تجارة بالرفع وبالنصب وهو استثناء منقطع كأنه يقول لا تتعاطوا الأسباب نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل أموالنا فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكيف للناس فأنزل الله بعد ذلك ليس على الأعمى حرج ولا تنسخ إلى يوم القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون إن الله قد وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب المصلي حدثنا ابن الفضيل عن داود الأودي عن عامر عن علقمة عن عبد الله في الآية قال إنها محكمة ما نسخت عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول إن رضىته أخذته وإلا رددت معه درهما قال هو الذي قال عز وجل فيه ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا حتى قال ابن جرير: حدثني ابن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عكرمة عن ابن أموال بعضهم بعضا بالباطل أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وإن ظهرت في غالب ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا

لا تميلوا وقد استشهد عكرمة ببيت أبي طالب الذي قدمناه ولكن ما أنشده كما هو المروي في السيرة وقد رواه ابن جرير ثم أنشده جيدا واختار ذلك. 3 عباس وعائشة ومجاهد وعكرمة والحسن وأبي مالك وابن رزین والنخعي والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان أنهم قالوا

تفسير ابن كثير

الله عليه وسلم ذلك أدنى ألا تعولوا قال لا تجوروا قال ابن أبي حاتم قال أبي هذا خطأ والصحيح عن عائشة موقوف قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن أبي إبراهيم وخثيم حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن محمد بن زيد عن عبد الله بن عمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه: إني لست بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل وقال هشيم عن أبي إسحاق كتب عثمان بن عفان إلى وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة: بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل وقال هشيم عن أبي إسحاق كتب عثمان بن عفان إلى تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السراري أيضا والصحيح قول الجمهور ذلك أدنى ألا تعولوا أي لا تجوروا يقال عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل وتقول العرب عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر. ولكن في هذا التفسير ههنا نظر فإنه كما يخشى كثرة العائلة من بن أسلم وسفيان بن عيينة والشافعي وهو مأخوذ من قوله تعالى وإن خفتم عيلة أي فقرا فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء وقال الشاعر: فما يدري فإنه لا يجب قسم بينهم ولكن يستحب فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج وقوله ذلك أدنى ألا تعولوا قال بعضهم ذلك أدنى أن لا تكثر عيالكم قاله زيد أن لا تعولوا بينهم كما قال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السراري سنة فطلقتها. فهذه كلها شواهد لحديث غيلان كما قاله البيهقي. وقوله فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكتم أيما نكحكم. أي إن خفتم من تعداد النساء خمس نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر أربعة أيتهم شئت وفارق الأخرى فعمدت إلى أقدمهن صحبة عجوز عاقر معي منذ ستين أخبرني من سمع ابن أبي الزناد يقول أخبرني عبد المجيد عن ابن سهل بن عبد الرحمن عن عوف بن الحرث عن نوفل بن معاوية الديلي قال أسلمت وعندي وسلم فقال اختر منهن أربعة. وهذا الإسناد حسن: وهذا الاختلاف لا يضر مثله لما للحديث من الشواهد حديث آخر في ذلك قال الشافعي في مسنده بالذال المعجمة عن قيس بن الحارث وعند أبي داود في رواية الحارث بن قيس أن عميرة الأسدي قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت للنبي صلى الله عليه في سننهما من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن خميسة بن الشمردي وعند ابن ماجه بنت الشمردي وحكى أبو داود أن منهم من يقول الشمردي من أربع بحال فإذا كان هذا في الدوام ففي الاستئناس بطريق الأولى والأخرى والله سبحانه أعلم بالصواب حديث آخر في ذلك روى أبو داود وابن ماجه أربع لسوغ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهن في بقاء العشرة وقد أسلمن فلما أمره بإمساك أربع وفراق سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر بن الحارث أو الحارث بن قيس وعروة بن مسعود الثقفي وصفوان بن أمية يعني حديث غيلان بن سلمة فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من بن السكن: تفرد به سرار بن مجشر وهو ثقة وكذا وثقه ابن معين قال أبو علي: وكذلك رواه السميدي عن وهب عن سرار. قال البيهقي: وروينا من حديث قيس غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة فأسلم وأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعة هكذا أخرجه النسائي في سننه. قال أبو علي حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ويزيد بن عمر بن يزيد الجرمي أخبرنا يوسف بن عبيد الله حدثنا سرار بن مجشر عن أيوب عن نافع وسالم عن ابن عمر أن الذي قدمناه من مسند الإمام أحمد رجاله ثقات على شرط الشيخين. ثم روى من غير طريق معمر بل والزهرى. قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره. قال البيهقي: ورواه يونس وابن عيينة عن الزهرى عن محمد بن أبي سويد وهذا كما علله البخاري والإسناد البيهقي ورواه عقيل عن الزهرى: بلغنا عن عثمان بن محمد بن أبي سويد عن محمد بن يزيد. وقال أبو حاتم وهذا وهم إنما هو الزهرى عن محمد بن أبي سويد رغال وهذا التعليل فيه نظر والله أعلم وقد رواه عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى مرسلا وهكذا رواه مالك عن الزهرى مرسلا وقال أبو زرعة: هو أصح. وقال فذكره. قال البخاري: وإنما حديث الزهرى عن سالم عن أبيه أن رجلا من ثقيف طلق نساءه فقال له عمر: لتراجعن نساءك أو لأرجمن قبرك كما رجم قبر أبي له سمعت البخاري يقول: هذا الحديث غير محفوظ والصحيح ما روى شعيب وغيره عن الزهرى حدثت عن محمد بن أبي سويد الثقفي أن غيلان بن سلمة وباقي الحديث في قصة عمر من أفراد أحمد: وهي زيادة حسنة وهي مضاعفة لما علل البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي حيث قال بعد روايته الثوري وعيسى بن يونس وعبد الرحمن بن محمد المحاربي والفضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ عن معمر بإسناده مثله إلى قوله اختر منهن أربعة رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وغيرهم من طرق عن إسماعيل ابن علي وغانم بن زريع وسعيد بن أبي عروبة وسفيان بموتك فقدفه في نفسك ولعلك لا تلبث إلا قليلا وأيم الله لتراجعن نساءك ولتراجعن مالك أو لأورثن منك ولأمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال. وهكذا عليه وسلم اختر منهن أربعة فلما كان في عهد عمر طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فقال: إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع معمر عن الزهرى قال ابن جعفر في حديثه أنبأنا ابن شهاب عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه غيره من الأمة لما سنذكره من الأحاديث الدالة على الحصر في أربع ولتذكر الأحاديث في ذلك. قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل ومحمد بن جعفر قالا: حدثنا الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخمس عشرة امرأة ودخل منهن ثلاث عشرة واجتمع عنده إحدى عشرة ومات عن تسع وهذا عند العلماء من خصائصه دون جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيح وإما إحدى عشرة كما قد جاء في بعض ألفاظ البخاري. وقد علقه البخاري وقد رويانا عن أنس أن رسول حكى عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع وقال بعضهم: بلا حصر وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الميمنة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء إلا ما العلماء لأن المقام مقام امتنان وإباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره. قال الشافعي وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ولا ينفي ما عدا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه بخلاف قصر الرجال على أربع فمن هذه الآية كما قال ابن عباس وجمهور إن شاء أحدكم ثنتين وإن شاء ثلاثا وإن شاء أربعة كما قال الله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع أي منهم من له جناحان ومنهم

تفسير ابن كثير

مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن إذا كن قليلات المال والجمال وقوله مثنى وثلاث ورباع أي انكحوا من شئتم من النساء سواهن قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى وترغبون أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في طاب لهم من النساء سواهن قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله ويستفتونك في النساء بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمروا أن ينكحوا ما وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه ماله وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى وكان يمسكها عليه ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه وإن خفتم ألا تقسطوا أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله. ثم قال البخاري: وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أن رجلا كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق طاب لكم من النساء مثنى أي إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف أن لا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء فإنهن كثير ولم يضيق الله عليه. وقوله وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما

بتحريمه متجاسرا على انتهاكه فسوف نصلية نارا الآية. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد. 30 ولهذا قال تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما أي ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا فيه ظالما في تعاطيه أي عالما ما توعد عليها الشارع بالنار بخصوصها كما قال ابن عباس وغيره وتتبع ذلك اجتمع منه شيء كثير وإذا قال كل ما نهى الله عنه فكثير جدا والله أعلم. 31 هذه الخصال قلت: وقد صنف الناس في الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي الذي بلغ نحو من سبعين كبيرة وإذا قيل إن الكبيرة ويقال الواقعة في أهل العلم وحملة القرآن ومما يعد من الكبائر: الظهار وأكل لحم الخنزير والميتة إلا عن ضرورة. ثم قال الرافعي وللتوقف مجال في بعض والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن بعد تعلمه وإحراق الحيوان بالنار وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله عليه وسلم عمدا وسب أصحابه وكتمان الشهادة بلا عذر وأخذ الرشوة والقيادة بين الرجال والنساء والسعاية عند السلطان ومنع الزكاة وترك الأمر بالمعروف وأكل مال اليتيم والخيانة في الكيل والوزن وتقديم الصلاة على وقتها وتأخيرها عن وقتها بلا عذر وضرب المسلم بلا حق والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة شهادة الزور وأضاف إليها صاحب العدة أكل الربا والإفطار في رمضان بلا عذر واليمين الفاجرة وقطع الرحم وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وفصل القاضي الروياني فقال الكبائر سبع: قتل النفس بغير الحق والزنا واللواط وشرب الخمر والسرقة وأخذ المال غصبا والقذف وزاد في الشامل على السبع توجب في جنسها حدا من قتل أو غيره وترك كل فريضة مأمور بها على الفور والكذب في الشهادة والرواية واليمين هذا ما ذكره على سبيل الضبط ثم قال اكترت مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطل للعدالة والرابع ذكر القاضي أبو سعيد الهروي أن الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية وهذا أكثر ما يوجد لهم وإلى الأول أميل لكن الثاني أوفق لما ذكره عند تفسير الكبائر والثالث قال إمام الحرمين في الإرشاد وغيره كل جريمة تنبئ بقلّة وللبعض الأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه أحدها أنها المعصية الموجبة للحد والثاني أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة الرافعي في كتابه الشرح الكبير الشهير في كتاب الشهادات منه ثم اختلف الصحابي رضي الله عنهم فمن بعدهم في الكبائر وفي الفرق بينها وبين الصغائر فمن قائل هي ما عليه حد في الشرع ومنهم من قال هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة وقيل غير ذلك. قال أبو القاسم عبدالكريم بن محمد قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر الشفاعة أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للخاطئين المتلوئين. وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفردا به من هذا الوجه عن عباس العنبري عن عبدالرزاق ثم قال هذا حديث حسن صحيح. وفي الصحيح شاهد لمعناه وهو أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فإنه إسناده صحيح على شرط الشيخين وقد روى ابن مردويه من طرق عن أنس وعن جابر مرفوعا شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ولكن في إسناده من جميع طرفه ضعف إلا ما رواه عبدالرزاق كبائر ما تنهون عنه الآية إنما وعد الله المغفرة لمن اجتنب الكبائر وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا الكبائر وسددوا وأبشروا ذنب يصلح معه دين ويقبل معه عمل فإن الله يغفر السيئات بالחסنات قال ابن جرير حدثنا بشر بن معاذ حدثنا يزيد حدثنا سعيد: عن قتادة إن تجتنبوا بالله والكفر بآيات الله ورسوله والسحر وقتل الأولاد ومن ادعى لله ولدا أو صاحبة ومثل ذلك من الأعمال والقول الذي لا يصلح معه عمل وأما كل حاتم أيضا حدثنا يونس أنا ابن وهب أخبرني عبدالله بن عياش قال زيد بن أسلم في قول الله عز وجل إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه من الكبائر: الشرك عن مالك بن أنس رحمه الله وقال محمد بن سيرين: ما أظن أحدا يبغض أبا بكر وعمر وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال ابن أبي حدثنا جرير عن مغيرة قال: كان يقال شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر قلت وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة وهو رواية اليتيم وأكل الربا ورمي المحصنة وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة وقال ابن جرير: حدثنا المثنى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء يعني ابن أبي رباح قال الكبائر سبع قتل النفس وأكل مال وقتل المؤمن ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا في حديث أبي إسحاق عن عبيد بن عمير بنحوه والفرار من الزحف يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الآية والتعرب بعد الهجرة إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى في بطونهم نارا الآية الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس و الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات

تفسير ابن كثير

الله الإشراف بالله منهم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحاق عن عبيد بن عمير قال الكبار سبع ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب
وأكل مال اليتيم وأكل الربا والبهتان قال ويقولون أعرابية بعد هجرة قال ابن عون فقلت لمحمد فالسحر ؟ قال إن البهتان يجمع شرا كثيرا وقال ابن جرير
بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن الكبار فقال: الإشراف بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها والفرار يوم الزحف
عبدالله بن معدان عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبار قال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة أقوال التابعين قال ابن جرير حدثني يعقوب
أحمد بن حازم أخبرنا أبو نعيم حدثنا عبدالله بن معدان عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن النظرة وقال أيضا حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا أبو نعيم حدثنا
ابن علية أخبرنا أيوب عن محمد بن سيرين قال نبئت أن ابن عباس كان يقول: كل ما نهى الله عنه كبيرة وقد ذكرت الطرفة قال هي النظرة وقال أيضا حدثنا
شبيب عن عكرمة عن ابن عباس قال: الكبار كل ذنب ختمه الله بنار كبيرة وكذا قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا
عنه قال الكبار كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضيل حدثنا
مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شبل به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إن تجتنبوا كبار ما تنهون
حذيفة حدثنا شبل عن قيس عن سعد عن سعيد بن جبير أن رجلا قال لابن عباس كم الكبار سبع ؟ قال هن إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة
طاوس عن أبيه قال قيل لابن عباس الكبار سبع ؟ قال هن إلى السبعين أقرب وكذا قال أبو العالية الرياحي رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا أبو
طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال أرأيت الكبار السبع التي ذكرهن الله ما هن قال: هن إلى السبعين أدنى منهن إلى سبع وقال عبدالرزاق أنا معمر عن
حدثنا سفيان عن ليث عن طاوس قال: قلت لابن عباس ما السبع الكبار قال هي إلى السبعين أقرب منها إلى سبع. ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن ليث عن
طاوس قال ذكروا عند ابن عباس الكبار فقالوا: هي سبع فقال: أكثر من سبع وسبع قال فلا أدري كم قالها من مرة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة
تجاوز لنا عما دون الكبار وتلا إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه الآية. أقوال ابن عباس في ذلك روى ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن
قال أتيت أنس بن مالك فكان فيما يحدثنا قال: لم أر مثل الذي أتانا عن ربنا ثم لم يخرج عن كل أهل ومال ثم سكنت هنيئة ثم قال: والله لما كلفنا من ذلك أنه
تعالى على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن الآية. وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا زياد بن مخراق عن معاوية بن قرة
بن شيبه الواسطي حدثنا أبو أحمد عن سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: ما أخذ على النساء من الكبار قال ابن أبي حاتم يعني قوله
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا من منع فضل الماء وفضل الكلاء منعه الله فضله يوم القيامة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد
ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل وذكر تمام الحديث وفي مسند الإمام أحمد من حديث
بجعل. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء وفيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا
يعلي بن عبيدة حدثنا صالح بن حي عن ابن بريدة عن أبيه قال: أكبر الكبار الشرك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضول الماء بعد الري ومنع طروق الفحل إلا
عن ابن مسعود قال: الكبار من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية ثم تلا إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه الآية قال ابن حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا
كلاهما عن ابن مسعود قال الكبار من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها. ومنه حديث سفيان الثوري وشعبة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش
الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله عز وجل. وروى ابن جرير من حديث الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق والأعمش عن إبراهيم عن علقمة
بعد الهجرة والسحر وعقوق الوالدين وأكل الربا وفراق الجماعة ونكث الصفة. وتقدم عن ابن مسعود أنه قال: أكبر الكبار الإشراف بالله واليأس من روح
بن المغيرة عن مالك بن جرير عن علي رضي الله عنه قال: الكبار الإشراف بالله وقتل النفس وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرب
عمر وفيها انقطاع إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفي شهرته. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا علي بن صالح عن عثمان
الآية. ثم قال هل علم أهل المدينة أو قال: هل علم أحد بما قدمتم قالوا لا قال لو علموا لوعظت بكم إسناده صحيح ومتن حسن وإن كان من رواية الحسن عن
فقال ثكلت عمر أمه أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات قال وتلا إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
؟ فقال اللهم لا ! قال ولو قال نعم لخصمه. قال فهل أحصيته في بصر ؟ فهل أحصيته في لفظك ؟ هل أحصيته في أثرك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم
فجمعهم له قال ابن عون أظنه قال في بهو فأخذ أدناهم رجلا فقال أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك أقرأت القرآن كله ؟ قال نعم قال فهل أحصيته في نفسك
فقال يا أمير المؤمنين إن ناسا لقوني بمصر فقالوا إنا نرى أشياء في كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها فأحبوا أن يلقوك في ذلك قال: فاجمعهم لي قال
أمير المؤمنين في ذلك فقدم وقدموا معه فلقي عمر رضي الله عنه فقال متى قدمت ؟ فقال: منذ كذا وكذا قال: أياذن قدمت ؟ قال: فلا أدري كيف رد عليه
ابن علية عن ابن عون عن الحسن أن ناسا سألو عبدالله بن عمرو بمصر فقالوا نرى أشياء من كتاب الله عز وجل أمر أن يعمل بها لا يعمل بها فأردنا أن نلقى
وهو حسن. ذكر أقوال السلف في ذلك قد تقدم ما روى عن عمر وعلي في ضمن الأحاديث المذكورة وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا
والسحر وأكل الربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين تجعلون الذين يشتركون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية في إسناده ضعف
الله عليه وآله وسلم ذكروا الكبار وهو متكئ فقالوا: الشرك بالله وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وقذف المحصنة وعقوق الوالدين وقول الزور والغلول
قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبدالرحمن حدثنا عباد بن عباد عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة أن أناسا من أصحاب النبي صلى
الوصية من الكبار والصحيح ما رواه غيره عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن أبي حاتم هو صحيح عن ابن عباس من قوله حديث آخر في ذلك

تفسير ابن كثير

مثله حديث آخر تقدم من رواية عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الإضرار في ولا تسرقوا قال فما أنا بأشح عليهن إذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رواه أحمد أيضا والنسائي وابن مردويه من حديث منصور بإسناده الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ألا إنهن أربع لا تشركون بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزونا من عنقه فرجع أعرابيا كما كان. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم حدثنا أبو معاوية يعني سنان عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس فقلت لأبي يا أبت التعرب بعد الهجرة كيف لحق ههنا قال يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في الفيل ووجب عليه الجهاد خلع ذلك المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراف بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم وأكل الربا والفرار يوم الزحف والتعرب بعد الهجرة وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس الكبائر سبع فأصاح الناس فأعادها ثلاث مرات ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا يا أمير ابن جرير: حدثنا تميم بن المنتصر حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن محمد بن سهيل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة وقتل النفس والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقذف المحصنة والتعرب بعد الهجرة وفي إسناده نظر ورفع غلط فاحش والصواب ما رواه زياد بن أبي حبيب عن محمد بن سهل ابن أبي خيثمة عن أبيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الكبائر سبع ألا تسألوني عنهن؟ الإشراف بالله بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا عمرو بن خالد الحارثي حدثنا ابن لهيعة عن عجلان عن نافع عن ابن عمر أنه قال: أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل حديث غريب جدا حديث آخر فيه التعرب بعد الهجرة قد تقدم من رواية عمر سوء الظن بالله قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم بن بندار حدثنا أبو حاتم بكر بن عباد حدثنا محمد بن مهاجر حدثنا أبو حذيفة البخاري عن محمد بن وأبي إسحاق عن وبرة عن أبي الطفيل عن عبد الله به ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل عن ابن مسعود وهو صحيح إليه بلا شك حديث آخر فيه عن أبي الطفيل قال: قال ابن مسعود: أكبر الكبائر الإشراف بالله واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله. وكذا رواه من حديث الأعمش نظر والأشبه أن يكون موقوفا فقد روى عن ابن مسعود نحو ذلك وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا مطرف عن وبرة بن عبد الرحمن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال الشرك بالله واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله عز وجل وفي إسناده الله والقنوط من رحمة الله عز وجل والأمن من مكر الله وهذا أكبر الكبائر. وقد رواه البزار عن عبد الله بن إسحاق العطار عن أبي عاصم النبيل عن شبيب بن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متكئا فدخل عليه رجل فقال: ما الكبائر فقال الشرك بالله واليأس من روح وتر أهله وماله حديث آخر فيه اليأس من روح الله والأمن من مكر الله. قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثنا أبي حدثنا والسلام أنه قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وقال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وقال من فاتته صلاة العصر فكأنما ولهذا روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة. وفي السنن مرفوعا عنه عليه الصلاة والعصر تقديم أو تأخيرا وكذا المغرب والعشاء كالجمع بسبب شرعي فمن تعاطاه بغير شيء من تلك الأسباب يكون مرتكباً كبيرة فما ظنك بترك الصلاة بالكلية من الكبائر جمع بين الصلاتين يعني بغير عذر والفرار من الزحف والنهبة وهذا إسناده صحيح. والغرض أنه إذا كان الوعيد فيمن جمع بين الصلاتين كالظاهر ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا إسماعيل بن علي عن خالد الحذاء عن حميد بن هلال عن أبي قتادة العدوي قال: قرئ علينا كتاب عمر: يحيى بن خلف عن المعتمر بن سليمان به ثم قال حنش هو أبو علي الرحبي وهو حسين بن قيس وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه أحمد وغيره. وروى عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر. وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن أبي سلمة الجمع بين الصلاتين من غير عذر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن وكذا رواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن العلاء بن زيد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله حديث آخر في عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر استتالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة والسبتان بالسبة هكذا روى هذا الحديث وقد أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن جعفر بن مسافر عن عمرو بن أبي سلمة عن زهير بن محمد سلمة حدثنا زهير بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر عرض الرجل المسلم وسلم قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر حديث آخر في ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا دحيم حدثنا عمرو بن أبي حديث سفيان وشعبة ويزيد بن الهاد ثلاثتهم عن سعد بن إبراهيم به مرفوعاً بنحوه وقال الترمذي صحيح. وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر أن يلعن الرجل والديه قالوا وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه وهكذا رواه مسلم من بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمه حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر قالوا: وكيف يشتم الرجل والديه؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه أخرجه البخاري عن أحمد بن يونس عن إبراهيم بن سعد عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رفعه سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووقفه مسعر على عبد الله بن عمرو قال من الكبائر أن يشتم الرجل والديه بن عمرو في التسبب إلى شتم الوالدين. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن سعد بن إبراهيم عن حميد بن قلت هكذا وقع في تفسير ابن مردويه وصحيح ابن حبان من طريق عبد الرحمن بن إسحاق كما ذكره شيخنا فصح الله في أجله حديث آخر عن عبد الله الحجاج المزي: وقد رواه عبد الرحمن بن إسحاق المدني عن محمد بن زيد عن عبد الله بن أبي أمامة عن أبيه عن عبد الله بن أنيس فزاد عبد الله بن أبي أمامة

تفسير ابن كثير

وقال: حسن غريب وأبو أمامة الأنصاري هذا هو ابن ثعلبة ولا يعرف اسمه. وقد روي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث. قال شيخنا الحافظ أبو وهكذا رواه أحمد في مسنده وعبد بن حميد في تفسيره كلاهما عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث ابن سعد به. وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به الإشراف بالله وعقوب الوالدين واليمين الغموس وما حلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة إلا كانت وكتة في قلبه إلى يوم القيامة. عن محمد بن يزيد بن مهاجر بن قنفذ التيمي عن أبي أمامة الأنصاري عن عبد الله بن أنيس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكبر الكبائر كلاهما عن فراس حديث آخر في اليمين الغموس قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعيد الإشراف بالله وعقوب الوالدين أو قتل النفس شعبة الشاك واليمين الغموس. ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة وزاد البخاري وشيبان الغموس قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكبر الكبائر المدني مولى الأنصار قال الإمام أحمد: لا أرى به بأساً وذكره ابن حبان في الثقات ولم أر أحداً جرحه. حديث آخر عن عبد الله بن عمرو وفيه ذكر اليمين مثانته منها شيء إلا حرم الله عليه الجنة فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وداود بن صالح هذا هو التمار يمتنع من شيء أراد منه وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لنا مجيباً ما من أحد يشرب خمراً إلا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ولا يموت أحد في ذلك فأكبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأخبرتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك فوثبوا إليه حتى أتوه في داره فأخبرهم أنهم تحدثوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم ما ينتهون إليه فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين أمه وخالته وعمته غريب من هذا الوجه. طريق أخرى رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث عبدالعزيز بن محمد الدراوردي عن داود بن صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فسأله ثم رجع فقال: سألت عن الخمر فقال هي أكبر الكبائر وأم الفواحش من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على بن حزم أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو بالحجر بمكة وسأله رجل عن الخمر فقال والله إن عظيماً عند الله الشيخ مثلي يكذب في هذا المقام على إلا من تاب حديث آخر فيه ذكر شرب الخمر. قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب حدثني ابن صخر أن رجلاً حدثه عن عمرة قلت: ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك ثم قرأ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر إلى قوله ذكر قتل الوالد وهو ثابت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم وفي رواية أكبر؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال الإشراف بالله وعقوب الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وشهادة الزور ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت حديث آخر فيه آخر أخرجه الشيخان من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم أكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله وقول الزور أو شهادة الزور أخرجه من حديث شعبة به وقد رواه ابن مردويه من طريقين آخرين غريبين عن أنس بنحوه. حديث قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال الشرك بالله وقتل النفس وعقوب الوالدين وقال ألا أنبئكم أكبر الكائر؟ قلنا بلى مال البيتيم. حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عبد الله بن أبي بكر قال سمعت أنس بن مالك الله يوم القيامة: إشراف بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوب الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات وبعث به مع عمرو بن حزم قال: وكان في الكتاب إن أكبر الكبائر عند في تفسيره من طريق سليمان بن داود اليماني وهو ضعيف عن الزهري عن الحافظ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده قال: كتب ما الكبائر؟ فقال الشرك بالله وقتل نفس مسلمة والفرار من الزحف. ورواه أحمد أيضاً والنسائي من غير وجه عن بقية حديث آخر روى ابن مردويه الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله لا يشرك به شيئاً وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان واجتنب الكبائر فله الجنة أو دخل الجنة فسأله رجل آخر قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عدي حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان أن أبا رهم السمي حدثهم عن أبي أيوب قال: قال رسول الوالدين وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً. وهكذا رواه الحسن بن موسى الأشيب عن أيوب بن عتبة اليماني وفيه ضعف والله أعلم. حديث الإشراف بالله وقذف المحصنات قال قلت: قبل الدم قال: نعم ورغمما وقتل النفس المؤمنة والفرار من الزحف والسحر وأكل الربا وأكل مال البيتيم وعقوب وهو تحت ظل أراكاة وهو يصب الماء على رأسه فسألته عن الكبائر؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هن سبع قال قلت: وما هن قال قبلتكم أحياء وأمواتاً. هكذا رواه من هذين الطريقين موقوفاً وقد رواه علي بن الجعد عن أيوب بن عتبة عن طيسلة بن علي قال: أتيت ابن عمر عشيّة عرفة مثل قتل النفس قال: نعم ورغمما وقتل النفس المؤمنة والفرار من الزحف والسحر وأكل الربا وأكل مال البيتيم وعقوب الوالدين المسلمين وإلحاد بالبيت الحرام في ظل أراك يوم عرفة وهو يصب الماء على رأسه ووجهه قلت: أخبرني عن الكبائر؟ قال: هي تسع قلت: ما هي؟ قال: الإشراف بالله وقذف المحصنة قال قلت: أخرى قال ابن جرير: حدثنا سليمان بن ثابت الجحدري الواسطي أنا سلمة بن سلام حدثنا أيوب بن عتبة عن طيسلة بن علي النهدي قال: أتيت ابن عمر وهو تدخل الجنة؟ قلت: نعم قال: أحي والداك؟ قلت: عندي أمي قال: فوالله لئن أنت أننت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات طريق الحرام والذي يستسخر وبكاء الوالدين من العقوق. قال زياد وقال طيسلة لما رأى ابن عمر فرقى قال: أتخاف النار أن تدخلها؟ قلت: نعم قال: وتحب أن قال: هي تسع وسأعدهن عليك: الإشراف بالله وقتل النفس بغير حقها والفرار من الزحف وقذف المحصنة وأكل الربا وأكل مال البيتيم ظلماً وإلحاد في المسجد

تفسير ابن كثير

ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر قال: ما هي ؟ قلت: أصبت كذا وكذا قال: ليس من الكبائر قلت: وأصبت كذا وكذا قال: ليس من الكبائر قال: أشيء لم يسمه طيسلة ؟ حدثنا ابن علية حدثنا زياد بن مخرق عن طيسلة بن مياس قال: كنت مع النجدات فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر فلقيت ابن عمر فقلت له: إنني أصبت النفس وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا . حديث آخر في معناه قال أبو جعفر بن جرير في التفسير: حدثنا يعقوب بسلام وقال المطلب: سمعت من سأل عبدالله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرهن ؟ قال: نعم عقوق الوالدين وأشراك بالله وقتل لا أقسم ثم نزل فقال: أبشروا أبشروا من صلى الصوات الخمس واجتنب الكبائر السبع نودي من أبواب الجنة ادخل قال عبد العزيز: لا أعلمه قال إلا عبد الحميد حدثنا عبدالعزيز عن مسلم بن الوليد عن المطلب عن عبدالله بن حنطب عن ابن عمر قال: سعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال لا أقسم في الإسناد عبد الحميد بن سنان والله أعلم حديث آخر في معنى ما تقدم قال ابن مردويه: حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس حدثنا يحيى بن وقد رواه ابن جرير عن سليمان بن ثابت الجحدري عن سالم بن سلام عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن عمير عن أبيه فذكره ولم يذكر في الصحيحين إلا عبد الحميد بن سنان قلت وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وقال البخاري في حديثه نظر مطولاً وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن هاني به وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً ثم قال الحاكم: رجاله كلهم يحتج بهم ثم لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار مصانعتها من ذهب هكذا رواه الحاكم نفس مؤمن بغير حق وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقذف المحصنة وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً أنه عليه حق ويعطي زكاة ماله يحتسبها ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها ثم إن رجلاً سأله فقال: يا رسول الله ما الكبائر ؟ فقال تسع: الشرك بالله وقتل صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع ألا إن أولياء الله المصلون من يقيم الصلوات الخمس التي كتب الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه يرى حدثنا يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن أبيه يعني عمير بن قتادة رضي الله عنه أنه حدثه وكانت له صحبة أن رسول الله ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال: حدثنا أحمد بن كامل القاضي إملاء حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد حدثنا معاذ بن هاني حدثنا حرب بن شداد اللقب وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم كما سنورده من الأحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع فمن يكبر والفرار من الزحف ورمي المحصنات والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة فالنص على هذه السبع بأنهن كبار لا ينبغي ما عداهن إلا عند من يقول بمفهوم عن أبي هريرة مرفوعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكبائر سبع أولها الإشراك بالله ثم قتل النفس بغير حقها وأكل الربا وأكل مال اليتيم إلى أن المحصنات الغافلات المؤمنات طريق أخرى عنه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فهد بن عوف حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه قيل يا رسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف الصحيحين من حديث سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تفسير هذه السبع وذلك بما ثبت في قيل له ادخل بسلام . وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به ورواه الحاكم أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث عبدالله فكان أحب إلينا من حمر النعم فقال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة ثم صلى الله عليه وسلم يوماً فقال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبيكي لا ندري ماذا حلف عليه ثم رفع رأسه وفي وجهه البشري صالح حدثنا الليث حدثني خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجرم أخبرني صهيب مولى الصواري أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان: خطبنا رسول الله كفارة له ما بينها وبين الجمعة المقبلة ما اجتنب المقتلة وقد روى البخاري من وجه آخر عن سلمان نحوه. وقال أبو جعفر بن جرير حدثني المثنى حدثنا أبو هو اليوم الذي جمع الله فيه أبائكم قال لكن أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كانت حدثنا هشيم عن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم عن مربع الضبي عن سلمان الفارسي قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قلت يقول الله إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية. وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر قال الإمام أحمد: خالد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس رفعه قال: لم نر مثل الذي بلغنا عن ربنا عز وجل ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال أن تجاوز لنا عما دون الكبائر صفائر الذنوب وأدخلناكم الجنة ولهذا قال وندخلكم مدخلاً كريماً وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا وقوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية أي إذا اجتنبتكم كبائر الآثام التي نهيتكم عنها كفرنا عنكم

وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيضه لأعمالها وبمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعاطي الخير وأسبابه ولهذا قال إن الله كان بكل شيء عليماً. 32 وإن أحب عباد الله إلى الله الذي يحب الفرج ثم قال إن الله كان بكل شيء عليماً أي هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها وبمن يستحق الفقر فيفقره قيس بن الربيع عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وإن أفضل العبادة انتظار الفرج. ثم قال الترمذي كذا رواه حماد بن واقد وليس بالحافظ رواه ابن مردويه من حديث وكيع عن إسرائيل ثم رواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل أمر محتوم أي إن التمني لا يجدي شيئاً ولكن سلوني من فضلي أعطكم فإني كريم وهاب. وقد روى الترمذي وابن مردويه من حديث حماد بن واقد سمعت أي كل يرت بحسبه. رواه الترمذي عن ابن عباس ثم أرشدكم إلى ما يصلحهم فقال اسألوا الله من فضله لا تتمنوا ما فضلنا به بعضكم على بعض فإن هذا

تفسير ابن كثير

مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن أي كل له جزاء على عمله بحسبه إن خير فخير وإن شرا فشر هذا قول ابن جرير وقيل المراد بذلك في الميراث وابن عباس وهكذا قال عطاء بن أبي رباح نزلت في النهي عن تمنى ما لفلان وفي تمنى النساء أن يكن رجالا فيغزون رواه ابن جرير ثم قال للرجال نصيب مثل نعمة هذا والآية نهت عن تمنى عين نعمة هذا يقول ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض أي في الأمور الدنيوية وكذا الدينية لحديث أم سلمة هلكته في الحق فيقول رجل لو أن لي مثل ما لفلان لعمت مثله فهما في الأجر سواء فإن هذا شيء غير ما نهت عنه الآية. وذلك أن الحديث حض على تمنى ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا وهو الظاهر من الآية ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال: ولا يتمنى الرجل فيقول ليت لو أن لي مال فلان وأهله فنهى الله عن ذلك ولكن يسأل الله من فضله. وقال الحسن نستطيع أن نقاتل ولو كتب علينا القتال لقاتلنا فأبى الله ذلك ولكن قال لهم سلوني من فضلي قال ليس بعرض الدنيا. وقد روى عن قتادة نحو ذلك. وقال علي أن رجلا قالوا إنا نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء كما لنا في السهام سهمان وقالت النساء إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء فإنا لا أفنح في العمل هكذا إن فعلت امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة فأنزل الله هذه الآية ولا تتمنوا الآية. فإنه عدل مني وأنا صنعته وقال السدي في الآية عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في الآية قال: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة امرأتين برجل وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي حدثنا أشعث بن إسحاق عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة قال نزلت هذه الآية في قول النساء ليتنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عز وجل قالت: قلت يا رسول الله. وروى عن مقاتل بن حيان وخصيف نحو ذلك وروى ابن جرير من حديث ابن جرير عن عكرمة ومجاهد أنهما قالوا أنزلت في أم سلمة وكذا روى سفيان بن عيينة يعني عن ابن أبي نجيح بهذا اللفظ وروى يحيى القطان ووكيع بن الجراح عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة سلمة يا رسول الله: لا نقاتل فنستشهد ولا نقطع الميراث فنزلت الآية ثم أنزل الله أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى الآية. ثم قال ابن أبي حاتم قالت يا رسول الله فذكره ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: قلت يا رسول الله فذكره وقال غريب ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن أم سلمة أم سلمة يا رسول الله تغزو الرجال ولا تغزو ولنا نصف الميراث فأنزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت

وكما قال ابن عباس: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمة حتى نسخ ذلك فكيف يقول إن هذه الآية محكمة غير منسوخة والله أعلم. 33 فقط فهي محكمة لا منسوخة وهذا الذي قاله فم نظر فإن من الحلف ما كان على المناصرة والمعاونة ومنه ما كان على الإرث كما حكاه غير واحد من السلف فأتوهم نصيبهم من الميراث حتى تكون الآية منسوخة ولا أن ذلك كان حكما ثم نسخ بل إنما دلت الآية على الوفاء بالحلف المعقود على النصرة والنصيحة وتبناهم ولكن جعل لهم نصيبا من الوصية رواه ابن جرير وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله فأتوهم نصيبهم أي من النصرة والنصيحة والمعاونة لا أن المراد أبنائهم يورثونهم فأنزل الله فيهم فجعل لهم نصيبا في الوصية ورد الميراث إلى الموالى في ذي الرحم والعصبة وأبى الله أن يكون للمدعين ميراثا ممن ادعاهم فأتوهم نصيبهم أي من الميراث قال وعاقده أبو بكر مولى فورثه رواه ابن جرير وقال الزهري عن ابن المسيب نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجلا غير أنها منسوخة بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا وقال سعيد بن جبيرة والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا يقول إلا أن توصوا لهم بوصية فهي لهم جائزة من ثلث المال وهذا هو المعروف وهكذا نص غير واحد من السلف عاقدت أيمانكم قال كان الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر فأنزل الله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين ذهب الميراث ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة وكذا روى عن مجاهد وأبي مالك نحو ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله والذين أسامة حدثنا إدريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فأتوهم نصيبهم قال من النصرة والنصيحة والرفادة ويوصي له وقد تأثير له وقد قيل إن هذه الآية نسخت الحلف في المستقبل وحكم الحلف الماضي أيضا فلا توارث به كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو فما بقي بعد ذلك فأعطوه للعصبة وقوله والذين عقدت أيمانكم أي قبل نزول هذه الآية فأتوهم نصيبهم أي من الميراث فأياها حلف عقد بعد ذلك فلا الله عليه وسلم قال الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر أي اقسما الميراث على أصحاب الفرائض الذين ذكرهم الله في آيتي الفرائض مما ترك الولدان والأقربون أي ورثه من قراباته من أبويه وأقربيه وهم يرثونه دون سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى أبي حنيفة وأصحابه ورواية عن أحمد بن حنبل والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ولهذا قال تعالى ولكل جعلنا موالى الصحابة لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة وهذا نص في الرد على ما ذهب إلى التوارث بالحلف اليوم كما هو مذهب وبقي تأثير الحلف بعد ذلك وإن كانوا قد أمروا أن يوفوا بالعهود والعقود والحلف الذي كانوا قد تعاقدوا قبل ذلك وتقدم في حديث جبيرة بن مطعم وغيره من على الإسلام بالسيف أمر الله أن يؤتیه نصيبه رواه ابن أبي حاتم وهذا قول غريب والصحيح الأول وأن هذا كان في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف ثم نسخ فقالت لا ولكن والذين عقدت أيمانكم قالت إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبي أن يسلم فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم حين حمل عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع مع ابن ابنها موسى بن سعد وكان يتيما في حجر أبي بكر فقرأت عليها والذين عاقدت أيمانكم الحلف فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الإسلام وكذا رواه شعبة عن مغيرة وهو ابن مقسم عن أبيه به وقال محمد بن إسحاق

تفسير ابن كثير

مطعم عن أبيه به. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التوام عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مثله ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر به. ورواه النسائي من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق عن زكريا عن سعد بن إبراهيم عن نافع بن جبير بن شيبه بإسناده مثله ورواه أبو داود عن عثمان عن محمد بن أبي شيبه عن محمد بن بشر وابن نمير وأبي أسامة ثلاثتهم عن زكريا وهو ابن أبي زائدة بإسناده الله عليه وآله وسلم لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة وهكذا رواه مسلم عن عبدالله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي به وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا ابن نمير وأبو أسامة عن زكريا عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى ما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة ولا حلف في الإسلام ثم رواه من حديث حسين المعلم وعبد الرحمن بن الحرث عن عمرو بن شعيب بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قام خطيباً في الناس فقال يا أيها الناس الله صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة وحدثنا كريب حدثنا يونس بن بكير عن محمد به ولا حلف في الإسلام. وهكذا رواه أحمد عن هشيم وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن أبي عبدالله عن ابن جعدان حدثه عن أم سلمة أن رسول حدثنا هشيم أخبرني مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التوام عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي صلى عن الحلف قال فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا الله عليه وسلم بين قريش والأنصار وهكذا رواه الإمام أحمد عن بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري بتمامه وحدثني يعقوب بن إبراهيم النعم وأنا أنكته قال الزهري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصب الإسلام حلفاً إلا زاده شدة قال ولا حلف في الإسلام. وقد ألف النبي صلى جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومتني فما أحب أن لي حمر الحلف الذي كان في دار الندوة هذا لفظ ابن جرير وقال ابن جرير أيضاً حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي عن عبد الرحمن بن إسحاق عن محمد بن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الإسلام وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة وما يسرني أن لي حمر النعم وإنني نقضت الله عليه وسلم وحدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدم عن إسرائيل عن يونس عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن عكرمة عن ابن عباس قال: عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة. وهكذا رواه مسلم ورواه النسائي من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق عن زكريا عن سعيد بن إبراهيم أحمد حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا أبي نمير وأبو أسامة عن زكريا عن سعيد بن إبراهيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الإسلام وعطاء والحسن وابن المسيب وأبي صالح وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة والسدي والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا هم الحلفاء. وقال الإمام الإسلام إلا شدة ولا عقد ولا حلف في الإسلام فنسختها هذه الآية وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ثم قال وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد يعاقد الرجل ويقول وترثني وأرثك وكان الأحياء يتحالفون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل حلف في الجاهلية أو عقد أدركه الإسلام فلا يزيده بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم فكان الرجل قبل الإسلام عليه وسلم بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون نسخت ثم قال والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وحدثنا الحسن بن محمد قوله والذين عقدت أيمانكم الآية قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحم بالأخوة التي آخى رسول الله صلى الله عليه عن طلحة. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة حدثنا إدريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له ثم قال البخاري سمع أبو أسامة إدريس وسمع إدريس لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحم للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال محمد حدثنا أبو أمامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولكل جعلنا موالي قال ورثة والذين عقدت أيمانكم كان المهاجرون وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك وأمرنا أن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينسوا بعد نزول هذه الآية معاقدة. قال البخاري حدثنا الصلت بن أي والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة إن الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدة من الميراث فتأويل الكلام ولكلهم أيها الناس جعلنا عصبه يرثونه مما ترك والده وأقربوه من ميراثهم له وقوله تعالى والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم مولى كما قال الفضل بن عباس. مهلا بني عمنا مهلا موالي لا يظهرن بيننا ما كان مدفوناً قال ويعني بقوله مما ترك الوالدان والأقربون من تركه والديه وأقربيه والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في قوله ولكل جعلنا موالي أي ورثة وعن ابن عباس في رواية أي عصبه قال ابن جرير والعرب تسمى ابن العم قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو صالح وقتادة وزيد بن أسلم والسدي

هجرانها وقوله إن الله كان علياً كبيراً تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن. 34 أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا ولا تتم إلا على وتر ونسي الثالثة وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن أب عوانه عن داود الأودي به وقوله تعالى فإن عمر رضي الله عنه فتناول امرأته فضربها فقال يا أشعث احفظ عني ثلاثاً حفظتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل الرجل فيما ضرب امرأته وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود يعني أبا داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن داود الأودي عن عبد الرحمن السلمي عن الأشعث بن قيس قال ضفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه

تفسير ابن كثير

ذُئِرَت النساء على أزواجهن فرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضربهن فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشتكين أزواجهن إياس بن عبد الله بن أبي ذئب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تضربوا إماء الله فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أن تضربها ضربا غير مبرح ولا تكسر لها عظما فإن أقبلت وإلا قد أحل الله لك منها الفدية. وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبد الله بن عمر عن موثر قال الفقهاء هو أن لا يكسر فيها عضوا ولا يؤثر فيها شيئا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يهجرها في المضجع فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وكذا قال ابن عباس وغير واحد ضربا غير مبرح قال الحسن البصري يعني غير في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت وقوله واضربوهن أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضربا غير مبرح كما ثبت النكاح وفي السنن والمسند عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه قال أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسبت بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي مرة الرقاشي عن عمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فإن خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع قال حماد يعني شديد وقال مجاهد والشعبي وإبراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة: الهجر هو أن لا يضاجعها وقد قال أبو داود حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد مع ذلك ولا يحدثها وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس: يعطها فإن هي قبلت وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها من غير أن يرد نكاحها وذلك عليها هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره وكذا قال غير واحد وزاد آخرون منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية ولا يكلمها حتى تصبح ولهذا قال تعالى واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وقوله واهجروهن في المضاجع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الهجر وآله وسلم إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه مسلم ولفظه إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت أمرا فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له فمتى ظهر له منها إمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه عبد الله بن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف وقوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن أي والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن والنشوز هو الارتفاع الله عليه وسلم إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت تفرد به أحمد من طريق وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر أن ابن قارظ أخبره أن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخرها ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن حبيب عن أبي داود الطيالسي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري به مثله سواء إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الرجال قوامون على حدثي المثني حدثنا أبو صالح حدثنا أبو معشر حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة لأزواجهن حافظات للغيب قال السدي وغيره أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله وقوله بما حفظ الله أي المحفوظ من حفظه الله قال ابن جرير الصداق الذي أعطاها ألا ترى أنه لو قذفها لأعنها ولو قذفته جلدت وقوله تعالى فالصالحات أي من النساء قانتات قال ابن عباس وغير واحد يعني مطيعات جريج والسدي أورد ذلك كله ابن جرير وقال الشعبي في هذه الآية الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم قال تعالى الرجال قوامون على النساء أي في الأدب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أردت أمرا وأراد الله غيره وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن بامرأة له فقالت يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري وإنه ضربها فأتر في وجهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له ذلك فأنزل الله بن موسى بن جعفر بن محمد قال حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الأنصار أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال حدثنا أحمد بن علي النسائي حدثنا محمد بن هبة الله الهاشمي حدثنا محمد بن محمد الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل الآية. فرجعت بغير قصاص ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عنه وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جرير وقد جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو أن زوجها لطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القصاص فأنزل الله عز وجل. الرجال قوامون على النساء أمراء عليهن أي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته وطاعته أن تكون محسنة لأهلها حافظة لماله. وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك وقال الحسن البصري: فناسب أن يكون قيما عليها كما قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرجال قوامون على النساء يعني المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والإفضال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك وبما أنفقوا من أموالهم أي من على بعض أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم يقول تعالى الرجال قوامون على النساء أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا عوجت بما فضل الله بعضهم أن قولهما نافذ في الجمع وإن لم يوكلهما الزوجان واختلفوا هل ينفذ قولهما في التفرقة ثم حكى عن الجمهور أنه ينفذ قولهما فيها أيضا من غير توكيل. 35 لما افتقر إلى إقرار الزوج والله أعلم. قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر وأجمع العلماء على أن الحكمين إذا اختلف قولهما فلا عبرة بقول الآخر وأجمعوا على وهو قول أبي حنيفة. وأصحابه الثاني منهما قول على رضي الله عنه للزوج حين قال أما الفرقة فلا فقال كذبت حتى تقر بما أقرت به قالوا فلو كانا حكمين

تفسير ابن كثير

فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها فسماهما حكيمين ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه وهذا ظاهر الآية والجديد من مذهب الشافعي التفريق وأما إذا كانا وكيلين من جهة الحاكم فيحكمان وإن لم يرض الزوجان أو هما وكيلان من جهة الزوجين على قولين والجمهور على الأول لقوله تعالى لا في التفرقة وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور وداود ومأخذهم قوله تعالى إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما ولم يذكر قال إبراهيم النخعي إن شاء الحكمان أن يفرقا بينهما بطلقة أو بطلقتين أو ثلاث فعلا وهو رواية عن مالك وقال الحسن البصري الحكمان يحكمان في الجمع ابن سيرين عن عبيدة عن علي مثله ورواه من وجه آخر عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي به وقد أجمع العلماء على أن الحكيمين لهما الجمع والتفرقة حتى فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعليك. رواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن يعقوب عن ابن علي عن أيوب عن وهؤلاء حكما فقال علي للحكيمين أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتهما أن تجمعما جمعتهما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وقال الزوج أما الفرقة عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال شهدت عليا وجاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما فنام من الناس فأخرج هؤلاء حكما ومعاوية فقال ابن عباس لأفرق بينهما فقال معاوية ما كنت لأفرق بين شخصين من بني عبد مناف فأتياهما فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما فرجعا وقال قالت أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فقال علي يسارك في النار إذا دخلت فشدت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك فضحك فأرسل ابن عباس ففرقا وقال أنبأنا ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت: تصير إلى وأنفق عليك فكان إذا دخل عليها عن عكرمة بن خالد عن ابن عباس قال بعثت أنا ومعاوية حكيمين قال معمر بلغني أن عثمان بعثتهما وقال لهما إن رأيتهما أن تجمعما جمعتهما وإن رأيتهما أن تفرقا الآخر ثم مات أحدهما فإن الذي يرث الذي لم يرض ولا يرث الكاره الراضي رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طلوس المرأة هي المسيئة قصرها على زوجها ومنعوها النفقة فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعما فأمروهما جائز فإن رأيا أن يجمعما فرضي أحد الزوجين وكره رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء فإن كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصره على النفقة وإن كانت وتشوف الشارع إلى التوفيق. ولهذا قال تعالى إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله عز وجل أن يبعثوا أمرهما وطالت خصومتها بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليجمعتهما فينظران في أمرهما ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق من أهله وحكما من أهلها وقال الفقهاء إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فإن تفاقم الحال الأول وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة. ثم ذكر الحال الثاني وهو إذا كان النفور من الزوجين فقال تعالى وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما

ذكر

عن أبي تيمية عن رجل من بني الهجيم قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: إياك إسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة والله لا يحب المخيلة. 36 أو ليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ثم قرأ الآية إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن خالد الله عليه وسلم قال إن الله يحب ثلاثة يبغض ثلاثة قال: أجل فلا أخالك أكذب على خليلي ثلاثا؟ قلت من الثلاثة الذين يبغض الله؟ قال المختال الفخور حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال: قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتي لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وروى ابن أبي حاتم عن العوام بن حوشب مثله في المختال الفخور وقال حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم عن الأسود بن شيبان عبد الله بن واقد عن أبي رجاء الهروي قال: لا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا وتلا وما ملكت أيمانكم الآية ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا وتلا وبرأ الله تعالى يعني يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه وهو قليل الشكر على ذلك وقال ابن جرير حدثني القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن نفسه كبير وهو عند الله حقير وعند الناس بغيض قال مجاهد في قوله إن الله لا يحب من كان مختالا يعني متكبرا فخورا يعني بعد ما أعطى وهو لا يشكر فأعينهم أخرجاه. وقوله تعالى إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا أي مختالا في نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو في قال هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فيمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلهم فإن كلفتموهم ولمسلم فليقعده معه فليأكل فإن كان الطعام مشفوها قليلا فليضع في يده أكله أو أكلتين وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قال إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناول له لقمته أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه أخرجاه ولفظه للبخاري مسلم وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق. رواه مسلم أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقهرمان له هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال لا: قال فانطلق فأعطهم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كفى المرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم رواه وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة ورواه النسائي من حديث بقة وإسناده صحيح ولله الحمد. وعن عبد الله بن عمرو جبير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة الموت يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يرددتها حتى ما يفيض بها لسانه وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا بقة حدثنا ملك أيمانكم وصية بالأرقاء لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس فلماذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمته في مرض أظهر وإن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة وبالله الثقة وعليه التكلان. وقوله تعالى وما وأما ابن السبيل فعن ابن عباس وجماعة هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل هو الذي يمر عليك مجتازا في السفر وهذا عباس ومجاهد وعكرمة وقاتادة هو الرقيق في السفر وقال سعيد بن جبير هو الرقيق الصالح وقال زيد بن أسلم هو جليسا في الحضر ورقيقك في السفر.

تفسير ابن كثير

وروي عن عبدالرحمن بن أبي ليلى وإبراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في إحدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس وجماعة: هو الضعيف وقال ابن جاران الحديث وقوله تعالى والصاحب بالجنب قال الثوري عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قالوا: هي المرأة. وقال ابن أبي حاتم الأمانة إذا اتتمن الحديث الحادي عشر قال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول خصمين يوم القيامة فجعل الناس يتمسحون بوضوئه فقال ما يحملك على ذلك قالوا حب الله ورسوله قال من سره أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث إذا حدث وليؤد منك بابا ورواه البخاري من حديث شعبة به. الحديث العاشر روى الطبراني وأبو نعيم عن عبدالرحمن فزاد قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع شعبة عن أبي عمران عن طلحة بن عبد الله عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال إلى أقربها وحق الرحم قال البزار لا نعلم أحدا روى عن عبدالرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فديك. الحديث التاسع قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا له حق الجوار. وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار. وأما الذي له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا. فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشترك لا رحم ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ودار له حقان ودار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا. فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشترك لا رحم بن أبي فديك أخبرني عبدالرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيران تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله. الحديث الثامن وقال أبو بكر البزار حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع المحاربي حدثنا محمد بن إسماعيل من هذا الرجل الذي رأيته يصلي معك؟ قال وقد رأيته؟ قال نعم قال لقد رأيته خيرا كثيرا هذا جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى رأيته أنه سيورته قال: جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصل على الجنائز فلما انصرف قال الرجل يا رسول الله إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام. الحديث السابع قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا ابن بكر يعني المدني عن جابر بن عبد الله لك من طول القيام قال وقد رأيته قلت نعم قال أتدري من هو؟ قلت لا قال ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته ثم قال أما الله عليه وسلم حتى جعلت أنثى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أنثى الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الأنصاري لقد قام رسول الله صلى معك قلت ثم أي؟ قال أن تزانى حليمة جارك. الحديث السادس قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالية عن رجل من الصحيحين من حديث ابن مسعود: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم قالوا حرّمها الله ورسوله فهي حرام إلى يوم القيامة قال لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره تفرد به أحمد وله شاهد في إلى يوم القيامة فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسر عليه. من أن يزني بحليلة جاره قال ما تقولون في السرقة ظبية الكلاعي سمعت المقداد بن الأسود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما تقولون في الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام جاره تفرد به أحمد. الحديث الخامس قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعد الأنصاري سمعت أبا الإمام أحمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاع عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشبع الرجل دون الجيران عند الله خيرهم لجاره ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن عبدالله بن المبارك عن حيوة بن شريح به وقال حسن غريب. الحديث الرابع قال أنه سمع أبا عبدالرحمن الجيلي يحدث عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير مجاهد وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الثالث قال أحمد أيضا حدثنا عبدالله بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شرحبيل بن شريك حديث سفيان ابن عيينة عن بشير أبي إسماعيل زاد الترمذي وداود بن شاپور كلاهما عن مجاهد به ثم قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وقد روي عن عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته. وروى أبو داود والترمذي نحوه من أخرجه في الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر به. الحديث الثاني قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن داود بن شاپور عن مجاهد محمد بن زيد أنه سمع محمدا يحدث عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته وقد وردت الأحاديث بالصواب بالجار فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان. الحديث الأول قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن حاتم وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود والجار ذي القربى يعني المرأة وقال مجاهد أيضا في قوله والجار الجنب يعني الرفيق في السفر وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله والجار ذي القربى يعني الجار المسلم والجار الجنب يعني اليهودي والنصراني رواه ابن جرير وابن أبي بينك وبينه قرابة والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك يزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة وقوله والجار ذي القربى والجار الجنب قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والجار ذي القربى يعني الذي وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفائتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفائتهم وتزول به ضرورتهم وسيأتي وصلة ثم قال تعالى واليتامى وذلك لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينق عليهم فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم ثم قال والمساكين إحسانا ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة الوجود وكثيرا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين كقوله أن اشكر لي ولوالديك وكقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين به شيئا ثم أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فإن الله سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى

تفسير ابن كثير

به شيئا من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل أتدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله أعلم قال أن يعبدوه ولا يشركوا وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآتات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا يأمر تبارك

أن السياق في البخل بالمال وإن كان البخل بالعلم داخلا في ذلك بطريق الأولى فإن السياق في الإنفاق على الأقارب والضعفاء وكذلك الآية التي بعدها. 37 مهينا رواه ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وقاله مجاهد وغير واحد. ولا شك أن الآية محتملة لذلك والظاهر السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتبتهم ذلك ولهذا قال تعالى وأعتدنا للكافرين عذابا الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه وفي الدعاء النبوي واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتممها علينا وقد حمل بعض بقوله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والكفر هو الستر والتغطية فالبخل يستتر نعمة الله عليه ويكتنمها ويجحدتها فهو كافر لنعمة الله عليه. وفي الحديث إن تعالى إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد أي بحاله وشمائله وإنه لحب الخير لشديد وقال ههنا ويكتنمون ما آتاهم الله من فضله ولهذا توعدهم وقوله تعالى ويكتنمون ما آتاهم الله من فضله فالبخل جحود لنعمة الله ولا تظهر عليه ولا تبين لا في مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله كما قال الله صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوأ من البخل. وقال إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالطبيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا. ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم من الأرقاء ولا يدفعون حق الله فيها ويأمرون الناس بالبخل أيضا وقد قال رسول يقول تعالى ذاما الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجار

لهم القبائح ولهذا قال تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ولهذا قال الشاعر: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي. 38 بالله ولا باليوم الآخر الآية أي إنما حملهم صنيعهم هذا القبيح وعدو لهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان فإنه سول لهم وأمل لهم وقارنهم فحس سنل عن عبدالله بن جدعان هل ينفعه إنفاقه وإعتاقه؟ فقال: لا. إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ولهذا قال تعالى ولا يؤمنون بفعلك وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم إن أباك أراد أمرا فبلغه وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك فيقول الله كذبت إنما أردت أن يقال جواد فقد قيل أي فقد أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت ولا يريدون بذلك وجه الله وفي حديث الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار وهم العالم والغايز والمنفق والمراءون بأعمالهم يقول صاحب المال ما الذين ينفقون أموالهم رياء الناس فإنه ذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء ثم ذكر الباذلين المرائين الذي يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم وهي قوله

يرضى به عنه وبمن يستحق الخذلان والطرده عن جنبه الأعظم الإلهي الذي من طرده عن بابه فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة عبادا بالله من ذلك. 39 ويرضاها وقوله وكان الله بهم عليما أي وهو عليم بنياتهم الصالحة والفاسدة وعليم بمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه ويلهمه رشده ويقضه لعلم صالح الحميدة وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن عمله وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها الله ثم قال تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله الآية. أي وأي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلوكوا الطريق

أنكحوا الأيامى ثلاثا فقام إليه رجل فقال يا رسول الله فما العلائق بينهم؟ قال ما تراضى عليه أهلوه ابن السلمي ضعيف ثم فيه انقطاع أيضا. 4 من طريق حجاج بن أرطاة عن عبدالملك بن المغيرة عن عبدالرحمن بن السلمي عن عمر بن الخطاب قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قالوا يا رسول الله فما العلائق بينهم قال ما تراضى عليه أهلوه. وقد روى ابن مردويه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الحميدي حدثنا وكيع عن سفيان عن عمير الخنعمي عن عبدالملك بن المغيرة عن عبدالرحمن بن مالك السلمي قال: عن سيار عن أبي صالح كان الرجل إذ زوج بنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك ونزل وآتوا النساء صدقاتهن نحلة. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال علي قال: إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك فليبتع بها عسلا ثم ليأخذ ماء السماء فيجتمع هنيئا مريئا شفاء مباركا. وقال هشيم منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن السدي عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة عن طيبا كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيبا بذلك فإن طابت هي له به بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حاللا طيبا ولهذا قال فإن طبن لكم عن شيء الصداق كذبا بغير حق ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتما وأن يكون طيب النفس بذلك كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة الواجب يقول: لا تتكحها إلا بشيء واجب لها وليس ينبغي لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمية عن الزهري عن عروة عن عائشة نحلة فريضة وقال مقاتل وقتادة وابن جريج نحلة دأى فريضة زاد ابن جريج مسماة وقال ابن زيد النحلة في كلام العرب وقوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النحلة المهر وقال محمد بن إسحاق

سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة ثم تلا هذه الآية وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. 40 سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة فقال أبو هريرة والله بلى حاتم من طريق أخرى فقال حدثنا بشر بن مسلم حدثنا الربيع بن روح حدثنا محمد بن خالد الذهبي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان قال قلت يا أبا هريرة

تفسير ابن كثير

مني لأبي هريرة وما سمعت منه هذا الحديث فهمت أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج أن ألقاه في هذا الحديث ورواه ابن أبي البصرة يأترون عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة فقلت ويحكم ما كان أحد أكثر مجالسة حدثنا محمد الرفاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال لم يكن أحد أكثر مجالسة مني لأبي هريرة فقدم قبلي حاجا وقدمت بعده فإذا أهل صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة. ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبو خالد وسليمان بن خالد المؤدب يزيد عن أبي عثمان النهدي قال أتيت أبا هريرة فقلت له بلغني أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك فوالله لقد سمعت النبي ألفي ألف حسنة قال وهذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده منكر ورواه أحمد أيضا فقال حدثنا يزيد حدثنا مبارك بن فضالة عن علي بن له أضعافا كثيرة ويقول وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل والذي نفسي بيده لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يضاعف الحسنة هو؟ قلت: زعموا إنك تقول: إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه أريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج في طلب هذا الحديث فلقيته فقلت يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأترونه عنك قال ما صلى الله عليه وسلم يقول يجزي العبد بالحسنة ألف ألف حسنة فقلت ويحكم ما أحد أكثر مني مجالسة لأبي هريرة وما سمعت هذا الحديث منه فتحملت يعطي العبد المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال فقضي أنى انطلقت حاجا أو معتمرا فلقيته فقلت بلغني عنك حديث أنك تقول سمعت رسول الله وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا سليمان يعني ابن المغيرة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال بلغني عن أبي هريرة أنه قال: بلغني أن الله تعالى لم يكن له حسنة وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة والضحاك في قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما يعني الجنة نسأل الله الجنة. الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة النار. وقد يكون هذا خاصا بأبي طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا عمران حدثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى العباس قال: يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء؟ قال: نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من سعيد بن جبيرة في قوله وإن تك حسنة يضاعفها فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبدا وقد يستدل به بالحديث الصحيح أن إن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وحدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن نزلت هذه الآية في الأعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن قال ما هو أفضل من ذلك إن الله لا يظلم مثقال ذرة الأثر شاهد في الحديث الصحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا فضيل يعني ابن مرزوق عن عطية العوفي حدثني عبد الله بن عمر قال وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار ورواه ابن جرير من وجه آخر عن زاذان به نحوه ولبعض هذا ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها وإن كان عبدا شقيا قال الملك رب فنيته حسناته فيقول يا رب فنيته الدنيا من أين أوتيتهم حقوقهم فيقول خذوا من أعماله الصالحة فأعطوها كل ذي حق حقه بقدر مظلمته فإن كان وليا لله ففضل له مثقال ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فبنصب للناس فيقول انثوا إلى الناس حقوقهم مناد على رءوس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتنفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن هارون بن عنترة عن عبد الله بن السائب عن زاذان قال: قال عبد الله بن مسعود يؤتى بالعبد أو الأمة يوم القيامة فينادي من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أبو سعيد اقرءوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الطويل وفيه فيقول الله عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار وفي لفظ أدنى أدنى مثقال ذرة ذرة شرا يره وفي الصحيحين من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله الآية. وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال كانت حسنة كما قال تعالى ونضع الموازين القسط الآية وقال تعالى مخبرا عن لقمان أنه قال يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة يقول تعالى مخبرا أنه لا يظلم أحدا من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيهما له ويضاعفها له إن على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثا. 41 أن الله لا يغفر إلا لأهل الإسلام ولا يتعاضمه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركا جحد المشركون فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فختم الله وقال ولا يكتُمون الله حديثا فقد كتموا. فقال ابن عباس أما قوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فإنهم لما رأوا يوم القيامة القرآن قال ليس هو بالشك ولكن اختلاف قال فهات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أشياء تختلف علي في القرآن قال ما هو أشك في يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا والله ربنا كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتُمون الله حديثا وقال قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال في الآية الأخرى ولا يكتُمون الله حديثا فقال ابن عباس أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فإنهم لما رأوا أنه لا مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له سمعت الله عز وجل يقول يعني إخبارا عن المشركين يوم القيامة أنهم يده الآية. وقوله ولا يكتُمون الله حديثا إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتُمون منه شيئا. وقال ابن جرير حدثنا حاكم حدثنا عمرو عن

تفسیر ابن کثیر

الأرض ولا يكتمون الله حديثاً أي انشقت وبلغتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله يوم ينظر المرء ما قدمت نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. وقوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم فقال بعد إirاده قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة قال ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص كل أمة بشهيد وجننا بك على هؤلاء شهيدا فإنه أثر وفيه انقطاع فإن فيه رجلا مبهما لم يسم وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه وقد قبله القرطبي يوم إلا يعرض فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم لذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى فكيف إذا جئنا من ما جاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته قال أنا ابن المبارك أنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من الله صلى الله عليه وسلم: شهيد عليهم ما دمت فيهم فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم. وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال: باب حدثني محمد بن عبد الله الزهري حدثنا سفيان عن المسعودي عن جعفر بن عمرو بن حرب عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود في هذه الآية قال: قال رسول شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب لحياه وجنباه فقال يا رب هذا شهدت على من أنا بين أظهرهم فكيف بمن لم أره. وقال ابن جرير ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجننا بك على هؤلاء أبي ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم ومعه ابن مسعود حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الصلت بن مسعود الجحدري حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري عن أبيه قال وكان أيضا من حديث الأعمش به وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود فهو مقطوع به عنه. ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه وقال ابن أبي النساء حتى أتيت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجننا بك على هؤلاء شهيدا فقال حسبك الآن فإذا عيناه تذرفان. ورواه هو ومسلم قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم إني أحب أن أسمع من غيري فقرأت سورة في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم الآية. وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام كما. قال تعالى وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء الآية. وقال تعالى ويوم نبعث وقوله تعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل

ويستنتق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين. فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثا رواه ابن جرير. 42
المشركون إن الله لا يقبل من أحد شيئا إلا ممن وحده فيقولون تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيختم الله على أفواههم
قمت من عند أصحابك فقلت ألقى على ابن عباس متشابه القرآن فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقول
تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال له ابن عباس إني أحسبك
وقال جويبر عن الضحاك أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال يا ابن عباس قول الله

به. فأنزل الله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون إلى قوله إن الله كان عفوا غفورا وقد روي من وجه آخر عنه. 43

أرحلها رحلها رجل من الأنصار قال ولم؟ قلت: إني أصابنتي جنابة فخشيت القر على نفسي فأمرت أن يرحلها ورضفت أحجارا فأسخت بها ماء فاغتسلت فرحلها ثم رضفت أحجارا فأسخت بها ماء واغتسلت ثم لحقت رسول الله صلى وأصحابه فقال يا أسلع مالي أرى رحلتك قد تغيرت؟ قلت يا رسول الله لم عليه وسلم الرحلة فكرهت أن أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فأمرت رجلا من الأنصار عشر سنة عن أبيه عن الأسلع بن شريك قال: كنت أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنتي جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله صلى الله بن أحمد حدثنا الليث حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا العباس بن أبي سريّة حدثني الهيثم عن زريق المالكي من بني مالك بن كعب بن سعد وعاش مائة وسبعة بأيدينا ضربة لوجوهنا وضربة لأيدينا إلى المناكب والآباط. حديث آخر قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن وسلم حتى أضاء الفجر فتغيظ أبو بكر على عائشة فنزلت عليه رخصة المسح بالصعيد الطيب فدخل أبو بكر فقال لها: إنك لمباركة نزلت فيك رخصة فضربنا روى ابن جرير. حدثنا أبو كريب بإسناده إلى ابن أبي اليقظان قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلك عقد لعائشة فأقام رسول الله صلى الله عليه فضربوا بأيديهم إلى الأرض ثم رفعوا أيديهم ولم ينفضوا من التراب شيء فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب ومن بطون أيديهم إلى الآباط. وقد عقدها ذلك حتى أضاء الفجر وليس مع الناس ماء فأنزل الله على رسوله رخصة التطهير بالصعيد الطيب فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرس بذات الجيش ومعه زوجته عائشة فانقطع عقد لها من جزع ظفار فحبس الناس ابتغاء ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح قال ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله عن أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته. وقد رواه البخاري أيضا عن قتيبة عن إسماعيل إلا مكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء حين أصبح فأنزل الله آية التيمم فقيموا. فقال والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال: ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعي من التحرك وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى واضع رأت على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه

تفسير ابن كثير

قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرا. طريق أخرى قال البخاري: حدثنا عبدالله بن يوسف أنبأنا مالك عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بغير وضوء فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضير لعائشة: جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوها وسلم لبني النضير وأما المائدة فإنها من آخر ما نزل ولا سيما صدرها فناسب أن يذكر السبب هنا وبالله الثقة. قال أحمد: حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه الآية التي في النساء متقدمة النزول على آية المائدة وبيانه أن هذه نزلت قبل تحريم الخمر والخمر إنما حرم بعد أحد بيسير في محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم في التيمم والحالة هذه رحمة بعباده ورأفة بهم وتوسعة عليهم ولله الحمد والمنة. ذكر سبب نزول مشروعية التيمم وإنما ذكرنا ذلك ههنا لأن هذه هيئة ناقصة من سكر حتى يصحو المكلف ويعقل ما يقول أو جنابة حتى يغتسل أو حدث حتى يتوضأ إلا أن يكون مريضا أو عادما للماء فإن الله عز وجل قد لكم أن شرع لكم التيمم وأباح لكم فعل الصلاة به إذا فقدتم الماء توسعة عليكم ورخصة لكم وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تفعل على وتربتها طهورا إذا لم نجد الماء وقال تعالى في هذه الآية الكريم فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا أي ومن عفوه عنكم وغفرانه إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة وتقدم في حديث حذيفة عند مسلم فضلا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجدا فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وفي لفظ: فعنده مسجده وطهوره وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان يبعث النبي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا والتيمم نعمة عليكم لعلكم تشكرون ولهذا كانت هذه الأمة مخصوصة بمشروعية التيمم دون سائر الأمم كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي يريد الله ليجعل عليكم من حرج أي في الدين الذي شرعه لكم ولكن يريد ليظهركم فهذا أباح التيمم إذا لم يجدوا الماء أن تعدلوا إلى التيمم بالصعيد صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى قام إلى جدار فحتمه بعضا كانت معه فضرب بيده عليه فمسح بها وجهه وذراعيه. وقوله ما الشافعي على أنه لا بد في التيمم أن يكون بتراب طاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء كما روى الشافعي بإسناده المتقدم عن ابن الصمة أنه مر بالنبي وقال: لو رخصنا لهم في التيمم لأوشك أحدهم إذا برد الماء على جلده أن يتيمم وقال في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه فقد استدلل بذلك لقول جرم ما رأيت عمر قنع بذلك قال: فقال له أبو موسى فكيف بهذه الآية في سورة النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال: فما دري عبدالله ما يقول عليه وسلم وقال إنما كان يكفيك أن تقول هكذا وضرب بكفيه إلى الأرض ثم مسح بكفيه جميعا ومسح وجهه مسح واحدة بضربة واحدة فقال عبدالله لا عليه وسلم وإياك في إبل فأصابتنني جنابة فتمرغت في التراب فلما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو موسى فقال أبو يعلى لعبدالله: لو أن رجلا لم يجد الماء لم يصل؟ فقال عبدالله ألا تذكر ما قال عمار لعمر: ألا تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: في التيمم ضربة للوجه والكفين. طريق أخرى قال أحمد: حدثنا عفان حدثنا عبدالواحد عن سليمان الأعمش حدثنا شقيق قال: كنت قاعدا مع وجهه وكفيه. قال أحمد أيضا: حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عروة عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه عن عمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فصليت فلما أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال إنما كان يكفيك وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده الأرض ثم نفخ فيها ومسح بها فلم أجد ماء فقال عمر لا تصل قال عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب بضربة واحدة. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن زر عن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه أن رجلا أتى عمر فقال: إني أجنبت ثم رد علي السلام. والقول الثاني أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربتين وهو قول الشافعي في القديم. والثالث أنه يكفي مسح الوجه والكفين عليه فلم يرد علي السلام حتى فرغ ثم قام إلى الحائط فضرب بيده عليه فمسح بهما وجهه ثم ضرب بيده على الحائط فمسح بهما يده إلى المرفقين بن حماد حدثنا خارجة بن مصعب عن عبدالله بن عطاء عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي جهيم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلمت معاوية عن الأعرج عن ابن الصمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وذراعيه. وقال ابن جرير: حدثني موسى بن سهل الرملي حدثنا نعيم عدي هو الصحيح وهو الصواب وقال البيهقي: رفع هذا الحديث منكر. واحتج الشافعي بما رواه عن إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن عبدالرحمن بن بها ذراعيه ولكن في إسناده محمد بن ثابت العبدي وقد ضعفه بعض الحفاظ ورواه غيره من الثقات فوقوه على فعل ابن عمر قال البخاري وأبو زرعة وابن الحديث به وروى أبو داود عن ابن عمر في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب بيده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضر به للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين ولكن لا يصح لأن في إسناده ضعفا لا يثبت كما في آية السرة فاقطعوا أيديهما قالوا: وحمل ما أطلق ههنا على ما قيد في آية الوضوء أولى لجامع الطهورية وذكر بعضهم ما رواه الدارقطني عن إلى المرفقين بضربتين لأن لفظ اليدين يصدق إطلاقها على ما يبلغ المنكبين وعلى ما يبلغ المرفقين كما في آية الوضوء ويطلق ويراد بهما ما يبلغ الكفين الوجه واليدين فقط بالإجماع ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال أحدها وهو مذهب الشافعي في الجديد أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين ورفع ابن مردويه في تفسيره وقوله فامسحوا بوجوهكم وأيديكم التيمم بدل عن الوضوء في التطهير به لا أنه بدل منه في جميع أعضائه بل يكفي مسح ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة وصححه الحافظ أبو الحسن القطان وقال ابن عباس: أطيب الصعيد تراب الحرث رواه ابن أبي حاتم الصعيد الطيب طهور المسلم إن لم يجد الماء عشر حجج فإذا وجده فليمسه بشرته فإن ذلك خير له وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان أيضا

تفسير ابن كثير

بنجس كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي قلابة عن عمرو بن نجدان عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طهورا إذا لم نجد الماء قالوا: فخصص الطهورية بالتراب في مقام الامتنان فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه والطيب ههنا قيل الحلال وقيل الذي ليس على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء وفي لفظ وجعل ترابها لنا تعالى فتصبح صعيدا زلقا أي ترابا أملس طيبا وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلا كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبي حنيفة. وقيل: هو التراب فقط وهو قول الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما واحتجوا بقوله عليها الفئ عرمضها طامي والصعيد قيل هو كل ما صعد على وجه الأرض فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات وهو قول مالك. وقيل: ما تيممك الله بحفظه أي قصدك ومنه قول امرئ القيس شعرا: ولما رأت أن المنية وردها وأن الحصى من تحت أقدامها دامي تيممت العين التي عند ضارج يفيء جنابة ولا ماء. قال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك ولهذا قال تعالى فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فالتيمم في اللغة هو القصد تقول العرب عليه وآله وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل مع القوم فقال يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم ألست برجل مسلم؟ قال: بلى يا رسول الله ولكن أصابتني له حينئذ التيمم وقد ذكروا كيفية الطلب في كتب الفروع كما هو مقرر في موضعه كما في الصحيحين من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية أنه لا يجوز التيمم لعادم الماء إلا بعد طلب الماء فمتى طلبه فلم يجده جاز وقد رواه الإمام أحمد عن محمد بن فضيل عن حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله تعالى كريب حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن عمر وبين شعيب عن زينب السهمية عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ. يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يحدث وضوءا. وقال أيضا: حدثنا أبو لم يسمع إبراهيم التيمي من عائشة ثم قال ابن جرير أيضا: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا يزيد عن سنان عن عبد الرحمن الأوزاعي عن قبل ثم صلى ولم يتوضأ رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى القطان زاد أبو داود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري به. ثم قال أبو داود والنسائي الوضوء. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بن علي عن ليث عن عطاء عن عائشة وعن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينال منى القبلة بعد قال: حدثنا أصحاب لنا عن عروة المزني عن عائشة فذكره والله أعلم. وقال ابن جرير أيضا: حدثنا أبو زيد عن عمر بن أنيس عن هشام بن عباد حدثنا مسدد هي إلا أنت فضحكت لكن روى أبو داود عن إبراهيم بن مخلد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني الطالقاني عن عبد الرحمن بن مغراء عن الأعمش عن عائشة وأبلغ من ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وهذا نص في كونه عروة بن الزبير ويشهد له قوله من عروة وقد وقع في رواية ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه وعلي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير يحيى القطان لرجل أحك عني أن هذا الحديث شبه لا شيء وقال الترمذي: سمعت البخاري يضعف هذا الحديث وقال لا شك حبيب بن أبي ثابت لم يسمع رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن جماعة من مشايخهم عن وكيع به ثم قال أبو داود: روي عن الثوري أنه قال: ما حدثنا حبيب إلا عن عروة المزني وقال حبيب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ قلت: من هي إلا أنت فضحكت. وهكذا عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ. ثم قال: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الأعمش عن أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ ثم قال: حدثني بذلك إسماعيل بن موسى السدي قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني الله بقوله أو لامتسم النساء الجماع دون غيره من معاني اللمس لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر الله له الحديث وهو مذكور في سورة آل عمران عند قوله ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية ثم قال ابن جرير وأولى بأنه منقطع بين ابن أبي ليلى ومعاذ فإنه لم يلقه ثم يحتمل أنه إنما أمره بالوضوء والصلاة المكتوبة كما تقدم في حديث الصديق ما من عبد يذنب ذنبا بمتصل. ورواه النسائي من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلًا قالوا: فأمره بالوضوء لأنه لمس المرأة ولم يجامعها. وأجيب وسلم توضأ ثم صل قال معاذ: فقلت يا رسول الله أله خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال بل للمؤمنين عامة ورواه الترمذي من حديث زائدة به وقال ليس شيبى إلا أنه منها غير أنه لم يجامعها. قال: فأنزل الله عز وجل هذه الآية أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بن أبي ليلى عن معاذ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه رجل فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل لقي امرأة لا يعرفها وليس يأتي الرجل من امرأته بالحديث الذي رواه أحمد حدثنا عبد الله بن مهدي وأبو سعيد قال: حدثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير قال أبو سعيد: حدثنا عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن إلى الجنس باليد على كلا التفسيرين قالوا: ويطلق في اللغة على الجنس باليد كما يطلق على الجماع قال الشاعر: ولمست كفى كفه أطلب الغنى واستأنسوا أيضا الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف علينا فيقبل ويلمس. ومنه ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن بيع الملامسة وهو يرجع بالزنا يعرض له بالرجوع عن الإقرار لعلك قبلت أو لمست. وفي الحديث الصحيح واليد زناها اللمس وقالت عائشة رضي الله عنها: قل يوم إلا ورسول يطلق في الشرع على الجنس باليد قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم أي جسوه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لما عز حين أقر والقول بوجوب الوضوء من المس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشهور عن أحمد بن حنبل قال ناصروه قد قرئ في هذه الآية لامستم ولمستم واللمس رويناه عنه من وجه آخر أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ فالرواية عنه مختلفة فيحمل ما قاله في الوضوء إن صح عنه على الاستحباب والله أعلم.

تفسير ابن كثير

وجسه بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسدها بيده فعليه الوضوء. وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه عن عمر بن الخطاب نحو ذلك ولكن بن الحجاج وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم نحو ذلك قلت وروى مالك عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يقول: قبله الرجل امرأته قال: اللبس ما دون الجماع ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وعبيدة وأبي عثمان النهدي وأبي عبيدة يعني ابن عبد الله بن مسعود وعامر الشعبي وثابت كان يتوضأ من قبله المرأة ويرى فيها الوضوء ويقول هي من اللباس. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا من طريق شعبة عن مخارق عن طارق عن عبد الله القبلة وكان يقول في هذه الآية أو لامستم النساء هو الغمز وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عمر عن نافع أن ابن عمر عبد الله بن مسعود قال: القبلة من المس وفيها الوضوء. وروى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال يتوضأ الرجل من المباشرة ومن اللبس بيده ومن عبد الله بن مسعود قال: اللبس ما دون الجماع وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود مثله وروى من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي عبيدة عن واوجب الوضوء على كل من مس بشيء من جسده شيئا من جسدها مفضيا إليه ثم قال حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن مخارق عن طارق ثم رواه ابن جرير عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم ثم قال ابن جرير وقال آخرون عن الله تعالى بذلك كل من لمس بيد أو بغيرها من أعضاء الإنسان الأحول عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال: الملامسة الجماع ولكن الله كريم يكتى بما يشاء. وقد صح من غير وجه عن عبد الله بن عباس أنه قال ذلك بن جبير عن ابن عباس قال: اللبس والمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكتى بما يشاء. حدثنا عبد الحميد بن بيان أنبأنا إسحاق الأزرق عن سفيان عن عاصم رواه عن ابن بشار عن غندر عن شعبة به نحوه ثم رواه من غير وجه عن سعيد بن جبير نحوه ومثله قال حدثني يعقوب حدثنا هشيم قال أبو بشر أخبرنا سعيد الجماع قال: فمن أي الفريقين كنت ؟ قلت كنت من الموالي قال غلب فريق الموالي. إن اللبس والمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكتى بما يشاء. ثم وقال ناس من العرب لللبس الجماع قال فلقيت ابن عباس فقلت له إن ناسا من الموالي والعرب اختلفوا في اللبس فقالت الموالي ليس بالجماع وقالت العرب ابن جرير حدثني حميد بن مسعدة وحدثنا يزيد بن زريع حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ذكروا اللبس فقال ناس من الموالي ليس بالجماع قال: الجماع. وروى عن علي بن أبي كعب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال تعتدونها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله أو لامستم النساء وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة ففري لمستم ولامستم واختلف المفسرون والأئمة في معنى ذلك على قولين أحدهما أن ذلك كناية عن الجماع لقوله وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقوله أو جاء أحد منكم من الغائط الغائط هو المكان المظلم من الأرض كنى بذلك عن التغوط وهو الحدث الأصغر وأما قوله أو لامستم النساء ولم يكن له خادم فينأله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله هذه الآية هذا مرسل والسفر معروف ولا فرق فيه بين الطويل والقصير مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن حفص عن مجاهد في قوله وإن كنتم مرضى قال نزلت في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ من استعمال الماء فوات عضو أو شينه أو تطويل البرء ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض لعموم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا أما المرض المبيح للتيمم فهو الذي يخاف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضؤوا وضوء الصلاة. وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم. وقوله وإن قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبدالعزيز بن محمد هو الدراوردي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال رأيت رجلا من أصحاب وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك. إليه الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد حتى يغتسل أو يتيمم إن عدم الماء أو لم يقدر على استعماله بطريقة تناقض مقصودها وعن الدخول إلى محلها على هيئة ناقصة وهي الجنابة المباحة للصلاة ولمحلها أيضا والله أعلم. وقوله حتى تغتسلوا دليل لما ذهب الأسفار هي عبر الأسفار لقوتها على قطع الأسفار وهذا الذي نصره هو قول الجمهور وهو الظاهر من الآية وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة والعابر السبيل المجتاز مرا وقطعا يقال منه عبرت بهذا الطريق فأنا أعبره عبرا وعبورا ومنه يقال عبر فلان النهر إذا قطعه وجاوزه ومنه قيل للناقة القوية على يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوها أيضا جنبا حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل قال معنيا به المسافرين لم يكن لإعادة ذكره في قوله. وإن كنتم مرضى أو على سفر معنى مفهوم وقد مضى حكم ذكره قبل ذلك فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية المسافرين إذا عدم الماء وهو جنب في قوله وإن كنتم مرضى أو على سفر إلى آخره فكان معلوما بذلك أن قوله ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا لو كان فإن ذلك خير لك ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين والأولى قول من قال ولا جنبا إلا عابري سبيل أي إلا مجتازي طريق فيه وذلك أنه قد بين حكم بن نجدان عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعيد الطيب ظهور المسلم وإن لم تجد الماء عشر حجج فإذا وجدت الماء فأمسه بشرتك عن طريق ابن جرير عن عبد الله بن كثير قال كنا نسمع أنه في السفر. ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة عن عمر وأبي مجلز عن ابن عباس فذكره ورواه عن سعيد بن جبير وعن مجاهد والحسن بن مسلم والحكم بن عتبة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن مثل ذلك وروى والضحاك نحو ذلك. وقد روى ابن جرير من حديث وكيع عن ابن أبي ليلى عن عباد بن عبد الله أو عن زر بن حبيش عن علي فذكره ورواه من طريق العوفي حتى يجد الماء ثم رواه من وجه وآخر عن المنهال بن عمرو عن زر عن علي بن أبي طالب فذكره قال وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات وسعيد بن جبير بن أبي ليلى عن المنهال عن زر بن حبيش عن علي ولا جنبا إلا عابري سبيل قال لا يقرب الصلاة إلا أن يكون مسافرا تصيبه الجنابة فلا يجد الماء فيصلي

تفسير ابن كثير

متروك وشيخه عطية ضعيف والله أعلم. حديث آخر في معنى الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا عبد الله بن موسى أخبرني إسحاق الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك فإنه حديث ضعيف لا يثبت فإن سالما هذا أبو زرعة الرازي يقول جسرة عن أم سلمة والصحيح جسرة عن عائشة فأما ما رواه أبو عيسى الترمذي من حديث سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد وقالوا أفلت مجهول لكن رواه ابن ماجه من حديث أبي الخطاب الهجري عن محدودج الذهلي عن جسرة عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم به قال عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنى لا أحل المسجد لحائض ولا جنب قال أبو مسلم الخطابي: ضعف هذا الحديث جماعة وفيه دلالة على جواز مرور الحائض في المسجد والنفساء في معناها والله أعلم. وروى أبو داود من حديث أفلت بن خليفة العامري عن جسرة بنت دجاجة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد فقلت إنى حائض فقال إن حيضتك ليست في يدك وله عن أبي هريرة مثله التلويت ومنهم من قال إن أمنت كل واحدة منهما التلويت في حال المرور جاز لهما المرور وإلا فلا. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز له المرور وكذا الحائض والنفساء أيضا في معناه إلا أن بعضهم قال يحرم مرورهما لاحتمال الشارعة إلى المسجد إلا بابه رضي الله عنه ومن روى إلا باب علي كما وقع في بعض السنن فهو خطأ والصواب ما ثبت في الصحيح. ومن هذه الآية احتج كثير عليه وسلم علما منه أن أبا بكر رضي الله عنه سيلي الأمر بعده ويحتاج إلى الدخول في المسجد كثيرا للأمور المهمة فيما يصلح للمسلمين فأمر بسد الأبواب ما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر وهذا قاله في آخر حياته صلى الله ولا ماء عندهم فيردون الماء ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فأنزل الله ولا جنبا إلا عابري سبيل ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب رحمه الله الليث حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن قول الله عز وجل ولا جنبا إلا عابري سبيل إن رجلا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم الجنابة دينار والحكم بن عتبة وعكرمة والحسن البصري ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن شهاب وقتادة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو صالح حدثني وروى عن عبد الله بن مسعود وأنس وأبي عبيدة وسعيد بن المسيب والضحاك وعطاء ومجاهد ومسروق وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وأبي مالك وعمرو بن يسار عن ابن عباس في قوله ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تفتسلوا قال لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابري سبيل قال تمر به مرا ولا تجلس ثم قال ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تفتسلوا قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدشتكي أخبرنا أبو جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن ما يقول انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم فرواه هو والنسائي من حديث أيوب وفي بعض ألفاظ الحديث فلعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقوله عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليصرف ولينم حتى يعلم هذا أحسن ما يقال في حد السكران إنه الذي لا يدري ما يقول فإن المخمور فيه تخطيط في القراءة وعدم تدبره وخشوعه فيها وقد قال الإمام أحمد حدثنا الله حق ثقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وهو الأمر لهم بالتأهب للموت على الإسلام والمداومة على الطاعة لأجل ذلك وقوله حتى تعلموا ما تقولون الخمسة الأوقات من الليل والنهار فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائما والله أعلم. وعلى هذا فيكون كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا دون السكران الذي لا يدري ما يقال له فإن الفهم شرط التكليف وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالنهي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في المجنون وإنما خوطب بالنهي التمل الذي يفهم التكليف وهذا حاصل ما قاله وقد ذكره غير واحد من الأصوليين وهو أن الخطاب يتوجه إلى من يفهم الكلام رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن جرير والصواب أن المراد سكر الشراب قال ولم يتوجه النهي إلى السكران الذي لا يفهم الخطاب لأن ذاك في حكم عن معمر عن قتادة: كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ بتحريم الخمر. وقال الضحاك في الآية لم يعن بها سكر الخمر وإنما عنى بها سكر النوم لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وقال العوفي عن ابن عباس في الآية. رواه ابن جرير قال: وكذا قال أبو رزين ومجاهد وقال عبدالرزاق فصلى بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد وأنا عابد ما عبدتم لكم دينكم ولي دين فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا بن السائب عن عبدالرحمن بن حبيب وهو أبو عبدالرحمن السلمي أن عبدالرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما ينبغي فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ثم قال حدثني المثنى حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا حماد عن عطاء عبدالرحمن بن عوف فطعموا فاتاهم بخمر فشربوا منها وذلك قبل أن يحرم الخمر فحضرت الصلاة فقدموا عليا فقرأ بهم قل يا أيها الكافرون فلم يقرأها به ورواه ابن جرير أيضا عن ابن حميد عن جرير عن عطاء عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: كان علي في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيت فصلى بهم عبدالرحمن فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري محمد بن بشار عن عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن عن علي أنه كان هو وعبدالرحمن ورجل آخر شربوا الخمر حتى تعلموا ما تقولون هكذا رواه ابن أبي حاتم وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حيد عن عبدالرحمن الدشتكي به وقال حسن صحيح. وقد رواه ابن جرير عن الصلاة فقدموا فلانا قال فقرأ: قل يا أيها الكافرون ما أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت إلا ابن ماجه من طرق عن سماك به سبب آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبدالرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا أبو جعفر عن عطاء الأنف وذلك قبل تحريم الخمر فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية. والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن من الأنصار طعاما فدعا أناسا من المهاجرين وأناسا من الأنصار فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا فرفع رجل لحي بغير فغرز بها أنف سعد فكان سعد مغرور

تفسير ابن كثير

حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة أخبرني سماك بن حرب قال: سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال: نزلت في أربع آيات صنع رجل الله صلى الله عليه وسلم إذا قامت الصلاة ينادي أن لا يقربن الصلاة سكران لفظ أبي داود. وذكر ابن أبي شيبة في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم تحريم الخمر فذكر الحديث وفيه: فنزلت الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فكان منادي رسول تفلحون إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فقال عمر: انتهينا انتهينا. وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمر بن شرجبيل عن عمر بن الخطاب في قصة فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات حتى نزلت يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا مكث وقد كان هذا قبل تحريم الخمر كما دل عليه الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية. فإن رسول الله عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول وعن قربان محالها التي هي المساجد للجنب إلا أن يكون مجتازا من باب إلى باب من غير ينهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين

قليلًا من حطام الدنيا ويريدون أن تضلوا السبيل أي يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع. 44 عما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنا يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة أنهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون

والله أعلم بأعدائكم أي هو أعلم بهم ومحذركم منهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا أي كفى به وليا لمن لجأ إليه ونصيرا لمن أستنصره. 45 الخير مبعدة منه فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فقليلًا ما يؤمنون والمقصود أنهم لا يؤمنون إيمانًا نافعًا. 46 وسلم ثم قال تعالى ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا أي قلوبهم مطرودة عن وقولوا انظرنا ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه ليا بألسنتهم وطعنا في الدين يعني بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم يوهمون أنهم يقولون راعنا سمعك بقولهم راعنا وإنما يريدون الرعونة بسبهم النبي وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا واسمع غير مقبول منك قال ابن جرير: والأول أصح وهو كما قال وهذا استهزاء منهم واستهتار عليهم لعنة الله وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة وقولهم واسمع غير مسمع أي اسمع ما نقول لا سمعت رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد والحسن: أي سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه هكذا فسر مجاهد وابن زيد وهو المراد وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وأنهم يتولون عن كتاب الله بعدما عقلوه الرجس من الأوثان وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه أي يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصدا منهم وافتراء ويقولون سمعنا ثم قال تعالى من الذين هادوا من في هذا لبيان الجنس كقوله فاجتنبوا

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين من عند الله ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله. 47 منها ما تيسر. الحديث الأول قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن يزيد بن أبي موسى عن عائشة أن يشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء أي من عباده وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر قردة وخنازير وسبائي بسط قصتهم في سورة الأعراف وقوله وكان أمر الله مفعولا أي إذا أمر بأمر فإنه لا يخالف ولا يمانع. ثم أخبر تعالى أنه لا يغفر وإنى لأمس وجهي مخافة أن أطمس ثم أسلمت وقوله أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد وقد مسخوا فإذا تال يقرأ القرآن يقول يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها فبادرت الماء فاغتسلت أبو مسلم الجليلي معهم كعب وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثه إليه ينظر أهو هو قال كعب: فركبت حتى أتيت المدينة ابن أبي حاتم بلفظ آخر من وجه آخر فقال: حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبي إدريس عائذ الله الخولاني قال: كان أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها الآية قال كعب يا رب أسلمت مخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فأتى أهله في اليمن ثم جاء بهم مسلمين وكذا رواه قال فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى إلى حمص فسمع رجلا من أهلها حزينا وهو يقول يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل المقدس فمر على المدينة فخرج إليه عمر فقال يا أبا كعب أسلم فقال: أستم تقولون في كتابكم مثل الذين حملوا التوراة إلى أسفارنا وأنا قد حملت التوراة. قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة قال: تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب فقال أسلم كعب زمان عمر أقبل وهو يريد بيت فمنعها عن الحق قال نرجعها كفارا ونردهم فردة قال أبو زيد فردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز. وقد ذكر أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية. وجوها يقول عن صراط الحق فنردها على أدبارها أي في الضلال قال ابن أبي حاتم: وروى عن ابن عباس والحسن نحو هذا قال السدي: فنردها على أدبارها إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا الآية أي هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى. قال مجاهد: من قبل أن نطمس ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقري على أدبارهم وهذا كما قال بعضهم في قوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي لأحدهم عيني من قفاه وكذا قال قتادة وعطية العوفي وهذا أبلغ في العقوبة والتكال وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل عن ابن عباس في الآية وهي من قبل أي نطمس وجوها وطمسها أن تعمى فنردها على أدبارها يقول نجعل وجوههم من قبل أقيمتهم فيمضون القهقري ونجعل أبصارهم من ورائهم ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوها فلا نبقي لها سمعا ولا بصرا ولا أنفا ومع ذلك نردها إلى ناحية الأدبار. وقال العوفي

تفسير ابن كثير

لهم إن لم يفعلوا بقوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها قال بعضهم: معناه من قبل أن نطمس وجوها فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أمرا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ومتهددا يقول تعالى

أخبركم بأكبر الكبائر الإشراك بالله ثم قرأ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما وعقوق الوالدين ثم قرأ أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير. 48
عمرو حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك وذكر تمام الحديث. وقال ابن مردويه: حدثنا اسحق عن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن هذا الوجه والله أعلم. وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما كقوله إن الشرك لظلم عظيم وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال: قلت لدخل الشرك فيه ولا يصح ذلك لأنه تعالى قد حكم ههنا بأنه لا يغفر الشرك وحكم بأنه يغفر ما عداه لمن يشاء أي وإن لم يتب صاحبه فهذه أرجى من تلك من منه تاب الله عليه ولهذا قال قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا أي بشرط التوبة ولو لم يكن كذلك إثما عظيما رواه ابن جرير وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر وهذه الآية التي في سورة تنزيل مشروطة بالتوبة فمن تاب من أي ذنب وان تكرر يا نبي الله؟ فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى أخبرني مخبر عن عبد الله بن عمر أنه قال: لما نزلت يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إلى آخر الآية قام رجل فقال: والشرك بالله يقرأ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال أخبرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع: شيبان بن أبي شيبة حدثنا حرب بن شريح عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال فلما سمعناها كففنا عن الشهادة وأرجينا الأمور إلى الله عز وجل. وقال البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا يعني المري حدثنا أبو بشر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: كنا لا نشك في من أوجب الله له النار في الكتاب حتى نزلت علينا هذه الآية إن الله لا يغفر ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد به وقال ابن أبي حاتم أيضا: حدثنا عبد الملك بن أبي عبيد الرحمن المقرئ حدثنا عبد الله بن عاصم حدثنا صالح وشاهد الزور حتى نزلت هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ومغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأمسك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة. أبي مطيع عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر قال: كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس وأكل مال اليتيم وقاذف المحصنات فهو فيه بالخيار تفردا به وقال ابن أبي حاتم: حدثنا بحر بن نصر الخولاني حدثنا خالد يعني ابن عبد الرحمن الخراساني حدثنا الهيثم بن حماد عن سلام بن سهل بن أبي حازم عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن توعدده على عمل عقابا مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئا. الحديث الثالث عشر قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ أبو يعلى: حدثنا هدية هو ابن خالد حدثنا حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل: من علم أني ذو قدرة على عمار حدثني مضم بن جوش به. الحديث الثاني عشر قال الطبراني: حدثنا أبو الشيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الأصفهاني حدثنا سلمة بن شبيب أكتت على ما في يدي قادرا اذهبوا به إلى النار قال والذي نفس أبي القاسم بيده إنه لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن الله لك أو لا يدخلك الجنة أبدا قال: فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده فقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أكتت. عالما هذا أقصر فيقول خلني وربى أبعثت علي رقيبا إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه فقال له: ويحك أقصر قال خلني وربى أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر كان في بني إسرائيل رجلان أحدهما مجتهد في العبادة وكان الآخر مسرفا على نفسه وكانا متآخيين وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول يا أو لا يدخلك الجنة أبدا. فقلت يا أبا هريرة إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب قال لا تقلها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عشر قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا عكرمة بن عمار عن مضم بن جوش اليمامي قال: قال لي أبو هريرة يا يمامي لا تقولن لرجل لا يغفر الله لك ذا حاجة إلا قد أتيت قال أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثلاث مرات قال نعم قال فإن ذلك يأتي على ذلك كله. الحديث الحادي بن الضحاك حدثنا أبي حدثنا أبو همام الهنائي حدثنا ثابت عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما تركت حاجة ولا وجدته شحيحا على دينه قال: فنزلت إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. الحديث العاشر قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو قال وما دينه قال: يصلي ويوحد الله تعالى قال استوهب منه دينه فإن أبي فابتعه منه فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال الرقاشي عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب الأنصاري عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى بن يونس وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إلى حدثنا عيسى بن يونس نفسه عن واصل بن السائب من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه دخل الجنة. الحديث التاسع قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي أبو أيوب: دعوا الرجل عنكم أخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أظن بل كالمستيقن إن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول قال أبو رهم يا أبا أيوب وما تظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا: وما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيعبأ ذلك ربك؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيثة عنده خرج ذات يوم إليهم فقال لهم: إن ربكم عز وجل خيرني بين سبعين ألف يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيثة عنده لأمتي فقال بعض أصحابه

تفسير ابن كثير

أبو قبيل عن عبد الله بن ناشر من بني سريخ قال: سمعت أبا رهم قاص أهل الشام يقول سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة تفرد به من هذا الوجه. الحديث الثامن قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا ما دون ذلك لمن يشاء الحديث السابع قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس تلقى الله لا تشرك به شيئا إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها ثم قرأ نبي الله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب قيل يا نبي الله وما الحجاب؟ قال الإشراك بالله قال: ما من غفر لها إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة بن عبيدة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئا إلا حلت لها المغفرة إن شاء الله عذبها وإن شاء قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي حدثنا موسى بن عبيدة الترمذي أخبرني عبد الله قال من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار تفرد به من هذا الوجه وذكر تمام الحديث. طريق أخرى مسنده: حدثنا عبد الله بن موسى عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت: وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن شرب الخمر الحديث السادس قال عبد بن حميد في الحرة فإني سمعت أحدا يرجع إليك؟ قال: ذاك جبريل عرض لي من جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل إذا طال البث ثم إنني سمعته وهو مقبل وهو يقول وإن زنى وإن سرق قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب ساعة فقال لي اجلس ههنا فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي اجلس ههنا حتى أرجع إليك قال فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث عني حتى فقال لي إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فجعل يبيته عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا قال: فمشيت معه يمشي معه أحد قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرأني فقال من هذا فقلت أبو زر جعلني الله فداك قال يا أبا زر تعال قال فمشيت معه ساعة بن ربيع عن زيد بن وهب عن أبي زر قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده وليس معه إنسان قال فظننت أنه يكره أن قال وإن زنى وإن سرق أخرجه في الصحيحين من حديث الأعمش به وقد رواه البخاري ومسلم أيضا كلاهما عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد والعزير آتيك فانتظرت حتى جاء فذكرت له الذي سمعت فقال ذاك جبريل أتاني فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال: فانطلق حتى توارى عني قال: فسمعت لفظا فقلت لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له قال فهممت أن أتبعه قال فذكرت قوله لا تبرح حتى إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا فحشا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره قال ثم مشينا فقال: يا أبا زر كما أنت حتى آتيك وعندني منه دينار إلا دينارا أرصده يعني لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا فحشا عن يمينه وعن يساره وبين يديه قال: ثم مشينا فقال: يا أبا زر صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال يا أبا زر قلت: لبيك يا رسول الله قال: ما أحب أن لي أحدا ذاك عندي ذهبا أمسي ثالثة من حديث حسين به. طريق أخرى لحديث أبي زر قال أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي زر قال: كنت أمشي مع النبي على رغم أنف أبي زر قال فخرج أبو زر وهو يجز إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي زر وكان أبو زر يحدث بهذا بعد ويقول: وإن رغم أنف أبي زر. أخرجه على ذلك إلا دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق ثلاثا. ثم قال في الرابعة بن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الديلي حدثه أن أبا زر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقربها مغفرة تفرد به أحمد من هذا الوجه. الحديث الخامس قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حسين الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقول: يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك يا عبدي إنك إن لقيتني بقرب الأرض خطايا ثم عن صفوان بن عيسى به. الحديث الرابع قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا ابن تميم أن أبا زر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مومنا متعمدا ورواه النسائي عن محمد بن مثنى من بعض. الحديث الثالث قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي إدريس قال: سمعت معاوية يقول: سمعت لظلم عظيم وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم صلى الله عليه وسلم قال الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يترك الله منه شيئا: فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال إن الشرك تفرد به أحمد. الحديث الثاني قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن مالك حدثنا زائدة بن أبي الزناد النمري عن أنس بن مالك عن النبي الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة الله لا يغفر أن يشرك به الآية وقال إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين عند الله ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله عز وجل إن الدواوين من

وعطاء والحسن وقتادة وغير واحد من السلف: هو ما يكون في شق النواة. وعن ابن عباس أيضا: هو ما قتلت بين أصابعك وكلا القولين متقارب. 49
لأنه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها ثم قال تعالى ولا يظلمون قليلا أي ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة

تفسير ابن كثير

على ذلك مطولا عند قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ولهذا قال تعالى بل الله يزكي من يشاء أي المرجع في ذلك إلى الله عز وجل فيقول له: إنك والله كيت وكيت فلعل أن يرجع ولم يحظ من حاجته بشيء وقد أسخط الله ثم قرأ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية وسبأتي الكلام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قال عبدالله بن مسعود: إن الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء يلقي الرجل ليس يملك له ضرا ولا نفعاً عن شعبة به ومعبد هذا هو ابن عبدالله بن عويم البصري القديري وقال ابن جرير: حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش حلو خضر فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه وإياكم والتمادح فإنه الذبح وروى ابن ماجه منه إياكم والتمادح فإنه الذبح عن أبي بكر بن أبي شيبة عن غندر وكان فلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإن هذا المال جعفر حدثنا شعبة حدثنا حجاج أنبأنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن معبد الجهني قال: كان معاوية فلما كان يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: عليكم إعجاب المرء برأيه فمن قال إنه مؤمن فهو كافر ومن قال هو عالم فهو جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار ورواه ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبيد الله بن كريب عن عمر أنه قال: إن أخوف ما أخاف على الله أحداً وقال الإمام أحمد: حدثنا معتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند قال: قال عمر بن الخطاب: من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال هو عالم فهو الله عليه وسلم مع رجلا يثنى على رجل فقال ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال إن كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل أحسبه كذا ولا يزكي صلى الله عليه وسلم أن نحثو في وجوه المداحين التراب. وفي الصحيحين من طريق خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم فيهم وقيل نزلت في ذم التمداح والتزكية وفي صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال: أمرنا رسول الله ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ثم قال: وروي عن مجاهد وأبي مالك والسدي وعكرمة والضحاك وقالوا ليس لنا ذنوب كما ليس لأبنائنا اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب. وكذبوا قال الله إني لا أظهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له وأنزل الله ورواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا ابن حمير عن ابن لهيعة عن بشر بن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان الذين يزكون أنفسهم وذلك أن اليهود قالوا: إن أبناءنا توفوا وهم لنا قربة ويشفعون لنا ويزكوننا فأنزل الله على محمد ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية في الدعاء والصلاة يؤمنونهم ويزعمون أنهم لا ذنوب لهم وكذا قال عكرمة وأبو مالك وروى ذلك ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ألم تر إلى اليهود والنصارى حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وفي قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقال مجاهد: كانوا يقدمون الصبيان أمامهم قال الحسن وقتادة نزلت هذه الآية وهي قوله ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم في

والصلة. وهذه الآية الكريمة تضمنت الإحسان إلى العائلة ومن تحت الحجر بالفعل من الإنفاق في الكساي والأرزاق بالكلام الطيب وتحسين الأخلاق. 5 أعطى ماله سفيها وقد قال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه وقال مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا يعني في البر بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل ثم تنظر إلى ما في أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم. وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد واكسوههم وقولوا لهم قولا معروفا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: لا تعتمد إلى مالك وما حولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنتك بن إبراهيم حدثنا حرب بن شريح عن معاوية بن قرة عن أبي هريرة ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هم الخدم وهم شياطين الإنس وقوله وارزقوهم فيها أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قيمها. ورواه ابن مردويه مطولا. وقال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم وقتادة هم النساء. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن قال هم بنوك والنساء وكذا قال ابن مسعود والحكم بن عبيدة والحسن والضحاك هم النساء والصبيان وقال سعيد بن جبيرة هم اليتامى. وقال مجاهد وعكرمة الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه. وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فتارة يكون الحجر للصغير فإن الصغير مسلوب العبارة وتارة يكون الحجر للجنون وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين وتارة للفلس وهو ما إذا أحاطت السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما أي تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها. ومن ههنا يؤخذ الحجر على السفهاء وهم أقسام ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين

على اللبن ونفك العاني ونسقى الحجيج ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا. 50 أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقي الماء بأيديهم. وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى الله عز وجل وقوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أي يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذي كهان تنزل عليهم الشياطين وقال مجاهد: الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم وقال الإمام مالك: هو كل ما يعبد من دون ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا إسحاق بن الصيف حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله أنه سئل عن الطواغيت فقال: هم في سننه والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عوف الأعرابي به. وقد تقدم الكلام على الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا وقال العيافة والطرق والطيرة من الجبت وقال عوف: العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الأرض والجبت قال الحسن رنة الشيطان وهكذا رواه أبو داود

تفسير ابن كثير

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف بن حيان ابن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه وهو قبيصة بن مخارق أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم إن قال وليس هذا من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذو لقي. وهذا الحديث الذي ذكره الإمام أحمد في مسنده فقال: بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وفي الحديث الطيرة والعيافة والطرق من الجبت الجبت الأصنام. وعن الشعبي الجبت الكاهن. وعن ابن عباس الجبت حيي بن أخطب. وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف. وقال العلامة أبو نصر بن إسماعيل ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن وعطية: الجبت الشيطان. وزاد ابن عباس بالحشية وعن ابن عباس أيضا: الجبت الشرك. وعنه الشيطان. وهكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدي وعن ابن عباس وأبي العالية نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت أما الجبت فقال محمد بن إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر بن الخطاب أنه قال: الجبت السحر والطاغوت أما قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الآية ثم قال وكفى به إنما مبينا أي وكفى بصنيعهم هذا كذبا وافتراء ظاهرا وقوله ألم تر إلى الذين أوتوا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات واتكالهم على أعمال آبائهم الصالحة وقد حكم الله أن أعمال الآباء لا تجزي عن الأبناء شيئا في قوله تلك وقوله انظر كيف يفترون على الله الكذب أي في تزكيتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا

وأصحابه حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا. 51 إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركيين وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب حتى حفر النبي صلى الله عليه وسلم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب إلى قوله عز وجل وآتيناهم ملكا عظيما وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم يهود وأهل العلم بالكتب الأول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فاسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه ومن اتبعه. فأنزل الله عز وجل عامر ووحوش بن عامر وهودة بن قيس. فأما وحوش وأبو عامر وهودة فمن بني وائل وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق وأبو هو الأبتري ونزل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب إلى نصيرا وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير قالت قريش: ألا ترى هذا الصبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية. قال: أنتم خير. قال فنزلت إن شأنك وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة فأنزل الله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا الآية وقد روى هذا من غير

لا يوجد تفسير لهذه الآية 52

خشية الإنفاق أي خوف أن يذهب ما بأيديكم مع أنه لا يتصور نفاذه وإنما هو من بخلكم وشحكم ولهذا قال تعالى وكان الإنسان قتورا أي بخيلا. 53 شيئا ولا ما يملأ النكير وهو النقطة التي في النواة في قول ابن عباس والأكثرين. وهذه الآية كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم بالبخل فقال: فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحدا من الناس ولا سيما محمدا صلى الله عليه وسلم يقول تعالى أم لهم نصيب من الملك وهذا استفهام إنكارى أي ليس لهم نصيب من الملك ثم وصفهم

وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه وهو منهم ومن جنسهم أي من بني إسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل؟ 54 عليهم الكتب وحكموا فيهم بالسنن وهي الحكمة وجعلنا منهم الملوك ومع هذا فمنهم من آمن به أي بهذا الإتياء وهذا الإنعام ومنهم من صد عنه أي كفر به الناس قال الله تعالى فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما أي فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا حدثنا يحيى الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن السدي عن عطاء عن ابن عباس في قوله أم يحسدون الناس الآية قال ابن عباس: نحن الناس دون رزقه الله من النبوة العظيمة ومنهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل. وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثم قال أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعني بذلك حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما

به من الهدى والحق المبين ولهذا قال متوعدا لهم وكفى بجهنم سعيرا أي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسوله. 55 وقال مجاهد: فمنهم من آمن به أي بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه فالكفرة منهم أشد تكذيبا لك وأبعد عما جئتهم

مثل أحد تفرد به أحمد من هذا الوجه وقيل المراد بقوله كلما نضجت جلودهم أي سراويلهم. حكاه ابن جرير وهو ضعيف لأنه خلاف الظاهر. 56 صلى الله عليه وسلم قال يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وإن غلظ جلده سبعون ذراعا وإن ضره وقد ورد في الحديث ما هو أبلغ من هذا فقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا أبو يحيى الطويل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي أنس: مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعا وسنه سبعون ذراعا وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلودا غيرها. نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الربيع بن قبل الإسلام قال فقال: هاتها يا كعب فإن جنت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتك وإلا لم ننظر إليها فقال: إني قرأتها قبل الإسلام كلما قال: تلا رجل عند عمر هذه الآية كلما نضجت جلودهم الآية قال فقال عمر: أعدها علي وثم كعب فقال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية قرأتها

تفسير ابن كثير

بلفظ آخر فقال: حدثنا محمد بن إسحاق عن عمران حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا نافع أبو هرمز حدثنا نافع عن ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه ابن مردويه عن محمد بن أحمد بن إبراهيم عن عبدان بن محمد المروزي عن هشام بن عمار به ورواه من وجه آخر نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فقال عمر: أعدها علي فأعادهما فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت بن عمار حدثنا سعيد بن يحيى يعني السعداني حدثنا نافع مولى يوسف السلمي البصري عن نافع عن ابن عمر قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية كلما تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة. قال حسين: وزاد فيه فضيل عن هشام عن الحسن كلما نضجت جلودهم قيل لهم: عودوا فعدوا. وقال أيضا ذكر عن هشام وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن هشام عن الحسن قوله كلما نضجت جلودهم الآية قال: رواه ابن أبي حاتم وقال يحيى بن يزيد الحضرمي أنه بلغه في الآية قال: يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدتين لون من العذاب رواه ابن أبي حاتم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب قال الأعمش عن ابن عمر: إذا احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها بيضاء أمثال القراطيس بآياته وصد عن رسله فقال إن الذين كفروا بآياتنا الآية أي ندخلهم فيها دخولا يحيط بجميع أجزائهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم فقال يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر

الضحك يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد. 57 أي ظلا عميقا كثيرا غزيرا طيبا أنيقا قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن وحدثنا ابن المثنى حدثنا ابن جعفر قال حدثنا شعبة قال: سمعت أبا مجاهد: مطهرة من البول والحيض والنخام والبزاق والمنى والولد. وقال قتادة: مطهرة من الأذى والمآثم ولا حيض ولا كلف. وقوله وندخلهم ظلا ظليا الرذيلة والصفات الناقصة كما قال ابن عباس: مطهرة من الأذى والأذى. وكذا قال عطاء والحسن والضحاك والنخعي وأبو صالح وعطية والسدي. وقال وأين أرادوا وهم خالدون فيها أبدا لا يحولون ولا يزولون ولا يبيعون عنها حولا وقوله لهم فيها أزواج مطهرة أي من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها ومحالها وأرجائها حيث شاءوا وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات

في مستدركه وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ بإسناده نحوه وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليم بن جبير. 58 المقرئ ووضع أبو زكريا إبهامه اليمنى على عينه اليمنى والتي تليها على الأذن اليمنى وأرانا فقال هكذا وهكذا. رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم بصيرا ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع أصبعيه وقال أبو زكريا وصفه لنا المصري حدثني أبو يونس سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها إلى قوله إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سميعا يقول بكل شيء بصير وفد قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى القزويني أنبأنا المقرئ يعني أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد حدثنا حرمة يعني ابن عمران التجيبي عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سميعا بصيرا وقوله تعالى إن الله كان سميعا بصيرا أي سميعا لأقوالكم بصيرا بأفعالكم. كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا سنة وقوله إن الله نعمًا يعظكم به أي يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس بغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة الآية إنما نزلت في الأمراء يعني الحكام بين الناس وفي الحديث إن الله مع الحاكم ما لم يجر فإذا جار وكله إلى نفسه وفي الأثر عدل يوم كعبادة أربعين وقوله وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب إن هذه الآية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية: هي للبر الفاجر أي هي أمر لكل أحد. فيما ذكر لنا برد المفتاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها حتى فرغ من الآية وهذا من المشهورات فألزه في حائط الكعبة ثم قال يا أيها الناس هذه القبلة قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطا أو شوطين ثم نزل عليه جبريل قاتلهم الله وما شأن إبراهيم وشأن القداح ثم دعا بحفنة فيها ماء فأخذ ماء فغمسه فيه ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام معه القداح يستقسم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما للمشركين عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته فقال هاك أمانة الله قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرني المفتاح يا عثمان فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال أرني المفتاح فأثاه به فلما بسط يده إليه قام إليه العباس قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه وقال: أعينوه. وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال: لما فتح أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك. حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الزنجي ابن خالد عن الزهري قال: دفعه إليه الآية فدعا عثمان إليه فدفع إليه المفتاح. قال: وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية إن الله يأمركم صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها صلى الله عليه وسلم اليوم يوم وفاء وبر قال ابن جرير: حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج في الآية قال: نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له فقال له هاك مفتاحك يا عثمان

تفسير ابن كثير

عليه وسلم يومئذ إلى أن قال: ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانه البيت وسقاية الحاج. وذكر بقية الحديث في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حماما من عیدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد. قال لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء إلى البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ محمد بن إسحاق في غزوة الفتح حدثني محمد بن جعفر بن الزبير بن عبيد الله بن عبد الله أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن كثيرا من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه. وقال هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأما عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافرا وإنما نبهنا على هذا النسب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري حاجب ابن عباس إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال: قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء يعني يوم العيد وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه قال: قال أبي بن كعب من الأمانات أن المرأة انتمت على فرجها وقال الربيع بن أنس هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس. وقال علي بن أبي طلحة عن والفاجر وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق الأمانات إلى أهلها وقال سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن رجل عن ابن عباس في الآية قال: هي مبهمة للبر والفاجر وقال محمد بن الحنفية هي عامة للبر إليها فيحملها على عاتقه قال فتنزل عن عاتقه فيهوي على أثرها أبد الآبدين. قال زاذان فأتيت البراء فحدثته فقال صدق أخى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانة يؤتي بالرجل يوم القيامة وإن كان قد قتل في سبيل الله فيقال أدامتكم فيقول فأنى أوديتها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال: إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتض للشاة الجماء من القرآن وقال ابن أبي بعضهم على بعض كالدوائع وغير ذلك مما يأتون به من غير اطلاع بيعة على ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أدامتكم أدامتكم ولا تخن من خانك رواه الإمام أحمد وأهل السنن وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها. وفي حديث الحسن عن سمرة

رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير وأحسن تأويل أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قاله السدي وغير واحد. وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب. 59 لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر وقوله ذلك خير أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة الآخر أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فدل على أن من شيء فحكمه إلى الله فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى إن كنتم تؤمنون بالله واليوم وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى وما اختلفتم فيه قال لا طاعة في معصية الله. وقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله. إنما الطاعة في المعروف وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا همام حدثنا قتادة عن ابن حريث عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أي خذوا بسنته وأولي الأمر منكم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح أطاع أمري فقد أطاعني ومن عصا أميري فقد عصاني فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ولهذا قال تعالى أطيعوا الله أي اتبعوا كتابه وأطيعوا الرسول الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن والعلماء كما تقدم. وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت وقال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وفي والدين وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية وأولي الأمر منكم يعني العلماء والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأولي الأمر منكم يعني أهل الفقه الله عز وجل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق عن السدي مرسلًا ورواه ابن مردويه من رواية سب عمارا يسبه الله ومن يبغض عمارا يبغضه الله ومن يلعن عمارا لعنه الله فغضب عمار فقام فتبعه خالد فأخذ بثوبه فاعتذر إليه فرضي عنه فأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد يا رسول الله أتترك هذا العبد الأجعد يسبني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فإنه من وإنه في أمان مني فقال خالد: وفيهم أنت تجير؟ فاستبأ وارتفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير فاستبأ عند بل هو ينفعل فأقام فأقام. فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدا غير الرجل فأخذه وأخذ ماله فبلغ عمارا الخبر فأتى خالدا فقال: خل عن الرجل فإنه قد أسلم إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله لأن قومي لما سمعوا بكم هربوا وإنى بقيت فهل إسلامي نفعي غدا إلا هربت؟ قال عمار:

تفسير ابن كثير

فأصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فأثاه فقال: يا أبا اليقظان عليه وآله وسلم سرية عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر فساروا قبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا وأتاهم ذو العنيتين فأخبرهم بن الحسين حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا أسباط عن السدي في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قال: بعث رسول الله صلى الله تعالى إن الله كان بكم رحيمًا قال: فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله وواعصه في معصية الله. والأحاديث في هذا كثيرة. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بيننا بالبابل ونقتل بعضا بعضا والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر قال فدنوت منه فقلت: أنشدك بالله أنت سمعت هذا فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور ينكرونها وتجيء فتنة يرفق بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن هذه الأمة جعلت فنزلنا منزلا فمننا من يصلح خبائه ومننا من ينتضل ومننا من هو في جشده إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية رواه مسلم. وروى مسلم أيضا عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية أخرجاه. وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم استترعاهم أخرجاه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما فإن أحسنوا فلکم ولهم وإن أساءوا فلکم وعليهم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيلكم ولاية بعدي فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم جرير: حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا ابن أبي فديك حدثني عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي يخطب في حجة الوداع يقول ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا رواه مسلم وفي لفظ له عبدا حبشيا مجدوعا وقال ابن الله عنه قال: أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدوع الأطراف. رواه مسلم وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الآخر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي في منشطنا ومكرها وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان أخرجاه. وفي الحديث أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وأخرجاه من حديث يحيى القطان. وعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة عبيد الله حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا إنما الطاعة في المعروف أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به. وقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم فاجمعوا لي حطبا. ثم دعا بنار فأضرمها فيها ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها قال: فقال لهم شاب منهم إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار عليهم رجلا من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا بلى. قال: الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الأعور به وقال الترمذي حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج وقال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تلبس مال يتيم. 6 في حال نظرهم للأيتام وحال تسليمهم لأموالهم هل هي كاملة موفرة أو منقوصة مبخوسة مروج حسابها مدلس أمورها؟ الله عالم بذلك كله. ولهذا ثبت في وسلموا إليهم أموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه ثم قال وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله محاسبا وشاهدا ورقيبا على الأولياء وإيناسكم الرشد منهم فحينئذ سلموا إليهم فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وهذا أمر من الله تعالى للأولياء أن يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده أي لا تقربوه إلا مصلحين له فإن احتجتم إليه أكلتم منه بالمعروف. وقوله فإذا دفعتم إليهم أموالهم يعني بعد بلوغهم الحلم كان غنيا فليستعفف يعني من الأولياء ومن كان فقيرا أي منهم فليأكل بالمعروف أي بالتي هي أحسن كما قال في الآية الأخرى ولا تقربوا مال اليتيم إلا كان فقيرا فليأكل بالمعروف الآية. فقال ذلك في اليتيم إن كان فقيرا أنفق عليه بقدر فقره ولم يكن للولى منه شيء وهذا بعيد من السياق لأنه قال ومن فإن أكل منه قضاه رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن وهب حدثنا نافع بن أبي نعيم القاري قال سألت يحيى بن سعيد الانصاري وربيعه عن قول الله تعالى ومن

تفسير ابن كثير

اليتيم. قال وروى عن مجاهد وميمون بن مهران في إحدى الروايات والحاكم نحو ذلك. وقال عامر الشعبي لا يأكل منه إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ابن مهدي عن سفيان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال يأكل من ماله يقوت على نفسه حتى لا يحتاج إلى مال والسدي نحو ذلك. وروى من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فليأكل بالمعروف قال يأكل بثلاث أصابع ثم قال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعني القرض. قال وروى عن عبيدة وأبي العالية وأبي وائل وسعيد بن جبير في إحدى الروايات ومجاهد والضحاك وإن استغنيت استعفتت إسناد صحيح. وروى البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء قال: قال لي عمر رضي الله عنه: إنما أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم إن احتجت أخذت منه فإذا أيسرت رددته نفسي من هذا المال منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعفتت وإن احتجت استقرضت فإذا أيسرت قضيت. طريق أخرى قال سعيد بن منصور: حدثنا أبو وقد قال ابن أبي الدنيا: حدثنا ابن خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن حارث بن مضرب قال: قال عمر رضي الله عنه: إن أنزلت النخعي وعطية العوفي والحسن البصري. والثاني نعم لأن مال اليتيم على الحظر وإنما أبيح للحاجة فيرد بدله كأكل مال الغير للمضطر لا عند الحاجة. غير مضر بنسل ولا ناهك في الحب ورواه مالك في موطنه عن يحيى بن سعيد به. وبهذا القول وهو عدم أداء البدل يقول عطاء أبي رباح وعكرمة وإبراهيم أيتاما وإن لهم إبلا ولي إبلا وأنا أمنح من إبلي فقراء فمأذوا يحل لي من ألبانها؟ فقال: إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسعى عليها فاشرب جرير: حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: إن في حجري عن عمرو بن دينار عن جابر أن رجلا قال: يا رسول الله مما أضرب يتيمي؟ قال مما كنت ضاربا منه ولدك غير واق مالك بماله ولا متأثر منه مالا وقال ابن ماجه من حديث حسين المعلم وروى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره من حديث يعلى بن مهدي عن جعفر بن سليمان عن أبي عامر الخزاز النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن عندي يتيما عنده مال وليس لي مال أكل من ماله؟ قال كل بالمعروف غير مسرف. ورواه أبو داود والنسائي وابن شك حسين. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر حدثنا حسين المكتب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى الله عليه وسلم: ليس لي مال ولي يتييم؟ فقال كل من مال يتييمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثر مالا ومن غير أن تقي مالك أو قال تفدي مالك بماله الشافعي لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل. قال أحمد: حدثنا عبد الوهاب حدثنا حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا سأل رسول الله صلى الأمرين أجرة مثله أو قدر حاجته. واختلفوا هل يرد إذا أيسر؟ على قولين أحدهما لا لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيرا وهذا هو الصحيح عند أصحاب فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر قيامه عليه. ورواه البخاري عن إسحاق بن عبد الله بن نمير عن هشام به. قال الفقهاء: له أن يأكل من أقل منه. وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: أنزلت هذه الآية في والي اليتيم ومن كان غنيا عبدة بن سليمان عن هشام عن أبيه عن عائشة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف نزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجا أن يأكل حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة ومن كان غنيا فليستعفف نزلت في مال اليتيم. حدثنا الأشج وهارون بن إسحاق قال: حدثنا كان غنيا فليستعفف عنه ولا يأكل منه شيئا. وقال الشعبي: هو عليه كالميتة والدوم ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ابن أبي حاتم حدثنا الأشج تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ينهي تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية إسرافا وبدارا أي مبادرة قبل بلوغهم. ثم قال تعالى ومن والحسن البصري وغير واحد من الأئمة وهكذا قال الفقهاء إذا بلغ الغلام مصلحا لدينه وماله انفك الحجر عنه فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه وقوله ولا ابتيارا وقوله عز وجل فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم قال سعيد بن جبير يعني صلاحا في دينهم وحفظا لأموالهم وكذا روى عن ابن عباس أبو عبيد ابتهرها أي قذفها والابتهار أن يقول فعلت بها وهو كاذب. فإن كان صادقا فهو الابتيار قال الكمي في شعره. قبيح بمثلي نعت الفتاة إما ابتهارا وإما ابن علي عن إسماعيل بن أمية عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمر أن غلاما ابتهر جارية في شعره فقال عمر انظروا إليه فلم يوجد أنبت فدرأ عنه الحد قال الأربعة بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح وإنما كان كذلك لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية. وقال أبو عبيد في الغريب حدثنا الله عليه وسلم يوم قريظة فأمر من ينظر من أنبت فكان من أنبت قتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فخلي سبيلي وقد أخرجه أهل السنن يستوي فيه الناس واحتمال المعالجة بعيد ثم قد دلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد على عطية القرظي قال عرضنا على النبي صلى وبين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغا في حقهم لأنه لا يتعجل بها إلى ضرب الجزية عليه فلا يعالجها والصحيح أنها بلوغ في الجميع لأن هذا أمر جبلي الشعر الخشن حول الفرج وهي الشعرة هل يدل على بلوغ أم لا؟ على ثلاثة أقوال يفرق في الثالث بين صبيان المسلمين فلا يدل على ذلك لاحتمال المعالجة عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني. فقال عمر بن عبدالعزيز لما بلغه هذا الحديث إن هذا الفرق بين الصغير والكبير واختلفوا في نبات وأخذوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر قال: عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني وعرضت النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاثة الصبي حتى يحتلم أو يستكمل خمس عشرة سنة. وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق علي قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل. وفي الحديث الآخر عن عائشة وغيرها من الصحابة عن الحلم. قال الجمهور من العلماء البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد. وفي سنن أبي داود عن وقوله تعالى وابتلوا اليتامى قال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل أي اختبروهم حتى إذا بلغوا النكاح قال مجاهد يعني عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت إلى آخرها. 60

تفسير ابن كثير

بن الأشرف. وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك والآية أعم من ذلك كله فإنها دامة لمن كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد وذاك يقول بيني وبينك كعب على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله هذا إنكار من الله عز وجل

آباءنا وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا الآية. 61
عك صدودا أي يعرضون عنك إعراضا كالمستكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه وقوله ويصدون

ناس من المشركين فأنزل الله عز وجل ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قلبك إلى قوله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا. 62
الحوطي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى إلى قوله فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين وقد قال الطبراني: حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد إلى غيرك وتحاكمنا إلى أعدائك إلا الإحسان والتوفيق أي المداراة والمصانعة لا اعتقادا منا صحة تلك الحكومة كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله فترى الذين في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم واحتاجوا إليك في لك ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أي يعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا ثم قال تعالى في ذم المنافقين فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم أي فكيف بهم إذا ساقطت المقادير إليك

وعظهم أي وانهم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا أي وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم. 63
على ذلك فإنه لا تخفى عليه خافية فاكثف به يا محمد فيهم فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قال له فأعرض عنهم أي لا تعنفهم على ما في قلوبهم ثم قال تعالى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزئهم

والكرم ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. 64
مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسي الغداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود يا رسول الله سمعت الله يقول ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتكم مستغفرا لذنبي أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال لو جدوا الله توابا رحيما وقد ذكر جماعة منهم الشيخ وقوله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيستغفروا يطيع أحد إلا بإذني يعني لاطيعه إلا من وفقته لذلك قوله ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه أي عن أمره وقدره ومشيئته وتسلطه إياكم عليهم يقول تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع أي فرضت طاعته على من أرسل إليهم وقوله بإذن الله قال مجاهد: أي لا

فقال كذلك فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سله فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية. 65
أن يرضى فقال نأتي عمر بن الخطاب فقال المقضى له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لي عليه فأبى أن يرضى فسأله عمر بن الخطاب فقال الذي قضى له: قد اختصمناه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لي فقال أبى بكر: أنتما على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبى صاحبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى للمحق على المبطل فقال المقضى عليه لا أرضى؟ فقال صاحبه فما تريد قال: أن تذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم في تفسيره: حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي أن رجلين اختصما وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود به وهو أثر غريب مرسل وابن لهيعة ضعيف والله أعلم. طريق أخرى قال الحافظ أبو إسحاق لا يؤمنون حتى يحكموك الآية فهدر دم ذلك الرجل وبريء عمر من قتله فكره الله أن يسن ذلك بعد فأنزل ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية قتل عمر والله صاحبي ولولا أنى أعجزته لقتلني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن فأنزل الله فلا وربك فأقضى بينكما فخرج إليهما مشتتلا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله قضى لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا فقال ردنا إلى عمر بن الخطاب فردنا إليك فقال أكذاك؟ قال نعم فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فقضى بينهما فقال المقضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم انطلقا إليه فلما أتيا إليه فقال الرجل: يا ابن الخطاب حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم أن يسقي الأعلى ثم الأسفل هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الأنصاري وذكر سبب آخر غريب جدا قال ابن أبي عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله فلا وربك لا يؤمنون قال: نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء فقضى النبي إنما قضى له لأنه ابن عمته. فنزلت فلا وربك لا يؤمنون الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو حنيفة حدثنا سعيده بن عبد العزيز دكين حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أبي سلمة قال: خاصم الزبير رجلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للزبير فقال الرجل له:

تفسیر ابن کثیر

بذكر عبدالله بن الزبير غير ابن أخيه وهو ضعيف وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي أبو دحييم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا الفضل بن أخي ابن شهاب عن عمه عن عروة عن عبدالله بن الزبير عن الزبير فذكره ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. إني لا أعلم أحدا أقام بهذا الإسناد عن الزهري وكذا ساقه الإمام أحمد في مسند عبدالله بن الزبير والله أعلم. والعجب كل العجب من الحاكم أبي عبدالله النيسابوري فإنه روى هذا الحديث من طريق ابن تسليما وهكذا رواه النسائي من حديث ابن وهب به ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث به وجعله أصحاب الأطراف في مسند عبدالله بن الزبير الحكم فقال الزبير: ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا منا قضيت ويسلموا عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله إن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج في الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبى عليه الزبير فقال الليث ويونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عبدالله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه من أخيه عبدالله فإن أبا محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره فقال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما هكذا رواه الإمام أحمد وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير فإنه لم يسمع منه والذي وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ثم قال: قال عروة فقال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى النبي صلى الله عليه وسلم الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم للزبير اسق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الزبير أن الزبير كان يحدث أنه كان يخاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة كان يسقيان بها كلاهما فقال النبي صورته الإرسال وهو متصل في المعنى وقد رواه الإمام أحمد من هذا الوجه فصرح بالإرسال فقال: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن معمر وفي كتاب الشرب من حديث ابن جريج ومعمر أيضا وفي كتاب الصلح من حديث شعيب بن أبي حمزة ثلاثتهم عن الزهري عن عروة فذكره وصورة الآية إلا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية. هكذا رواه البخاري ههنا أعني في كتاب التفسير في صحيحه من حديث عليه وسلم وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما صلى الله عليه وسلم وأمر لهما فيه سعة قال الزبير: فما أحسب هذه فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم الزبير رجل في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمك؟ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا معمر عن الزهري عن عروة قال: خاصم مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده له باطنا وظاهرا ولهذا قال ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم

ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما ينهاون عنه لكان خيرا لهم أي من مخالفة الأمر وارتكاب النهي وأشد تثبيتا قال السدي: أي وأشد تصديقا. 66 وسلم بيده إلى عبدالله بن رواحة فقال لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل يعني ابن رواحة ولهذا قال تعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به أي عمرو عن شريح بن عبيد قال: لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم الآية أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إلقاء قليل منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم وحدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن عمه عامر بن عبدالله بن الزبير قال: لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه فقتلنا أنفسنا فقال ثابت والله لو كتب علينا أن يقتلوا أنفسهم لفعلنا فأنزل الله هذه الآية رواه ابن أبي حاتم. حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان حدثنا بشر أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي وقال السدي: افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود فقال اليهودي والله لقد كتب الله علينا القتل أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم الآية. قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو فعل ربنا لفعلنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال للإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن منير حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن بإسناده عن الأعمش قال: لما نزلت ولو كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم الآية قال رجل: لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن من أمتي لرجالا الإيمان أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم الآية قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثني إسحاق الأزهر عن إسماعيل عن أبي إسحاق السبيعي قال: لما نزلت ولو أنا من المناهي لما فعلوه لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون ولهذا قال تعالى ولو يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه

نعم فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرة بيديه فيه غرابة ونكارة وسنده ضعيف. 69
الدهر لم يكن شيئا مذكورا إلى قوله نعيما وملكا كبيرا فقال الحبشي: وإن عيني لتريان ما ترى عينك في الجنة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته ونزلت هذه الآيات هل أتى على الإنسان حين من
كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله: إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل
الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده
أفرأيت إن أمنت بما أمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذي نفسي بيده أنه ليضيء بياض
الله صلى الله عليه وسلم يسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل واستفهم فقال: يا رسول الله فضلتنا بالصورة والألوان والنبوة ثم قال:
بن عبدالعزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا علي بن عفيف بن سالم عن أيوب عن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال: أتى رجل من الحبشة إلى رسول
المرسلين قال الحافظ الضياء المقدسي: هذا الحديث على شرط البخاري والله أعلم. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا علي
تروان الكوكب الدري الغابر في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو
قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين أخرجه في الصحيحين من حديث مالك واللفظ لمسلم ورواه الإمام أحمد حدثنا فزارة
الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم
الإمام مالك بن أنس عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون أهل
رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن الله يبعثني معهم وإن لم أعمل كعملهم. قال
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم فقال المرء مع من أحب قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي
اسمه عبدالله بن جابر شيخ بصري. وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء ثم قال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأبو حمزة
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله وروى الترمذي من طريق سفيان الثوري عن أبي حمزة عن الحسن البصري عن أبي سعيد قال: قال
بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين
يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه تفرد به أحمد. قال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم حدثنا ابن لهيعة عن زياد
الله وأنك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء
عن عبدالله بن أبي جعفر عن عيسى بن طلحة عن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا
مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك قلت: هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق أخبرنا ابن لهيعة
عبدالرحمن عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل فقلت: يا رسول الله أسألك
جرير عن ابن حميد عن جرير عن عطاء الشعبي مرسل. وثبت في صحيح مسلم من حديث عقل بن زياد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن
لأذكرك في المنزل فيشق ذلك على وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقد رواه ابن
عباس البصري حدثنا خالد بن عبدالله عن عطاء بن السائب عن عامر الشعبي عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني لأحبك حتى إني
به ثم قال: لا أرى بإسناده بأسا والله أعلم. وقال ابن مردويه أيضا: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا العباس بن الفضل الإسقاطي حدثنا أبو بكر بن ثابت عن ابن
وهكذا رواه الحافظ أبو عبدالله المقدسي في كتابه في صفة الجنة من طريق الطبراني عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال عن عبدالله بن عمران العبادي
عليه النبي صلى الله عليه وسلم نزلت عليه ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
فأذكرك فما أصبر حتى أتيتك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد
قالت جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وإنني لأكون في البيت
بن محمد بن مسلم حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد حدثنا عبدالله بن عمران حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة
فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه وقد روي مرفوعا من وجه آخر فقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبدالرحيم
صلى الله عليه وسلم إن الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياض فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويثنون عليه وينزل لهم أهل الدجات
آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدقته وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضا فأنزل الله في ذلك يعني هذه الآية فقال يعني رسول الله
أبيه عن الربيع قوله ومن يطع الله والرسول الآية قال: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: قد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم له فضل على من
الأثر مرسل عن مسروق وعن عكرمة وعامر الشعبي وقتادة وعن الربيع بن أنس وهو من أحسنها سندا قال ابن جرير: حدثنا المثني حدثنا ابن أبي جعفر عن

تفسير ابن كثير

فأتاه جبريل بهذه الآية ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره. وقد روي هذا فيه فقال ما هو؟ قال نحن نغدو عليكم ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان مالي أراك محزوناً فقال يا نبي الله شيء فكرت ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل شعبة عن سعد بن إبراهيم به وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر اللهم الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى عليه أفضل الصلاة والتسليم. فيها أخذته بحة شديدة فسمعتة يقول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فلمعت أنه خير وكذا رواه مسلم من حديث عن أبيه عن عروة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه التي قبض الذين صلحت سرانهم وعلانياتهم ثم أثنى عليهم تعالى فقال وحسن أولئك رفيقا وقال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا إبراهيم بن سعد ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون ثم قال تعالى أي من عمل بما أمره الله به ورسوله وترك ما نهاه الله عنه

القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال: ما أصاب ليس ذلك له إنما ذلك إلى الوصية وإنما هذه الآية في الوصية يزيد الميت يوصي لهم. رواه ابن أبي حاتم. 7 بكر قسم ميراث أبيه عبدالرحمن وعائشة حية فلم يدع في الدار مسكينا ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه قالا وتلا وإذا حضر القسمة أولو القربى قال عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق والقاسم بن محمد أخبراه أن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي وقال الزهري هي محكمة. وقال مالك عن عبدالكريم عن مجاهد قال هي حق واجب ما طابت به الأنفس. ذكر من ذهب إلى أن ذلك أمر بالوصية لهم قال فقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وقال مالك فيما يروى عنه في التفسير من جزء مجموع عن الزهري أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسماعيل ابن علي عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين قال ولي عبيدة وصية فأمر بشاة فذبحت فأطعم أصحاب هذه الآية. العالية والشعبي والحسن. وقال ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول إبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيى بن يعمر إنها واجبة وروى ابن نجيح عن مجاهد في هذه الآية. قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وهكذا روى عن ابن مسعود وأبي موسى وعبدالرحمن بن أبي بكر وأبي ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي قائمة يعمل بها وقال الثوري عن ابن أبي أخبرنا عبد الله الأشجعي عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس في الآية. قال هي محكمة وليست بمنسوخة. تابعه سعيد عن ابن عباس. وقال لهم من التركة نصيب وإن ذلك كان واجبا في ابتداء الإسلام وقيل يستحب واختلفوا هل هو منسوخ أم لا على قولين فقال البخاري حدثنا أحمد بن حميد بسياق آخر والله أعلم وقوله وإذا حضر القسمة الآية. قيل المراد حضر قسمة الميراث ذوو القربى ممن ليس بوارث واليتامى والمساكين فليرضخ إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء فأنزل الله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الآية. وسيأتي هذا الحديث عند آيتي الميراث من طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال أتت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله في أصل الورثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدي به إلى الميت من قرابة أو زوجية أو ولاء فإنه لحمة كلحمة النسب. وروى ابن مردويه الكبار ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئا فأنزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الآية. أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون قال سعيد بن جبير وقتادة كان المشركون يجعلون المال للرجال

تعالى ذلك الفضل من الله أي من عند الله برحمته وهو الذي أهلهم لذلك لا بأعمالهم وكفى بالله عليما أي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق. 70 ولهذا قال

أو انفروا جميعا يعني كلكم وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخصيف الجزري. 71 فرقة وسرية بعد سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الثبة على ثبين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فانفروا ثبات أي عصبا يعني سرايا متفرقين المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله ثبات أي جماعة بعد جماعة وفرقة بعد يأمر الله تعالى عباده

الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا أي إذ لم أحضر معهم وقعة القتال بعد ذلك من نعم الله عليه ولم يدر ما فاتته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل. 72 قال تعالى إخبارا عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد فإن أصابتكم مصيبة أي قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة قال قد أنعم ويبطئ غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبي سلول قبحه الله يفعل يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه وهذا قول ابن جريج وابن جرير ولهذا قال مجاهد وغير واحد نزلت في المنافقين وقال مقاتل بن حيان: ليبطئن أي ليتخلفن عن الجهاد ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه وقوله تعالى وإن منكم لمن ليبطئن

أي كأنه ليس من أهل دينكم يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما أي بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه وهو أكبر قصده وغاية مراده. 73 ولئن أصابكم فضل من الله أي نصر وظفر وغنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة

تفسير ابن كثير

جزيل كما ثبت في الصحيحين وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة. 74 ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما أي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر أي المؤمن النافر في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم ثم قال تعالى ثم قال تعالى فليقاتل

حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله عز وجل. 75 قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيد الله قال: سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين. حدثنا سليمان بن حرب حدثنا هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ثم وصفها بقوله الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا أي سخر لنا من عندك وليا ناصرا. من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها ولهذا قال تعالى الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة كقوله تعالى وكأين من قرية يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة

ورضوانه والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ثم هيح تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيف. 76 ثم قال تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت أي المؤمنون يقاتلون في طاعة الله

معين: كان أبو مصهر ينشد: ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب فإن تعجب الدنيا رجلا فإنها متاع قليل والزوال قريب 77 الدنيا قليل قال: رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يجب ثم انتبه. وقال ابن الجهاد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدوري حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن هشام قال: قرأ الحسن قل متاع الآخرة المتقي خير من دنياه ولا تظلمون فتिला أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء وهذه تسلية لهم عن الدنيا وترغيب لهم في الآخرة وتحريض لهم على متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وقال مجاهد إن هذه الآية نزلت في اليهود رواه ابن جرير وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى أي إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب وهو الموت قال الله تعالى قل من حديث على بن الحسن بن شقيق به وقال أسباط عن السدي لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال فلما فرض عليهم القتال تقاتلوا القوم فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا فأنزل الله ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية ورواه النسائي والحاكم وابن مردويه بن عوف وأصحابه أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة قال إني أمرت بالعفو فلا محمد بن عبدالعزيز عن أبي زرعة وعلى بن رمحة قال: حدثنا على بن الحسن عن الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد الرحمن الآية كقوله تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال الآيات. قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب أي لولا أخرت فرضه إلى مدة أخرى فإن فيه سفك الدماء ويطمئ الأرواح وتأييم النساء وهذه لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفا شديدا قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال فلماذا والعفو عن المشركين والصبر إلى حين وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليششتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبة لأسباب كثيرة منها كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النصب وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم وكانوا مأمورين بالصفح بينكما لو أراد الله أن لا يعصى لما خلق إبليس. قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة. 78

أهل السماء يختلف أهل الأرض فتحاكما إلى إسرافيل فقاضى بينهما أن الحسنات والسيئات من الله. ثم أقبل على أبي بكر وعمر فقال احفظا قضائي الله عليه وسلم إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل فقال ميكائيل مقاتلك يا أبا بكر وقال جبريل مقاتلك يا عمر فقال فيختلف أهل السماء وإن يختلف الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قلت يا عمر: قلت الحسنات والسيئات من الله. فقال رسول الله صلى النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عمر قريبا من أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ارتفعت أصواتكما فقال رجل: يا رسول الله قال أبو بكر أبيه عن جده قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر في قبيلتين من الناس وقد ارتفعت أصواتهما فجلس أبو بكر قريبا من كل من عند الله قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا السكن بن سعيد حدثنا عمر بن يونس حدثنا إسماعيل بن حماد عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن هذه المقالة الصادرة عن شك وريب وقلة فهم وعلم وكثرة جهل وظلم فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا. ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالى قل والكافر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قل كل من عند الله أي الحسنات والسيئات وكذا قال الحسن البصري ثم قال تعالى منكرا على هؤلاء القائلين يقولون بتركنا ديننا واتباعنا محمدا أصابنا هذا البلاء فأنزل الله عز وجل قل كل من عند الله أي الجميع بقضاء الله وقدره وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان قالوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة والسيئة الجذب والضرر في أموالهم تشاءموا بمحمد صلى وقالوا هذه من عندك له في نفس الأمر ولهذا إذا أصابهم شر إنما يستندونه إلى اتباعهم للنبي صلى وقال السدي وإن تصبهم حسنة قال والحسنة الخصب تنتج مواشيهم وخیولهم بموسى ومن معه وكما قال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهرا وهم كارهون هذه من عندك أي من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك كما قال تعالى عن قوم فرعون فإذا جاءتهم الحسنات قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا

تفسير ابن كثير

هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة أي قحط وجذب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتاج أو غير ذلك كما يقوله أبو العالية والسدي يقولوا وارثهم هناك القبور وقوله وإن تصبهم حسنة أي خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي يقولوا معرضا والسدير فارغوى قلبه وقال فما غبطة حي إلى الممات يصير ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور ثم بعد الفلاح والملك والأمة في ذراه وكور لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدي تفكير سره ماله وكثرة ما يملك والبحر قبله سابور وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور شاده ممررا وجلله كلسا لللطير أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرور من رأيت المنون خلد أم من ذا عليه من أن يضام خفير أين كسرى كسرى الملوك أنوشهر وان أم أين قرون رأسها بذب فرس فرقض الفرس حتى قتلها وفيه يقول عدي بن زيد العبادي أبياته المشهورة السائرة: أيها الشامت المعير بالدهر أنت المبرأ الموفور يطعمني المخ والزبد وشهد أبقار النحل وصفو الخمر وذكر أنه كان يرى مخ ساقها قال فكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت إلي بذاك أسرع ثم أمر بها فربطت أس فقالت لها سابور: هذا الذي أسهره فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ ويسقيني الخمر قال الطبري كان واستباح الحصن وخربه وسار بها معه وتزوجها فبينما هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد فيه ورقة حمامة ورقاء فتخضب رجلها بحبيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فإذا وقعت على سور الحصن سقط ذلك ففتح الباب ففعل ذلك فدخل سابور فقتل ساطرون يبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتحت الباب ويقال دلتهم على طلسم كان في الحصن لا يفتح حتى تؤخذ تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ فدخلت إليه أن تتزوجني إن فتحت لك باب الحصن فقال نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته وهو في العراق وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه وأذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الأكاسرة فأما سابور ذو الاكتاف فهو من بعد ذلك بزمان طويل والله أعلم ذكره السهيلي قال ابن هشام: فحصره سنتين وكان كسرى سابور ذو الاكتاف قتل الساطرون ملك الحضرة وقال ابن هشام إن الذي قتل صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان الشاعر: أرى الموت لا يبقي عزيزا ولم يدع لعاد ملاذا في البلاد ومربعا يبيت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها معا قال ابن هشام كل سابور فللطير في ذراه وكور لم تهبه أيدي المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور ولما دخل على عثمان جعل يقول: اللهم اجمع أمة محمد ثم تمثل بقول حصره فيه وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين. وقالت العرب في ذلك أشعارا منها: وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور شاده ممررا وجلله سمها شيء فوقع بين ظفرها ولحمها واسودت رجلها فكان في ذلك أجلها فماتت ونذكر ههنا قصة صاحب الحضرة وهو الساطرون لما احتال عليه سابور حتى بالعنكبوت في السقف فأراها إياها فقالت أهذه التي تحذرنا علي والله لا يقتلها إلا أنا فأنزلوها من السقف فعمدت إليها فوطئتها بإبهام رجلها فقتلتها فطار من كان شيء من ذلك ولكن لا أدري ما عددهم فقال هم مائة والثاني أنك تموتين بالعنكبوت فاتخذ لها قصرا منيعا شاهقا ليحرقها من ذلك فبينما هم يوما فإذا الجارية فقالت أنا هي وأرته مكان السكين فتحقق ذلك فقال لئن كنت إياها فلقد أخبرني بانهنك لا بد منهما إحداها أنك قد زينت بمائة رجل فقالت لقد من فلانة فقال اخطبها علي فذهبت إليها فأجابت فدخل بها فأعجبته إعجابا شديدا فسألته عن أمره ومن أين مقدمه فأخبرها خبره وما كان من أمره في الأجير ما ذهب ودخل البحور فاقتنى أموالا جزيلة ثم رجع إلى بلده وأراد التزوج فقال لعجوز أريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة فقالت ليس ههنا أحسن راجعا فبيع بطن الجارية بسكين فشقه ثم ذهب هاربا ووطن أنها قد ماتت فخاطبت أمها بطنها فبرئت وشبت وترعرعت ونشأت أحسن امرأة ببلدتها فذهب ذاك فخرح فإذا هو برجل واقف على الباب فقال: ما ولدت المرأة فقال جارية فقال أما إنها ستزني بمائة رجل ثم يتزوجها أجبرها ويكون موتها بالعنكبوت. قال فكر بالشيد وهو الجص وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا حكاية مطولة عن مجاهد أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطلق فأمرت أجبرها أن يأتيها بنار أسباب السماء بسلم ثم قيل: المشيدة هي المشيدة كما قال وقصر مشيد وقيل بل بينهما فرق وهو أن المشيدة بالتشديد هي المطولة وبالتخفيف هي المزينة السماء قاله السدي وهو ضعيف والصحيح أنها المنبعة أي لا يغنى حذر وتحصن من الموت كما قال زهير بن أبي سلمى: ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام من طعنة أو رمية وهما أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء وقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أي حصينة منيعة عالية رفيعة وقيل هي بروج في فإن له أجلا محتوما ومقاما مقسوما كما قال خالد بن الوليد حين جاء الموت على فراشه: لهد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح الموت وقال تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة ولا ينجيه من ذلك شيء سواء جاهد أو لم يجاهد كنتم في بروج مشيدة أي أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو منه أحد منكم كما قال تعالى كل من عليها فان الآية وقال تعالى كل نفس ذائقة وقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو

وما يكرهه ويأباه وكفى بالله شهيدا أي على أنه أرسلك وهو شهيد أيضا بينك وبينهم وعالم بما تبلغهم إياه وبما يردون عليك من الحق كفرا وعنادا. 79 كلام متين قوي في الرد على القدرية والجبرية أيضا ولبسطه موضع آخر وقوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا أي تبلغهم شرائع الله وما يحبه الله ويرضاه وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولون هذه من عندك أي من نفسك والله ما وكلوا إلى القدر وقد أمروا وإليه يصيرون وهذا بكار حدثنا الأسود بن شيبان حدثني عقبة بن واصل ابن أخي مطرف عن مطرف بن عبد الله قال: ما تريدون من القدر أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء وقال أبو صالح وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي بذنبك وأنا الذي قدرتها عليك رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمار حدثنا سهل بن أرسله قتادة قد روي متصلا في الصحيح والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياها

تفسير ابن كثير

بذنبك. قال: وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصيب رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وهذا الذي ويعفو عن كثير قال السدي والحسن البصري ي وابن جريج وابن زيد فمن نفسك أي بذنبك وقال قتادة في الآية فمن نفسك عقوبة لك يا ابن آدم فضل الله ومنته ولطفه ورحمته وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي فمن قبلك ومن عملك أنت كما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم قال تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمراد جنس الإنسان ليحصل الجواب ما أصابك من حسنة فمن الله أي من

جحد حق الله عليه عاقبه في أعز ما يملكه ولهذا جاء في الحديث ما خالطت الصدقة مالا إلا أفسدته أي منعها يكون سبب محق ذلك المال بالكليّة. 8 الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين أي بليل. وقال فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فدمر عليهم وللكافرين أمثالها فمن تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وذم الذين ينقلون المال خفية خشية أن يطلع عليهم المحاويج وذوو الفاقة كما أخبر به عن أصحاب لا شيء يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤوف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون برا بهم وصدقة عليهم وإحسانا إليهم وجبرا لكسرهم. كما قال الله هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تتوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ وهم يائسون عن ابن عباس وإذا حضر القسمة هي قسمة الميراث وهكذا قال غير واحد والمعنى على هذا لا على ما سلكه ابن جرير رحمه الله بل المعنى أنه إذا حضر فارزقوهم منه وقولوا لليتامى والمساكين إذا حضروا قولوا معروفا هذا معنى ما حاوله بعد طول العبارة والتكرار وفيه نظر والله أعلم. وقال العوفي وأصحابهم وقد اختار ابن جرير ههنا قولاً غريباً جداً وحاصله أن معنى الآية عنده وإذا حضر القسمة أي وإذا حضر قسمة مال الوصية أو قسمة الميراث الميت وزيد بن أسلم والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وربيع بن أبي عبد الرحمن أنهم قالوا إنها منسوخة وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب هي منسوخة نسختها المواريث والوصية. وهكذا روي عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم بن محمد وأبي صالح وأبي مالك وذوو القربى إذا حضروا القسمة ثم نسختها المواريث فألحق الله بكل ذي حق حقه وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرابته حيث شاء. وقال مالك سعيد بن عامر عن همام حدثنا قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال إنها منسوخة قبل الفرائض كان ما ترك الرجل من مال أعطي منه اليتيم والفقير والمساكين أولوا القربى واليتامى والمساكين نسختها آية الميراث فجعل لكل إنسان نصيبه مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر. وحدثنا أسيد بن عاصم حدثنا وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله وإذا حضر القسمة أولوا القربى كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض فأنزل الله بعد ذلك الفرائض فأعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمي المتوفي رواه ابن مردويه. أولوا القربى نسختها الآية التي يعدها يوصيكم الله في أولادكم وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في هذه الآية وإذا حضر القسمة الله تعالى عنهما وإذا حضر القسمة قال منسوخة. قال إسماعيل بن مسلم المكي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال في هذه الآية وإذا حضر القسمة ذكر من قال إن هذه الآية منسوخة بالكليّة قال سفيان الثوري عن محمد بن السائب الكليبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي

عنه خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء كما جاء في الحديث من يطلع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه. 80 به. وقوله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً أي ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما حصل له ومن تولى فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أطاعني ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قال ابن يخبر تعالى عن عبده

ولا تكشف أمورهم للناس ولا تخف منهم أيضاً وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً أي كفى به ولياً وناصراً ومعيناً لمن توكل عليه وأناب إليه. 81 وسيجزيهم على ذلك كما قال تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا الآية وقوله فأعرض عنهم أي اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تؤاخذهم عالم بما يضرهم ويسرونه فيما بينهم وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصيانه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة تعالى والله يكتب ما يبيتون أي يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذين هم موكلون بالعباد والمعنى في هذا التهديد أنه تعالى يخبر بأنه يظهرهم الموافقة والطاعة فإذا برزوا من عندك أي خرجوا وتواروا عنك بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي استسروا ليلاً فيما بينهم ما أظهروه لك فقال وقوله ويقولون طاعة يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم

إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به. 82 بن زيد عن أبي عمران الجوني قال: كتب إلى عبد الله بن رباح يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فإنا لجلوس أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده ورواه ابن ماجه. من حديث داود بن أبي هند به نحوه. وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد الغضب فقال لهم ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما ينفق في وجهه حب الرمان من بعضه بعضاً إنما نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضرهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل ليكذب

تفسير ابن كثير

أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا حتى عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب من فغوا ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين. قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو حازم حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه حيث قالوا أمانا به كل من عند ربنا أي محكمة ومتشابهة حق فهذا ردوا المتشابهة إلى المحكم فاهتدوا والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابهة في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا أي اضطرابا وتضادا كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخبرا عن الراسخين في العلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم قال ولو كان من عند غير الله أي لو كان مفتعلا مختلفا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخيرها لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى يقول تعالى أمرا لهم بتدبر القرآن ونهايا لهم عن الإعراض عنه وعن

من نصر هذا القول بقول الطرمح بن حكيم في مدح يزيد بن المهلب. أشم ندي كثير النوادي قليل المثالب والقادة يعني لا مثالب له ولا قاذرة فيه. 83 إلا قليلا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المؤمنين. وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة لاتبعتم الشيطان إلا قليلا يعني كلكم واستشهد استنبطت ذلك الأمر ومعنى يستنبطونه أي يستخرجونه من معادنه. يقال: استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قعورها وقوله لاتبعتم الشيطان نساءه ونزلت هذه الآية وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا أكبر وذكر الحديث بطوله. وعند مسلم فقلت: أطلقتهن فقال لا فقلت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فاستفهمه أطلقت نساءك؟ فقال لا فقلت الله يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ولنذكر ههنا حديث عمر بن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجاء من غير تثبت ولا تدبر ولا تبين وفي سنن أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنس مطية الرجل زعموا وفي الصحيح من حدث بحديث وهو عاصم به مرسل وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال: أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من حديث معاذ بن هشام العنبري وعبد الرحمن بن مهدي وأخرجه أبو داود أيضا من حديث حفص بن عمرو النمري ثلاثتهم عن شعبه عن حبيب عن حفص بن أن يحدث بكل ما سمع وكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن محمد بن الحسين بن أشكاب عن علي بن حفص عن شعبه مسندا ورواه مسلم أيضا شعبة حدثنا علي بن حفص حدثنا شعبه عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كفى بالمرء كذبا به إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة. وقد قال مسلم في مقدمة صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي وقوله وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا

والله أشد بأسا وأشد تنكيلا أي هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض الآية. 84 الذين كفروا أي بتحريضك إياهم على القتال تنبث همهم على مناجزة الأعداء ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ومقاومتهم ومصابرتهم. وقوله تعالى في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله رواه مسلم. وقوله عسى الله أن يكف بأس له الجنة قال: فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى يرفع الله العبد بها مائة درجة أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبياً وجبت الله فأسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة وروى من حديث عبادة ومعاذ وأبي الدرداء نحو ذلك. وعن يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك؟ فقال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتهم آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا: السموات والأرض وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين أي على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عليه كما قال لهم صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يوم بدر وهو يسوي الصفوف قوموا إلى جنة عرضها عليه وسلم فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرز المؤمنين الآية قال لأصحابه قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا حديث غريب وقوله وحرز النضر العسكري حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الحرثي حدثنا محمد بن حمير حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكذا رواه ابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش وعلي بن صالح عن أبي إسحاق عن البراء به ثم قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة قال: لا إن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وقال فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك إنما ذلك في النفقة. الله لا تكلف إلا نفسك وحرز المؤمنين ورواه الإمام أحمد عن سليمان بن داود عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على بن عازب عن الرجل يلقي المائة من العدو فيقاتل فيكون ممن قال الله فيه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال: قد قال الله تعالى لنبيه فقاتل في سبيل قال لا تكلف إلا نفسك قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن عمرو بن نبيح حدثنا حكام حدثنا الجراح الكندي عن أبي إسحاق قال: سألت البراء يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يباشر القتال بنفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولهذا

له وعليك فقال له الرجل: يا نبي الله بأبي أنت وأمي أذاك فلان وفلان فسلمنا عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت علي فقال إنك لم تدع لنا شيئا. 85

تفسیر ابن کثیر

اللَّهُ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال: الرملة حدثنا عبد الله بن السري الأنطاكي حدثنا هشام بن لاحق عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى أوردوها أي إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم أو ردوا عليه بمثل ما سلم فالزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة. قال ابن جرير: حدثنا موسى بن رواحة وسأله رجل عن قول الله تعالى وكان الله على كل شيء مقيتا قال مقيت لكل إنسان بقدر عمله وقوله وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها المواقب وقال الضحاك: المقيت الرزاق. وقال ابن حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبدالرحيم بن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل عن رجل عن عبدالله وقتادة ومطر الوراق مقيتا أي حفيظا وقال مجاهد شهيدا وفي رواية عنه حسيبا. وقال سعيد ابن جبیر السدي وابن زيد قديرا وقال عبدالله بن كثير المقيت بعضهم لبعض وقال الحسن البصري قال الله تعالى من يشفع ولم يقل من يشفع وقوله وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس وعطية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس عليه خير كان له نصيب من ذلك ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته كما ثبت في الصحيح وقوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها أي من يسعى في أمر فيترب

عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم. 86

يفعل لأنه خالف أمر الله في قوله فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم. 86

الثوري عن رجل عن الحسن البصري قال: السلام تطوع والرد فريضة. وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة أن الرد واجب على من سلم عليه فيأثم إن لم

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام وإذ لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه. وقال سفيان

الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السلام عليكم فقل وعليك وفي صحيح مسلم

يرد بأحسن مما حياه به فإن بلغ المسلم غاية ما شرع في السلام رد عليه مثل ما قال فأما أهل الذمة فلا يبدؤون بالسلام ولا يزدون بل يرد عليهم بما ثبت في

بأحسن منها أو ردوها. وقال قتادة: فحيوا بأحسن منها يعني للمسلمين أو ردوها يعني لأهل الذمة وهذا التنزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من أن المراد أن

الرواسي عن الحسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا ذلك بأن الله يقول فحيوا

البرار: قد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه هذا أحسنها إسنادا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن حرب الموصلي حدثنا حميد بن عبد الرحمن

بن كثير وأخرجه الترمذي والنسائي والبخاري ثم قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وفي الباب عن أبي سعيد وعلي وسهل بن حنيف وقال

فرد عليه ثم جلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه السلام ثم جلس فقال ثلاثون وكذا رواه أبو داود عن محمد

جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم يا رسول الله فرد عليه السلام ثم جلس فقال عشر ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله

وسلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير أخو سليمان بن كثير حدثنا جعفر بن سليمان عن عوف عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين أن رجلا

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم

بن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان فذكره مثله ولم أره في المسند والله أعلم

بن الحسن والترمذي: حدثنا عبد الله بن السري أبو محمد الأنطاكي قال أبو الحسن وكان رجلا صالحا: حدثنا هشام بن لاحق فذكر بإسناده مثله ورواه أبو بكر

قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فرددناها عليك وهكذا رواه ابن أبي حاتم معلقا فقال: ذكر عن أحمد

فيجازى كل عامل بعمله وقوله تعالى ومن أصدق من الله حديثاً أي لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعدته ووعدته فلا إله إلا هو ولا رب سواه. 87 لقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه وهذه اللام موطئة للقسم فقوله الله لا إله إلا هو خبر وقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد وقوله الله لا إله إلا هو إخبار بتوحيده وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات وتضمن قسماً

ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا أي لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه. 88
بما كسبوا أي ردهم وأوقعهم في الخطأ قال ابن عباس أركسهم أي أوقعهم وقال قتادة أهلكهم وقال السدي أضلهم وقوله بما كسبوا أي بسبب عصيانهم
شأن عبدالله بن أبي حين استعذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر في قضية الإفك وهذا غريب وقيل غير ذلك وقوله تعالى والله أركسهم
أبي سلمة بن عبدالرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا وقال زيد بن أسلم عن ابن لسعد بن معاذ أنها نزلت في تقاoul الأوس والخزرج في
وأموالهم فكانوا كذلك ففتين والرسول عندهم لا ينهي واحدا من الفريقين عن شيء فنزلت فما لكم في المنافقين ففتين. رواه ابن أبي حاتم وقد روى عن
وقالت فنة أخرى من المؤمنين سبحانه الله أو كما قالوا أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم
فليس علينا منهم بأس وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فنة من المؤمنين اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم:
عن ابن عباس نزلت في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا إن لقينا أصحاب محمد
بن يسار في وقعة أحد أن عبدالله بن أبي ابن سلول رجع يومئذ بثل الجيش رجع بثلاثمائة وبقي النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة وقال العوفي
الله صلى الله عليه وسلم إنها طيبة وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة وقد ذكر محمد بن إسحاق

تفسير ابن كثير

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول: لا هم المؤمنون فأنزل الله فما لكم في المنافقين فنتين فقال رسول بهز حدثنا شعبة قال عدي بن ثابت أخبرني عبدالله بن يزيد عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان يقول تعالى منكرًا على المؤمنين في اختلافهم في المنافقين على قولين: واختلف في سبب ذلك فقال الإمام أحمد حدثنا

واقتلوه حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليًا ولا نصيرًا أي لا توالوهم ولا تستنصروا بهم على أعداء الله ما داموا كذلك ثم استثنى الله من هؤلاء. 89 ولهذا قال فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا أي تركوا الهجرة قاله العوفي عن ابن عباس وقال السدي أظهروا كفرهم فخذوهم وقوله ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء أي هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم

ظلمًا أي كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك فعامل الناس في ذرياتهم إذا وليتهم ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامى ظلماً فإنما يأكل في بطنه نارًا. 90 اليتامى ولا يأكلوها إسرافاً وبداراً حكاية ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ورثة الميت أغنياء استحب للميت أن يستوفي في وصيته الثلث وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث وقيل: المراد بالآية فليتقوا الله في مباشرة أموال الصحيح عن ابن عباس قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الثلث والثلث كثير قال الفقهاء: إن كان قال فالثلث قال الثلث والثلث كثير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي عليه وسلم لما دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده قال: يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأصدق بثلثي مالي قال لا قال: فالشطر قال لا للصواب فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة وهكذا قال مجاهد وغير واحد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي طلحة عن ابن عباس: هذا في الرجل يحضره الموت فيسمعه رجل يوصي بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ويسدده وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية. قال علي بن

من بني هاشم مع المشركين فحضرهم القتال وهم كارهون كالعباس ونحوه ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره. 90 وألقوا إليكم السلم أي المسالمة فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً أي فليس لكم أن تقتلوهما ما دامت حالهم كذلك وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر أيضاً أن يقاتلوا قومهم معكم بل هم لا لكم ولا عليكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم أي من لطفه بكم أن كفهم عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم قوم آخرون من المستثنين من الأمر بقتالهم وهم الذين يجيئون إلى المصاف وهم حصرت صدورهم أي ضيقة صدورهم مبغضين أن يقاتلوكم ولا يهون عليهم عن ابن عباس أنه قال نسخها قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية. وقوله أو جاءوكم حصرت صدورهم الآية. هؤلاء صلح الحديبية فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم ومن أحب أن يدخل في صلح محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعهدهم. وقد روى الله إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم وهذا أنسب لسياق الكلام. وفي صحيح البخاري في قصة قريش أسلموا معهم فأنزل الله ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة وقال فأنزل الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أسلمت أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام وإن لم يسلموا لم تخشن قلوب قومك عليهم فأخذ رسول أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت أنشدك النعمة فقالوا صه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه ما تريد؟ قال بلغني بن جددان عن الحسن أن سراقاً بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل بدو وأحد وأسلم من حولهم قال سراقاً بلغني ذمة فاجعلوا حكمهم كحكمهم وهذا قول السدي وابن جرير. وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد فقال إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أي إلا الذين لجأوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد

أيديهم أي عن القتال فخذوهم أسراء واقتلوهم حيث ثقفتهم أي أين لقيتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً أي بينا واضحاً. 91 يبتغون بذلك أن يأمّنوا ههنا وههنا فأمر بقتلهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا ولهذا قال تعالى فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم والمهادنة والصلح ويكفوا ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في قوم من أهل مكة كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان تعالى وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم الآية. وقال ههنا كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها أي انهكموا فيها. وقال السدي الفتنة ههنا الشرك. وحكى بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ويصانعون الكفار في الباطن فيعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم وهم في الباطن مع أولئك كما قال هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم ولكن هؤلاء غير نية أولئك فإن هؤلاء قوم منافقون يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الإسلام ليأمنوا وقوله ستجدون آخرين يريدون أن يأمّنوكم ويأمنوا قومهم الآية.

آخرها قال نزلت في أهل الشرك. وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور حدثني سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن قوله. 92 بن أبيزي سئل ابن عباس عن قوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً الآية قال لم ينسخها شيء وقال في هذه الآية والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر إلى يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم فقال ما نسخها شيء. وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا ابن عون حدثنا شعبة عن سعيد بن جبيرة قال: قال عبدالرحمن طرق عن شعبة به ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن سفيان الثوري عن مغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله ومن

تفسير ابن كثير

عباس فسأله عنها فقال: نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاه جهنم هي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وكذا رواه هو أيضا ومسلم والنسائي من لا توبة لقاتل المؤمن عمدا. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا المغيرة بن النعمان قال سمعت ابن جبير قال اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت إلى ابن النار وفي الحديث الآخر من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقد كان ابن عباس يرى أنه وفي حديث آخر لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم وفي الحديث الآخر لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبه الله في المصري عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما فإذا أصاب دما حراما بلح الله صلى الله عليه وسلم أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود من رواية عمرو بن الوليد بن عبيدة ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا الآية والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل المؤمن ولا يذبح ولا يذبح ولا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق الآية وقال تعالى قل تعالوا أنل ما حرم ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله لما أخر بيانه عن وقت الحاجة وكان الله عليمًا حكيما قد تقدم تفسيره غير مرة. ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان حكم القتل العمد فقال لأن هذا مقام تهديد وتخويف فلا يناسب أن يذكر فيه الإطعام لما فيه من التسهيل والترخيص. والقول الثاني لا يعدل إلى الطعام لأنه لو كان واجبا لا يستطيع الصيام هل يجب عليه إطعام ستين مسكينا كما في كفارة الظهار على قولين أحدهما نعم كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار وإنما لم يذكر ههنا هل يقطع أم لا على قولين وقوله توبة من الله وكان الله عليمًا حكيما أي هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين: واختلفوا فيمن فصيام شهرين متتابعين أي لا إفطار بينهما بل يسرد صومهما إلى آخرهما فإن أفطر من غير عذر من مرض أو حيض أو نفاس استأنف واختلفوا في السفر من العلماء وقيل يجب في الكافر نصف دية المسلم وقيل ثلثها كما هو مفصل في كتاب الأحكام. ويجب أيضا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية. أي فإن كان القاتل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيْلهم فإن كان مؤمنا فدية كاملة وكذا إن كان كافرا أيضا عند طائفة فتحرير رقبة مؤمنة أي إذا كان القاتل مؤمنا ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير وقوله وإن كان من يكون في بيت المال وقوله إلا أن يصدقوا أي فتجب فيه الدية مسلمة إلى أهله إلا أن يتصدقوا بها فلا تجب وقوله فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن وقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد وبعث عليا فودي قتلاهم وما أتلف من أموالهم حتى ميلغة الكلب وهذا الحديث يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه خزيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صابنا صابنا فجعل خالد يقتلهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يده الدية لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثا لشبهة العمد وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني صلي الله عليه وسلم فقضى أن دية جنيها غرة عبد أو أمة وقضى بدية المرأة على عاقلتها وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: اقتصت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاخصموا إلى رسول الله مخالفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدية على العاقلة وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث وقد روى عن عبد الله موقوفا كما روى عن علي وطائفة وقيل تجب أرباعا وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله قال الشافعي رحمه الله لم أعلم بنت مخاض وعشرين بنت لبون وعشرين جذعة وعشرين حقة لفظ النسائي قال الترمذي لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن زيد بن بن جبير عن خشف بن مالك عن ابن مسعود قال قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دية الخطأ عشرين إلى أهله هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتل عوضا لهم عما فاتهم من قتلهم وهذه الدية إنما تجب أخماسا كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن صلى الله عليه وسلم أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعتقها فإنها مؤمنة وقوله وديه مسلمة مسلم وسنن أبي داود والنسائي من طريق هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء قال لها رسول الله قال أتؤمنين بالبعث بعد الموت قالت نعم قال أعتقها وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره. وفي موطأ مالك ومسنن الشافعي وأحمد وصحيح عتق رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها فقال لها رسول الله أتشهدين أني رسول الله؟ قال نعم أنبأنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن على أنه إن كان مولودا بين أبوين مسلمين أجزأ وإلا فلا والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلما صح عتقه عن الكفارة سواء كان صغيرا أو كبيرا قال الإمام أحمد حتى يكون قاصدا للإيمان وروى من طريق عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال في مصحف أبي فتح تحرير رقبة مؤمنة لا يجزئ فيها صبي. واختار ابن جرير شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزئ الكافرة وحكى ابن جرير عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري أنهم قالوا لا يجزئ الصغير قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله هذان واجبان في قتل الخطأ أحدهما الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ ومن كلمته فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال إنما قالها متعوذا فقال له هل شققت عن قلبه وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء. وقوله ومن فأنزل الله هذه الآية قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت في أبي الدرداء لأنه قتل رجلا وقد قال كلمة الإيمان حين رفع عليه السيف فأهوى به إليه فقال وهو الحارث بن يزيد الغامدي فأضر له عياش السوء فأسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لا يشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه فحمل عليه فقتله هذه فقال مجاهد وغير واحد نزلت في عياش ابن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأنه وهى أسماء بنت مخزومة وذلك أنه قتل رجلا يعذبه مع أخيه على الإسلام

تفسير ابن كثير

خطأ قالوا هو استثناء منقطع كقول الشاعر: إن البيض لم تظعن بعيدا ولم تطأ على الأرض إلا ريط برد مرحل ولهذا شواهد كثيرة واختلف في سبب نزول والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من أحاد الرعية أن يقتله وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه وقوله إلا عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم بشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس يقول تعالى ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين

أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار . 93 زيادة ولا نقصان فغضب فقال: إن أحدمكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رواه أبو داود والنسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة به ولفظ أبي داود عن الغريف بن الديلمي قال: أتينا وائلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه الله عليه وسلم قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب فقال أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار وكذا بن إسحاق حدثنا ضمرة بن ربيعة عن إبراهيم بن أبي عبلة عن الغريف الديلمي قال: أتينا وائلة بن الأسقع الليثي فقلنا حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من بني سليم فقالوا إن صاحبنا لنا قد أوجب قال فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال أحمد حدثنا إبراهيم الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عامر بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن الغريف بن عباس عن وائلة بن الأسقع قال: أتى النبي صلى بين هاتين الصورتان وبين الصلاة المتروكة عمدا فإنهم يقولون بوجوب قضائها إذا تركت عمدا وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه عمدا كما أجمعوا على ذلك في الخطأ. وأصحاب الإمام أحمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه وكذا اليمين الغموس ولا سبيل لهم إلى الفرق نعم يجب عليه لأنه إذا وجبت عليه الكفارة في الخطأ فلائ تجب عليه في العمد أولى فطردوا هذا في كفارة اليمين الغموس واعتذروا بقضاء الصلاة المتروكة كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ على قولين فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون أن يقتلوا أو يعفوا أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثا ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة كما هو مقرر في كتاب الأحكام واختلف الأئمة هل تجب عليه في الدنيا وأحكام في الآخرة فأما في الدنيا فتسلط أولياء المقتول عليه قال الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا الآية. ثم هم مخبرون بين يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم ثم لقاتل العمد أحكام فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ثم والمسرورق منه والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة ولكنه لابد من ردها إليهم في صحة التوبة الله لا يغفر له البتة وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة ولكن لابد من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول متعمدا فعسى للترجي فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا تنفي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الأدلة وأما من مات كافرا فالنص أن يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان وأما حديث معاوية كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا الجمهور حيث لا عمل له صالحا ينجو به فليس بمخلد فيها أبدا بل الخلود هو المكث الطويل وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد والله أعلم بالصواب وبتقدير دخول القاتل في النار أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له أو على قول إن جوزي عليه وكذا كل وعيد على ذنب لكن قد يكون ذلك معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قول أصحاب الموازنة والإحباط بن جامع العطار عن العلاء بن ميمون العنبري عن حجاج الأسود عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا ولكن لا يصح ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية. فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف هذا جزاؤه إن جازاه وقد رواه ابن مردويه بإسناده مرفوعا من طريق محمد الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأخرى لأن الله وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم وبعث نبينا بالحنيفية السمحة. فأما الآية الكريمة وهي قوله ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه فهاجر إليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلائ يكون في هذه وقبلها لتقوية الرجاء والله أعلم. وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم سأل عالما هل لي من توبة فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية من رحمة الله الآية وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك كل من تاب أي من ذلك تاب الله عليه قال الله تعالى إن المشركين وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر ويحتاج حمله إلى دليل والله أعلم. وقال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا عن طابعتهم قال الله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية. وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل فإن تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملا صالحا بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه المساءة في وجهه فقال إن الله أبى على من قتل مؤمنا ثلاثا. ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر حتى قال الثالثة والله يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تعودا من القتل فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف الله عليه وآله وسلم عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبته ثم قال أيضا يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تعودا من القتل فأعرض عنه وعمن قبله من فبلغ القاتل فيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم يخاطب إذ قال القاتل: والله ما قال الذي قال إلا تعودا من القتل قال فأعرض رسول الله صلى شاهرًا سيفه فقال الشاد من القوم إنني مسلم فلم ينظر فيما قال قال: فضربه فقتله فتمى الحديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولًا شديدا

تفسير ابن كثير

حديثك فقال: حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأغارت على قوم فشد مع القوم رجل فاتبه رجل من السرية قال: أنا أبو العالية أنا وصاحب لي فقال لنا: هلما فأنتما أشب سنا مني وأوعى للحديث مني فانطلق بنا إلى بشر بن عاصم فقال له أبو العالية حدث هؤلاء مؤمنا متعمدا فقد كفر بالله عز وجل وهذا حديث منكر أيضا فإسناده تكلم فيه جدا. قال الإمام أحمد حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن طريق بقية بن الوليد عن نافع بن يزيد حدثني ابن جبير الأنصاري عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل إلا من مات مشركا أو من قتل مؤمنا متعمدا وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه. والمحفوظ حديث معاوية المتقدم فإله أعلم. ثم روى ابن مردويه بن دهقان حدثنا ابن زكريا قال: سمعت أم الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره محمد بن المثنى عن صفوان بن عيسى به وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا سمويه حدثنا عبد الأعلى بن مسهر حدثنا صدقة بن خالد حدثنا خالد يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا. وكذا رواه النسائي عن بن سليمان به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي إدريس قال سمعت معاوية رضي الله عنه العزة لفلان قال فإنها ليست له بؤ بإثمته قال فيهوى في النار سبعين خريفا وقد رواه النسائي عن إبراهيم بن المستمير العوفي عن عمرو بن عاصم عن معتمر هذا ضيم قتلني؟ قال فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول فإنها لي قال ويجيء آخر متعلقا بقاتله فيقول رب سل هذا قيم قتلني؟ قال فيقول قتلته لتكون بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة أخذ رأسه بيده الأخرى فيقول يا رب سل ح حدثنا عبد الله بن جعفر وحدثنا إبراهيم بن فهد قال حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن الأعمش عن ابن عمرو بن شرحبيل حاتم وفي الباب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في تفسيره حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي أنه لا توبة له من السلف زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك بن مزاحم نقله ابن أبي عن عمار الذهبي ويحيى الجابري وثابت الثمالي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس فذكره وقد روى هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة وممن ذهب إلى تشخب أوداجه دما من قبل العرش يقول يا رب سل عبدك فيم قتلني وقد رواه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عينة بالتوبة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثكلته أمه رجل قتل رجلا متعمدا يجيء يوم القيامة أخذًا قاتله بيمينه أو بيساره أو أخذًا رأسه بيمينه أو بشماله قبض رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم وما نزل الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال وأنى له عن ابن عباس أن رجلا أتى إليه فقال أرأيت رجلا قتل رجلا عمدا؟ فقال جزاؤه جهنم خالدا فيها 9 الآية. قال لقد نزلت من آخر ما نزل ما نسخها شيء حتى الله عليه وآله وسلم وما نزل بعدها من برهان. وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت يحيى بن المجيز يحدث عن سالم بن أبي الجعد بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول يا رب سل هذا فيم قتلني وإيم الذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمدا جاء يوم القيامة أخذ بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن يلزم قاتله فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. قال أفرأيت إن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بن أبي الجعد قال كنا عند ابن عباس بعدما كف بصره فأراه رجلا فناداه يا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا؟ فقال جزاؤه جهنم خالدا ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال إلا من ندم. حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال حدثنا جرير عن يحيى الجابري عن سالم ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وقوله فتبينوا تأكيد لما تقدم وقوله إن الله كان بما تعملون خبيرا قال سعيد بن جبير هذا تهديد ووعد. 94 قوله كذلك كنتم من قبل لم تكونوا مؤمنين فمن الله عليكم أي تاب عليكم فحلف أسامة لا يقاتل رجلا يقول لا إله إلا الله بعد ذلك الرجل وما لقي من كنتم من قبل ستخفون بإيمانكم كما استخفى هذا الراعي بإيمانه. وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم وذكر عن قيس عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله كذلك كنتم من قبل تخفون إيمانكم في المشركين ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن سعيد بن جبير في قوله كذلك وكما قال تعالى واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض الآية. وهذا مذهب سعيد بن جبير لما رواه الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير هذا وقوله كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم أي قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه كما تقدم في الحديث المرفوع أنفا. ألقى إليكم السلام وأظهر لكم الإيمان فتغافلت عن أهتمامهم بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فما عند الله من الرزق الحلال خير لكم من مال فقتلته وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل وقوله فعند الله مغانم كثيرة أي خير مما رغبت فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم يا رسول الله إن رجلا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال ادعوا لي المقداد يا مقداد أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غدا قال له رجل من أصحابه أقتلت رجلا شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأهوى إليه المقداد فقتله فقال حدثنا جعفر بن سلمة حدثنا أبو بكر بن علي بن مقدم حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل هكذا ذكره البخاري معلقا مختصرا وقد روى مطولا موصولا. فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حماد بن علي البغدادي عمرة عن سعيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فكذلك يعظكم ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه الحجارة فنزلت يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وقال البخاري قال حبيب بن أبي فما مضت له سابعة حتى مات ودفنوه فلفظته الأرض فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يرددين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه وسلم فتكلم فيه عيينة والأقرع فقال الأقرع يا رسول الله سر اليوم وغر غدا فقال عيينة لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي فجاء محلم في مبعثا فلقاهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام وكانت بينهم إحنة في الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه تفرد به أحمد. وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن أبي إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محلم بن جثامة ومتيعه. فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله إلى قوله تعالى خبيرا الأشجعي على فعود له معه متيع له ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره إلى إضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط أبي عن محمد بن إسحاق حدثنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرني فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله الآية. وأما قصة محلم بن جثامة فقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يعقوب حدثني في عمالية الليل وكان قد قال لهم إنه مسلم فلم يقبلوا منه فقتلوه فقال أبوه فقدتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ألف دينار ودية أخرى وقد في ترجمة: أن أخاه فزارا هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر أبيه بإسلامهم وإسلام قومهم فلقبته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمة فنزلت ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سفيان بن عيينة به ابن عباس عليه السلام وقال سعيد بن منصور حدثنا منصور عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال: لحق المسلمون رجلا في غنيمة له فقال فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمة فأنزل الله في ذلك ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قال ابن عباس عرض الدنيا تلك الغنيمة وقرأ عن عمرو بن دينار عن عطاء بن عباس ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون الأئمة الكبار الثاني أن عكرمة محتج به في الصحيح الثالث أنه مروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس كما قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان محلم بن جثامة وقال بعضهم أسامة بن زيد وقيل: غير ذلك قلت وهذا كلام غريب وهو مردود من وجوه أحدها أنه ثابت عن سماك حدث به عنه غير واحد من له مخرج عن سماك إلا من هذا الوجه ومنها أن عكرمة في روايته عندهم نظر ومنها أن الذي نزلت فيه هذه الآية عندهم مختلف فيه فقال بعضهم نزلت في كتبه غير التفسير وقد رواه من طريق عبدالرحمن فقط وهذا خبر عندنا صحيح سنده وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيما لعل منها أنه لا يعرف به ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى وعبدالرحيم بن سليمان كلاهما عن إسرائيل به. وقال في بعض بن أبي رزمة عن إسرائيل به ثم قال هذا حديث حسن صحيح. وفي الباب عن أسامة بن زيد ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إلى آخرها. ورواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن حميد عن عبدالعزيز قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يري غنما له فسلم عليهم فقالوا لا يسلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا إليه فقتلوه قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن أبي بكير وخلف بن الوليد وحسين بن محمد قالوا حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس

عظيما ثم أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات في غرف الجنان العاليات ومغفرة الذنوب والزلات وأحوال الرحمة والبركات إحسانا منه وتكريما. 95 أي الجنة والجزاء الجزيل. وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض. على الكفاية. قال تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتهم جسوما وسرنا نحن أرواحا إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحا وقوله وكلا وعد الله الحسنى ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه قالوا وكيف يا رسول الله يكونون معنا فيه؟ قال نعم حبسهم العذر لفظ أبي داود وفي هذا المعنى قال الشاعر: يا بن سلمة عن حميد عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتهم من مسير ولا أنفقتهم من نفقة بالمدينة يا رسول الله؟ قال نعم حبسهم العذر وهكذا رواه أحمد عن محمد بن عدي عن حميد عن أنس به وعلقه البخاري مجزوما ورواه أبو داود عن حماد معاوية عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة أقواما ما سرتهم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه قالوا وهم ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين قال ابن عباس: غير أولي الضرر وكذا ينبغي أن يكون كما ثبت في صحيح البخاري من طريق زهير بن أولي الضرر صار ذلك مخرجا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد من العمى والعرج والمرضى عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أولي الضرر. هذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه فقلوه لا يستوي القاعدون من المؤمنين كان مطلقا فلما نزل بوحى سريع غير على القاعدين درجة فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر وفضل الله المجاهد بن على القاعدين أجرا عظيما درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر وفضل الله المجاهدين ابن جريج عن عبدالكريم عن مقسم عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر عن بدر والخارجون إلى بدر. ولما نزلت غزوة بدر قال

تفسير ابن كثير

أخبره أن ابن عباس أخبره لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر انفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه الترمذي من طريق حجاج عن في سبيل الله رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبدالرازق أخبرنا ابن جريج أخبرني عبدالكريم هو ابن مالك الجريدي أن مقسما مولى عبدالله بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى خشيت أن ترزها ثم سري عنه ثم قال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون الله . فجاء عبد الله ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله إني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى وذهب بصري قال زيد فثقلت فخذ عن قبيصة بن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل أبو داود عن سعيد بن منصور عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه به نحوه. وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر أنبأنا الزهري المؤمنين والمجاهدون فقال النبي صلى الله عليه وسلم غير أولى الضرر قال زيد فألحقها فوالله كأنني أنظر إلى ملحقتها عند صدع كان في الكتف. ورواه عليه وسلم السكينة فوقعته فخذته على فخذي فوجدت ممن ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم سري عنه فقال اقرأ فقرأت عليه لا يستوي القاعدون من بن يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ومن هو أعمى وأشبه ذلك قال زيد فوالله ما قضى كلامه أوما هو إلا أن قضى كلامه غشيت النبي صلى الله من المؤمنين والمجاهدون إلى قوله أجرا عظيما فكتبت ذلك في كتف فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمى فقال حين سمع فضيلة المجاهد فلا والله ما وجدت شيئا قط أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سري عنه فقال اكتب يا زيد فأخذت كتفا فقال اكتب لا يستوي القاعدون قال زيد بن ثابت: إني قاعد إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم إذ أوحى إليه وغشيت السكينة قال فرفع فخذته على فخذي حين غشيت السكينة قال زيد به البخاري دون مسلم وقد روي من وجه آخر عند الإمام أحمد عن زيد فقال حدثنا سليمان بن داود أنبأنا عبدالرحمن عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال: الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فخذته على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترضى فخذي ثم سري عنه فأنزل الله غير أولى الضرر تفرد من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملئها علي قال يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل بن الحكم في المسجد قال فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى علي لا يستوي القاعدون الله قال البخاري أيضا حدثنا إسماعيل بن عبدالله حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل صلى الله عليه وسلم ادع فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتب فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف ضرارته فأنزل الله غير أولى الضرر حدثنا محمد بن يوسف عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها فجاء ابن أم مكتوم فشكا قال البخاري حدثنا حفص بن عمر حدثنا

عليه وسلم من رمى بسهم فله أجره درجة فقال رجل يا رسول الله وما الدرجة ؟ فقال أما إنها ليست بعتبة أمك. ما بين الدرجتين مائة عام. 96 في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله ولهذا قال وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين ألم نصل إلى قبلك ونشهد شهادتك قال يا عباس إنكم خاصتم فخصتم ثم تلا عليه هذه الآية ألم تكن أرض الله واسعة رواه ابن أبي حاتم. 97 معه فإنه مثله وقال السدي: لما أسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس افد نفسك وابن أخيك فقال يا رسول الله بن يزيد حدثني حبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة عن سمرة بن جندب أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جامع المشرك وسكن الله واسعة الآية: وقال أبو داود حدثنا محمد بن داود بن سفيان حدثني يحيى بن حسان أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة فيم كنتم أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة قالوا كنا مستضعفين في الأرض أي لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض قالو ألم تكن أرض إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم أي بترك الهجرة قالوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من بن المغيرة وأبو منصور بن الحجاج والحارث بن زمة قال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وخرجوا الناس من يقول أمانا بالله الآية. قال عكرمة: نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالإسلام بمكة منهم علي بن أمية بن خلف وأبو قيس بن الوليد ظالمي أنفسهم الآية قال فكتب إلى من بقى من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم التقية فنزلت هذه الآية ومن بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قال المسلمون كان أصحابنا مسلمين وأكروها فاستغفروا لهم فنزلت إن الذين توفاهم الملائكة أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا محمد بن شريك المكي حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون عنقه فيقتل فأنزل الله إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . رواه الليث عن أبي الأسود. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سوادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي قال: أخبرني ابن عباس قال البخاري: حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة وغيره قال حدثنا محمد بن عبدالرحمن

تفسير ابن كثير

من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال مجاهد وعكرمة والسدي يعني طريقا. 98 وقوله إلا المستضعفين إلى آخر الآية هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة وذلك أنهم لا يقدرين على التخلص

وقال البخاري: أنبأنا النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب بن أبي مليكة عن ابن عباس قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله عز وجل. 99 الوجه كما تقدم وقال عبدالرزاق أنبأنا ابن عبيدة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان. وعياش بن أبي ربيعة وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا عبدالله أو إبراهيم بن عبدالله القرشي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وضعفة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أيدي الكفار وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا حجاج حدثنا حماد عن علي بن زيد عن هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده بعدما سلم وهو مستقبل القبلة فقال اللهم خلص الوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر المقري حدثني عبدالوارث حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء إذ قال سمع الله لمن حمده ثم قال قيل أن يسجد تعالى فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم أي يتجاوز عنهم بترك الهجرة وعسى من الله موجبة وكان الله غفورا رحيما قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا وقوله

سورة 5

الأحوال فحرموا الصيد في حال الإحرام فإن الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه ولهذا قال تعالى إن الله يحكم ما يريد. 1 فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم أي أبحنا تناول الميتة للمضطر بشرط أن يكون غير باغ ولا متعد وهكذا هنا أي كما أحلنا الأنعام في جميع من الإنسي ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام وقيل المراد أحلنا لكم الأنعام إلا ما استثنى منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام لقوله وأنتم حرم قال بعضهم هذا منصوب على الحال والمراد بالأنعام ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم وما يعم الوحش كالظباء والبقر والحمر فاستثنى ولهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم أي إلا ما سئلت عليكم من تحريمه بعضها في بعض الأحوال وقوله تعالى غير محلي الصيد فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه العوارض ولهذا قال إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب يعني منها فإنه حرام لا يمكن إستدراكه وتلاحقه والله أعلم أن المراد بذلك قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتريدة والطيحة وما أكل السبع عليكم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني بذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وقال قتادة: يعني بذلك الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه والظاهر القداح المكي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ذكاة الجنين ذكاة أمه تفرد به أبو داود وقوله إلا ما يتلى أمه وقال الترمذي: حديث حسن قال أبو داود حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عتاب بن بشير حدثنا عبيد الله بن أبي زياد جبير بن نوفل عن أبي سعيد قال: قلنا يا رسول الله نحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين أنلقه أم نأكله فقال: كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة إباحة الجنين إذا وجد ميتا في بطن أمه إذا ذبحت و قد ورد في ذلك حديث في السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجاهد عن أبي الوداك هي: الإبل والبقر والغنم قاله: أبو الحسن وقتادة وغير واحد قال ابن جرير: وكذلك هو عند العرب وقد استدلل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية على المتعقب لعقد البيع وليس هذا منافيا للزوم العقد بل هو من مقتضياته شرعا فالتزامه من تمام الوفاء بالعقود. وقوله تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وفي لفظ آخر للبخاري إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وهذا صريح في إثبات خيار المجلس ومالك وخالفهما في ذلك الشافعي وأحمد والجمهور: والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذهب إلى أنه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية أوفوا بالعقود قال فهذه تدل على لزوم العقد وثوبته فيقتضي نفى خيار المجلس وهذا مذهب أبي حنيفة وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين وقال محمد ابن كعب: هي خمسة منها: حلف الجاهلية وشركة المفاوضة وقد استدلل بعض من صلى الله عليه وسلم والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام. وقال زيد بن أسلم: أوفوا بالعقود قال هي ستة: عهد الله الله به أن يوصل إلى قوله سوء الدار وقال الضحاك: أوفوا بالعقود قال: ما أحل الله وحرم وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكثوا ثم شدد في ذلك فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يعني العهود يعني ما أحل والذين هم محسنون قوله تعالى أوفوا بالعقود قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني بالعقود العهود وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك قال: والعهود أوفوا بالعقود عهد من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم فكتب له كتابا وعهدا أمره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا

تفسير ابن كثير

عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعثه إلى بالعقود فكتب الآيات منها حتى بلغ إن الله سريع الحساب وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد حدثنا يونس بن بكر حدثنا محمد بن إسحاق حدثني الله عليه وسلم الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى نجران وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم فيه: هذا بيان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا الأثر والله أعلم. وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس قال: قال محمد بن مسلم: قرأت كتاب رسول الله صلى في الأنفال التي فيها المعاتبة على أخذ الفداء عمت جميع من أشار بأخذه ولم يسلم منها إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعلم بهذا وبما تقدم ضعف هذا ندبا لا إيجابا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل فلم يصدر من أحد منهم خلافه. وقوله عن علي أنه لم يعاتب في شيء من القرآن فيه نظر أيضا فإن الآية التي إلا علي ونزل قوله أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم الآية. وفي كون هذا عتابا نظره فإنه قد قيل إن الأمر كان قوله فلم يبق أحد من الصحابة إلا عوتب في القرآن إلا عليا إنما يشير به إلى الآية الأمرة بالصدقة بين يدي النجوى فإنه قد ذكر غير واحد أنه لم يعمل بها أحد نظر. وقال البخاري عيسى بن راشد هذا مجهول وخبره منكر قلت وعلي بن بزيمة وإن كان ثقة إلا أنه شيعي غال وخبره في مثل هذا فيه تهمة فلا يقبل النبي صلى الله عليه وسلم أحد إلا قد عوتب في القرآن إلا عليا بن أبي طالب فإنه لم يعاتب في شيء منه. فهو أثر غريب ولفظه فيه نكارة وفي إسناده بن راشد عن علي بن بزيمة عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية يا أيها الذين آمنوا إلا أن عليا سيدها وشريفها وأميرها وما من أصحاب القرآن يا أيها الذين آمنوا فافعلوا فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم وحدثنا أحمد بن سنان حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن خيثمة قال: كل شيء في فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه. وقال: حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم حدثنا الوليد حدثنا الأزاعي عن الزهري قال: إذا قال الله حدثنا مسعر حدثني معن وعوف أو أحدهما أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: أعهد إلي فقال إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك الله صلى الله عليه وسلم فقالت القرآن. ورواه النسائي من حديث ابن مهدي. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك فحرموه ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح وزاد وسألته عن خلق رسول فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت نعم فقالت أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن نصر قال قرئ على عبد الله بن وهب أخبرنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال: حججت روى الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن وهب بإسناده نحو رواية الترمذي ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الحاكم أيضا حدثنا أنزلت سورة المائدة والفتح ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وقد روى عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت إذا جاء نصر الله والفتح وقد راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل منها تفرد به أحمد وقد روى قتيبة عن عبد الله بن وهب عن حيي عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال آخر سورة حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبد الله بن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: أنزلت على وآله وسلم سورة المائدة وهو راكب على أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة فانطلق عنق الراحلة من ثقلها. وقال أحمد أيضا: حدثنا صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل عن عاصم الأحول قال: حدثني قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت إني لأخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله سورة المائدة.

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجور فيه بل هو الحكم العدل الحكيم القدير. 10

ثم قال

الله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعا لهم وقربة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم. 100 بن مالك بن نضلة عن أبيه به وليس فيه تفسير هذه الآية والله أعلم. وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون أي ما شرع عوف بن مالك من قوله وهو أشبه وقد روي هذا الحديث الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص عوف فلا يذبونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت علي حوض هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجا في الحديث. وقد روي من وجه آخر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص فهي التي يسببون لآلهتهم ويذهبون إلى آلهتهم فيسببونهم وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرننها فيقولون قد وصلت فهي التي يجدهون آذانها فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتروا فيها. وأما السائبة منها وتقول هذه حرم قلت نعم قال فلا تفعل إن كل ما آتاك الله لك حل ثم قال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام أما البحيرة وافية آذانها؟ قال قلت نعم قال وهل تنتج الإبل إلا كذلك؟ قال فلعلك تأخذ موسى فتقطع آذان طائفة منها وتقول هذه بحير وتشق آذان طائفة مال؟ قال قلت نعم قال من أي المال؟ قال: فقلت من كل المال من الإبل والغنم والخيول والرقائق قال فإذا آتاك الله مالا فكثر عليك ثم قال تنتج إبلك أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه مالك بن نضلة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في خلقان من الثياب فقال لي هل لك من الإبل فإذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية. وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم من طريق وبرأ ولا يمنعونه من حمى رعي ومن حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه. وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: أما الحام فمن الإبل كان يضرب في

تفسير ابن كثير

أبو روق وقتادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: وأما الحام فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا حمي هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئا ولا يجزون له للذكور دون الإناث وإن كانت ميتة اشتركوا فيها وأما الحامي فقال العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا لقح فحله عشرا قيل حام فاتركوه. وكذا قال إسحاق الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت فسموها الوصيلة ويقولون وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدهونها لطواغيتهم. وكذا روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقال محمد بن ابن أبي حاتم. وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب ولا وصيلة قال: فالوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر من الأنثى ثم تبت بأنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وإن كان أنثى استحيوها وإن كان ذكرا وأنثى في بطن واحد استحيوها وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا رواه له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا. وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع فإن كان ذكرا للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها. وقال السدي: كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته أو عوفي من مرض أو كثر ماله سبب شيئا من ماله للأوثان فمن عرض سببت فلم تركب ولم يجز وبرها ولم يحلب لبنها إلا الضيف وقال أبو روق السائبة كان الرجل إذا خرج ففضب حاجته سبب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها فإذا ولدت السابع ذكرا أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وقال محمد بن إسحاق السائبة هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهما ذكر وغيره قريبا من هذا وأما السائبة فقال مجاهد هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة إلا أنها ما ولدت من ولد كان بينها وبينه ستة أولاد كانت على هيئتها الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا هذه بحيرة. وذكر السدي قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا إلى آخر الآيات في ذلك فأما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي إلى الحجاز ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام عند ويطأنه بأخفافهما فعمرو هذا هو ابن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل فأدخل الأصنام هو يا رسول الله؟ قال رجل من بني مدلب كانت له ناقتان نجدهن آذانهما وحرم ألبانها ثم شرب ألبانها بعد ذلك فلقد رأيته في النار وهما يعضانه بأفواههما ومن هو يا رسول الله؟ قال عمرو بن لحي أخو بني كعب لقد رأيته يجر قصبه في النار تؤذي رانحته أهل النار وإني لأعرف أول من بحر البحائر قالوا ومن أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف أول من سبب السوائب وأول من غير دين إبراهيم عليه السلام قالوا وسلم قال إن أول من سبب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر أمعاه في النار تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال عبدالرزاق هذان الطريقان في الكتب. وقال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم السائبة وحمي الحامي ثم رواه عن هناد عن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله ليس أكنتم تخشى أن يضرنى شبهه يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم وبحر البحيرة وسبب عليه وسلم يقول لأكنتم بن الجون يا أكنتم رأيتم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيتم رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك فقال حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتم جهنم يحطم بعض بعضا ورأيتم عمرا يجر قصبه وهو أول من سبب السوائب تفرد به البخاري وقال ابن جرير: البخاري: حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبدالله الكرمانى حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ولم ينه عليه وفيما قاله الحاكم نظر فإن الإمام أحمد وأبا جعفر بن جرير روياه من حديث الليث بن سعد عن ابن الهاد عن الزهري نفسه والله أعلم ثم قال وقال الحاكم: أراد البخاري أن يزيد بن عبدالله بن الهاد رواه عن عبدالوهاب بن بخت عن الزهري كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزني في الأطراف وسكت أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ورواه ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد بن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والنسائي من حديث إبراهيم بن سعد به ثم قال البخاري: وقال لي أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: سمعت سعيدا يخبر بهذا قال: وقال ليس بينهما ذكر والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعداد فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي وكذا النار كان أول من سبب السوائب والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تتثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى والسائبة كانوا يسيبونها لألهتهم لا يحمل عليها شيء قال: وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتم عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس قال البخاري: حدثنا موسى بن

الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها. 101
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وفي الحديث الصحيح أيضا إن بيانها بينت لكم حينئذ لاحتياجكم إليها عفا الله عنها أي ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها وفي الصحيح عن رسول أو توضيق وقد ورد في الحديث أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتكم عن حليم وقيل المراد بقوله وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم أي لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد حين ينزل الوحي علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبين لكم وذلك على الله يسير ثم قال عفا الله عنها أي عما كان منكم قبل ذلك والله غفور

تفسير ابن كثير

به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه وقوله تعالى وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم أي وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتكم عن السؤال عنها سليم الصدر الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل قال أبو داود عن الوليد وقال الترمذي عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا عنها وتركتها وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا حجاج قال: سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى الهمداني عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم إلى آخر الآية في إسناده ضعف وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض أنمة الحرج والله لو أنني أحلت لكم جميع ما في الأرض وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه قال فأنزل الله عند ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا من السائل؟ فقال الأعرابي أنا ذا فقال ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا إنه إنما أهلك الذين من قبلكم الحج فقام رجل من الأعراب فقال: أفي كل عام؟ قال فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب ومكث طويلا ثم تكلم فقال بن يحيى عن صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال كتب عليكم وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف. وقال ابن جرير أيضا: حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري حدثنا أبو زيد عبدالعزيز أبي الغمر حدثنا ابن مطيع معاوية ابن جرير من طريق الحسين بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وقال فقام محسن الأسدي وفي رواية من هذه الطريق عكاشة بن محسن وهو أشبه ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حتى ختم الآية. ثم رواه فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال من السائل؟ فقال فلان فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت عبدالرحيم بن سليمان عن إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب عليكم الحج من طريق منصور بن وردان به وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه وسمعت البخاري يقول أبو البخاري لم يدرك عليا وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية وكذا رواه الترمذي وابن ماجه والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي كل عام؟ فسكت قال: ثم قالوا أفي كل عام؟ فقال لا وقال الإمام أحمد: حدثنا منصور بن وردان الأسدي حدثنا علي بن عبد الأعلى عن أبيه عن أبي البخاري وهو سعيد بن فيروز عن علي قال: لما نزلت هذه الآية الرجل تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري. خيثة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي؟ ويقول فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال الولد للفراس وللعاشر الحجر ثم قال البخاري حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو الله من أبي؟ فقال أبوك فلان فدعاه لأبيه. فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله وقال: يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما فقال سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبدالله بن حذافة وكان يطعن فيه فقال يا رسول أنه قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فقام خطيبا الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية إسناده جيد وقد ذكر هذه القصة مرسله غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدي وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من أبأونا قال فسكن غضبه ونزلت هذه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين أنا قال في النار فقام آخر فقال من أبي؟ فقال أبوك حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربا حدثنا الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه قط أكتت تأمن أن تكون أملك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رءوس الناس فقال والله لو ألحقني بعد أسود للحقته. وقال ابن جرير أيضا: الحائط أخرجاه من طريق سعيد ورواه معمر عن الزهري عن أنس بنحو ذلك أو قريبا منه. قال الزهري: فقالت أم عبدالله بن حذافة ما رأيت ولدا أعق منك بالله أو قال أعوذ بالله من شر الفتنة قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر في الخير والشر كاليوم قط صورت الجنة والنار حتى رأيتهما دون فيدعي إلى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي؟ قال أبوك حذافة قال ثم قام عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا عائذا بالله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلا لافا رأسه في ثوبه يبيكي فأنشأ رجل كان يلاحى صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينت لكم فأشفق أصحاب رسول يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله عن شعبة وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج به. وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من أبي؟ قال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء رواه النضر وروح بن عبادة قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط وقال فيها لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى أصحاب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر وقال البخاري: حدثنا منذر بن الوليد بن 0 عبدالرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءت لهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها لأنها إن

ثم قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا

في طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله لكن أكثرهم يجهلون. 102
أيماهم لنن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم
تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وقال تعالى وأقسموا بالله جهد
سؤال وقوع الآيات كما سألت قريش أن يجري لهم أنهارا وأن يجعل لهم الصفا ذهبا وغير ذلك وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء وقد قال الله
يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين رواه ابن جرير يعني عكرمة رحمه الله أن المراد بهذا النهي عن
عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى أنه قال بعدها ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا قال وأما عكرمة فقال: إنهم كانوا
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إلى قوله ثم أصبحوا بها كافرين رواه ابن جرير وقال خطيف عن مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا
إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله أعاما واحدا أم كل عام ؟ فقال لا بل أعاما واحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم ثم
أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم قال: لما نزلت آية الحج نادى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس
انتظروا فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم بيبانه رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
عن مثل الذي سألت عنه النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك وقال لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن
ولو وجبت ما استطعتم وإذا لكفرتم فأتروني ما تركتكم وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا وإذا نهيتكم عن شيء فانتهاوا عنه فأنزل الله هذه الآية نهاهم أن يسألوا
فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله أفي كل عام فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت
بل علي وجه الاستهزاء والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج
المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين أي بسببها أن بينت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد
قال تعالى قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين أي قد سألتهم هذه المسائل

الله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعا لهم وقربة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم. 103
بن مالك بن نضلة عن أبيه به وليس فيه تفسير هذه الآية والله أعلم. وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون أي ما شرع
عوف بن مالك من قوله وهو أشبه وقد روي هذا الحديث الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص عوف
فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت علي حوض هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجا في الحديث. وقد روي من وجه آخر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص
فهي التي يسبيون لأهاتهم ويذهبون إلى آلهتهم فيسيبونها وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرننها فيقولون قد وصلت
فهي التي يجدعون أذانها فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتركوا فيها. وأما السائبة
منها وتقول هذه حرم قلت نعم قال فلا تفعل إن كل ما آتاك الله لك حل ثم قال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام أما البحيرة
وافية أذانها؟ قال قلت نعم قال وهل تنتج الإبل إلا كذلك ؟ قال فلعلك تأخذ موسى فتقطع أذان طائفة منها وتقول هذه بحير وتشق أذان طائفة
مال ؟ فقلت نعم قال من أي المال ؟ قال: فقلت من كل المال من الإبل والغنم والخيل والرقيق قال فإذا آتاك الله مالا فكثر عليك ثم قال تنتج إبلك
أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه مالك بن نضلة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في خلقان من الثياب فقال لي هل لك من
الإبل فإذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية. وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم من طريق
وبرا ولا ينعونه من حمى رعي ومن حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه. وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: أما الحام فمن الإبل كان يضرب في
أبو روق وقتادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: وأما الحام فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا حمى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئا ولا يجزون له
للذكور دون الإناث وإن كانت ميتة اشتركوا فيها وأما الحامي فقال العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا لقح فحله عشرا قيل حام فأتروكه. وكذا قال
إسحاق الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت
فسموها الوصيلة ويقولون وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم. وكذا روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقال محمد بن
ابن أبي حاتم. وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب ولا وصيلة قال: فالوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر من الأنثى ثم تبت بأنثى
وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وإن كان أنثى استحيوها وإن كان ذكرا وأنثى في بطن واحد استحيوها وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا رواه
له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا. وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع فإن كان ذكرا
للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها. وقال السدي: كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته أو عوفي من مرض أو كثر ماله سيب شيئا من ماله للأوثان فمن عرض
سببت فلم تترك ولم يجز وبرها ولم يحلب لبنها إلا الضيف وقال أبو روق السائبة كان الرجل إذا خرج فقضيب حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها
فإذا ولدت السابع ذكرا أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وقال محمد بن إسحاق السائبة هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهما ذكر
وغیره قريبا من هذا وأما السائبة فقال مجاهد هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة إلا أنها ما ولدت من ولد كان بينها وبينه ستة أولاد كانت على هيئتها
الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء وإن كان أنثى جدعوا أذانها فقالوا هذه بحيرة. وذكر السدي

تفسير ابن كثير

قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا إلى آخر الآيات في ذلك فأما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي إلى الحجاز ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام عند ويطأنه بأخفافهما فعمرو هذا هو ابن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل فأدخل الأصنام هو يا رسول الله؟ قال رجل من بني مدلج كانت له ناقتان نجدع أذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك فلقد رأيته في النار وهما يعضانه بأفواههما ومن هو يا رسول الله؟ قال عمرو بن لحي أخو بني كعب لقد رأيته يجر قصبه في النار تؤذي رائحته أهل النار وإني لأعرف أول من بحر البحائر قالوا ومن أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير دين إبراهيم عليه السلام قالوا وسلم قال إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر أمعاه في النار تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال عبدالرزاق هذان الطريقان في الكتب. وقال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم السائبة وحمي الحامي ثم رواه عن هناد عن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله ليس أكنتم تخشى أن يضرنى شبهه يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم وبحر البحيرة وسيب عليه وسلم يقول لأكنتم بن الجون يا أكنتم رأيتم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيتم رجلا أشبهه برجل منك به ولا به منك فقال حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتم جهنم يحطم بعض بعضا ورأيتم عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب تفرد به البخاري وقال ابن جرير: البخاري: حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبدالله الكرمانى حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ولم ينهه عليه وفيما قاله الحاكم نظر فإن الإمام أحمد وأبا جعفر بن جرير روياه من حديث الليث بن سعد عن ابن الهاد عن الزهري نفسه والله أعلم ثم قال وقال الحاكم: أراد البخاري أن يزيد بن عبدالله بن الهاد رواه عن عبدالوهاب بن بخت عن الزهري كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزني في الأطراف وسكت أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ورواه ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والنسائي من حديث إبراهيم بن سعد به ثم قال البخاري: وقال لي أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: سمعت سعيدا يخبر بهذا قال: وقال ليس بينهما ذكر والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعداد فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي وكذا النار كان أول من سيب السوائب والوصيلة الناقة البكر تكرر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنتى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى والسائبة كانوا يسيبونها لألهتهم لا يحمل عليها شيء قال: وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتم عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس قال البخاري: حدثنا موسى بن

كان آباؤهم لا يعلمون شيئا أي لا يفهمون حقا ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه فكيف يتبعونهم والحالة هذه لا يتبع إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلا. 104 عليه آباءنا أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه قالوا يكفيننا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك قال الله تعالى أولو وإذا قيل لهم تعالوا إلي ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا

في قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال إذا هدمت كنيسة دمشق فجعلت مسجدا وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية. 105 وكذا قال غير واحد من السلف. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل إذا اهتديت. رواه ابن جرير. وكذا روي من طريق سفيان الثوري عن أبي العميس عن أبي البخترى عن حذيفة مثله الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله. وقال سعيد بن المسيب: إذا أمرت بالمعروف جرير: حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة قال: تلا الحسن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال الحسن تدري ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحا مطاعا وهوي متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت. وقال ابن آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها فتمنيت أني لم أكن تكلمت وأقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا إنك غلام حديث السن وإنك نزع آية ولا عن المنكر فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم؟ فأقبلوا علي بلسان واحد وقالوا: تنزع عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأصغر القوم فتذكروا الأمر بالمعروف والنهي فقرأ أحدهم هذه الآية عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل فقال أكثرهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم. وقال: حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا أبو فضالة أحمد بن المقدم حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا قتادة عن أبي مازن قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة فإذا قوم من المسلمين جلوس أني سامرك أن تذهب فتقتلهم عظمهم وانهم وإن عصوك فعليك بنفسك فإن الله عز وجل يقول يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية. وقال أيضا: حدثني أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك؟ فقال الرجل إني لست إياك أسأل إنما أسأل الشيخ فأعاد على عبدالله الحديث فقال عبدالله لعلك ترى لا أبالك فأسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألو وكلهم بغض إليه أن يأتي دناءة إلا الخير وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد قالوا: حدثنا عوف عن سوار بن شبيب قال: كنت عند ابن عمر إذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبدالرحمن نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن

تفسير ابن كثير

نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم. وقال أيضا: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ألا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا حدثنا شابة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال: قيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال عليكم أنفسكم القلوب والأهواء وألبستم شيئا وذاق بعضكم بأس بعض فامروا ونفسه وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية رواه ابن جرير. وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن عرفة الحساب ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا وانهاوا وإذا اختلفت وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه أي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه أي تأويلهن عند الساعة ما ذكر من الساعة ومنه أي يقع تأويلهن يوم هذه بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل ومنه أي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه أي قد بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر إلى جنبه عليك بنفسك فإن الله يقول عليكم أنفسكم الآية قال فسمعها ابن مسعود فقال له لم يجي تأويل عند عبد الله بن مسعود جلوسا فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فأمرهما من ضل ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل الآية قال: كانوا إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا أو قال: فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم حكيم. وقال عبدالرزاق: أنبأنا معمر عن الحسن أن ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال منكم ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال بل أجر خمسين مطاعا وهوي متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل اهتديتم قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل انتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية؟ قال أية آية؟ قلت قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أبو عيسى الترمذي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عتبة بن أبي حكيم حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الشعياني ومنهم من رواه عنه به موقوفا على الصديق وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولا في مسند الصديق رضي الله عنه وقال وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلا مرفوعا الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعذبهم بعقابهم قال وسمعت أبا بكر يقول: يا أيها الناس إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان. يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن معاوية حدثنا إسماعيل بن أبي خالد حدثنا قيس قال: قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية فيها دليل علي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكنا. وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير يعني ابن الإغراء لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون أي فيجازي كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وليس فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به وكذا روى الوالي عنه وهكذا قال مقاتل بن حيان فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم نصب على سواء كان قريبا منه أو بعيدا. قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: يقول تعالى إذا ما العبد أطاعني فما أمرته به من الحلال ونهيته عنه من الحرام يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ومخبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس شهادة الله والقراءة الأولى هي المشهورة إنا إذا لمن الآثمين أي إن فعلنا شيئا من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها بالكلية. 106 تشريفا لها وتعظيما لأمرها وقرأ بعضهم ولا نكتم شهادة الله مجرورا على القسم رواها ابن جرير عن عامر الشعبي وحكى عن بعضهم أنه قرأها ولا نكتم أي لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ولو كان ذا قربى أي ولو كان المشهود عليه قريبا لنا لا نحابه ولا نكتم شهادة الله أضافها إلى الله بالله أي فيحلفان بالله إن ارتبتم أي إن ظهرت لكم منهما ريبة أنهما خانا أو غلا فيحلفان حينئذ بالله لا نشترى به أي بأيماننا قاله مقاتل بن حيان ثنا أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة وكذا قال إبراهيم وقتادة وغير واحد والمقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم فيقسمان النخعي وقتادة وعكرمة ومحمد بن سيرين. وقال الزهري يعني صلاة المسلمين وقال السدي عن ابن عباس يعني صلاة أهل دينهما وروي عن عبدالرزاق عن ما دلت عليه الآية الكريمة وقوله تعالى تحبسونهما من بعد الصلاة قال العوفي عن ابن عباس: يعني صلاة العصر وكذا قال سعيد بن جبير وإبراهيم علي أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص وقد اغتفر فيه من الأمور ما لم يغتفر في غيره فإذا قامت قرينة الريبة حلف هذا الشاهد بمقتضى لا نعلم حكما يحلف فيه الشاهد وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة وهو حكم مستقل بنفسه لا يلزم أن يكون جاريا على قياس جميع الأحكام الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري وعدي بن بداء كما سيأتي ذكرهما آنفا إن شاء الله وبه التوفيق وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لأننا رواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع. والقول الثاني أنهما يكونان شاهدين وهو ظاهر سياق الآية الكريمة فإن لم يكن وصي ثالث معها اجتمع فيهما الوصفان رضي الله عنه عن هذه الآية قال هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدره فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته وأشهد عليهما عدلين من المسلمين المراد به أن يوصي إليهما أو يشهدهما على قولين. أحدهما أن يوصي إليهما كما قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: سئل ابن مسعود

تفسير ابن كثير

وفي هذا نظر والله أعلم. وقال ابن جرير: اختلف في قوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم هل وذلك في أول الإسلام والأرض حرب والناس كفار وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل الناس بها. رواه ابن جرير مضت السنة أن لا تجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر إنما هي في المسلمين. وقال ابن زيد: نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام على المسلمين وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضا وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو داود حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري قال: قال شريح فذكر مثله وروي نحوه عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهذه المسألة من إفراذه وخالفه الثلاثة فقالوا لا تجوز شهادة أهل الذمة قال: لا يجوز شهادة اليهود والنصارى إلا في سفر ولا تجوز في سفر إلا في الوصية ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق السبيعي وأن يكون في وصية كما صرح بذلك شريح القاضي وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو معاوية ووكيع قال: حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن شريح إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرت فأصابتمكم مصيبة الموت وهذان شرطان لجواز استشهد الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون ذلك في سفر الموصي يكون المراد ههنا أو آخران من غيركم أي من غير قبيلة الموصي وروى ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري والزهري رحمهما الله وقوله تعالى والسدي ومقاتل بن حيان وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك وعلى ما حكاه ابن جرير عن كريمة وعبيدة في قوله منكم أن المراد من قبيلة عن عبيدة وشريح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين ويحيى بن يعمر وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة وأبي مجلز حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة قال: قال ابن عباس في قوله أو آخران من غيركم قال من غير المسلمين يعني أهل الكتاب ثم قال: وروي وذلك قول روي عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما وقوله أو آخران من غيركم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عوف حدثنا عبدالواحد بن زياد والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون غير ذلك ذوا عدل منكم أي من أهل الموصي رضي الله عنه في قوله ذوا عدل منكم قال من المسلمين رواه ابن أبي حاتم. ثم قال: وروي عن عبيدة وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر أن يشهد اثنان وقوله تعالى ذوا عدل وصف الاثنين بأن يكونا عدلين وقوله منكم أي من المسلمين قاله الجمهور. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حين الوصية اثنان هذا هو الخبر لقوله شهادة بينكم فقبل تقديره شهادة اثنين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل دل الكلام على تقدير آخرون وهم الأكثرون فيما قاله ابن جرير بل هو محكم ومن ادعى نسخه فعليه البيان فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز قيل إنه منسوخ رواه العوفي من ابن عباس وقاله حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم أنها منسوخة وقال ثم قال: واتقوا الله أي في جميع أموركم، واسمعوا أي وأطيعوا، والله لا يهدي القوم الفاسقين أي الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته. 107 وإجلاله، والخوف من الفضيحة بين الناس، إن ردت اليمين على الورثة، فيحلفون ويستحقون ما يدعون، ولهذا قال: أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم على الوجه المرضي. وقوله: أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم أي يكون الحامل لهم على الإتيان بها على وجهها هو تعظيم الحلف بالله مراعاة جانبه أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أي شرعية هذه الحكم على هذا الوجه المرضي من تحليف الشاهدين الذميين إن استريب بهما أقرب إلى إقامتهما الشهادة قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف رضي الله عنهم، وهو مذهب الإمام أحمد رحمه الله. وقوله تعالى: ذلك يقول من الأولياء، فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة، وإننا لم نعتد، فترد شهادة الكافرين: وتجوز شهادة الأولياء ذكره ابن جرير رحمه الله وهكذا أن شهادة الكافرين باطلة، وإننا لم نعتد، فذلك قوله تعالى: فإن عثر على أنها استحقا إنما يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذبا فأخراهم يقومان مقامهما شهادتهما استحلها بعد العصر بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا، فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله لكما شهادة وعاقبتكما، فإذا قال لهما ذلك فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها رواه ابن جرير، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية فإن ارتبب في الله إنا إذا لمن الآتين: أن صاحبهم لهذا أوصى، وأن هذه لتركته، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إنكما إن كنتمما أو خنتما فضحتكما في قومكما ولم نجز بعد العصر، فقلت: إنهما لا يباليان صلاة العصر ولكن استحللتهما بعد صلاتهما في دينهما فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهادة عنه: كأنني أنظر إلى العلجين حين انتهي بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره، ففتح الصحيفة، فأنكر أهل الميت وخوفوهما، فأراد أبو موسى أن يستحللتهما ما لصاحبهم تركوهما، وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان، فذلك قوله تعالى: تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم، قال ابن عباس رضي الله أحد من المسلمين، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس، فيوصي إليهما ويدفع إليهما ميراثه فيقبلان به، فإن رضي أهل الميت الوصية وعرفوا هذا في الحضر أو آخران من غيركم في السفر إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتمكم مصيبة الموت هذا الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم قال: هذا في الوصية عند الموت يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ما له وما عليه، قال: فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخرا يحتاج مدعي نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام، والله أعلم. وقال السدي في الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم وسلم الظاهر والله أعلم أنه إنما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء، وقد ذكرنا أن إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة، ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا، وإنها لوصية الرجل وتركته، قال: فأمضى شهادتهما، فقوله: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه ومن الشواهد لصحة هذه القصة ما رواه أبو جعفر بن جرير عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه، قال فحضرته الوفاة ولم يجد أحدا

تفسير ابن كثير

أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، وفيهم نزلت: يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم أخرجهم الترمذي وأبو داود، وقال الترمذي: حسن غريب الآية، بالذهب، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجدوا الجام بمكة، فقيل: اشترياه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي، فحلفا بالله لشهادتنا ابن عباس قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي بن بدء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدمنا بتركته، فقدوا جاما من فضة مخصا أولياء المقتول إذا ظهر لوث في جانب القاتل، فيقسم المتسحقون على القاتل فيدفع برمته إليهم كما هو مقرر في باب القسامة من الأحكام. وقد روي عن اعتدينا أي فيما قلنا فيهما من الخيانة إنا إذا لمن الظالمين أي إن كنا قد كذبنا عليهما، وهذا التحليف للورثة والرجوع إلى قولهما والحالة هذه كما يحلف للتركة وليكونا من أولى من يرث ذلك المال فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما، أي لقولنا إنهما خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة، وما وظهر عليهما بذلك فأخراهم يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان أي متى تحقق بالخبر الصحيح خيانتهم، فليقم اثنان من الورثة المستحقين ثم قال تعالى: فإن عثر على أنهما استحقا إثما أي فإن اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصييين أنهما خانا أو غلا شيئا من المال الموصى به إليهما الله أضافها إلى الله تشريفا لها وتعظيما لأمرها. إنا إذا لمن الآثمين أي فعلنا شيئا من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمانها بالكلية، أي بأيماننا ثمنا أي لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ولو كان ذا قربي أي ولو كان المشهود عليه قريبا لنا لا نحابه، ولا نكتم شهادة الناس فيها بحضرتهم، فيقسمان بالله أي فيحلفان بالله إن ارتبتم أي إن ظهرت لكم منهما ريبة أنهما خانا أو غلا فيحلفان حينئذ بالله لا نشترى به صلاة العصر، وقال الزهري: يعني صلاة المسلمين، وقال السدي عن ابن عباس: يعني صلاة أهل دينهما، والمقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتماع كما في قصة تميم الداري وعدي بن بدء كما سيأتي ذكرها إن شاء الله وبه التوفيق. وقوله تعالى: تحبسونهما من بعد الصلاة قال ابن عباس: يعني من المسلمين، والقول الثاني: أنهما يكونا شاهدين، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة، فإن لم يكن وصي ثالث معهما اجتماع فيهما الوصفان الوصاية والشهادة، ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية قال: هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدره، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته وأشهد عليهما عدلين أحكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم هل المراد به أن يوصي إليهما أو يشهدهما؟ على قولين أحدهما: أن يوصي إليهما، سئل ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل الناس بها، رواه ابن جرير. وفي هذا نظر والله أعلم. وقال ابن جرير: اختلف في قوله: شهادة بينكم إذا حضر ابن زيد: نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك في أول الإسلام والأرض حرب، والناس كفار، وكان الناس يتوارثون بالوصية، أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضا. وقال ابن جرير عن الزهري قال: مضت السنة أن لا تجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر، إنما هي في المسلمين. وقال إلا في سفر، ولا تجوز في سفر إلا في الوصية، وروي نحوه عن الإمام أحمد بن حنبل وخالفه الثلاثة، فقالوا: لا تجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين، وأجازها شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون ذلك في سفر، وأن يكون في وصية، كما قال ابن جرير عن شريح: لا تجوز شهادة اليهود والنصارى المراد ههنا أو آخران من غيركم أي من غير قبيلة الموصي، وقوله تعالى: إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فأصابكم مصيبة الموت وهذان عن شريح وعكرمة وقتادة والسدي ومقاتل نحو ذلك وعلى ما حكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله: منكم أن المراد من قبيلة الموصي، يكون وقوله: أو آخران من غيركم قال ابن أبي حاتم، قال ابن عباس في قوله أو آخران من غيركم قال: من غير المسلمين، يعني أهل الكتاب وروي قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله ذوا عدل منكم، قال: من المسلمين. قال ابن جرير: وقال آخرون عني ذلك ذوا عدل منكم أي من أهل الموصي، مقامه. وقيل: دل الكلام على تقدير: أن يشهد اثنان، وقوله تعالى: ذوا عدل وصف الإثنين بأن يكونا عدلين، وقوله: منكم أي من المسلمين، قاله الجمهور. بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان هذا هو الخبر لقوله شهادة بينكم فقيل: تقديره شهادة اثنين شهادة اثنين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه وقال آخرون وهم الأكثرون بل هو محكم، ومن ادعى نسخه فعليه البيان قاله ابن جرير رحمه الله تعالى فقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا شهادة اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز، قيل إنه منسوخ،

ثم قال واتقوا الله أي في جميع أموركم واسمعوا أي وأطيعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين أي الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته. 108 جانبه وإجلاله والخوف من الفضيحة بين الناس إن ردت اليمين على الورثة فيحلفون ويستحقون ما يدعون ولهذا قال أو يخافوا أن ترد أيما بعد أيما منهم الشهادة على الوجه المرضي وقوله أو يخافوا أن ترد أيما بعد أيما منهم أي يكون الحامل لهم علي الإتيان بها علي وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أي شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي من تحليف الشاهدين الذميين واستريب بهما أقرب إلى إقامتهما قوله

من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء فعلنا بالنسبة إلى علمك كذا علم فإنك أنت علام الغيوب. 109 أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله. أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء فنحن وإن كنا قد أجبننا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب يقولون للرب عز وجل لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا. رواه ابن جرير ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة ولا شك عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قومهم رواه ابن جرير ثم قال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الحجاج عن ابن جريج قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم أي ماذا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ذلك أنهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول فلما سئلوا قالوا لا علم لنا ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على حكام حدثنا عنبسة قال: سمعت شيئا يقول سمعت الحسن يقول في قوله يوم يجمع الله الرسل الآية قال من هول ذلك اليوم. وقال أسباط عن السدي

تفسير ابن كثير

عن مجاهد يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيفزعون فيقولون لا علم لنا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا عما كانوا يعملون وقول الرسل لا علم لنا قال مجاهد والحسن البصري والسدي إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم قال عبدالرزاق عن الثوري عن الأعمش القيامة عما أجبوا به من أمهم الذين أرسلهم إليهم كما قال تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين وقال تعالى فوريك لنسألهم أجمعين هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم

على الله كفاه الله ما أهمه وحفظه من شر الناس وعصمه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغدوا إليهم فحاصرهم حتى أنزلهم فأجلاهم. 11 عليه وسلم على ما تمالئوا عليه فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه فأنزل الله في ذلك هذه الآية قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني من توكل بن جحش بن كعب بذلك وأمروه إن جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقي تلك الرحى من فوقه فأطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لرحى لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين ووكلوا عمرو وأصحابه حين أرادوا أن يغدروا بمحمد وأصحابه في دار كعب بن الأشرف رواه ابن أبي حاتم وذكر محمد بن إسحاق بن يسار ومجاهد وعكرمة وغير واحد وسلم ولأصحابه طعاما ليقتلوه فأوحى الله إليهم بشأنهم فلم يأت الطعام وأمر أصحابه فأتوه. رواه ابن أبي حاتم وقال أبو مالك: نزلت في كعب بن الأشرف أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وذلك أن قوما من اليهود صنعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية. وقصة هذا الأعرابي وهو غوث بن الحرث ثابتة في الصحيح وقال العوفي: عن ابن عباس في هذه الآية يا كان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر أن قوما من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا هذا الأعرابي وتأول اذكروا نعمة الله عليكم وسلم يقول: الله قال فشام الأعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فآخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه. وقال: معمر فسله ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني قال: الله عز وجل قال الأعرابي مرتين أو ثلاثا من يمنعك مني؟ والنبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس العضاء يستظلون تحتها وعلق النبي سلاحه بشجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا

واقعا يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم. 110 منهم ورفعتك إلي وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على أن هذا الامتحان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا أو يكون هذا الامتحان كفي إياهم عنك حين جنتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك وهذا أثر عظيم جدا. وقوله تعالى وإذا كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين أي واذكر نعمتي عليك في صمد وكان إذا أصابته شدة دعا بسبعة أخر: يا حي يا قيوم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والإكرام يا نور السموات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم يا رب تبارك الذي بيده الملك وفي الثانية ألم تنزيل السجدة فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا محمد بن طلحة يعني ابن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل قال: كان عيسى ابن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى تخرج الموتى بإذني أي تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته وإرادته ومشيتته وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا طيرا ذا روح تطير بإذن الله وخلقه. وقوله تعالى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته. وقوله وإذا أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني أي فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذني لك في ذلك فتكون وهي المنزلة على موسى بن عمران الكليم وقد يرد لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أعم من ذلك وقوله وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني الله الناس في صغرك وكبرك وضمن تكلم تدعو لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب وقوله وإذا علمت الكتاب والحكمة أي الخط والفهم والتوراة فشهدت ببراءة أمك من كل عيب واعترفت لي بالعبودية وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوت إلى عبادتي ولهذا قال تكلم الناس في المهد وكهلا أي تدعو إلى الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة إذ أيدتك بروح القدس وهو جبريل عليه السلام وجعلتك نبيا داعيا إلى الله في صغرك وكبرك فأنطقك في المهد صغيرا أي في خلقي إياك من أم بلا ذكر وجعلني إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء وعلى والدتك حيث جعلتك لها برهانا على براءتها مما نسبته يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات فقال اذكر نعمتي عليك

يكون المراد وإذا أوحيت إليهم بواسطتك فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك فقالوا آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون. 111 قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون أي ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا قال الحسن البصري ألهمهم الله عز وجل ذلك وقال السدي كذب في قلوبهم ذلك ويحتمل أن ومما يعرضون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا الآية وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي تعالى وأوحينا إلي أم موسى أن أرضع به الآية وهو وحي إلهام بلا خلاف وكما قال تعالى وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي وهذا أيضا من الامتحان عليه عليه السلام بأن جعل له أصحابا وأنصارا ثم قيل إن المراد بهذا الوحي وحي إلهام كما قال وقوله وإذا أوحيت

من شعير وأحوات وحشا الله بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا. 112

تفسير ابن كثير

من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز وجل. وقال وهب بن منبه: نزل عليهم قرصة فيه طعم كل شيء. وقال وهب بن منبه أنزلها الله من السماء على بني إسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ما شاءوا سمكة وأرغفة وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً. قال عطية العوفي: المائدة سمك نزل على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا. وقال خفيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت المائدة عيسى ابن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاءوا قال: فسرقت بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت وقال العوفي عن ابن عباس: والنهار حتى تكتنزهما ويعذبكم الله عذاب أليماً. وقال: حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج عن أبي معشر عن إسحاق بن عبد الله أن المائدة نزلت على فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم أنكم ستظهرون على العجم ونهاكم أن تكتنزهوا الذهب والفضة وأيم الله لا يذهب الليل من العالمين قال: فما مضى يومهم حتى خبثوا ورفعوا وخابوا فعدبوا عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين وإنكم يا معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاة مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخبثوا أو تخونوا أو ترفعوا فإن فعلتم فإني معذبكم عذاباً لا أعذبه أحداً عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال قلت لا قال: إنهم سألوا عيسى ابن ولا يدخروا قال فخان القوم وخبثوا وادخروا فمسخهم الله قردة وخنزير وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن سماك بن حرب ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال: نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة فأمرؤا أن لا يخونوا ولا يخبثوا عليها خبز ولحم وأمرؤا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد فخابوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنزير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن فزعة. ثم رواه حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت المائدة من السماء سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء قال فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها ابن شهاب قال: كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد حدثنا عقيل بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير. ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن فمّن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قلت لنا إن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطعمنا حين نفرغ طعاماً فهل يستطيع ربك عيسى أنه قال لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ثم تسألوه فيعطيوكم ما سألتم فإن أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير في نزول المائدة على الحواريين قال أبو جعفر بن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن القواسم عن عبد الله بن عمرو قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون. ذكر أخبار رويت عن السلف ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وكفوله إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد روى ابن جرير عن طريق عوف الأعرابي عن أبي المغيرة منزلها عليكم فمّن يكفر بعد منكم أي فمّن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك وارزقنا أي من عندك رزقاً هيناً بلا كلفة ولا تعب وأنت خير الرازقين قال الله إني يوماً نصلي فيه. وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولمن يعدنا وقيل كافية لأولنا وآخرنا وآية منك أي دليلاً تنصبه أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا قال السدي أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري: يعني بك وعلمنا برسالتك ونكون عليها من الشاهدين أي ونشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة علي نبوتك وصدق ما جئت به قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها أي نحن محتاجون إلى الأكل منها. وتطمئن قلوبنا إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء ونعلم أن قد صدقتنا أي ونزداد إيماناً الله إن كنتم مؤمنين أي فأجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم الخوان عليه الطعام وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقيرهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة قال اتقوا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك هذه قراءة كثيرين وقرأ آخرون هل يستطيع ربك أي هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء والمائدة هي الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين فالله أعلم فقوله تعالى إذ قال الحواريون وهم أتباع عيسى عليه السلام يا تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض هذه قصة المائدة وإليها

من شعير وأحوات وحشا الله بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا. 113 من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز وجل. وقال وهب بن منبه: نزل عليهم قرصة فيه طعم كل شيء. وقال وهب بن منبه أنزلها الله من السماء على بني إسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ما شاءوا

تفسير ابن كثير

سمكة وأرغفة وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: نزلت المائدة خبزا وسمكا. قال عطية العوفي: المائدة سمك نزل على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا. وقال خفيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت المائدة عيسى ابن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاءوا قال: فسرق بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت وقال العوفي عن ابن عباس: والنهار حتى تكتنزهما ويعذبكم الله عذاب أليما. وقال: حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج عن أبي معشر عن إسحاق بن عبد الله أن المائدة نزلت على فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم أنكم ستظهرون على العجم ونهاكم أن تكتنزهوا الذهب والفضة وأيم الله لا يذهب الليل من العالمين قال: فما مضى يومهم حتى خبنوا ورفعوا وخانوا فعدبوا عذابا لم يعذبه أحد من العالمين وإنكم يا معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فليل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا أو ترفعوا فإن فعلتم فإني معذبكم عذابا لا أعذبه أحدًا عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال قلت لا قال: إنهم سألو عيسى ابن ولا يدخروا قال فخان القوم وخبنوا وادخروا فمسخهم الله قردة وخنزير وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن سماك بن حرب ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال: نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة فأمرؤا أن لا يخونوا ولا يخبنوا عليها خبز ولحم وأمرؤا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لعد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنزير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن فزعة. ثم رواه حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت المائدة من السماء سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء قال فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها ابن شهاب قال: كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد حدثنا عقيل بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير. ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن فمّن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدًا من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قلت لنا إن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك عيسى أنه قال لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيوكم ما سألتم فإن أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير في نزول المائدة على الحواريين قال أبو جعفر بن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن القواس عن عبد الله بن عمرو قال: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون. ذكر أخبار رويت عن السلف ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وكقوله إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد روى ابن جرير من طريق عوف الأعرابي عن أبي المغيرة منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم أي فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدًا من العالمين أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك وارزقنا أي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب وأنت خير الرازقين قال الله إني يوما نصلي فيه. وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولمن يعدنا وقيل كافية لأولنا وآخرنا وآية منك أي دليلا تنصبه أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا قال السدي أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري: يعني بك وعلمنا برسالتك ونكون عليها من الشاهدين أي ونشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة علي نبوتك وصدق ما جئت به قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها أي نحن محتاجون إلى الأكل منها. وتطمئن قلوبنا إذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء ونعلم أن قد صدقتنا أي ونزداد إيماننا الله إن كنتم مؤمنين أي فأجابهم المسيح عليه السلام قائلا لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم الخوان عليه الطعام وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقروهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة قال اتقوا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك هذه قراءة كثيرين وقرأ آخرون هل يستطيع ربك أي هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء والمائدة هي الأنمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين فالله أعلم فقوله تعالى إذ قال الحواريون وهم أتباع عيسى عليه السلام يا تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض هذه قصة المائدة وإليها

قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك وارزقنا أي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب وأنت خير الرازقين. 114 نصلي فيه. وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولمن يعدنا وقيل كافية لأولنا وآخرنا وآية منك أي دليلا تنصبه على مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا قال السدي أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري: يعني يوما يقول تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا

فتحت لهم باب التوبة والرحمة. قال بل باب التوبة والرحمة ثم رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به. 115

تفسير ابن كثير

جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت الحكم عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال وتفتعلون؟ قالوا نعم قال: فدعا فأتاه اليتيمة ويقال إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود فإله أعلم. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن دمشق فمات وهي في الطريق فحملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده فأراها الناس فتعجبوا منها كثيراً لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب وجد المائدة هنالك مرصعة باللآلئ وأنواع الجواهر فبعث بها إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بأبي جامع قال ووعد الله ووعدته حق وصدق وهذا القول هو والله أعلم الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى الذي اختاره ابن جبريل قال: لأن الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين قد نزلت لكان ذلك مما توفر الدواعي على نقله وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً ولا أقل من الأحاد والله أعلم ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت وهو قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت تنزل. وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين إن كفروا فأبوا أن تنزل عليهم وقال أيضاً: حدثنا أبو المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة أنها لم تم قال ابن جرير: حدثنا الحارث حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب إنها لم تنزل فروى ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء رواه ابن أبي حاتم وابن جرير إسرائيل أيام عيسى ابن مريم إجابة من الله لدعوته كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم قال الله إني منزلها عليكم الآية. وقال قائلون ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة وقد جمعتها أنا ليكون سياقاً أتم وأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم. وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني مضاجعهم في أحسن صورة مع نساءهم آمنين فلما كان في آخر الليل مسحهم الله خزائير فأصبحوا يتبعون الأقدار في الكنائس هذا أثر غريب جداً قطعه الله إلى عيسى إني آخذ المكذبين بشرطي فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. قال فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا إلى ربكم فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة ورفقاً وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها وشككنتم فيها فأبشروا بالعذاب فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله. فأوحى عن المائدة ونزولها من السماء أحق فإنه قد ارتاب بها منا بشر كثير؟ فقال عيسى عليه السلام هلكتم وإله المسيح طليتم المائدة إلى نبيكم أن يطلبها لكم في أنفسهم وشككوا فيها الناس وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب الربانيين حتى قالوا لعيسى أخبرنا السلام أن اجعل رزقي في المائدة للفقراء واليتامى والزمنى دون الأغنياء من الناس فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء من الناس وغمطوا ذلك حتى شكوا فيها يؤكل منها حتى إذا قالوا ارتفعت عنهم إلى جو السماء بإذن الله وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض حتى توارى عنهم قال فأوحى الله إلى نبيه عيسى عليه يركب بعضه بعضاً فلما رأى ذلك جعلها نوباً بينهم تنزل يوماً ولا تنزل يوماً فلبثوا على ذلك أربعين يوماً تنزل عليهم غبا عند ارتفاع النهار فلا تزال موضوعة قال: وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو إسرائيل إليها يسعون من كل مكان يزاحم بعضهم بعضاً الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والأصحاء والمرضى أصحاباً حتى خرجوا من الدنيا وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندماً سالت منها أشفارهم وبقيت حسرتها في قلوبهم إلى يوم الممات كهينته إذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون فاستغنى كل فقير أكل منها وبرئ كل زمن أكل منها فلم يزالوا أغنياء واختموا بحمد الله: ففعلوا فأكل منها ألف وثلثمائة إنسان بين رجل وامرأة يصدرون عنها كل واحد منهم شعبان يتجشأ ونظر عيسى والحواريون فإذا ما عليها دعا لها الفقراء والزمنى وقال: كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيك واحمدوا الله الذي أنزلها لكم فيكون مهنؤاً لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا أكلكم باسم الله يبدأ بالأكل من طلبها فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها خافوا أن يكون نزولها سخطاً وفي أكلها مثله فتحاموها فلما رأى ذلك عيسى منهم كنت فعادت بإذن الله مشوية كما كانت في خلقها الأول فقالوا يا عيسى كن أنت يا روح الله الذي تبدأ بالأكل منها ثم نحن بعد فقال عيسى: معاذ الله من ذلك. فلما رأى عيسى منهم ذلك قال: ما لكم تسألون الآية فإذا أراكموها ربكم كرهتموها؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون يا سمكة عودي بإذن الله كما فأحياها الله بقدرته فاضطربت وعادت بإذن الله حية طرية تلمظ كما يتلمظ الأسد تدور عيناها لها بصيص وعادت عليها بواسيرها ففزع القوم منها وانحاسوا الله أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام على السمكة فقال يا سمكة عودي بإذن الله حية كما كنت بسم الله واحمدوا عليه ربكم يمدكم منه ويزدكم فإنه بديع قادر شاکر فقالوا يا روح الله وكلمته إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية فقال عيسى: سبحان ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة فقال له كن فكان أسرع من طرفة عين فكلوا مما سألتكم عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية. فقال له شمعون: لا وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصديقة فقال عيسى عليه السلام: ليس شيء مما يا روح الله وكلمته آمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى أما أن لكم أن تعتبوا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقيير المسائل؟ ما أخوفني خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى: هو عليها بسمكة ضخمة مشوية ليس عليها بواسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً قد تحرق بها بقول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها له في الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقاً ثم انصرف وجلس إلى السفرة وتناول المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين وكشف عن السفرة فإذا أولانا بذلك وأحقتنا بالكشف عنها. فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوءاً جديداً ثم دخل مصلاه فصلى كذلك ركعتين ثم بكى بكاء طويلاً ودعا الله أن يأذن

تفسير ابن كثير

بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ونحمد ربنا ونذكر باسمه ونأكل من رزقه الذي رزقنا فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته أنت وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة فإذا عليها منديل مغطى فقال عيسى من أجرؤنا على كشف المنديل عن هذه السفرة وأوثقنا لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمرا عجيبا أورثهم كمدا وغما ثم انصرفوا بغيظ شديد السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط وخر عيسى والحواريون لله سجدا شكرا له إلهي اجعلنا لك شاكرين اللهم إني أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبا ورجزا إلهي اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها فتنة ومثلة. فما زال يدعو حتى استقرت بعد نزولها عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين وهو يدعو الله في مكانه ويقول اللهم اجعلها رحمة لهم ولا تجعلها عذابا إلهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من فلك السماء تهوي إليهم وعيسى يبكي خوف من أجل الشروط التي أخذها الله عليهم فيها أنه يعذب من يكفر بها منهم وجهه من خشوعه فلما رأى ذلك دعا الله فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها فوق صدره وغض بصره وطأ رأسه خشوعا ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال فصلى ما شاء الله فلما قضى صلاته قام قائما مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استويا فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع ووضع يده اليمنى على اليسرى الآية فلما رأى عيسى أن قد أبوا إلا أن يدعو لهم فألقى عنه الصوف ولبس الشعر الأسود وجبة من شعر وعباءة من شعر ثم توضأ واغتسل ودخل مصلاه آية من ربكم وإنما هلكتم حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها. فأبوا إلا أن يأتيهم بها فلذلك قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا قال: لما سأل الحواريون عيسى ابن مريم المائدة كره ذلك جدا فقال اقنعوا بما رزقكم الله في الأرض ولا تسألوا المائدة من السماء فإنها إن نزلت عليكم كانت عبد القدوس بن إبراهيم بن أبي عبيد الله بن مرداس العبدري مولى عبدالدار عن إبراهيم بن عمر عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الخير أنه عكرمة كان خبز المائدة من الأرز رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن علي فيما كتب إلي حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أبو عبدالله عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وجريز عن عطاء عن ميسرة قال: كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي بكل طعام إلا اللحم. وعن آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا. وقال الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير: أنزل عليها كل شيء إلا اللحم. وقال سفيان الثوري عن ذلك ما شاء الله عز وجل. وقال وهب بن منبه: نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات وحشا الله بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجيء في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على نزلت المائدة خبزا وسمكا. قال عطية العوفي: المائدة سمك فيه طعم كل شيء. وقال وهب بن منبه أنزلها الله من السماء على بني إسرائيل فكان ينزل عليهم وقال خصيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت المائدة سمكة وأرغفة وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا. وقال أبو عبدالرحمن السلمي: وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت وقال العوفي عن ابن عباس: نزل على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا. عن أبي معشر عن إسحاق بن عبدالله أن المائدة نزلت على عيسى ابن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاءوا قال: فسرق بعضهم منها ونهاكم أن تكتنوا الذهب والفضة وأيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكتنوهما ويعذبكم الله عذاب أليما. وقال: حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج العالمين وإنكم يا معشر العرب كنتم تتبعون أذنان الإبل والشاة تبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم أنكم ستظهرون على العجم أو تخونوا أو ترفعوا فإن فعلتم فإني معذبكم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال: فما مضى يومهم حتى خبثوا ورفعوا وخانوا فعذبوا عذابا لم يعذبه أحد من شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال قلت لا قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخبثوا ابن المثنى حدثنا عبدالأعلى حدثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان وعليها ثمر من ثمار الجنة فأمرؤا أن لا يخونوا ولا يخبثوا ولا يدخروا قال فخان القوم وخبثوا وادخروا فمسخهم الله قردة وخنازير وقال ابن جرير: حدثنا وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة. ثم رواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال: نزلت المائدة صلى الله عليه وسلم قال: نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمرؤا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي من السماء قال فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم وقال حدثنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة عبدالأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عبدالله بن عبدالحكم عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير. ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن وأنت خير الرازيين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا إلا أطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا على من عمل له ففعلوا ثم قالوا: يا معلم الخير قلت لنا إن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيك ما سألتهم فإن أجر العامل

تفسير ابن كثير

المائدة وآل فرعون. ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين قال أبو جعفر بن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جرير من طريق عوف الأعرابي عن أبي المغيرة القواس عن عبدالله بن عمرو قال: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون ومن كفر من أصحاب من العالمين أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وكقوله إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد روى يقول تعالى قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم أي فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا

رب فإنه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته ولهذا قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. 116 بحق إلى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاوس عن ابن طاوس بنحوه وقوله إن كنت قلته فقد علمته أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه الله سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة قال: يلقي عيسى حجته ولقاء الله تعالى في قوله وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم النار وهذا حديث غريب عزيز. وقوله سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا كل ملك من الملائكة بشجرة من رأسه وجسده فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم إلى وأمي إلهين من دون الله فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيقولون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها فيقول يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك الآية ثم يقول أنت قلت للناس اتخذوني سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبدالعزيز عن أبيه موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأمهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة وقد روي بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبدالله مولى عمر بن عبدالعزيز وكان ثقة قال: وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات والذي قاله قتادة هو غيره هو الأظهر والله أعلم أن ذلك كان يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتفريعهم وتوبيخهم المضي ليدل على الوقوع والثبوت. ومعنى قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي ذلك بمعنيين أحدهما أن الكلام بلفظ المضي والثاني قوله. إن تعذبهم وإن تغفر لهم وهذان الدليلان فيهما نظر لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ صدقهم وقال السدي: هذا الخطاب والجواب في الدنيا وقال ابن جرير: هذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه إلى السماء الدنيا: واحتج ابن جرير على إلهين من دون الله وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل على ذلك بقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذوه وأمه إلهين من دون الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي هذا أيضا مما يخاطب الله به عبده

شهرًا وأعطاني أني أول الأنبياء يدخل الجنة وطيب لي ولأمتي الغنيمة وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج. 117 حيا صحيحا وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي وسل تعطى فقلت لرسوله أن يعطيني ربي سؤلي؟ فقال ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني ربي ولا فخر وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي أخزبك في أمتك يا محمد وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي معي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب ثم أرسل إلي فقال ادع تجب فلما رفع رأسه قال إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فقال لا حذيفة بن اليمان يقول: غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها أمتك ولا نسوءك. وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هبيرة أنه سمع أبا تميم الجشاني يقول: حدثني سعيد بن المسيب سمعت فأسأله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه فقال اللهم أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد وريك أعلم ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدث عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول فناده أن ارجع فرجع وتلك الآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبدالأعلى حدثنا الصلاة قلت أفلا أبشر الناس؟ قال بلى فانطلقت معنفا قريبا من قذفه بحجر فقال عمر: يا رسول الله إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادات ومعك القرآن لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال دعوت لأمتي قلت فماذا أجبت أو ماذا رد عليك؟ قال أجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا مات إلى عبدالله بن مسعود أن سلمه ما أراد إلى ما صنع البارحة فقال ابن مسعود بيده لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي فقلت بأبي وأمي قمت بآية من القرآن فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا يصلي كل واحد منا بنفسه وנטلو من القرآن ما شاء الله أن نتلو وقام بآية من القرآن ردها حتى صلى الغداة فلما أصبحنا أو رأى القوم قد أدخلوا المكان رجع إلى مكانه يصلي فجئت فقمته خلفه فأومأ إلي بيمينه فقمته عن يمينه ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه فأومأ إليه بشماله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله فلما آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن عبدالله حدثني جسر بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة فانتهدت إلى الريزة فسمعت أبا ذر يقول: قام أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا. طريق أخرى وسياق بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلما أصبح قلت يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى

تفسير ابن كثير

الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل حدثني فليت العامري عن جسة العامرية عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرا الله عما يقولون علوا كبيرا وهذه الآية لها شأن عظيم ونبا عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بها ليلة حتى الصباح يردددها. قال فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ومتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلي رسوله وجعلوا لله ندا وصاحبة وولدا تعالى الثوري كلاهما عن المغيرة بن النعمان به. وقوله إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم هذا الكلام يتضمن رد المشينة إلى الله عز وجل الحكيم فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ورواه البخاري عند هذه الآية عن أبي الوليد وعن شعبة وعن محمد بن كثير عن سفيان وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وإن أول الخلق يكسى إلى المغيرة بن النعمان فأملى على سفيان وأنا معه فلما قام انتسخت من سفيان فحدثنا قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول حين كنت بين أظهرهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة قال انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه أن اعبدوا الله ربي وربكم أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أي كنت أشهد على أعمالهم ولهذا قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به بإبلاغه أن اعبدوا الله ربي وربكم أي ما دعوتهم إلا طاموس بنحوه وقوله إن كنت قلته فقد علمته أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب فإنه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرتته أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما قاله الله سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إلى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاموس عن عن أبي هريرة قال: يلقي عيسى حجته ولقاء الله تعالى في قوله وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال لي أن أقول ما ليس لي بحق هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاموس بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم إلى النار وهذا حديث غريب عزيز. وقوله سبحانه ما يكون فيؤتى بالنصارى فيسئلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من رأسه وجسده فيجاثيهم فيقر بها فيقول يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك الآية ثم يقول أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فينكر أن يكون قال ذلك عن أبيه أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأمهم ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه وقد روي بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبدالله مولى عمر بن عبدالعزيز وكان ثقة قال: سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبدالعزيز والذي قاله قتادة هو غيره هو الأظهر والله أعلم أن ذلك كائن يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتفريعهم وتوبيخهم على رءوس الأشهاد يوم القيامة ومعنى قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية التبري منهم ورد المشينة فيهم إلى الله وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات بلفظ المضي والثاني قوله. إن تعذبهم وإن تغفر لهم وهذان الدليان فيهما نظر لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي ليدل على الوقوع والثبوت الخطاب والجواب في الدنيا وقال ابن جرير: هذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه إلى السماء الدنيا: واحتج ابن جرير على ذلك بمعنيين أحدهما أن الكلام تهديد للنصارى وتوبيخ وتقرير على رءوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل على ذلك بقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال السدي: هذا مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذها وأمه إلهين من دون الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهذا هذا أيضا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن

شهرًا وأعطاني أني أول الأنبياء يدخل الجنة وطيب لي ولأمتي الغنيمة وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج. 118 حيا صحيحا وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي وسل تعطه فقلت لرسوله أن يعطيني ربي سؤلي؟ فقال ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني ربي ولا فخر وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي أخزبك في أمتك يا محمد وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي معي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب ثم أرسل إلي فقال ادع تجب فلما رفع رأسه قال إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فقال لا حذيفة بن اليمان يقول: غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها أمتك ولا نسوءك. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين قال: حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هبيرة أنه سمع أبا تميم الجشاني يقول: حدثني سعيد بن المسيب سمعت فأسأله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه فقال اللهم أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدث عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول فناداه أن ارجع فرجع وتلك الآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا الصلاة قلت أفلا أبشر الناس؟ قال بلى فانطلقت معنفا قريبا من قذفه بحجر فقال عمر: يا رسول الله إنك إن تبعت إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادات ومعك القرآن لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال دعوت لأمتي قلت فماذا أجبت أو ماذا رد عليك؟ قال أجبت بالذي لو أطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا

تفسير ابن كثير

إلى عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة فقال ابن مسعود بيده لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي فقلت بأبي وأمي قمت بأية من القرآن فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا يصلي كل واحد منا بنفسه ونتلو من القرآن ما شاء الله أن نتلو وقام بأية من القرآن ردها حتى صلى الغداة فلما أصبحنا أموات رأى القوم قد أخلوا المكان رجع إلى مكانه يصلي فجئت فقمته خلفه فأومأ إلي بيمينه فقمته عن يمينه ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه فأومأ إليه بشماله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله فلما آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن عبد الله حدثني جسر بن بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة فانتهدت إلى الربرة فسمعت أبا ذر يقول: قام أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا. طريق أخرى وسياق بأية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلما أصبح قلت يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل حدثني فليت العامري عن جسر العامرية عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرا الله عما يقولون علوا كبيرا وهذه الآية لها شأن عظيم ونبا عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بها ليلة حتى الصباح يرددوها. قال فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ومتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلي رسوله وجعلوا لله ندا وصاحبه وولدا تعالى الثوري كلاهما عن المغيرة بن النعمان به. وقوله إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم هذا الكلام يتضمن رد المشينة إلى الله عز وجل الحكيم فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ورواه البخاري عند هذه الآية عن أبي الوليد وعن شعبة وعن محمد بن كثير عن سفيان وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وإن أول الخلق يكسى إلى المغيرة بن النعمان فأملى على سفيان وأنا معه فلما قام انتسخت من سفيان فحدثنا قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول حين كنت بين أظهرهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة قال انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه أن اعبدا الله ربي وربكم أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أي كنت أشهد على أعمالهم ولهذا قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به بإبلاغه أن اعبدا الله ربي وربكم أي ما دعوتهم إلا طاموس بنحوه وقوله إن كنت قلته فقد علمته أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب فإنه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه الله سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إلى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاموس عن عن أبي هريرة قال: يلقي عيسى حجته ولقاء الله تعالى في قوله وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال لي أن أقول ما ليس لي بحق هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاموس بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم إلى النار وهذا حديث غريب عزيز. وقوله سبحانه ما يكون فيؤتى بالنصارى فيسئلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من رأسه وجسده فيجاثهم فيقر بها فيقول يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك الآية ثم يقول أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فينكر أن يكون قال ذلك عن أبيه أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأمهم ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه وقد روي بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيز وكان ثقة قال: سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز والذي قاله قتادة هو غيره هو الأظهر والله أعلم أن ذلك كائن يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتفريعهم وتوبيخهم على رءوس الأشهاد يوم القيامة ومعنى قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية التبري منهم ورد المشينة فيهم إلى الله وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات بلفظ المضي والثاني قوله. إن تعذبهم وإن تغفر لهم وهذان الدليلان فيهما نظر لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي ليدل على الوقوع والثبوت الخطاب والجواب في الدنيا وقال ابن جرير: هذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه إلى السماء الدنيا: واحتج ابن جرير على ذلك بمعنيين أحدهما أن الكلام تهديد للنصارى وتوبيخ وتقرير على رءوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل على ذلك بقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال السدي: هذا مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذته وأمه إلهين من دون الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهذا هذا أيضا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن

الفوز العظيم أي هذا الفوز الكبير الذي لا أعظم منه كما قال تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وكما قال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . 119
فيسألونه الرضا فيقول رضي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي فسلوني أعطكم فيسألونه الرضا قال فيشهدهم أنه قد رضي عنهم سبحانه وتعالى وقوله ذلك يعني ابن عمير أخبرنا اليقظان عن أنس مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول سلوني سلوني أعطكم قال الله أكبر وسيأتي ما يتعلق بتلك الآية من الحديث وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا عن أنس فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا المحاربي عن ليث عن عثمان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا أي ما كثر فيها لا يحولون ولا يزولون رضي الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى ورضوان من المشينة فيهم إلى ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال الضحاك عن ابن عباس: يقول يوم ينفع الموحدين توحيدهم

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مجيباً لعبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام فيما أنجاه إليه من التبري من النصارى الملحدين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد من لا يعرفه فقد أخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدى إلى الضلال ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده. 12 وأحصل لكم المقصود وقوله فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل أي فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجحده وعامله معاملة وابتغاء مرضاته لأكفرن عنكم سيئاتكم أي ذنوبكم أمحوها وأسترها ولا أؤاخذكم بها ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار أي أدفع عنكم المحذور أي صدقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي وعزرتموهم وأوزرتموهم على الحق وأقرضتم الله قرضاً حسناً وهو الإنفاق في سبيله الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى وقال الله إني معكم أي بحفظي وكلاءتي ونصري لئن أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وآمنت برسلي ممن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهاً لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن بإسماعيل عليه السلام وأن يقيم من صلبه اثنا عشر عظيماً وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجهلة الخيالات الضعيفة وليس المراد هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر الأئمة الاثنا عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشر من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم وفي التوراة البشارة هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الأحاديث الواردة بذكره فذكر أنه يواطى اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وليس الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا نوالهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي علي فسلأت أي ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال: كلهم من قريش وهذا لفظ مسلم ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال أمر الناس ما مضى ما وليهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت صلى الله عليه وسلم فقال: اثنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل هذا حديث غريب من هذا الوجه وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم ولقد سألتنا رسول الله حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتهم عليه وسلم لهم بذلك وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى الله عنهم وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعره كما أورده ابن إسحاق رحمه الله والمقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتذ عن أمر النبي صلى الله عليه بن ربيعة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عباد وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن حنيفة رضي بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر ويقال: بدله أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه وتسعة من الخزرج وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد أجدع بن عميان وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر نقيباً: ثلاثة من الأوس وهم: أسيد بن الحضير وسعد وعلى بن بنيامين أبيد بن جدعون وعلى بن داني جعيز بن عبيشدي وعلى بن أشار نحيل بن عجران وعلى بن كاسيف بن عوايل وعلى بن نقتالي بن عميذاب وعلى بن يساخر شال بن صاعون وعلى بن زبولون الياب بن حالوب وعلى بن أفرام منشأ بن عمهور وعلى بن منشأ حليائيل بن يرضون وأسماء مخالفة لم ذكره ابن إسحاق والله أعلم قال فيها فعلى بن روبيل اليصور بن سادون وعلى بن شمعون شمواً بن صورشكي وعلى بن يهوذا الحشون بن ملكيل ومن سبط نفتالي بحر بن وقسي ومن سبط يساخر لايل بن مكيد وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل فطم بن دفون ومن سبط زبولون جدي بن شوري. ومن سبط منشأ بن يوسف جدي بن موسى ومن سبط دان خملائيل بن حمل. ومن سبط أشار ساطور شافاط بن حري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط تين ميخائيل بن يوسف ومن سبط يوسف وهو سبط إفرايم يوشع بن نون ومن سبط بنيامين موسى عليه السلام لقتال الجابرة فأمر بأن يقيم نقيباً من كل سبط نقيب قال محمد بن إسحاق فكان من سبط روبيل شامون بن ركون ومن سبط شمعون عشر نقيباً يعني عرفاء على قبايلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه. وقد ذكر ابن عباس عن ابن إسحاق وغير واحد أن هذا كان لما توجه وجنابه وحجاً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح فقال تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيما هداهم له من الحق والهدى شرع يبين لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهدهم وميثاقه الذي أخذهم عليه على لسان عبده

بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال آخر سورة نزلت سورة المائدة. تم تفسير سورة المائدة ولله الحمد والمنة. 120 ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته فلا نظير له ولا وزير ولا عدل ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا إله غيره ولا رب سواه. قال ابن وهب: سمعت جبي قوله لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير أي هو الخالق للأشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها فالجميع

يعني به الصفح عمن أساء إليك وقال قتادة: هذه الآية فاعف عنهم واصفح منسوخه بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية. 13 ما عاملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وبهذا يحمل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله يهديهم ولهذا قال تعالى إن الله يحب المحسنين مجاهد وغيره: يعني بذلك تمالئوهم على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وهذا هو عين البصر والظفر كما قال بعض السلف

تفسير ابن كثير

فصاروا إلى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قويمة ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعني مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك وقال ونسوا حظا مما ذكروا به أي وتركوا العمل به رغبة عنه وقال الحسن: تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها وقال غيره: تركوا العمل مواضعه أي فسدت فهمهم وساء تصرفهم في آيات الله وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل عياذا بالله من ذلك الذي أخذ عليهم لعناهم أي أبعدناهم عن الحق وطردها عن الهدى وجعلنا قلوبهم قاسية أي فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها يحرفون الكلم عن قال فيما نقضهم ميثاهم لعناهم أي فبسبب نقضهم الميثاق

عز وجل وتعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا من جعلهم له صاحبة وولدا تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. 14 الأَشهاد ثم قال وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبه من الكذب على الله ورسوله وما نسبوه إلى الرب تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها فالملكية تكفر اليعقوبية وكذلك الآخرون وكذلك النسطورية والآريوسية كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم يزالون كذلك إلى قيام الساعة ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا فكل فرقة العهود ولهذا قال تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة أي فآلقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضا ولا صلى الله عليه وسلم ومناصرتة ومؤازرتة واقتفاء آثاره وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا ميثاقهم أي ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول وقوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا

ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . 15 لا يحتسب قوله يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فكان الرجم مما أخفوه ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه الحاكم في مستدركه من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافترضوا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيره ولا فائدة في بيانه وقد روى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق إلى

أي ينجيهم من المهالك ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور ويحصل لهم أحب الأمور وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة. 16 به الله من اتبع رضوانه سبل السلام أي طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم فقال يهدي

وخلقه وهو القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة. 17 ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء أي جميع الموجودات ملكه على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا أي لو أراد ذلك فمن النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم قال مخبرا عن قدرته يقول تعالى مخبرا وحاكيا بكفر

ليلة حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فأخرجوهم فذلك قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات. 18 نحن أبناء الله وأحباؤه أما قولهم نحن أبناء الله فإنهم قالوا: إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكري من الولد فيدخلهم النار فيكونون فيها أربعين والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه إلى آخر الآية. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ورويا أيضا من طريق أسباط عن السدي في قول الله وقالت اليهود الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا: ما نخوفنا يا محمد نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله فيهم وقالت اليهود عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن آصا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول قهره وسلطانه وإليه المصير أي المرجع والمآب إليه فيحكم في عبادته ما يشاء وهو العادل الذي لا يجور وروى محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد لمن يشاء ويعذب من يشاء أي هو فعال لما يريد لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولله ملك السموات والأرض وما بينهما أي الجميع ملكه وتحت لا والله ما يلقي حبيبه في النار تفرد به أحمد بل أنتم بشر ممن خلق أي لكم أسوة أمثالكم من بني آدم وهو سبحانه الحاكم في جميع عبادته يغفر فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار قال فحفظهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ حبيبه فلم يرد عليه فتلا عليه الصوفي هذه الآية قل فلم يعذبكم بذنوبكم وهذا الذي قاله حسن وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال: حدثنا وأحباؤه فلم أعددت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب من ذلك معزتهم له به وحظوتهم عنده ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى رادا عليهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي لو كنتم كما تدعون أبناؤه

تفسير ابن كثير

كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم يعني ربي وربكم ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من النبوة ما ادعوا في عيسى عليه السلام وإنما أرادوا حملوا هذا على غير تأويله وحرفوه وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام كما نقل النصارى من نحن أبناء الله وأحباؤه أي نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل أنت ابني بكري قال تعالى ردا على اليهود والنصارى في كذبهم وافتراءهم وقالت اليهود والنصارى

بشير ونذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والله على كل شيء قدير قال ابن جرير معناه: إني قادر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني. 19 أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير أي لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر فقد جاءكم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشریعة الغراء ولهذا قال تعالى الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجمهم وعربهم إلا بقايا من بني إسرائيل وفي لفظ مسلم من أهل الكتاب فكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى عن الحسن قال: حدثني مطرف عن عياض بن حماد فذكره ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الأعرابي به والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله: لأن الحديث من مطرف وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن قتادة لم يسمعه من مطرف وإنما سمعه من أربعة عنه ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الأثرم ثم رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير. وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفاحش بكل ذي قرى ومسلم ورجل غفيف فقير ذو عيال متصدق وأهل النار خمسة: الضيف الذي لا دين له والذين هم فيكم تبع أو تبعك شك يحيى لا يبتغون أهلا عليهم فسنتفق عليك وابتعث جيشا نبعث خمسا أمثاله وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق متصلا ورجل رحيم رقيق القلب الماء تقرأه نائما ويقظانا ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت: يا رب إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة فقال: استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل وقال إنما بعثتك لأبتيك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله عبدي حلال لأنني خلقت عبادي حنفاء كلهم لأن الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته وإن ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال نحلته بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار المجاشعي إليه أمر عمم فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين من محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به أتم النعم والحاجة مريم لأننا ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن منان كما حكاه القاضي وغيره والمقصود أن الله بعث وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أولى الناس بابن ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا أي قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب وكانت الفترة بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل ستمائة سنة شمسية والآخر أراد قمرية وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف ولبنوا في كهفهم تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة والمشهور هو القول الأول وهو أنها ستمائة سنة ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة ولا منافاة بينهما فإن القائل الأول أراد أربعمائة وبضع وثلاثون سنة وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ستمائة سنة. ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر عن بعض أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك: من الرسل أي بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم. وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال أبو عثمان النهدي وقاتلة في رواية عنه: بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على فترة يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى

إن أبا الحسن ثمران بن صخر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام. 2 الطبراني: حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن زريق الحمصي حدثنا أبي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عباس بن يونس: لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا وقال أبو القاسم على الخير كفاعله ثم قال لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد قلت وله شاهد في الصحيح من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة بن عبد الرحمن حدثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن فضيل بن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدال وابن ماجه من طريق إسحاق بن يوسف كلاهما عن الأعمش به وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد أبو شعبة الكوفي حدثنا بكر عليه وسلم أنه قال: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم. وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة أذاهم. وقد رواه أحمد أيضا في مسند عبد الله بن عمر حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: قال: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظلما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه. وقال أحمد: حدثنا يزيد حدثنا سفيان بن سعيد عن الأعمش عن يحيى بن وثاب

تفسير ابن كثير

من حديث هشيم به نحوه وأخرجه من طريق ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالماً أو مظلوما قيل يا رسول الله انصر أخاك ظالماً أو مظلوما قيل يا رسول الله هذا نصرت مظلوما فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره. انفرد به البخاري وفي غيركم وقد قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن جده أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهاهم عن التناصر علي الباطل والتعاون على المآثم والمحارم قال ابن جرير: الإثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى من يسقط التحريك في شأن فيقول شأن ولم أعلم أحدا قرأ بها ومنه قول الشاعر: وما العيش إلا ما تحب وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا وقوله تعالى البغض قاله ابن عباس وغيره وهو مصدر من شأته أشنؤه شأنًا بالتحريك مثل قولهم جمران ودرجان ورقلان من جمر ودرج ورقل وقال ابن جرير: من العرب من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء كما صدك أصحابهم فأنزل الله هذه الآية والشنان هو عن زيد بن أسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم الناس من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه والعدل به قامت السموات والأرض. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عفان حدثنا عبد الله بن جعفر اعدلوا هو أقرب للتقوى أى لا يحملنكم بعض قوم على ترك العدل فإن العدل واجب على كل أحد في كل حال وقال بعض السلف: ما عاملت منهم ظلماً وعدواناً بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد وهذه الآية كما سيأتي من قوله ولا يجرمنكم شأن قوم على أن لا تعدلوا من أن ومعناها ظاهر أي لا يحملنكم بعض من كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام وذلك عام الحديبية على أن تعتدوا حكم الله فيهم فتقتصوا اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم. وقوله ولا يجرمنكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا من القراء من قرأ أن صدوكم بفتح الألف أو مباحاً فمباح ومن قال إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة ومن قال إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرى والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرنا كما الصيد وهذا أمر بعد الحظر والصحيح الذي يثبت على السير أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي فإن كان واجبا رده واجبا وإن كان مستحباً فمستحب اللحاء المضفرا وقوله تعالى وإذا حللتهم فاصطادوا أي إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتهم منه فقد أبحن لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من ولا القلائد يعني إن تقلدوا قلادة من الحرم فأمنوهم قال ولم تزل العرب تعير من أخفر ذلك قال الشاعر: ألم تقتلا الحرجين إذ أعورا لكم يمران بالأيدي يصد عن البيت فأمرنا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من الشجر فلم يعرض له أحد فإذا رجع تقلد قلادة من شعر فلم يعرض له أحد وكان المشرك يومئذ لا بالله واليوم الآخر نفى المشركين من المسجد الحرام وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام قال منسوخ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الآية وقال تعالى ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله وقال إنما يعمر مساجد الله من آمن من توجه قبل البيت الحرام فكان المؤمنون والمشركون يحجون فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعدها إنما المشركون صلى الله عليه وسلم براءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا آمين البيت الحرام يعني عامهم هذا ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تسع لما أمر الصديق على الحجيج علماً وأمره أن ينادي على سبيل النياحة عن رسول الله والله أعلم. فأما من قصده بالإلحاد فيه والشرك عنده والكفر به فهذا يمنع قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد . وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله إذا لم يكن له أمان وإن أم البيت الحرام أو بيت المقدس وإن هذا الحكم منسوخ في حقهم اعتمر إلى البيت فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا عليه في طريقه إلى البيت فأنزل الله عز وجل ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا يترضون الله بحبهم ذكر عكرمة والسدي وابن جرير أن هذه الآية نزلت في الحطم بن هند البكري كان قد أغار على سرح المدينة فلما كان من العام المقبل يبتغون فضلاً من ربهم: يعني بذلك التجارة وهذا كما تقدم في قوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم وقوله ورضوانا قال ابن عباس ولا تهجوه قال مجاهد وعطاء وأبو العالبة ومطرف بن عبد الله وعبد الله بن عبيد بن عمير والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وقتادة وغير واحد في قوله أي ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً وكذا من قصده طالبا فضل الله وراغب في رسوله فلا تصدوه ولا تمنعوه من شجر الحرم فيأمنون فنهى الله عن قطع شجره وكذا قال مطرف بن عبد الله. وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا المنذر بن شاذان حدثنا زكريا بن عدي حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف قال: قلت للحسن: نسخ من المائدة شيء؟ قال لا وقال عطاء كانوا يتقلدون سفيان بن حسن عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وحدثنا والوبر وتقلد مشركو الحرم من لحاء شجره فيأمنون به. رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عباد بن العوام عن أهل السنن وقال مقاتل بن حيان قوله ولا القلائد فلا تستحلوه وكان أهل الجاهلية إذا خرجوا من أوطانهم في غير الأشهر الحرم قلدوا أنفسهم بالشعر وقال بعض السلف: إعظامها استحسانها واستسمانها قال علي بن أبي طالب: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن. رواه وأهل للحج والعمرة وكان هديه إبلا كثيرة تنيف على الستين من أحسن الأشكال والألوان كما قال تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب صلى الله عليه وسلم بات بذى الحليفة وهو وادي العقيق فلما أصبح طاف على نسائه وكن تسعا ثم اغتسل وتطيب وصى ركعتين ثم أشعر هديه وقلده وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها فإن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ولهذا لما حج رسول الله

تفسير ابن كثير

البيت الحرام فإن فيه تعظيم شعائر الله ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام وليعلم أنها هدى إلى الكعبة فيجتنبها من يريد بها سوء تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان ولهذه المسألة بحث آخر له موضع أبسط من هذا وقوله تعالى ولا الهدي ولا القلائد يعني لا تتركوا الإهداء إلى الحرم وغيرها من شهور السنة قال وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أمانا من القتل إذا لم يكن والمراد أشهر التيسير الأربعة قالوا فلم يستثن شهرا حراما من غيره وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الجمهور إلى أن ذلك منسوخ وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم واحتجوا بقوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم في قوله تعالى ولا الشهر الحرام يعني لا تستحلوا القتال فيه وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك الجزري واختارهم ابن جرير أيضا وذهب بين جمادى وشعبان. وهذا يدل على استمرار تحريمها إلى آخر وقت كما هو مذهب طائفة من السلف. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية. وفي صحيح البخاري عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: إن الزمان ما نهى الله عن تعاطيه فيه من ابتداء بالقتال وتأكيد اجتناب المحارم كما قال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وقال تعالى الله وقيل شعائر الله محارمه: أي لا تحلوا محارم الله التي حرّمها تعالى ولهذا قال تعالى ولا الشهر الحرام يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس: يعني بذلك مناسك الحج وقال مجاهد: الصفا والمروة والهدى والبدن من شعائر يعني بذلك ما كان تعالى نزل عليهم من المن السلوى وبظللهم به من الغمام وغير ذلك مما كان تعالى يخصصهم به من خوارق العادات فالله أعلم. 20

أحدا مع هذه الأمة والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا وقيل المراد وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين أنهم قالوا في قوله وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكأنهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله وآتاكم ما لم يؤت وشرفها وكرمها عند الله عند قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس من سورة آل عمران وروى ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبير وأولادا وأوسع مملكة وأدوم عزا قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة والمقصود أنهم كانوا أفضل زمانهم وإلا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله وأكمل شريعة وأقوم منهاجا وأكرم نبيا وأعظم ملكا وأغزر أرزاقا وأكثر أموالا قالوا اجعل لنا إلهة كما لهم إله قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغىكم إلهة وهو فضلكم على العالمين أصناف بني آدم كما قال ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وقال تعالى إخبارا عن موسى لما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقوله وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يعني عالمي زمانهم فكانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر فهو ملك وهذا مرسل غريب وقال مالك: بيت وخادم وزوجة وقد ورد في الحديث من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما أبو ضمرة أنس بن عياض سمعت زيد بن أسلم يقول: وجعلكم ملوكا فلا أعلم إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان له بيت وخادم عليه وسلم قال: كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا: وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير: حدثنا الزبير بن بكار حدثنا منكم نفسه وماله وأهله رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إسرائيل إذا كان له منزل وخادم واستؤذن عليه فهو ملك وقال قتادة: كانوا أول من اتخذ الخدم وقال السدي في قوله وجعلكم ملوكا قال يملك الرجل ابن جرير ثم روي عن الحكم ومجاهد ومنصور وسفيان الثوري نحوه من هذا وحكاها ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران وقال ابن شاذان كان الرجل من بني ألك مسكن تسكنه قال نعم قال: فأنت من الأغنياء فقال: إن لك خادما فقال: فأنت من الملوك وقال الحسن البصري: هل الملك إلا مركب من خادم ودار رواه عبد الرحمن الحنبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها قال نعم قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكا وقال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو هاني أنه سمع أبا أحدا من العالمين قال: الذين هم بين ظهرائهم يومئذ ثم قال الحكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: الخادم والمرأة والبيت وروى الحاكم في مستدركه من حديث الثوري أيضا عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: المرأة والخادم وآتاكم ما لم يؤت تقدمه منهم صلى الله عليه وسلم وجعلكم ملوكا قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن الحكم أو غيره عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال: عليه السلام ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو أشرف من كل من هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نفقتهم حتى ختموا بعيسى ابن مريم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة فقال تعالى وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء أي كلما يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام فيما ذكر به قومه نعم الله عليهم وآلانه لديهم في جمعه لهم

أي التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل أنه ورائة من آمن منكم ولا ترتدوا على أدباركم أي ولا تنكروا عن الجهاد فتنتقلبوا خاسرين. 21

كما قاله السدي فيما رواه ابن جرير عنه: لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الطور شرقي بيت المقدس وقوله تعالى التي كتب الله لكم بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوهم فرعون اللهم إلا أن يكون المراد بأريحاء أرض بيت المقدس الثوري عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال: هي أريحاء وكذا ذكر عن غير واحد من المفسرين وفي هذا نظر لأن أريحاء ليست هي المقصودة

تفسير ابن كثير

الثوري: عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ادخلوا الأرض المقدسة قال هي الطور وما حوله وكذا قال مجاهد وغير واحد وروى سفيان أربعين سنة عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى فقال تعالى مخبرا عن موسى أنه قال: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أي المطهرة وقال سفيان وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره فعوقبوا بالذهاب في التيه والتمادي في سيرهم حائرين لا يدرون كيف يتوجهون إلى مقصد مدة زمان موسى فوجدوا فيها قوما من العمالة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول إليها وبقتال أعدائهم إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام ثم لم يزلوا بها حتى خرجوا ثم قال تعال مخبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد والدخول

الكافر غرق فكيف يبذل عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم. 22 وقال تعالى فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين وقال تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وإذا كان ابن نوح الطوفان لم يصل إلى ركبته وهذا كذب وافتراء فإن الله تعالى ذكر أن نوحا دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال رب لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرا وأنه كان ولد زنية وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح وأن ذراعا وثلاث ذراع تحرير الحساب وهذا شيء يستحي من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام وأنه من طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون فذرع فيها بشيء لا أدري كم ذرع ثم قاس بها في الأرض خمسين أو خمسا وخمسين ثم قال: هكذا طول العماليق. وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخبارا من أبي حاتم ثم قال: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهادي حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال: رأيت أنس بن مالك أخذ عصا إلى موسى فأخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتلهم قالوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون رواه ابن قالوا: نحن قوم موسى بعثنا نأتيه بخبركم فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا: لهم اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم هذا قدر فاكهتهم فرجعوا الله فبعثهم ليأتوه بخبرهم فساروا فلقبهم رجل من الجبارين فجعلهم في كسائه فحمله حتى أتى بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا إليه فقالوا من أنتم؟ بما عينوا من أمرهم. وفي هذا الإسناد نظر وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس لما نزل موسى وقومه بعث منهم اثنا عشر رجلا وهم النقباء الذين ذكرهم في كمة مع الفاكهة وذهب بهم إلى ملكهم فنثرهم بين يديه فقال: لهم الملك قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فأخبروا صاحبكم قال فوجدوا إلى موسى فأخبروه الثمار من حائطه فجعل يجتني الثمار وينظر إلى آثارهم فتبعهم فكلما أصاب واحدا منهم أخذ فجعله في كمة مع الفاكهة حتى التقط الاثنا عشر كلهم فجعلهم سبط منهم عين ليأتوه بخبر القوم قال فدخلوا المدينة فرأوا أمرا عظيما من هيئتهم وجسمهم وعظمهم فدخلوا حائطا لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليحتني عن ابن عباس قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين قال: فسار موسى بمن معه حتى نزل قريبا من المدينة وهي أريحاء فبعث إليهم اثنا عشر عينا من كل منها دخلناها وإلا فلا طاقة لنا بهم وقد قال ابن جرير: حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان قال: قال أبو سعيد قال عكرمة وقتال أهلها قوما جبارين أي ذوي خلق هائلة وقوى شديدة وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها فإن يخرجوا قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإننا لن تدخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون أي اعتذروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها لكم فلم ينفع ذاك فيهم شيئا. 23 والربيع بن أنس وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله فقالا ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين أي رجلان من الذين يخافون أي ممن لهما مهابة وموضع من الناس ويقال إنهما: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي الله ومتابعة رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه وقرأ بعضهم قال وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أي فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم تتابعوا على ذلك وهذا إن كان محفوظا يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر. 24 نكون كالملا من بني إسرائيل إذا قالوا لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فلما سمعها أصحاب لأصحابه يوم الحديبية حين صد المشركون الهدي وحيل بينهم وبين مناسكهم إنى ذاهب بالهدي فناحره عند البيت فقال له المقداد بن الأسود: أما والله لا أن المقداد قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا مجيد عن قتادة قال: ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال البخاري: رواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق مخارق به ولفظه في كتاب التفسير عن عبد الله قال: قال المقداد يوم بدر يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك وسر بذلك. وهكذا رواه البخاري في المغازي وفي التفسير من طرق عن فقال: والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن رضي الله عنه: لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين رواه أحمد من هذا الوجه وقد رواه من طريق أخرى فقال: حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله بن مسعود يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون هكذا

تفسیر ابن کثیر

أحمد: حدثنا وكيع حدثني سفيان عن مخارق بن عبد الله الأحمسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون وكان ممن أجاب يومئذ المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه كما قال الإمام عن عتبة بن عبيد السلمي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ألا تقاتلون ؟ قالوا نعم ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك ابن مردويه أنا عبد الله بن جعفر أنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا محمد بن شعيب عن الحكم بن أيوب عن عبد الله بن ناسخ النسائي عن محمد بن المثني عن خالد بن الحارث عن حميد به ورواه ابن حبان عن أبي يعلى عن عبد الأعلى بن حماد عن معمر بن سليمان عن حميد به وقال: وربك فقاتلا إنها ههنا قاعدون والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها برك إلى الغمام لاتبعناك ورواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حميد الطويل عن أنس به ورواه ثم استشارهم فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: إذا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول سعد ونشطه ذلك. وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو حاتم البحر فخصته لخصناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ فقال سعد بن معاذ: كأنك تعرضي بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا بكر رضي الله عنه فأحسن ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أشيروا علي أيها المسلمون وما يقول لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان فلما فات اقتناص العير واقترب منهم النفير وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الألف في العدة والبيض واليلب فتكلم أبو رجموهما وجرى أمر عظيم وخطر جليل وما أحسن ما أجاب به من الصحابة رضي الله عنهما يوم بدر رسول الله حين استشارهم في قتال النفير الذين جاءوا موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل إعظاما لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ولاما قومهما على ذلك ويقال إنهم وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم وتخلف عن مقاتلة الأعداء ويقال إنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر سجد قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون

الضاحك: اقص بيننا وبينهم وافتح بيننا وبينهم وقال غيره: افرق افضل بيننا وبينهم كما قال الشاعر: يارب فافرق بينه وبينني أشد ما فرقت بين اثنين. 25 أنا وأخي هارون فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال العوفي: عن ابن عباس يعني اقص بيني وبينهم وكذا قال علي بن طلحة: عن ابن عباس وكذا قال عليهم موسى عليه السلام وقال داعيا عليهم رب إنني لا أملك إلا نفسي وأخي أي ليس أحد يطيعني منهم فيما أمر الله ويحجب إلى ما دعوت إليه إلا قوله قال رب إنني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب

التي مسخ منها الخنازير والقرود وألزمهم لعنة تصحبهم إلى الدار ذات الوقود ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود وقد فعل وله الحمد في جميع الوجوه. 26 ولا يسترها الذيل هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون وهم البغضاء إلى الله وأعدائه ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه فقبح الله وجوههم أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والفرق له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم ثم ينكرون عن مقاتلة ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه وصفيه عن خلقه في ذلك الزمان وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا مع تقريع اليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتها فيما أمراهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم فلا تأس على القوم الفاسقين تسليمة لموسى عليه السلام عنها أي لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به فإنهم مستحقون ذلك وهذه القصة تضمنت موسى عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ووثب في السماء عشرة أذرع فحضر عوجا فأصاب كعبه فسقط ميتا وكان جسرا للناس يمرون عليه. وقوله تعالى لأهل النيل سنة وروي أيضا عن محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن نوف هو البكالي قال: كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وكان طول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت عصا موسى عشرة أذرع ووثبته عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع فوثب فأصاب كعب عوج فقتله فكان جسرا وما ذاك إلا بعد التيه لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه هذا استدل له ثم قال: حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس بن أبي إسحاق إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق فدل على أنه كان بعد التيه قال: وأجمعوا على أن بلعام بن باعورا أعان الجبارين بالدعاء على موسى قال عليه السلام ففتح بهم بيت المقدس ثم احتج على ذلك من قال بإجماع علماء أخيار الأولين أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام قال: فلو كان قتله فإنها محرمة عليهم هو للعامل في أربعين سنة وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد قال: ثم خرجوا مع موسى بقرة من ذهب لها عينان من ياقوت وأسنان من لؤلؤ فوضعه مع القربان فأثت النار فأكلتها وهذا السياق له شاهد في الصحيح وقد اختار ابن جرير أن قوله إلى النار فلم تأته فقال فيكم الغلول فدعا رعوس الأسباط وهم اثنا عشر رجلا فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده فقال: الغلول عندك فأخرجه فأخرج رأس فخشي أن دخلت ليلة السبت أن يسبوا فنادى الشمس إنى مأمور وإنك مأمورة فوقفت حتى افتتحها فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط فقبروه سنة ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالأمر بعد موسى وهو الذي افتتحها وهو الذي قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها ودنت الشمس للغروب محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض قال فتأهوا أربعين سنة قال فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة فلما مضت الأربعون سورة البقرة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر العبدى حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قوله فإنها

تفسير ابن كثير

يدخلوا بابها سجدا وهم يقولون حطة أي حط عنا ذنوبا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حبة في شعرة وقد تقدم هذا كله في قال: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن إسرائيل من الجيل الثاني فقصدهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم وقف تام وقوله أربعين سنة منصوب بقوله يتيهون في الأرض فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله قال فإنها محرمة عليهم هذا السلام ثم بعده بمدة ثلاثة سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه السلام نبيا خليفة عن موسى بن عمران ومات كل يوم يسبرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وهذا قطعة من حديث الفتون ثم كانت وفاة هارون عليه عن سعيد بن جبيرة سألت ابن عباس عن قوله فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض الآية. قال: فاتهاوا في الأرض أربعين سنة يصبحون بن عمران وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام وعملت قبة العهد ويقال لها قبة الزمان قال يزيد بن هارون: عن أصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب معهم على دابة فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجري لكل شعب عين وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل الآية. لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين أكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسبرون دائما لا وقوله تعالى فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض

في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قلت من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا العبادة فيمرون إلى الجنة. 27 فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال: بلى سمعته يقول: يحبس الناس في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون؟ فيقومون بن سليمان يعني الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال: كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاوية لأن أستيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها إن الله يقول إنما يتقبل الله من المتقين وحدثنا أبي حدثنا عمران حدثنا إسحق حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء بن زيد حدثنا إسماعيل بن عياش حدثني صفوان بن عمرو عن تميم يعني ابن مالك المقرئ قال: سمعت أبا الدرداء يقول: منه وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ عنه جيدا والله أعلم. ومعنى قوله إنما يتقبل الله من المتقين أي ممن اتقى الله في فعله وقال ابن أبي حاتم: من قابيل. كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف وهو المشهور عن مجاهد أيضا ولكن روى ابن جرير عنه أنه قال: الذي قرب الزرع قابيل وهو المتقبل وأن الذي قرب الطعام هو قابيل وأنه تقبل من هابيل شاته حتى قال ابن عباس وغيره: إنها الكبش الذي فدي به الذبيح وهو مناسب والله أعلم ولم يتقبل قال إنما يتقبل الله من المتقين فالسياق يقتضي إنه إنما غضب عليه وحسده بقوله قربانه دونه ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قرب الشاة هو هابيل عن سبب ولا عن تداري في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم وهو ظاهر القرآن إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك لا ينظر الناس إلى وأنت خير مني فقال لأقتلنك فقال له أخوه ما ذنبني إنما يتقبل الله من المتقين. رواه ابن جرير فهذا الأثر يقتضي أن تقرب القربان كان لا زرعه فجاءت النار فنزلت بينهما فأكلت الشاة وتركت الزرع لأن ابن آدم قال لأبيه أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قربانا فتقبل منك ورد علي فلا والله نارا فتأكله وإن لم يكن رضي الله خبت النار فقربا قربانا وكان أحدهما راعيا وكان الآخر حراثا وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها وقرب الآخر بعض أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا لو قربنا قربانا وكان الرجل إذا قرب قربانا فرضيه الله أرسل إليه فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله. رواه ابن جرير. وروى العوفي عن ابن عباس قال: من شأنهما قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على بذر الأرض وكان هابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل أبكارا من أبكار غنمه وبعضهم يقول قرب بقرة أي ذلك كان فقال له أبوه: يا بني إنها لا تحل لك فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه قال له أبوه يا بني قرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا فأيكما تقبل وهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختي ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول كانت أخت قابيل من أحسن الناس فضن بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل فسلم لذلك هابيل ورضي وأبى ذلك قابيل وكره تكريما عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة حوبة من الأرض وحتى عليه شيئا من التراب. وروى محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل وأمر الطيب إنما يتقبل الله من المتقين فلما قالها غضب قابيل فرفع الحديدة وضربه بها فقال ويلك يا قابيل أين أنت من الله كيف يجزيك بعملك فقتله فطرحة في حديدة فاستقبله وهو منقلب فقال يا هابيل تقبل قربانك ورد علي قرباني لأقتلنك فقال هابيل قربت أطيب ما لي وقربت أنت أخبث مالك وإن الله لا يقبل إلا في غنمه فقال آدم: يا قابيل أين أخوك؟ قال: وبعثني له راعيا لا أدري فقال آم: ويلك يا قابيل انطلق فاطلب أخاك فقال قابيل في نفسه الليلة أقتله وأخذ معه ورد علي قرباني فقال قابيل لهابيل: لأقتلنك وأستريح منك دعا لك أبوك فصلى على قربانك فتقبل منك وكان يتواعده بالقتل إلى أن احتبس هابيل ذات عشية قربان قابيل فانصرفوا وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه فقال: ويلك يا قابيل رد عليك قربانك فقال: أحببته فضليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه فصعدا الجبل فوضعا قربانهما ثم جلسوا ثلاثتهم آدم وهما ينظران إلى القربان فبعث الله نارا حتى إذا كانت فوقهما دنا منها عنق فاحتمل قربان هابيل وترك إذا تقبل قربانكما فقربا وكان هابيل صاحب غنم فقرب أكولة غنم خير ماله وكان قابيل صاحب زرع فقرب مشاققة من زرعه فانطلق آدم معهم ومعهم قربانهما حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال قال آدم عليه السلام لهابيل وقابيل: إن ربي عهد إلي أنه كائن من ذريتي من يقرب القربان فقربا قربانا حتى تقر عيني

تفسير ابن كثير

فقبله الله منه فما زال يرتع في الجنة حتى فدي به ابن إبراهيم عليه السلام رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الأنصاري حدثنا القاسم بن عبد الرحمن أنتج له حمل في غنمه فأحبه حتى كان يؤثره بالليل وكان يحمله على ظهره من حبه حتى لم يكن له مال أحب إليه منه فلما أمر بالقربان قربيه لله عز وجل الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط يده إلى أخيه وقال إسماعيل بن رافع المدنى القاص بلغني أن ابني آدم له أمرا بالقربان كان أحدهما صاحب غنم وكان نفسه وأن الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ولم يتقبل قربان صاحب الحرث وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه قال: وإيم الله إن كان المقتول لأشد أمرا أن يقربا قربانا وإن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها طيبة بها نفسه وإن صاحب الحرث قرب أشد حرثه الكودن والزوان غير طيبة بها المغيرة عن عبد الله بن عمرو قال إن ابني آدم الذين قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم وأنهم في الجنة أربعين خريفا وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام. إسناده جيد وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي عن ابن عباس وقوله إذ قربا قربانا فقربا قربانها فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض وصاحب الحرث بصرة من طعامه فقبل الله الكبش فحزنه الكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع فقتله. إسناده جيد وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة كذلك ولد له امرأة وضينة وولد له أنثى قبيحة دميعة فقال أخو الدميعة أنكحني أختك وأنكحك أختي فقال لا أنا أحق بأختي فقربا قربانا فتقبل من صاحب حميد بن جبيرة فحدثني عن ابن عباس قال: نهى أن تنكح المرأة أخاها توأمها وأمر أن ينكحها غيره من إخوتها وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة فبينما هم يتقبل الله من المتقين. رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خيثم قال: أقبلت مع سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها وأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لاقتلك حتى لا تنكح أختي فقال هابيل إنما آدم قربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فقال أنا أحق بها منك هي أختي وأنا أكبر منك وأنا وصي والدي فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة فاتته فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالأمانه فأبت وقال للأرض فأبت وقال للجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وأهلك كما يسرك فلما انطلق أحق بالجارية وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما أتى مكة ينظر إليها قال الله عز وجل هل تعلم أن لي بيتا في الأرض قال الله لا قال إن لي بيتا في مكة فأبى عليه قال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوج بها فأمره أبوه أن يزوجه هابيل فأبى وأنها قربا قربانا إلى الله عز وجل أيهما وقابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب زرع وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل مولود إلا ومعه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما هابيل السدي فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يولد لآدم ذلك إلا أن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه. ذكر أقوال المفسرين ههنا قال في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر وكانت أخت هابيل دميعة وأخت قابيل وضينة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيته لضرورة الحال ولكن قالوا كان يولد له ولا زيادة ولا نقصان كقوله تعالى إن هذا لهو القصص الحق وقوله تعالى نحن نقص عليك نبأهم بالحق وقال ذلك عيسى ابن مريم قول الحق ابني آدم وهما هابيل وقابيل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف وقوله بالحق أي على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل في الدارين فقال تعالى وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق أي اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل ففاز المقتول بوضع الآثار والدخول إلى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة مبينا وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغيا عليه وحسدا يقول تعالى

صلى الله عليه وسلم: لئن اقتتلتم لأنتظرن إلى أقصى بيت في داري فلألججه فلئن دخل علي فلان لأقولن ها بؤ بإثمى وإثمك فأكون كخير ابني آدم. 28 حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن منصور عن ربعي قال: كنا في جنازة حذيفة فسمعت رجلا يقول سمعت هذا يقول في ناس مما سمعت من رسول الله عن أبي ذر بنحوه قال أبو داود ولم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت به ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران عن المشعث بن طريف عن عبد الله بن الصامت فيه ولكن إذا خشيت أن يردعك شعاع السيف فألق طرف رداك على وجهك كي يبوء بإثمه وإثمك ورواه مسلم وأهل السنن سوى النسائي من طرق عن أبي أعلم قال: أقعد في بيتك وأغلغ عليك بابك قال: فإن لم أترك قال: فانت من أنت منهم فكأن منهم قال: فأخذ سلاحي قال: فإذا تشاركهم فيما هم الله ورسوله أعلم قال: اصبر قال: يا أبا ذر أرايت إن قتل الناس بعضهم بعضا يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع قال: الله ورسوله تصنع قال قال: الله ورسوله أعلم قال: تعفف قال: يا أبا ذر أرايت إن أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالعبد يعني القبر كيف تصنع قلت: ركب النبي صلى الله عليه وسلم حمارا وأردفني خلفه وقال: يا أبا ذر أرايت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف لعثمان بن عفان رضي الله عنه رواه ابن أبي حاتم. وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن حرم حدثني أبو عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال أيوب السخيتاني: إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن كابن آدم وتلا لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين

تفسير ابن كثير

الأشجعي أنه سمع سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث قال: فقلت يا رسول الله أرايت إن دخل بيتي وبسط يده ليقبطني قال قلت وقال رواه أبو داود من طريقه فقال: حدثنا يزيد بن خالد الرملي حدثنا الفضل عن عياش ابن عباس عن بكير عن بشر بن سعيد عن حسين بن عبد الرحمن بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسى وخرشة ورواه بعضهم عن الليث بن سعد وزاد في الإسناد رجلا قال الحافظ ابن عساكر: الرجل هو حسين الأشجعي يده إلي ليقبطني؟ فقال كن كابن آدم وكذا رواه الترمذي عن قتيبة بن سعد وقال: هذا الحديث حسن وفي الباب عن أبي هريرة وخباب بن الارت وأبي الله عليه وسلم قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط سعيد حدثنا ليث بن سعد عن عياش بن عباس عن بكير بن عبد الله عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن الله إن كان لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج يعني الورع ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا تواجه المسلمان بسيقهما بمثله فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة إني أخاف الله رب العالمين أي من أن أصنع كما تريد أن تصنع بل أصبر وأحتسب قال عبد الله بن عمرو: وإيم لتقواه حين تواعده أخوه بالقتل على غير ما ذنب منه إليه لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك أي لا أقابلك على صنيعك الفاسد قوله لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين يقول له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه

أن تبوء بإثمي وإثمك أي تتحمل إثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين وقال ابن عباس: خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر. 29 إن قاتله بل يكف عنه يده طالبا إن وقع قتل أن يكون من أخيه لا منه قلت وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ وزجر له لو انزجر ولهذا قال إني أريد حاصله كيف أراد هابيل أن يكون على أخيه قابيل إثم قتله وإثم نفسه مع أن قتله له محرم؟ وأجاب بما حاصله أن هابيل أخبر عن نفسه بأنه لا يقاتل أخاه المقتول مأخوذا بها القاتل وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبتها بنفسه دون ما ارتكبه قتيله هذا لفظه ثم أورد على هذا سؤالا ذلك هو الصواب لإجماع أهل التأويل عليه وأن الله عز وجل أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه وإذا كان هذا حكمه في خلقه فغير جائز أن تكون آثام في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله إني أريد أن تبوء بإثمي وأما معنى وإثمك فهو إثمه يعني قتله وذلك معصية الله عز وجل في أعمال سواء وإنما قلنا في المظالم كلها والقتل من أعظمها وأشدّها والله أعلم. وأما ابن جرير فقال والصواب من القول في ذلك أن يقال إن تأويله إني أريد أن تنصرف بخطيئتك من سيئات المقتول فطرحت على القاتل فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وضعت على القاتل وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته فإن نفدت ولم يستوف حقه أخذ وسلم: قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه وهذا بهذا لا يصح ولو صح فمعناه إن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه فأما أن تحمل على القاتل فلا ولكن حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا عتبة بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حديثا لا أصل له ما ترك القاتل على المقتول من ذنب وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديث يشبه هذا ولكن ليس به فقال حدثنا عمرو بن علي إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك يقول إني أريد أن يكون عليك خطيئتي ودمي فتبوء بهما جميعا قلت وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ويذكرون بإثمي قال بقتلك إياي وإثمك قال بما كان منك قبل ذلك وكذا رواه عيسى بن أبي نجيح عن مجاهد بمرثله وروى شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قول وجدته عن مجاهد وأخشى أن يكون غلطا لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه يعني ما رواه سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد إني أريد أن تبوء أي بإثم قتلي والله الذي عليك قبل ذلك قاله ابن جرير وقال آخرون: يعني بذلك إني أريد أن تبوء بخطيئتي فتتحمّل وزرها وإثمك في قتلك إياي وهذا تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي في قوله إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك وقوله إني أريد أن

إن الله غفور رحيم وقد استدلل بهذه الآية من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر لأن الرخص لا تنال بالمعاصي والله أعلم. 3 غير متجانف لإثم أي متعاط لمعصية الله فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر كما قال في سورة البقرة فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه فقال: هلا كنت نحرقتها؟ قال: استحبيبت منك. تفرد به وقد يحتج به من يجوز الأكل والشبع والتزود منها مدة يغلب على ظنه الاحتياج إليها والله أعلم. وقوله فنأكله قال: لا حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فسأله فقال: هل عندك غنى يغنيك قال: لا قال: فكلوها قال فجاء صاحبها فأخبره الخير ناقتي ضلت فإن وجدتها فامسكها فوجدتها ولم يجد صاحبها فمرضت فقالت له امرأته انحرها فأبى فنفتت فقالت له امرأته: اسلخها حتى تقدد شحمها ولحمها حديث آخر قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا سماك عن جابر عن سمرة أن رجلا نزل الحرة ومعه أهله وولده فقال له رجل إن ويغتبون شيئا لا يكفيهم فأحل لهم الميتة لتمايم كفايتهم وقد يحتج به من يرى جواز الأكل منها حتى يبلغ حد الشبع ولا يتقيد ذلك بسد الرمي والله أعلم. قال أبو نعيم: فسره لي عقبة قدح غدوة وقدح عشية قال: ذاك وأبي الجوع وأحل لهم الميتة على هذه الحال. تفرد به أبو داود وكأنهم كانوا يصطبحون العامري سمعت أبي يحدث عن النجيب العامري أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما يحل لنا من الميتة قال: ما طعامكم قلنا نصطبح ونغتبك بالحاء وبالتخفيف ويحتمل الهمز كذا رواه في التفسير. حديث آخر قال أبو داود: حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا الفضل بن دكين حدثنا وهب بن عقبة فكلوا منها. وقال ابن جرير: يروى هذا الحرف يعني قوله أو تحتفونوا على أربعة أوجه: تحفوا بالهمزة وتحتفيوا بتخفيف الياء والحاء وتحتفوا بتشديد وتحتفوا مالك فإنه ميسور كله فليس فيه حرام ومعنى قوله ما لم تصطحبوا يعني به الغداء وما لم تغتبقوا يعني به العشاء أو تحتفونوا بقلأ فشأنكم بها

تفسير ابن كثير

عنه فقال الأعرابي ما غنائي الذي أدعه إذا وجدته فقال: صلى الله عليه وسلم: إذا رويت كنت أهلك غبوقا من الليل فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام لي وما غنائي الذي يغنيني عن ذلك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا كنت ترجو غناء تطلبه فتبلغ من ذلك شيئا فأطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغني صلى الله عليه وسلم: يحل لك الطبيات ويحرم عليك الخبائث إلا أن تفتقر إلى طعام لك فتأكل منه حتى تستغني عنه فقال الرجل: وما فقري الذي يحل بن عروة عن جده عروة بن الزبير عن جدته أن رجلا من الأعراب أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه في الذي حرم الله عليه والذي أحل له فقال النبي فقال: متى يحل الحرام؟ قال: فقال: إلى متى يروي أهلك من اللبن أو تجيء ميرتهم حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق حدثني عمر بن عبد الله فيه: ويجزي من الأضرار غبوق أو صبح. حدثنا أبو كريب حدثنا هشيم عن الخصيب بن زيد التميمي حدثنا الحسن أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ابن المبارك عن حسان مرسلا وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون قال: وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأته عليه فكان مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به. ورواه ابن جرير عن هناد بن السري عن عيسى بن يونس عن حسان عن رجل قد سمي له فذكره ورواه أيضا عن هناد عن الأسدي عن الأوزاعي به لكن رواه بعضهم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن مسلم بن يزيد عن أبي واقد به ومنهم من رواه عن الأوزاعي عن حسان عن بقال فشأنكم بها تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين وكذا رواه ابن جرير عن عبد الأعلى بن واصل عن محمد بن القاسم عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا: يا رسول الله إنا بأرض تصيبنا بها المخصصة فمتى تحل لنا بها الميتة؟ فقال: إذا لم تصطبخوا ولم تغتبقوا ولم تحتفوا بها كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم بل متى اضطر إلى ذلك جاز له وقد قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية ويلزمه الجزاء أو ذلك الطعام ويضمن بدله؟ على قولين هما للشافعي رحمه الله وليس من شرط جواز تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعاما أن يشبع أو يشبع ويتزود؟ على أقوال كما هو مقرر في كتاب الأحكام وفيما إذا وجد ميتة وطعام الغير أو صيدا وهو محرم هل يتناول الميتة أو ذلك الصيد الأحيان وهو ما إذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها وقد يكون مندوبا وقد يكون مباحا بحسب الأحوال واختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق أو له لفظ ابن حبان وفي لفظ لأحمد من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة. ولهذا قال الفقهاء: قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض وفي المسند وصحيح ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يكره أن تؤتى معصيته التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك فله تناوله والله غفور رحيم له لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره إلى ذلك فيتجاوز عنه ويغفرله ابن جرير الطبري رحمه الله وقوله فمن اضطر في مخصصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم أي فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وسمرة بن جندب رضي الله عنه وأرسله الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء واختاره فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان رواه عن أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح لا هذا ولا هذا بل الصواب الذي لا شك أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم حين قال لعلي من كنت مولاه فعلي مولاه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى حجة الوداع. ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قلت وقد روى ابن مردويه من طريق عند الناس ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله اليوم أكملت لكم دينكم يقول ليس بيوم معلوم عند الناس قال: وقد قيل إنها نزلت على الاثنين فالله أعلم. ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين كما تقدم فاشتبه على الراوي والله أعلم. وقال ابن جرير: وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ووضع الحجر الأسود يوم الاثنين هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش الصغاني عن ابن عباس قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبت يوم الاثنين وخرج مهاجرا سورة المائدة يوم الاثنين اليوم أكملت لكم دينكم. ورفع الذكر يوم الاثنين فإنه أثر غريب وإسناده ضعيف. وقد رواه الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عن حنش بن عبد الله الصغاني عن ابن عباس قال: ولد نبيكم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وفتح بدرا يوم الاثنين وأنزلت عرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على الموقف فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران بن موسى بن دحية عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: نزلت هذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا يوم ينتزع بهذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم حتى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة. وروى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق عن عمرو أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر أبي الحنفية عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم عشية عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وقال ابن جرير: حدثنا وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن كامل حدثنا موسى بن هارون حدثنا يحيى الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن إسماعيل بن سليمان عن أبي عمر البزار عن ورضيت لكم الإسلام دينا فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين يوم عيد ويوم جمعة. ابن جرير: حدثنا أبو بكر حدثنا قبيصة حدثنا حماد بن سلمة عن عمار هو مولى بني هاشم أن ابن عباس قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي اليوم أكملت لكم دينكم فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه فنزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد. وقال قال كعب لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه فقال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال أخبرنا رجاء بن أبي سلمة أخبرنا عبادة بن نسي أخبرنا أميرنا إسحاق قال أبو جعفر بن جرير وهو إسحاق بن حרشة عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال:

تفسير ابن كثير

ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم. وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب ابن إبراهيم حدثنا ابن علية جمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري رحمه الله. فإن هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء وقد وردت في الآية وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو تورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة. قال سفيان: وأشك أن يكون يوم الجمعة أم لا اليوم أكملت لكم دينكم من طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: الله إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر: إنى لأعلم حين أنزلت وأين عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به. ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي أيضاً من طرق عن قيس بن مسلم ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية والله إنى لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله عشية عرفة في يوم جمعة. ورواه البخاري آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال وأي آية؟ قال قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فقال عمر: جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون نقص فقال صلى الله عليه وسلم: صدقت. ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء وقال الإمام أحمد: حدثنا وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا بأحد وثمانين يوماً رواهما ابن جرير ثم قال: حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت اليوم أكملت لكم دينكم من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه برداً كان علي. وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة فلم تطق الراحلة عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة فلم تطق الراحلة صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أمته الله فلا ينقصه أبداً وقد رضي الله فلا يسخطه أبداً. وقال أسباط وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اليوم أكملت لكم دينكم وهو الإسلام أخبر الله نبيه ولهذا قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً أي فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق ديناً هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه وأبيدهم وأظفركم بهم وأشرف صدوركم منهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة وقوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولا يخافوا أحداً إلا الله فقال فلا تخشوهم واخشون أي لا تخافوهم في مخالفتكم إياهم واخشوني أنصركم عليهم ويحتمل أن يكون المراد أنهم ينسوا من مشابهة المسلمين لما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله ولهذا قال تعالى آمراً لعباده المؤمنين الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس يعني ينسوا أن يراجعوا دينهم. وكذا روى عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان وعلى هذا المعنى يرد ثم رضي به لفظ أحمد وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي الموالى وقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه واصرّفه عني واقدر لي الخير حيث كان وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ويسمي به باسمه خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وأجله فاقدّره بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إنى أستخبرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم بن المنكر عن جابر بن عبد الله قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول: إذا هم أحدكم يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه. كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن من طريق عبد الرحمن بن أبي الموالى عن محمد . وهكذا قال ههنا وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق أي تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء إلى قوله منتهون في الاستخارة تارة وفي القمار أخرى والله أعلم. فإن الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال في آخر السورة: يا أيها الذين آمنوا إنما سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقمارون. وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار فيه نظر اللهم إلا أن يقال إنهم كانوا يستعملونها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يلج الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائراً: وقال مجاهد في قوله وأن تستقسموا بالأزلام قال هي لم يسلم إذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك. وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن يزيد عن رقية عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره لا يضرهم قال فعصيت الأزلام وأنبعثهم ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة كل ذلك يخرج الذي يكره لا يضرهم كذلك وكان سراقه أن سراقه بن مالك بن جعشم لما خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما ذاهبان إلى المدينة مهاجرين قال فاستقسمت بالأزلام هل عليه وسلم لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها وفي أيديهما الأزلام فقال قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبداً. وفي الصحيح

تفسير ابن كثير

كان عنده سبعة أزالام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه مما أشكل عليهم فما خرج لهم منها رجعوا إليه ولم يعدلوا عنه وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله بها الأمور وذكر محمد بن إسحاق وغيره أن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له هبل منصوب على بئر داخل الكعبة فيها موضع الهدايا وأموال الكعبة فيه قدام كانوا يستقسمون بها في الأمور وكذا روى عن مجاهد وإبراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان وقال ابن عباس هي قدام كانوا يستقسمون الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا الحجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن ابن عباس وأن تستقسموا بالأزالام قال والأزالام الأمر فعله أو النهى تركه وإن طلع الفارغ أعاد والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزالام هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا والثالث غفل ليس عليه شيء. ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل ليس عليه شيء فإذا أجالها فطلع سهم واحدا زلم وقد تفتح الزاي فيقال زلم وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قدام ثلاثة على أحدها مكتوب أفعل وعلى الآخر لا تفعل أن يحمل هذا على هذا لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله وقوله تعالى وأن تستقسموا بالأزالام أي حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزالام وحرّم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله وينبغي عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب وكذا ذكره غير واحد فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع ذبح على النصب قال مجاهد وابن جريج: كانت النصب حجارة حول الكعبة قال ابن جريج: وهي ثلثمائة وستون نصبا كانت العرب في جاهليتها يذبحون إلا من اللبة والحلق؟ فقال لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك. وهو حديث صحيح ولكنه محمول على ما لا يقدر على ذبحه في الحلق واللبة وقوله وما أن تزهق فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من رواية حماد بن سلمة عن أبي العسراء الدارمي عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أما تكون الذكاة فمدى الحبشة وفي الحديث الذي رواه الدارقطني مرفوعا وفيه نظر وروى عن عمر موقوفا وهو أصح ألا إن الذكاة في الحلق واللبة ولا تعجلوا الأنفس العدو غدا وليس معنا مدى أفندبح بالقصب؟ فقال: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر بلغ الحيوان فيها إلى حالة لا يعيش بعدها فيحتاج إلى دليل مخصص للآية والله أعلم. وفي الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال: قلت يا رسول الله إنا لاقو فيثقب بطنها ولا يثقب الأمعاء فقال: إذا شق بطنها فلا أي أن تؤكل هذا مذهب مالك رحمه الله. وظاهر الآية عام فيما استثناه مالك رحمه الله من الصور التي فلا أرى أن يؤكل وإن كان أصاب أطرافه فلا أرى بذلك بأسا قيل له وثب عليه فدق ظهره فقال: لا يعجبني هذا لا يعيش منه قيل له فالدئب يعدو على الشاة يذكي أي شيء يذكي منها؟ وقال أشهب سئل مالك عن الضبع يعدو على الكبش فيدق ظهره أترى أن يذكي قبل أن يموت فيؤكل فقال: إن كان قد بلغ الشجرة الفقهاء وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل. قال ابن وهب سئل مالك عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتى تخرج أمعاؤها فقال: مالك لا أرى أن والحسن وقتادة وعبيد بن عمير والضحاك وغير واحد أن المذكاة من تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح فهي حلال وهذا مذهب جمهور حجاج عن حصين عن الشعبي عن الحارث عن علي قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة وهي تحرك يدا أو رجلا فكلها وهكذا روى عن طاوس أبيه عن علي في الآية إن مصعت بذنبها أو ركضت برجلها أو طرفت بعينها فكل. وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم وعباد قال: حدثنا فهو ذكي. وكذا روى عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد عن والمتردية والنطيحة وما أكل السبع قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس في قوله إلا ما ذكيتم يقول إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه إلا ما ذكيتم عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة وذلك إنما يعود على قوله والمنخقة والموقوذة من مذبحة فلا تحل بالإجماع وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة أو نحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين وقوله الكلام وقوله تعالى وما أكل السبع أي ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرام وإن كان قد سال منها الدم ولو قولهم طريقة طويلة وقال بعضهم إنما أتى بناء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة بخلاف عين كحيل وكف خضيب لأن التأنيث مستفاد من أول عين كحيل وكف خضيب ولا يقولون كف خضيب ولا عين كحيلة وأما هذه فقال بعض النحاة: إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الأسماء كما في جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحة والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة أي منطوحة وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث فيقولون وقال قتادة: هي التي تتردى في بئر وقال السدي: هي التي تقع من جبل أو تتردى في بئر. وأما النطيحة فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها فهي حرام وإن وتعالى أعلم. وأما المتردية فهي التي تقع من شاهق أو موضع عال فتموت بذلك فلا تحل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المتردية التي تسقط من جبل منه الكلب ففي تحريم ما أكل منه الطير وجهان وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفريع والترتيب لنص الشافعي رحمه الله على التسوية بينهما والله سبحانه وأيضاً فإنها لا تعلم إلا بأكلها من الصيد فيعفى عن ذلك وأيضاً فالتص إنما ورد في الكلب لا في الطير وقال الشيخ أبو علي في الإفصاح: إذا قلنا يحرم ما أكل المزني من أصحابنا أنه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد قالوا: لأنه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه منه أنه أمسك على نفسه والله أعلم. فأما الجوارح من الطيور فنص الشافعي على أنها كالكلب فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ولا يحرم عند الآخرين واختار عليه الفصل ولم يجئ فأكل منه لجوعه ونحوه فإنه لا بأس بذلك والحالة هذه لا يخشى أنه إنما أمسك على نفسه بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة فإنه يظهر وأما الجمهور فقدموا حديث عدي على ذلك وراموا تضعيف حديث أبي ثعلبة وغيره. وقد حمّله بعض العلماء على أنه إن أكل بعد ما انتظر صاحبه فطال أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي ثم إن ابن جرير علله بأنه قد رواه أبو قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب عن سلمان موقوفا. محمد بن دينار هو الطاحي عن أبي إياس وهو معاوية بن قرّة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا

تفسير ابن كثير

له أبو ثعلبة قال: يا رسول الله فذكر نحوه وقال محمد بن جرير في تفسيره: حدثنا عمران بن بكار الكلاعي حدثنا عبد العزيز بن موسى هو اللاجوني حدثنا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك ورواه أيضا النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أعرابيا يقال وغيره من الأصحاب عنه وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوي عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صيد الكلب: إذا وغيرهم: يؤكل ولو لم يبق منه إلا بضعة وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم وأما في الجديد إلى قولين قال ذلك: الإمام أبو نضر بن الصباغ ابن جرير في تفسيره عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة حكى ذلك عن أبي هريرة وابن عباس وبه قال الحسن والشعبي والنخعي وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحبه وأحمد بن حنبل والشافعي في المشهور عنه. وروى أن يكون أمسك على نفسه وهذا صحيح ثابت في الصحيحين وهو أيضا مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين فقالوا: لا يحل ما أكل منه الكلب فلماذا ذكر كلا من حكميه مفصلا والله أعلم. ولهذا لما كان الكلب من شأنه أنه يأكل من الصيد ذكر حكم ما إذا أكل من الصيد فقال: إن أكل فلا تأكل فإنني أخاف تحريم الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتريدة والنطيحة وأما السهم والمعارض فتارة مخطئ لسوء رمي راميه أو للهو أو نحو ذلك بل خطؤه أكثر من إصابته أن يقتل بظفره أو نابيه أو بهما معا وأما اصطدامه هو والصيد فنادر وكذا قتله إياه بثقله فلم يحتج إلى الاحتراز من ذلك لندوره أو لظهور حكمه عند من علم حالا فإن قيل فلم لا فصل في حكم الكلب فقال: ما ذكرتم إن جرحه فهو حلال وإن لم يجرحه فهو حرام فالجواب أن ذلك نادر لأن من شأن الكلب أن يكون حكم هذا سواء إن كان قد جرحه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل وإن لم يجرحه بل صدمه أو قتله بثقله فهو نطيح أو في حكمه فلا يكون يكون حالا لأنه من الطيبات وما دخل في حكم تلك الآية التحريم وهو ما إذا أصابه بعض فلا يؤكل لأنه وقيد فيكون أحد أفراد آية التحريم وهكذا يجب فينبغي أن لا يكون بينها تعارض أصلا وتكون السنة جاءت لبيان ذلك وشاهد ذلك قصة السهم فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية وهو ما إذا خرجه المعارض آخرها محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص وكذا ينبغي أن تكون آية التحليل محكمة أعني قوله تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات الآية لأنه قد احتقن فيه الدماء وما يتبعها من الرطوبات فلا محل قياسا على الميتة المسلك الآخر أن آية التحريم أعني قوله حرمت عليكم الميتة إلى من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق والعموم المحفوظ مقدم على غير المحفوظ المسلك الآخر أن هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء عند كثير من العلماء الثاني أن تلك الآية فكلوا مما أمسكن عليكم ليست على عمومها بالإجماع بل مخصوصة بما صدن من الحيوان المأكول وخرج بين حكم وحكم من هذه الآية فقال ابن الوقيذ: معتبر حالة الصيد والنطيح ليس معتبرا فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقا للإجماع لا قائل به وهو محظور أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد حيث يقول لعدي بن حاتم وإن أصابه بعرضه فإنما هو وقيد فلا تأكله ولم نعلم أحدا من العلماء فصل على هذه الصورة المتنازع فيه لا يخلو إما أن يكون نطيحا أو في حكمه أو منخنقا أو في حكمه وأياما كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك الوجوه أحدها الأربعة والجمهور وهذا مسلك حسن أيضا مسلك آخر وهو: أن قوله تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم عام فيما قتلن بجرح أو غيره لكن هذا المقتول ما قتله السهم بعرضه والجامع أن كلا منهما آلة للصيد وقد مات بثقله فيهما ولا يعارض ذلك بعموم الآية لأن القياس مقدم على العموم كما هو مذهب الأئمة أصل هذه القاعدة من حيث هي وليس فيها خلاف بين الأصحاب قاطبة فلا بد لهم من جواب عن هذا. وله أن يقوله هذا قتله الكلب بثقله فلم يحل قياسا على فيجب الحمل هنا وإن اختلف السبب كما وجب حمل مطلق الإعتاق في الظهار على تقييده بالإيمان في القتل بل هذا أولى وهذا يتوجه له على من يسلم له جاء التصريح فيه بأنه إن قتل بعرضه فلا تأكل وإن خرز فكل والكلب جاء مطلقا فيحمل على ما قيد هناك من الخرق لأنهما أشتراك في الموجب وهو الصيد معا يؤخذ حكم الآلة التي يذكي بها وحكم المذكي وأنه لا بد من أنهار دمه بالآلة ليست سنا ولا ظفرا هذا مسلك. والمسلك الثاني: طريقة المزني وهي أن السهم فالجواب عن هذا بأن في الكلام ما يشكل عليكم أيضا حيث يقول: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ولم يقل فاذبحوا به فهذا يؤخذ منه الحكمان وأما الظفر فمدى الحبشة والمستثنى يدل على جنس المستثنى منه وإلا لم يكن متصلا فدل على أن المسئول عنه هو الآلة فلا يبقى فيه دلالة لما ذكرتم التي يذكي بها ولم يسألوه عن الشيء الذي يذكي ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر حيث قال: ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم فما صدمه الكلب أو غمه بثقله ليس مما أنهر دمه فلا يحل لمفهوم هذا الحديث فإن قيل هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء لأنهم إنما سألوه عن الأدلة وهكذا هذا كما سألوه عن شيء من الذكاة فقال لهم كلاما عاما يشمل ذاك المسئول عنه وغيره لأنه عليه السلام كان قد أوتي جوامع الكلم إذا تقرر هذا الأصول والفروع كما سئل عليه السلام عن التبع وهو نبذ العسل فقال: كل شراب أسكر فهو حرام أفىقول فقيه إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل الدم تذكر اسم الله عليه فكلوه الحديث بتمامه وهو في الصحيحين. وهذا وإن كان واردا على سبب خاص فالعبرة بعموم اللفظ عند جمهور من العلماء في وأمس الأصول الشرعية واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع بن خديج قلت: يا رسول الله إنا لاقو العدو غدا وليس معنا مدى أفندبح بالqvصب قال: ما أنهر يوسف ومحمد عن أبي حنيفة وهو المشهور عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهذا القول أشبه بالصواب والله أعلم لأنه أجرى على القواعد الأصولية والقول الثاني أن ذلك لا يحل وهو أحد القولين عن الشافعي رحمه الله واختاره المزني ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجيحه أيضا والله أعلم. ورواه أبو عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وهذا غريب جدا وليس يوجد ذلك مصرحا به عنهم إلا أنه من تصرفه رحمه الله ورضي عنه. ولا جزم والقول بذلك أعني الحل نقله ابن الصباغ عن أبي حنيفة من رواية الحسن بن زياد عنه ولم يذكر غير ذلك وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره معينين ثم وجه كلا منهما فحمل ذلك الأصحاب منه فأطلقوا في المسألة قولين عنه اللهم إلا أنه في بحثه للقول بالحل رشحه قليلا ولم يصرح بواحد منهما الله وصححه بعض المتأخرين منهم: كالنووي والرافعي قلت وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم و المختصر فإنه قال: في كلا الموضعين يحتمل

تفسير ابن كثير

أحدهما أن ذلك حلال لعموم قوله تعالى: فكلوا مما أمسكن عليكم وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم وهذا قول حكاه الأصحاب عن الشافعي رحمه
فصلا فليكتب ههنا. فصل اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما إذا أرسل كلبا على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه أو صدمه هل يحل أم لا؟ على قولين:
فهو وقيد والثاني أنه يحل لأنه حكم بإباحة ما صاده الكلب ولم يستفصل فدل على إباحة ما ذكرناه لأنه قد دخل في العموم وقد فررت لهذه المسألة
الجارحة الصيد فقتله بثقله ولم يجرحه على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله أحدهما لا يحل كما في السهم والجامع أن كلا منهما ميت بغير جرح
ففرق بين ما أصابه بالسهم أو بالمعراض ونحوه بحده فأحله وما أصاب بعرضه فجعله وقيدا لم يحله وهذا مجمع عليه عند الفقهاء واختلفوا فيما إذا صدم
أن عدي بن حاتم قال: قلت يارسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب قال: إذا رميت بالمعراض فخرق فكله وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيد فلا تأكله
ابن عباس وغير واحد عن التي تضرب بالخشب حتى يوقظها فتموت قال قتادة: كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصى حتى إذا ماتت أكلوها. وفي الصحيح
تموت بالخنق إما قصدا وإما اتفاقا بأن تتخبل في وثاقتها فتموت فهي حرام وأما الموقوذة فهي التي تغرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت كما قال
وسلم نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل ثم قال أبو داود أكثر من رواه غير ابن جرير لا يذكر فيه ابن عباس تفرد به أيضا قوله والمنخنقة وهي التي
داود أيضا حدثنا هرون بن زيد بن أبي الزرقاء حدثنا أبي حدثنا جرير بن حازم عن الزبير بن حريث قال سمعت عكرمة يقول: إن رسول الله صلى الله عليه
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب ثم قال أبو داود محمد بن جعفر هو غندر أوقفه على ابن عباس تفرد به أبو داود وقال أبو
أهل بها لغير الله هذا أثر غريب ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود حدثنا هارون بن عبد الله ثنا ابن حماد ابن مسعدة عن عوف عن أبي ریحانة عن ابن عباس
يريدون اللحم قال: وعلي بالكوفة قال: فخرج علي على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو ينادي يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنها
يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء فلما وردت الماء قاما إليها بسيفيهما فجعلتا يكشفا عراقيبها قال: فخرج الناس على الحمراء والبغال
الله قال سمعت الجارود بن أبي سبرة قال: هو جدي قال كان رجل من بني رباح يقال له ابن وائل وكان شاعرا نافر غالبا أبا الفرزدق بماء يظهر الكوفة على أن
الذي جاء به آدم وأحلت لهم ما سوى ذلك فكذبوه وعصوه وهذا أثر غريب. وقال ابن أبي حاتم أيضا: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ربعي عن عبد
خلق الله السموات والأرض فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم فلما بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام نزل بالأمر الأول
جميع عن أبي الطفيل قال نزل آدم بتحريم أربع الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وإن هذه الأربعة أشياء لم تحل قط ولم تنزل حراما منذ
عمدا أو نسيانا كما سيأتي تقريره في سورة الأنعام. وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن السنجاني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن فضيل عن الوليد بن
بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع وإنما اختلف العلماء في متروك التسمية إما
الميتة والدم وقوله وما أهل لغير الله أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم فمتى عدل
تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: لا هو حرام وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان أنه قال لهرقل ملك الروم نهانا عن
الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله رأيت شحوم الميتة فإنها
كان هذا التنفير لمجرد المس فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره وفي
بريدة بن الخصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه فإذا
يعود الضمير إلا إلى المضاف دون المضاف إليه والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد وفي صحيح مسلم عن
إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه وهذا بعيد من حيث اللغة فإنه لا
يعم جميع أجزائه حتى الشحم ولا يحتاج إلى تحذلق الظاهرية في جمودهم ههنا وتعسفهم في الاحتجاج بقوله فإنه رجس أو فسقا يعنون قوله تعالى
الله الدم على هذه الأمة ثم قال الأعشى: وذا النصب المنسوب لا تأتينه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا قوله ولحم الخنزير يعني إنسيه ووحشيه واللحم
وذلك أن أحدهم كان إذا جاع يأخذ شيئا محددا من عظم ونحوه فيقصد به بغيره أو حيوانا من أي صنف كان فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ولهذا حرم
آخرهم وما أحسن ما أنشد الأعشى في قصيدته التي ذكرها ابن إسحاق. وإياك والميتات لا تقربنها ولا تأخذن عظما حديدا فتفصدا أي لا تفعل فعل الجاهلية
فسمعتهم يقولون أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تمجعهو بمذقة فأتوني بمذقة فقلت لا حاجة لي فيها إن الله أطعمني وسقاني وأريتهم بطني فأسلموا عن
الله بن أحمد بن حنبل حدثني عبد الله بن سلمة بن عياش العامري حدثنا صدقة بن هرم عن أبي غالب عن أبي أمامة وذكر نحوه وزاد بعد قوله بعد تيك الشربة
فأمكنني منه فشربته فلما فرغت من شرابي استيقظت فلا والله ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشربة ورواه الحكم في مستدركه عن علي ابن حماد عن عبد
وضربت برأسي في العباء ونمت على الرضاء في حر شديد قال فأتاني آت في منامي بقدر من زجاج لم ير الناس أحسن منه وفيه شراب لم ير الناس ألد منه
إلى الإسلام ويأبون علي فقلت ويحكم اسقوني شربة من ماء فإني شديد العطش قال وعلي عباة تي فقالوا: لا ولكن ندعك حتى تموت عطشا قال فاغتممت
حرمت عليكم الميتة والدم الآية. ورواه الحافظ أبن بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب بإسناد مثله وزاد بعده هذا السياق قال: فجعلت أدعوه
فاجتمعوا عليها يأكلونها فقال هلم يا صدى فكل قال: قلت ويحكم إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم فأقبلوا عليه قالوا وما ذاك فتلوت عليهم هذه الآية
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي أدعوه إلى الله ورسوله وأعرض عليهم شرائع الإسلام فأتيتهم فبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعة من دم
حاتم: حدثنا علي بن الحسن حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا بشير بن شريح عن أبي غالب عن أبي أمامة وهو صدى بن عجلان قال: بعثني
أصلح من بعض وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأثبات عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه بعضهم عليه قال الحافظ أبو زرعة الرازي: وهو أصح وقال ابن أبي

تفسير ابن كثير

البيهقي: ورواه إسماعيل بن أبي إدريس عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا قلت وثلاثتهم كلهم ضعفاء ولكن بعضهم وأما الدمان فالكد والطحال . وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف قال الحافظ الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وكذا رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة قالت إنما نهى عن الدم السافح وقد قال أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي حدثنا عبد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال فقال: كلوه فقالوا: إنه دم فقال: إنما حرم عليكم الدم المسفوح. الدم يعني به المسفوح كقوله أو دما مسفوحا قاله ابن عباس وسعيد بن جبير قال ابن أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب المذحجي حدثنا محمد بن سعيد أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهكذا الجراد لما سيأتي من الحديث وقوله لما رواه مالك في موطئه والشافعي وأحمد في مسنديهما وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما عن المضرة لما فيها من الدم المحتقن فهي ضارة للدين وللبدن فهذا حرمة الله عز وجل ويستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها يخبر تعالى عباده خبرا متضمنا النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي مامات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد وما ذاك إلا لما فيها شر وذلك أنه أول من سن القتل. وقال إبراهيم النخعي: ما من مقتول يقتل ظلما إلا وكان على ابن آدم الأول والشيطان كفل منه. ورواه ابن جرير أيضا. 30 حدث عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول إن أشقى الناس رجلا لابن آدم الذي قتل أخاه ما سفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم. وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن حكيم بن حكيم أنه فخذها من يومئذ ووجهه في الشمس حيثما دارت دار عليه في الصيف حظيرة من نار وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج قال: وقال عبد الله بن عمر وإنا لنجد من طرق عن الأعمشي به وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج قال مجاهد: علقت إحدى رجلي القاتل بساقها إلى الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل وقد أخرجه الجماعة سوى أبي داود أعظم من هذه وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية ووكيع قال: حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول مرتين فلم تكلمه فقال: عليك الصيحة وعلى بناتك وأنا وبني منها برأء رواه ابن أبي حاتم وقوله فأصبح من الخاسرين أي في الدنيا والآخرة وأي خسارة القتل قال لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك قالت ذلك الموت قال فهو الموت فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهى تصيح فقال: مالك فلم يكلمه فرجع إليها على رأسه قال فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعا فقال: يا حواء إن قابيل قتل هابيل فقالت له: ويحك وأي شيء يكون أخذ برأسه ليقته فاضطجع له وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله فجاءه إبليس فقال أتريد أن تقتله؟ قال نعم قال: فخذ هذه الصخرة فاطرحها فضر به رأسها حتى قتلها وابن آدم ينظر ففعل بأخيه مثل ذلك. رواه ابن أبي حاتم وقال عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: الكتاب أنه قتله خنقا وعضا كما تقتل السباع. وقال ابن جرير: لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه فأخذ إبليس دابة ووضع رأسها على حجر ثم أخذ حجرا آخر منه في رءوس الجبال فأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنما له وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه بالعراء رواه ابن جرير. وعن بعض أهل أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه لقتله فراغ الغلام هذه الموعظة وهذا الزجر وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين أنه قتله بحديدة في يده وقال السدي عن أبي مالك وعن قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين أي فحسنت وسولت له نفسه وشجعت على قتل أخيه فقتله أي بعد يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا فإننا لله وإنا إليه راجعون. 31 يوم القيامة وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له وتكفيل به وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من ذنب أجدر أن الحي بالميت الذبيح وجاء بشره قد كان منه على خوف فجاء بها يصيح والظاهر أن قابيل عوجل بالعقوبة كما ذكره مجاهد وابن جبير أنه علقت ساقه بفخذه تغيرت البلاد ومن عليها فلون الأرض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الملبح فأجيب آدم عليه السلام: أبا هابيل قد قتلا جميعا وصار ابن جرير ثم قال: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني قال: قال: علي بن أبي طالب لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال: روى ذلك كله ابن جرير وقال سالم بن أبي الجعد: لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ثم أتى فقيل له: حياك الله وبيانه أي أضحك. رواه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلا وخدوا من خيرهم ودعوا شرهم وكذا أرسل هذا الحديث بكير بن عبد الله المزني رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ابني آدم عليه السلام ضربا لهذه الأمة مثلا فخذوا بالخير منهما ورواه المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن قال: ابني آدم لصلبه وإنما كان القران من بني إسرائيل وكان آدم أول من مات وهذا غريب جدا وفي إسنادة نظر وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال: قال بن يوسف عن عمرو عن الحسن هو البصري قال: كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله وائل عليهما نبأ ابني آدم بالحق من بني إسرائيل ولم يكونا نطق به الحديث في قوله إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل وهذا ظاهر وجلي ولكن قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل قال الحسن البصري: علاه الله بندامة بعد خسران فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن وكما فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك فإن أنت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فرعا تائها في الأرض وقوله فأصبح من النادمين له الله عز وجل يا قابيل أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيقا فقال الله إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض الآن أنت ملعون في الأرض التي

تفسير ابن كثير

سواة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين قال: وزعم أهل التوراة أن قابيل لما قتل أخاه هابيل قال سقط في يده أي ولم يدر كيف يواريه وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل في بني آدم وأول ميت فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى إليه حتى أرواح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله. رواه ابن جرير وروى محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول لما قتله يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال عطية العوفي: لما قتله فضمه وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا لا يدري ما يصنع به ويحمله ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب فقال عن ابن عباس: مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين فرأهما يبحثان فقال أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فدفن أخاه إلى غراب ميت فحشى عليه من التراب حتى واره فقال الذي قتل أخاه يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي وقال الضحاك فحفر له ثم حشى عليه فلما رآه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس قال: جاء غراب السدي بإسناده المتقدم إلى الصحابة رضي الله عنهم: لما مات الغلام تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سواة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين قال وقوله تعالى فبعث

الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . 32 تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفتادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الله عليهم ذلك في سورة البقرة حيث يقول وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ثم إذا وضعت الحروب أوزارها فدوا من أسروه وودوا من قتلوه وقد أنكر لمصرفون وهذا تقرير لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قينقاع ممن حول المدينة من اليهود أحياها قال: عليك بنفسك قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات أي بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض فقال يا رسول الله اجعلني على شيء أعيش به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حمزة نفسي تحيها أحب إليك أم نفس تميتها قال: بل نفس ابن لهيعة حدثنا حسن بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن البصري فكانما قتل الناس جميعا قال: وزرا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا قال: أجرا وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل فقال: أي والذي لإله غيره كما كانت لبني إسرائيل وأكرم على الله من دمائها تعظيم لتعاطي القتل قال قتادة: عظيم والله وزرها وعظيم والله أجرها وقال ابن المبارك عن سلام بن مسكين عن سليمان بن علي الربيعي قال: قلت للحسن في رواية: ومن أحياها أي أنجاها من غرق أو حرق أو هلكة. وقال الحسن وقتادة في قوله أنه من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا هذا عليه القصاص فلا فرق بين الواحد والجماعة ومن أحياها أي عفا عن قاتل وليه فكانما أحيا الناس جميعا وحكى ذلك عن أبيه رواه ابن جرير وقال مجاهد أحياها فكانما أحيا الناس جميعا من لم يقتل أحدا فقد حيي الناس منه. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: من قتل نفسا فكانما قتل الناس يعني وجب جعل الله جزاء جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يقول لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك العذاب قال ابن جرير قال مجاهد ومن قتل النفس فله النار فهو كما لو قتل الناس كلهم قال ابن جرير عن الأعرج عن مجاهد في قوله فكانما قتل الله جميعا من قتل النفس المؤمنة متعمدا عضد نبي أو إمام عدل فكانما أحيا الناس جميعا رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية أخرى عنه من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا وذلك لأن قتل الناس جميعا. وقال سعد بن جبيرة: من استحل دم مسلم فكانما استحل دماء الناس جميعا ومن حرم دم مسلم فكانما حرم دماء الناس جميعا ومن شد على قاتل مجاهد ومن أحياها أي كف عن قتلها. وقال العوفي: عن ابن عباس في قوله فكانما قتل الناس جميعا يقول من قتل نفسا واحدة حرمها الله مثل من أحياها فكانما أحيا الناس جميعا وإحيائها ألا يقتل نفسا حرمها الله فذلك الذي أحيا الناس جميعا يعني أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه. وهكذا غير مأزور قال: فانصرف ولم أقاتل وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس هو كما قال الله تعالى من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا ومن فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي معهم قلت لا قال فإنك إن قتلت رجلا واحدا فكانما قتلت الناس جميعا فانصرف مأذونا لك مأجورا الناس جميعا وقال الأعمش وغيره عن أبي صالح عن أبي هريرة قال دخلت على عثمان يوم الدار فقلت جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين قتل الناس جميعا لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ولهذا قال فكانما أحيا الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا أي من قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكانما من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانا كتبنا على بني إسرائيل أي شرعنا لهم وأعلمناهم أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل

يقول تعالى

من فعلهم ذلك حتى هلكوا في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا والعقوبة التي عاقبتهم بها في الدنيا عذاب عظيم يعني عذاب جهنم. 33 جرير في قوله ذلك لهم خزي في الدنيا يعني شر وعار ونكار وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة ولهم في الآخرة عذاب عظيم أي إذا لم يتوبوا والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقد سئل الحافظ الدارقطني عن هذا الحديث فقال: روى مرفوعا وموقوفا قال ورفع صحیح وقال ابن

تفسير ابن كثير

أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ومن أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود عليه في شيء قد عفا عنه رواه الإمام أحمد ستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنبا في الدنيا فعوقب به فالله بالله شيئا ولا نسرق ولا نزن ولا نقتل أولادنا ولا يعضه بعضنا بعضا فمن وفى منكم فأجره على الله تعالى ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن فأما أهل الإسلام ففي صحيح مسلم عن عباد بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء ألا نشرك خلاف ونفيهم خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة وهذا يؤيد قول من قال إنها نزلت في المشركين آخر فيسجن فيه. وقوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم أي هذا الذي ذكرته من قتلهم ومن صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من من أرض الإسلام. وقال آخرون المراد بالنفي ههنا السجن وهو قول أبي حنيفة وأصحابه واختار ابن جرير أن المراد بالنفي هنا أن يخرج من بلده إلى بلد ينفي من جند إلى جند سنين ولا يخرج من دار الإسلام وكذا قال سعيد بن جبير وأبو الشعثاء والحسن والزهري والضحاك ومقاتل بن حيان أنه ينفي ولا يخرج هو أن ينفي من بلده إلى بلد آخر أو يخرج السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية. وقال الشعبي ينفيه كما قال ابن هبيرة: من عمله كله. وقال عطاء الخراساني دار الإسلام رواه ابن جرير عن ابن عباس وأنس بن مالك وسعيد بن جبير والضحاك والربيع بن أنس والزهري والليث بن سعد ومالك ابن أنس. وقال آخرون: وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام فاصلبه وأما قوله تعالى أو ينفوا من الأرض قال بعضهم هو أن يطلب حتى يقدر عليه فيقام عليه الحد أو يهرج من عليه وسلم جبرائيل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب فقال: من سرق مالا وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقة ورجله بإخافته ومن قتل فاقطله ومن قتل وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل وأخافوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام قال أنس: فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب إليه يخبره أنها نزلت في أولئك النفر العربيين في موضعه وبالله الثقة وعليه التكلان ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسير إن صح سنده فقال: حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد أو نحوه أو يقتل أولا ثم يصلب تنكيلا وتشديدا لغيره من المفسدين وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل أو يترك حتى يسيل صديده في ذلك كله خلاف محرر وعطاء الخراساني نحو ذلك وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة واختلفوا هل يصلب حيا ويترك حتى يموت بمنعه من الطعام والشراب أو يقتله برمح أبي شيبعة عن عبد الرحيم بن سليمان عن حجاج عن عطية عن ابن عباس بنحوه وعن أبي مخلد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والسدي المال قتلوا ولم يصلبوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض وقد رواه ابن الله الشافعي أنبأنا إبراهيم بن أبي يحيى عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس في قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة هذه كلها على التخير فكذلك هذه الآية وقال الجمهور هذه الآية منزلة على أحوال كما قال أبو عبد كفارة الفدية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك وكقوله في كفارة اليمين فإطعام عشرة مساكين من أوسط كقوله في جزاء الصيد فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما وكقوله في والضحاك وروى ذلك كله ابن جعفر ابن جرير وحكى مثله عن مالك بن أنس رحمه الله ومستند هذا القول أن ظاهر أو للتخير كما في نظائر ذلك من القرآن المسلمين فيه بالخيار إن شاء قتله وإن شاء صلبه وإن شاء قطع يده ورجله كذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وإبراهيم النخعي من خلاف أو ينفوا من الأرض قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: من شهر السلاح في فنة الإسلام وأخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فإمام فأما في الأمصار فلا لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث بخلاف الطريق لبعده ممن يغيثه ويعينه وقوله تعالى أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم معه: أن هذه محاربة ودمه إلى السلطان لا إلى ولي المقتول ولا اعتبار بعفو عنه في إسقاط القتل وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تكون المحاربة إلا في الطرقات وهذا مذهب مالك والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل حتى قال مالك في الذي يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيتا فيقتله ويأخذ ما السمل ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء في ذهابهم إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وفي السبلان على السواء لقوله ويسعون في الأرض فسادا يعني الأوزاعي فأنكر أن يكون نزلت معاتبة وقال بل كانت عقوبة أولئك النفر بأعينهم ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم من حارب بعدهم. ورفع عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاتبة في ذلك وعلمه عقوبة مثلهم من القتل والقطع والنفي ولم يسمل بعدهم غيرهم قال: وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو ذاكرت الليث بن سعد ما كان من سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعينهم وتركه حسمهم حتى ماتوا فقال: سمعت محمد بن عجلان يقول أنزلت هذه الآية على القول أيضا فيه نظر فإنه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سمل وفي رواية سمر أعينهم. وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال: تأخرها قاله أسلم بعد نزول المائدة ومنهم من قال لم يسمل النبي صلى الله عليه وسلم أعينهم وإنما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فبين حكم المحاربين وهذا المنسوخ وقال بعضهم: كان هذا قبل أن تنزل الحدود قاله: محمد بن سيرين وفيه نظر فإن قصته متأخرة وفي رواية جرير بن عبد الله لقصتهم ما يدل على لم أذنت لهم ومنهم من قال: هو منسوخ بنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وهذا القول فيه نظر ثم قائله مطالب ببيان تأخر الناسخ الذي ادعاه عن هؤلاء العربيين هل هو منسوخ أو محكم فقال: بعضهم هو منسوخ بهذه الآية وزعموا أن فيها عتابا للنبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله عفا الله عنك أنس يقول ذلك غير أنه قال: أحرقتهم بالنار بعد ما قتلهم قال: وبعضهم يقول هم ناس من بني سليم ومنهم عريضة ناس من بجيلة وقد اختلف الأئمة في حكم الله منهم وصلب وقطع وسمر الأعين قال فما مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولا بعد قال: ونهى عن المثلة وقال: ولا تمثلوا بشيء قال وكان فأنزل الله إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية قال فكان نفيهم أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمهم وأرضهم ونفوهم من أرض المسلمين وقتل نبي

تفسير ابن كثير

على أنهم فلم يزالوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمئهم فرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسروا منهم فأثوا بهم النبي صلى الله عليه وسلم قتلوا الراعي واستاقوا النعم فأمر النبي فنودي في الناس أن يا خيل الله اركبي قال: فركبوا لا ينتظر فارس فارسا قال وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه اللقاح تغدو عليكم وتروح فاشربوا من أبوالها وألبانها قال: فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ فصرخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: نبايعك على الإسلام فبايعوه وهم كذبة وليس الإسلام يريدون ثم قالوا: إنا نجتوي المدينة فقال النبي صلى الله عليه بن الحسن بن شقيق سمعت أبي يقول سمعت أبا حمزة عن عبد الكريم وسئل عن أبوال الإبل فقال: حدثني سعيد بن جببر عن المحاربين فقال: كان أناس أثوا وغير واحد وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدا فرحمه الله وأثابه. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي الفهري فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم. غريب جدا وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم: جابر وعائشة ثم عدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه ثم أطردهوا الإبل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين كبيرهم كرز بن جابر وبعثه في لقاح له بالحره فكان بها قال: فأظهر قوم الإسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون كانوا يشربون من ألبان الإبل حتى انطوت بطونهم التيمي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن سلمة بن الأكوع قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم غلام يقال له يسار فنظر إليه يحسن الصلاة فأعته إسحق حدثنا الحسن بن إسحق التستري حدثنا أبو القاسم محمد بن الوليد بن عمرو بن محمد المديني حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم الذين يحاربون الله ورسوله فترك النبي صلى الله عليه وسلم سمر الأعين بعد. وروى من وجه آخر عن أبي هريره وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن إلى لقاحه فسرقتها فطلبوا فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم قال أبو هريرة: ففيهم نزلت هذه الآية إنما جزاء قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال من بني فزارة قد ماتوا هزلا فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه فشربوا منها حتى صحووا ثم عمدوا أنهم سملوا أعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا والله أعلم. وقال عبد الرزاق عن إبراهيم بن محمد الأسلمي عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: في صحيح مسلم أن هذه السرية كانوا عشرين فارسا من الأنصار وأما قوله: فكره الله سمل الأعين فأنزل الله هذه الآية فإنه منكر وقد تقدم في صحيح مسلم إلى آخر الآية. هذا حديث غريب وفي إسناده الربذي وهو ضعيف وفي إسناده فائدة وهو ذكر أمير هذه السرية وهو جرير بن عبد الله البجلي وتقدم الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الأعين فأنزل هذه الآية: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أدركناهم بعدما أشرفوا على بلاد قومهم فقدمنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم فجعلوا يقولون: وآله وسلم فلما صحووا واشتدوا قتلوا رعاء اللقاح عامدين بها إلى أرض قومهم قال جرير: فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن جرير قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة حفاة مضرورين فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه داود والنسائي من طريق أبي الزناد وفيه عن ابن عمر من غير شك وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن خلف حدثنا الحسن بن حماد عن عمرو بن هاشم عن موسى الله بن عبيد الله عن عبد الله بن عمر أو عمرو شك يونس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك يعني بقصة العرنيين ونزلت فيهم آية المحاربة ورواه أبو الإبل وأخافوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام. وقال حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الزناد عن عبد يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أوائل النفر العرنيين وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الآية وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا يزيد بن لهيعة عن ابن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس الله عليه وسلم في طلبهم فأتى بهم فقتل بعضهم وسمر أعين بعضهم وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ونزلت إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلي آخر بطونهم فأمرهم أن يلحقوا بالإبل فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصفت ألوانهم وخمست بطونهم وسمنوا فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل فبعث النبي صلى الحسن الزجاج حدثنا أبو سعيد يعني البقال عن أنس بن مالك قال كان رهط من عرينة أثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهم جهد مصفرة ألوانهم عظيمة فأنزل الله في ذلك إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن مسعود يعني عبد الرحمن بن عن أنس قال كانوا أربعة نفر من عرينة وثلاثة نفر من عكل فلما أتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم يحسمهم وتركهم يلتقمون الحجارة بالحره بحال ذود من الإبل فكان الحجاج يحتج بهذا الحديث على الناس. وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني سعيد عن قتادة في الرمضاء حتى ماتوا فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم ألغاهم في الرمضاء حتى ماتوا بطونهم عمدوا إلى الراعي فقتلوه واستاقوا الإبل فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم ألغاهم ألوانهم وضمرت بطونهم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخضت قال قلت: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة من البحرين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا من بطونهم وقد اصفرت عن أنس بن مالك قال: ما ندمت على حديث ما ندمت على حديث سألني عنه الحجاج قال: أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لفظه وقال الترمذي: حسن صحيح وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة عن أنس بن مالك منها ما رواه عن طريقين عن سلام بن أبي الصهباء عن ثابت رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشا حتى ماتوا ونزلت إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وسأقوا الإبل فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فجاء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم وألغاهم في الحره قال أنس: فلقد فاجتروها فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبل الصدقة وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحووا فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي

تفسير ابن كثير

أثرهم وهذه كلها ألفاظ مسلم رحمه الله. وقال حماد بن سلمة حدثنا قتادة وثابت البناني وحמיד الطويل عن أنس بن مالك أن ناسا من عرينة قدموا المدينة وبايعوه وقدموا بالمدينة الدم وهو البرسام ثم ذكر نحو حديثهم وزاد: عنده شباب من الأنصار قريب من عشرين فارسا فأرسلهم وبعث معهم قائفا يقفو وسلم أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاء ورواه مسلم من حديث معاوية بن قررة عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عرينة فأسلموا من رواية قتادة عن أنس بنحوه وقال سعيد عن قتادة: من عكل وعرينة ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي عن أنس قال إنما سمل النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ورواه مسلم من طريق هشيم عن عبد العزيز بن صهيب وحמיד عن أنس فذكر نحوه وعنده فارتدوا وقد أخرجاه من عكل أو عرينة وفي لفظ: وألقوا في الحرة فجعلوا يستسقون فلا يسقون وفي لفظ لمسلم: ولم يحسمهم وعند البخاري قال أبو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا وسلم فبعث في آثارهم فأدركوا فجيء بهم فأمروهم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا. لفظ مسلم وفي لفظ لهما: في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها فقالوا: بلى فخرجوا فشرّبوا من أبوالها وألبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطرّدوا الإبل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأيعوه على الإسلام فاستوخموا المدينة وسقمت أجسامهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: ألا تخرجون مع راعينا كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة واسمه عبد الله بن زيد الجرهمي البصري عن أنس بن مالك أن نفرا من عكل ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا رواه ابن مردويه والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف رواه ابن جرير. وروى شعبة عن منصور عن هلال بن حافض عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: نزلت في الحرورية إنما جزاء كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله إن شاء أن يقتل وإن شاء أن أن يقيم عليه الحد الذي أصابه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا الآية قال عكرمة عن ابن عباس إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا نزل في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقيم عليه الحد الذي أصابه. رواه أبو داود والنسائي من طريق غفور رحيم نزلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه لم يكن عليه سبيل وليست تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحد إن قتل حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى إن الله سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ثم قال بعضهم نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين كما قال ابن جرير حدثنا ابن يطلع على أنواع من الشر حتى قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب: أن قبض الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض وقد قال الله تعالى وإذا تولى من خلاف أو ينفوا من الأرض الآية. المحاربة هي المعادة والمخالفة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الإفساد في الأرض وقوله إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

في البحر فلقوا الروم ففقدوا سفينة إلى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فمالت به وبهم فغرقوا جميعا. 34 وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال: هذا علي جاء تائبا ولا سبيل لكم عليه ولا قتل فترك من ذلك كله قال وخرج علي تائبا مجاهدا في سبيل الله فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا إليه فقال لا سبيل لكم علي جئت تائبا من قبل أن تقدروا علي فقال أبو هريرة صدق وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم ثم جاء تائبا حتى قدم المدينة من السحر فاغتسل ثم أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح ثم قعد إلى أبي هريرة في أغمار أصحابه على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم فوقف عليه فقال: يا عبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه فغمد سيفه وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبه الأئمة والعامة فامتنع ولم يقدروا عليه حتى جاء تائبا وذلك كله سمع رجلا يقرأ هذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا فقتله. ثم قال ابن جرير حدثني علي حدثنا الوليد بن مسلم قال: قال الليث كذلك حدثني موسى بن إسحاق المدني وهو الأمير عندنا أن عليا الأسدي حارب عليه فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير فإن يك صادقا فسيبيل من صدق وإن يك كاذبا تدركه ذنوبه فأقام الرجل ما شاء الله ثم إنه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه وإني تبت من قبل أن تقدروا علي فقال: أبو موسى فقال: إن هذا فلان بن فلان وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا وإنه تاب من قبل أن تقدر رضي الله عنه بعدما صلى المكتوبة فقال: يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادي وإني كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض فسادا ابن جرير من طريق سفيان الثوري عن السدي ومن طريق أشعث كلاهما عن عامر الشعبي قال جاء رجل من مراد إلى أبي موسى وهو على الكوفة إمارة عثمان عن الشعبي به وزاد فقال جارية بن بدر. ألا بلغن همدان أما لقيتها على النأي لا يسلم عدو يعيها لعمر أبيها إن همدان تتقي الإله وتقضي بالكتاب خطيبها وروى حتى بلغ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم قال: فكتب له أمانا قال سعيد بن قيس فإنه جارية بن بدر وكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن مجالد فيه فلم يؤمنه فأتى سعيد بن قيس الهمداني فخلفه في داره ثم أتى عليا فقال يا أمير المؤمنين أرايت من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا فقرأ بن بدر التميمي من أهل البصرة وكان قد أفسد في الأرض وحارب فكلم رجلا من قريش منهم الحسن بن علي وابن عباس وعبد الله بن جعفر فكلما عليا وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أمامة عن مجالد عن الشعبي قال كان حارثة وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنه يسقط عنهم انتقام القتل والصلب وقطع الرجل وهل يسقط قطع اليد أم لا؟ فيه قولان للعلماء وقوله تعالى إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم أما على قول من قال إنها في أهل الشرك فظاهر ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة الحسنة مناظرها الطيبة مساكنها التي من سكنها ينعم لا ييأس ويحيا لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. 35

تفسير ابن كثير

والتاركين للدين القويم ورغبتهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة: من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبديد ولا تحول وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحوا لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم واسمها الوسيلة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصفراء فيها مثل ذلك هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته. وهذا أثر غريب أيضا وقوله فإنها إلى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكانها من عرق واحد مولى سالم بن ثوبان قال: سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة: يا أيها الناس إن في الجنة لؤلؤتين إحداهما بيضاء والأخرى صفراء أما الصفراء منكر من هذا الوجه وقال: ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن الدشتكي حدثنا أبو زهير حدثنا سعيد بن طريف عن علي بن الحسين الأزدي الجنة درجة تدعى الوسيلة فإذا سألتهم الله فسلوا لي الوسيلة قالوا: يا رسول الله من يسكن معك قال: علي وفاطمة والحسن والحسين هذا حديث غريب روى ابن مردويه أيضا من طريقين عن عبد الحميد بن بحر حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: في يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة على خلقه. حديث أخر محمد بن عمرو بن عطاء فذكر بإسناده نحوه. حديث أخر روى ابن مردويه بإسناده عن عمارة بن غزية عن موسى بن وردان أنه سمع أبا سعيد الخدري ذنب إلا موسى بن أعين كذا قال وقد رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عبيد الله موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن صلى الله عليه وسلم: سلوا الله لي الوسيلة لأنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ثم قال الطبراني: لم يروه عن ابن أبي بن علي الأبار حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني حدثنا موسى بن أعين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله فسألوه أو أخبرهم أن الوسيلة درجة في الجنة ليس ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا. حديث أخر قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: أخبرنا أحمد حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا ابن شهاب عن ليث عن المعلي عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رفعه قال: صلوا علي صلاتكم وسلوا الله لي الوسيلة عنه غير ليث بن أبي سليم. حديث أخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا محمد بن نصر الترمذي عن بندار عن أبي عاصم عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن كعب قال حدثني أبو هريرة به ثم قال: غريب وكعب ليس بمعروف لا نعرف أحدا روى صليتم علي فسلوا لي الوسيلة قيل: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو ورواه الترمذي حديث أخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة حديث أخر في صحيح مسلم من حديث كعب عن علقمة عن بن المنكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أت محمدا في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد الشاعر: إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة بما يرضيه وقرأ ابن زيد أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه وأنشد عليه ابن جرير قول ابن عباس أي القرية وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد وقال قتادة أي تقربوا إليه بطاعته والعمل إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات وقد قال بعدها وابتغوا إليه الوسيلة قال سفيان الثوري: عن طلحة عن عطاء عن يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بتقواه وهي

عذاب الله الذي قد أحاط به وتيقن وصوله إليه ما تقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص ولهذا قال ولهم عذاب أليم أي موجع. 36 ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم أي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبا وبمثله ليفتدي بذلك من ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا منها ثم أهوى بيديه أذنيه فقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: يخرجون من النار بعد ما دخلوا ونحن نقرا كما قرأت. 37 النار فقال: يا طلق أترأك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني؟ إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبا فعذبوا ثم أخرجوا المهلب حدثني طلق بن حبيب قال كنت من أشد الناس تكذيبا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل ذلك إلى أن أكذب به ثم قال ابن مردويه: حدثنا علي بن أحمد حدثنا عمرو بن حفص السدوسي حدثنا عاصم بن علي أخبرنا العباس بن الفضل حدثنا سعيد بن ربك مقاما محمودا فهو ذلك المقام فإن الله تعالى يحتبس أقواما بخطاياهم في النار ما شاء لا يكلمهم فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم قال فلم أعد بعد عذاب يوم القيامة حتى بلغ ولهم عذاب مقيم أما تقرأ القرآن؟ قلت بلى قد جمعته قال أليس الله يقول ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك منها الآية فانتهرني أصحابه وكان أحلمهم فقال: دعوا الرجل إنما ذلك للكفار فقرأ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا من ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يخرج ناسا من النار والله يقول يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين مبارك بن فضالة حدثني يزيد الفقير قال جلست إلى لجابر بن عبد الله وهو يحدث فحدث أن ناسا يخرجوا من النار قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك فغضبت وقلت

تفسير ابن كثير

من وجه آخر عن يزيد الفقير عن جابر وهذا أبسط سياقا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شيبة الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا
اتل أول الآية إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به الآية ألا أنهم الذين كفروا وقد روى الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث
وسلم قال: يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة قال فقلت لجابر بن عبد الله يقول الله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال:
ورواه ابن مردويه من طريقه عنه ثم روى ابن مردويه من طريق المسعودي عن يزيد بن صهيب الفقير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه
أبيه عن قتادة عن أنس به وكذا أخرجه من طريق أبي عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أنس بن مالك به ورواه مطر الوراق عن أنس بن مالك
ذلك فلم تفعل فيؤمر به إلى النار رواه مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة بنحوه وكذا رواه البخاري ومسلم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن
يا ابن آدم كيف وجدت مضجعا؟ فيقول: شر مضجع فيقال هل تفتدي بقراب الأرض ذهبا؟ قال فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كذبت قد سألتك أقل من
ولا محيد لهم عنها وقد قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له
ذلك وكلما رفعهم الله فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسفلها ولهم عذاب مقيم أي دائم مستمر لا خروج لهم منها
كما قال تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الآية فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم إلى
ثم يقول تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم

ما استعانا به في ذلك نكالا من الله أي تنكيلا من الله بهما على ارتكاب ذلك والله عزيز أي في انتقامه حكيم أي في أمره ونهيه وشرعه وقدره. 38
نوي الأبواب. ولهذا قال جزء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم أي مجازاة على صنيعهما السيء في أخذهما أموال الناس بأيديهم فناسب أن يقطع
دينار لئلا يجني عليها وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سرقة الأموال فهذا هو عين الحكمة عند
ثمينه ولما خانت هانت ومنهم من قال هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة فإن في باب الجنایات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسائة
ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله أن قال: لما كانت أمانة كانت
شعرا دل على جهله وقلة عقله فقال: يد بخمس مئتين عسجد وديت مابالها قطعت في ربع دينار تناقض مالنإلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار ولما قال
في الأشياء المهيمنة وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكال على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ونظم في ذلك
يده ويحتمل أن يكون هذا خرج مخرج الإخبار عما كان الأمر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير فلحن السارق الذي يبذل يده الثمينة
الحديد وحبل السفن قاله الأعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه. والثالث أن هذه وسيلة إلى التدرج في السرقة من القليل إلى الكثير الذي تقطع فيه
فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده بأجوبة أحدها: أنه منسوخ بحديث عائشة وفي هذا نظر لأنه لا بد من بيان التاريخ. والثاني أنه مؤول ببينة
في خمسة دنانير أو خمسين درهما وينقل هذا عن سعيد بن جبير رحمه الله وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة يسرق البيضة
قيمتها واحدا منهما يحكى هذا عن علي وابن مسعود وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر رحمهم الله تعالى. وقال بعض السلف: لا تقطع الخمس إلا في خمس أي
ابن عمر في ثمن المجن فالاحتياط الأخذ بالأكثر لأن الحدود تدرأ بالشبهات. وذهب بعض السلف إلى أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم أو دينار أو ما يبلغ
الله صلى الله عليه وسلم: لا تقطع يد السارق في دون ثمن المجن وكان ثمن المجن عشرة دراهم قالوا: فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خالفا
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم ثم قال: حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول
دراهم وروى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير وعبد الأعلى حدثنا محمد بن إسحاق عن أيوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال: فإن ثمن المجن
أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة واحتجوا بأن ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ثمنه عشرة
دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم والله أعلم. وأما الإمام أبو حنيفة وأصحابه: أبو يوسف ومحمد وزفر وكذا سفيان الثوري رحمهم الله فإنهم ذهبوا إلى
دراهم والدينار اثني عشر درهما وفي لفظ للنسائي لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن قيل لعائشة ما ثمن المجن قالت: ربع دينار فهذه كلها نصوص
الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة
ربع الدينار والثلاثة دراهم مرد شرعي فمن سرق واحدا منهما أو ما يساويه قطع عملا بحديث ابن عمر وبحديث عائشة رضي الله عنها ووقع في لفظ عند
بن راهويه في رواية عنه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري رحمهم الله. وذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في رواية عنه إلى أن كل واحد من
عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وبه يقول: عمر بن عبد العزيز والليث بن سعد والأوزاعي والشافعي وأصحابه وإسحاق
ثمن المجن وأنه كان ثلاثه دراهم لا ينافي هذا لأنه إذ ذاك فإن الدينار باثني عشر درهما فهي ثمن ربع دينار فأمكن الجمع بهذا الطريق وروى هذا المذهب عن
وسلم قال: لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا قال أصحابنا: فهذا الحديث فاصل في المسألة ونص في اعتبار ربع الدينار لا ما ساواه قالوا: وح
السارق في ربع دينار فصاعدا: ولمسلم عن طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه
ذلك ما أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم من طريق الزهري عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تقطع يد
ربع دينار والله أعلم. وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن الاعتبار في قطع يد السارق بربع دينار أو ما يساويه من الأثمان أو العروض فصاعدا والحجة في
الإجماع السكوتي وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافا للحنفية وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافا لهم في أنه لا بد من عشرة دراهم وللشافعية في اعتبار
بها عثمان أن تقوم فقومت بثلاثة دراهم صرف اثني عشر درهما فقطع عثمان يده قال: أصحاب مالك ومثل هذا الصنيع يشتهر ولم ينكر فمن مثله يحكى

تفسير ابن كثير

وهذا الأثر عن عثمان رضي الله عنه قد رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن أن سارقا سرق في زمن عثمان أترجة فأمر ثمنه ثلاثة دراهم أخرجاه في الصحيحين قال مالك رحمه الله: وقطع عثمان رضي الله عنه في أترجة قومت بثلاثة دراهم وهو أحب ما سمعت في ذلك فمتى سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقه وجب القطع واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قد وقع بينهم الخلاف في قدره فذهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول على حدة فعند الإمام مالك بن أنس رحمه الله النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة صلى الله عليه وسلم قال: لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة وإن كان وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب إليه هؤلاء ويحتمل غير ذلك فالحال أعلم وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله وابن أبي حاتم من طريق عبد المؤمن عن نجدة الحنفي قال: سألت ابن عباس عن قوله والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما أخاص أم عام ؟ فقال: بل عام به سواء كان قليلا أو كثيرا لعموم هذه الآية والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فلم يعتبروا نصابا ولا خرزا بل أخذوا بمجرد السرقة وقد روى ابن جرير عمرو من خزاعة كان قد سرق كنز الكعبة ويقال: سرقه قوم فوضعه عنده وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئا قطعت يده بتقريرها على ما كانت عليه وزيادات هي من تمام المصالح ويقال: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش قطعوا رجلا يقال له دويك مولى لبني مليح بن به في الجاهلية فقرّر في الإسلام وزيدت شروط أخر كما سنذكره إن شاء الله تعالى كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وهذه قراءة شاذة وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها لا بها بل هو مستفاد من دليل آخر وقد كان القطع معمولا يقول تعالى حاكما وأمرًا بقطع يد السارق والسارقة وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن مسعود كان يقرؤها

صلى الله عليه وسلم قم يا بلال فخذ بيدها فاقطعها وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب الأحكام ولله الحمد والمنة. 39 تستعير الحلبي للناس ثم تمسكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتتب هذه المرأة إلى الله وإلى رسوله وترد ما تأخذ على القوم ثم قال رسول الله على ألسنة جاراتها وتجدده فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وهذا لفظه وفي لفظ له: أن امرأة كانت قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجدده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها وعن ابن عمر قال: كانت امرأة مخزومية تستعير متاعا عائشة: فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لفظ مسلم وفي لفظ له عن عائشة سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإنني والذي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها قالت الله صلى الله عليه وسلم فاخترط فأتني على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتشفع في حد من حدود الله عز وجل فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله فلما كان العشي قام رسول ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت وحديثها ثابت في الصحيحين من رواية الزهري عن عروة عن عائشة أن قريشا المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله قال: نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فأنزل الله في سورة المائدة فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن نفديها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا يدها فقالوا: نحن نفديها بخمسائة دينار فقال: اقطعوا يدها فقطعت يدها اليمنى فقالت بن عمر أن امرأة سرقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله إن هذه المرأة سرقتنا قال قومها: فنحن الله غفور رحيم وقد رواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلبي عن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك قال فأنزل الله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله سرقتنا هذه المرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا يدها اليمنى فقالت: المرأة هل من توبة فقال رسول حدثنا أبو كريب حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلبي عن عبد الله بن عمرو قال: سرقت امرأة حليا فجاء صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا افتقدنا جملا لنا فأمر فقطعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهرني منه أردت أن تدخلني جسدي النار. وقال ابن جرير الأنصاري عن أبيه أن عمر بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إني سرقت جملا لبني فلان فطهرني فأرسل إليهم النبي وجه آخر مرسلا ورجع إرساله علي بن المديني وابن خزيمة رحمه الله. وروى ابن ماجه من حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن ثعلبة الله قال: اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به فقطع فأتني به فقال: تب إلى الله فقال: تب إلى الله فقال: تب إلى الله عليك وقد روي من

الدارقطني من حديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتني بسارق قد سرق شملة فقال: ما إخاله سرق فقال السارق: بلى يا رسول وبينه فأما أموال الناس فلا بد من ردها إليهم أو بدلها عند الجمهور وقال أبو حنيفة: متى قطع وقد تلفت في يده فإنه لا يرد بدلها وقد روى الحافظ أبو الحسن ثم قال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم أي من تاب بعد سرقة وأتاب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وما نشيع قال: فلعلكم تأكلون متفرقة اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق الوليد بن مسلم. 4 آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نأكل وإذا دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء لفظ أبي داود. حديث

تفسير ابن كثير

الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء يديهما يعني الشيطان وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي حديث الأعمش. حديث آخر روى مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طريق ابن جريج عن أبي إذا لم يذكر اسم الله عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها وجاء بهذا الأعرابي ليستحل فأخذت بيده والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع وسلم بيدها وجاء أعرابي كأنما يدفع فذهب يضع يده في الطعام فأخذ رسول الله بيده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان مستحل الطعام نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده وإنا حضرنا معه طعاما ما فجاءت جارية كأنما تدفع فذهبت تضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد واسمه سلمة بن الهيثم بن صهيب من أصحاب ابن مسعود عن حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع النبي على طعام لم بشر البصري وثقه ابن معين والنسائي وقال أبو الفتح الأزدي لا تقوم به حجة. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا الأعمش عن خيثمة عن أبي حذيفة وسلم: والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمى فلم يبق شيء في بطنه حتى قاءه وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الراسبي أبي صلى الله عليه وسلم سمعته يقول إن رجلا كان يأكل والنبي ينظر فلم يسم حتى كان في آخر طعامه لقمة قال بسم الله أوله وآخره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وآخره فقلت له إنك تسمي في أول ما تأكل رأيت قولك في آخر ما تأكل بسم الله أوله وآخره فقال أخبرك أن جدي أمية بن مخشى وكان من أصحاب النبي بن سعيد حدثنا جابر بن صبح حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وصحبته إلى واسط فكان يسمى في أول طعامه وفي آخر لقمة يقول بسم الله أوله أيضا وأبو داود والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي به وقال الترمذي حسن صحيح. حديث آخر وقال أحمد: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى فأكله بلقمتين فقال: أما إنه لو ذكر اسم الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره رواه أحمد بن عمير أن امرأة منهم يقال لها أم كلثوم حدثته عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل طعاما في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي جانع فإنه لم يسمع منها هذا الحديث بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب أخبرنا هشام يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي عن بديل عن عبد الله بن عبيد أوله فليقل باسم الله أوله وآخره وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه عن يزيد بن هارون به وهذا منقطع بين عبد الله بن عبيد بن عمير وعائشة فأكله بلقمتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فإن نسي أن يذكر اسم الله في حدثنا هشام عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي إن قوما يأتوننا حديث عهدهم بكفر بلحمان لا لاندري أذكر اسم الله عليها أم لا؟ فقال: سموا الله أنتم وكلوا. حديث آخر وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد الله صلى الله عليه وسلم علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال: سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وفي صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا: يا رسول الله يقول إذا أرسلت جارك فقل بسم الله وإن نسيت فلا تخرج وقال بعض الناس المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل كما ثبت في الصحيحين أن رسول عن الجمهور أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال كما قال السدي وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله واذكروا اسم الله عليه من اشتراط من الأئمة كالإمام أحمد رحمه الله في المشهور عنه التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث وهذا القول هو المشهور ما أمسك عليك وفي حديث أبي ثعلبة المخرج في الصحيحين أيضا إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله ولهذا اشترط مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه أي عند إرساله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل فكل فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في الكلب أن لا يأكل ولم يشترط ذلك في البزاة فدل على التفرقة بينهما في الحكم والله أعلم. وقوله تعالى فكلوا الله وإن خالطت كلابنا كلابا غيرها قال فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك قال قلت إنا قوم نرمي فما يحل لنا قال: ما ذكرت اسم الله عليه وخزقت واذكروا اسم الله عليه ثم قال: ما أرسلت من كلب وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك قلت: وإن قتل قال: وإن قتل ما لم يأكل قلت: يا رسول يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فما يحل لنا منها؟ قال: يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم وحماد بن أبي سليمان وقد يحتج لهؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد حدثنا المحاربي حدثنا مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال: قلت فكل فإن الكلب إذا ضربته لم يعد وإن تعلم الطير أن يرجع إلى صاحبه وليس يضرب فإذا أكل من الصيد وبتف الريش فكل وكذا قال إبراهيم النخعي والشعبي وقال ابن جابر: حدثنا أبو كريب حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن حماد عن إبراهيم عن ابن عباس أنه قال في الطير إذا أرسلته فقتل منهم وقال آخرون قولاً رابعا في المسألة وهو التفرقة بين أكل الكلب فحرم لحديث عدي وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم لأنه لا يقبل التعليم إلا بالأكل. وقد تمنى الأستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه النهاية أن لو فصل مفصل هذا التفصيل وقد حقق الله أمنيته وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الأصحاب فطال عليه وجاع فأكل منه لجزعه فإنه لا يؤثر في التحريم وحملوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني وهذا تفريق حسن وجمع بين الحديثين صحيح. عدي بن حاتم وللعلة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم فإن أكل فلا تأكل فإنني أخاف أن يكون أمسك على نفسه وأما إن أمسكه ثم انتظر صاحبه وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه كما تقدم عن حكيماه عنهم. وقد توسط آخرون فقالوا: إن أكل عقب ما أمسكه فإنه يحرم لحديث قال: نعم وروى عبد الملك بن حبيب حدثنا أسد بن موسى عن ابن أبي زائدة عن الشعبي عن عدي بمثله فهذه آثار دالة على أنه يغتفر وإن أكل منه الكلب جيدان وقد روى الثوري عن سماك بن حرب عن عدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما كان من كلب ضار أمسك عليك فكل قلت: وإن أكل عن أبي ثعلبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك وهذان إسنادان إذا اضطررنا إليها قال: اغسلها وكل فيها هكذا رواه أبو داود وقد أخرجه النسائي وكذا رواه أبو داود من طريق يونس بن سيف عن أبي إدريس الخولاني

تفسير ابن كثير

في قوسي قال: كل ما ردت عليك قوسك قال ذكيا وغير ذكي؟ قال وإن تغيب عنك ما لم يصل أو تجد فيه أثرا غير سهمك قال: أفنتني في آنية المجوس صلى الله عليه وسلم: إن كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك فقال ذكيا وغير ذكي وإن أكل منه؟ قال نعم وإن أكل منه فقال: يا رسول الله أفنتني زريع حدثنا حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال: يا رسول الله إن لي كلابا مكلبة فأفنتني في صيدها فقال النبي غير مرفوع وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح لكن قد روي هذا المعنى مرفوعا من وجوه أخر فقال أبو داود: حدثنا محمد بن منهل الضيرير حدثنا يزيد بن فادره وقد أكل منه فيأكل ما بقي ثم قال ابن جرير: وفي إسناد هذا الحديث نظر وسعيد غير معلوم له سماع من سلمان والثقات يروونه من كلام سلمان عن أبي إياس معاوية بن قرّة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد من طريق سلمان الفارسي مرفوعا فقال ابن جرير: حدثنا عمر أن ابن بكار الكلاعي حدثنا عبد العزيز بن موسى اللاجوني حدثنا محمد بن دينار وهو الطاجي عن علي وابن عباس واختلف فيه عن عطاء والحسن البصري وهو قول الزهري وربيعه ومالك وإليه ذهب الشافعي في القديم وأومأ إليه في الجديد. وقد روي أو لم يأكل. وكذا رواه عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب وغير واحد عن نافع فهذه الآثار ثابتة عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر وهو محكي عبد الله. وحدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك أكل عن عامر عن أبي هريرة قال: إذا أرسلت كلبك فأكل منه فإن أكل ثلثيه وبه ثلثه فكله وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر قال سمعت سعيد بن بكير بن الأشج عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: كل وإن أكل ثلثيه وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود أن مالك بن خيثم الدؤلي أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب فقال: كل وإن لم يبق منه إلا حذيه يعني بضعة ورواه شعبة عن عبد ربه بن بن سلمان قال: إذا أكل الكلب فكل وإن أكل ثلثيه وقال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنا مخرمة بن بكير عن أبيه عن حميد وكذا رواه محمد بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سلمان. ورواه ابن جرير أيضا عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن حميد عن بكر بن عبد الله المزني والقاسم قتادة عن سعيد بن المسيب قال قال سلمان الفارسي كل وإن أكل ثلثيه يعني الصيد إذا أكل منه الكلب وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة وعمر بن عامر عن قتادة كما ورد بذلك الحديث وحكى عن طائفة من السلف أنهم قالوا لا يحرم مطلقا. ذكر الآثار بذلك قال ابن جرير: حدثنا هناد حدثنا وكيع عن شعبة عن فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه فهذا دليل للجمهور وهو الصحيح من مذهب الشافعي وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقا ولم يستفصلوا كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدرته حيا فاذبحه وإن أدركته قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاته وفي رواية لهما فإن أكل فلا تأكل فأصيب قلت له فإني أرمي بالمعروض الصيد؟ فقال: إذا رميت بالمعروض فخرق فكله وإن أصابه بعرض فإنه وقيد فلا تأكله وفي لفظ لهما إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك قلت وإن قتل؟ قال وإن قتلن مالم يشركها كلب ليس منها فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره ما دلت عليه هذه الآية الكريمة كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله فقال إذا أرسلت اسم الله عليه فمتى كان الجراح معلما وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت إرساله حل الصيد وإن قتله بالإجماع وقد وردت السنة بمثل استرسل وإذا أشلاه استشلى وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسه لنفسه ولهذا قال تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا إذا قتل الصيد بصدمته لا بمخالبه وظفره أنه لا يحل كما هو أحد قولي الشافعي وطائفة من العلماء ولهذا قاله تعلمونهم مما علمكم الله وهو أنه إذا أرسله المفعول وهو الجوارح أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكلمات للصيد وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أظفارها فيستدل بذلك والحالة هذه أن الجوارح نزول هذه الآية أنه في قتل الكلاب وقوله تعالى مكلمين يحتمل أن يكون حالا من الضمير في علمتم فيكون حالا من الفاعل ومحتمل أن يكون حالا من خيثة وعويمر بن ساعدة فقالوا: ماذا أحل لنا يا رسول الله؟ فنزلت الآية ورواه الحاكم من طريق سماك عن عكرمة وكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي فجاء عاصم بن عدي وسعد بن ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح به وقال صحيح ولم يخرجاه وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين بقتلها؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلمين لها ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاءوا فقالوا: يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت الله قال أجل ولكن لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة عن أبي كريب عن زيد بن الحباب بإسناده عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليستأذن عليه فأذن له فقال: قد أذن لك يا رسول علمتم من الجوارح مكلمين الآية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أرسل الرجل كلبه وسمى فأمسك عليه فيأكل ما لم يأكل وهكذا رواه ابن جرير فقلت فجاء الناس فقالوا: يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فسكت فأنزل الله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما بن صالح عن القعقاع بن حكيم عن سلمى أم رافع عن أبي رافع عن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية الشريفة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم: حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا زيد بن حباب حدثني يونس بن عبيدة حدثني أبان العرب فلان جرح أهله خيرا أي كسبهم خيرا ويقولون فلان لا جرح له أي لا كاسب له وقال الله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من خير وشر أمر بقتل الكلاب ثم قال: ما بالهم وبالك الكلاب اقتلوا منها كل أسود بهيم وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن جوارح من الجرح وهو الكسب كما تقول الحمار والمرأة والكلب الأسود فقلت: ما بال الكلب الأسود من الحمار فقال: الكلب الأسود شيطان. وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

صيد الكلب الأسود لأنه عنده مما يجب قتله ولا يحل اقتناؤه لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقطع الصلاة عن مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي فقال: ما أمسك عليك فكل واستثنى الإمام أحمد الصيد بمخالبتها كما تكلبه الكلاب فلا فرق وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم واختاره ابن جرير واحتج في ذلك بما رواه عن هناد: حدثنا عيسى بن يونس أما ما صاد من الطير البازات وغيرها من الطير فما أدركت فهو لك وإلا فلا تطعمه قلت: والمحكي عن الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب لأنها تكلب وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك ونقله ابن جرير عن الضحاك والسدي ثم قال: حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال: قال: الباز والصقر من الجوارح. وروى عن علي بن الحسين مثله ثم روى عن مجاهد أنه كره صيد الطير كله وقرأ قوله وما علمتم من الجوارح مكلبين قال: والفهود والصقور وأشباهاها. رواه ابن أبي حاتم ثم قال: وروى عن خيثمة وطاوس ومجاهد ومكحول ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك وروى عن الحسن أنه بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وما علمتم من الجوارح مكلبين وهن الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد والجوارح يعني الكلاب الضواري الرزق وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباهاها كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة وممن قال ذلك علي الذي يأكله الناس فقال: ليس هو من الطيبات وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين أي أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها والطيبات من وهو الحلال من الرزق وقد سئل الزهري عن شرب البول للتداوي فقال: ليس هو من الطيبات رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن وهب: سئل مالك عن بيع الطين يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات قال سعيد: يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم. وقال مقاتل: الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه بن جبير عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله: قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث قال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد عليكم إلا ما اضطررتم إليه قال بعدها: يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات كما في سورة الأعراف في صفة محمد صلى الله عليه وسلم أنه تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها إما في بدنه أو في دينه أو فيهما استثناه في حالة الضرورة كما قال وقد فصل لكم ما حرم لما ذكر

والأرض أي هو المالك لجميع ذلك الحاكم فيه الذي لا معقب لحكمه وهو الفعال لما يريد يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير. 40
ثم قال تعالى ألم تعلم أن الله له ملك السموات

الكافرون قال ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ورواه الحاكم في مستدركه عن حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. 41
محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم ابن جرير وقال وكيع عن سعيد المكي عن طاوس ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ليس بكفر ينقل عن الملة وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن طاوس وليس كمن يكفر بالله وملأنكته وكتبه ورسله وقال الثوري عن ابن جريج عن عطاء أنه قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق رواه بن أبي زائدة عن الشعبي وقال عبدالرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله ومن لم يحكم الآية قال هي به كفر قال بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قال هذا في اليهود ومن لم يحكم بما أنزل الله أولئك هم الفاسقون قال هذا في النصارى وكذا رواه هشيم والثوري عن زكريا حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الصمد حدثنا شعبة بن أبي السفر عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هذا في المسلمين ومن لم يحكم الكتاب أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب وقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله قال للمسلمين وقال ابن جرير ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به فهو ظالم فاسق رواه ابن جرير ثم اختار أن الآية المراد بها أهل بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون يقول ومن لم يحكم بما أنزل الله فتركه عمدا أو جارا وهو يعلم فهو من الكافرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله مسعود عن الرشوة فقال من السحت قال: فقالا وفي الحكم قال ذاك الكفر ثم تلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال السدي ومن لم يحكم الأمة بها رواه ابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن زاد الحسن البصري وهي علينا واجبة وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه البراء بن عازب وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء العطارى وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله والحسن البصري وغيرهم: نزلت في أهل الكتاب بالعين إلى آخرها وهذا يقول أن سبب النزول قضية القصاعى والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال بذلك وقد يكون اجتماع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم ولهذا قال بعد ذلك وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بن حبان وابن زيد وغيره واحد وروى العوفي وعلي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا كما تقدمت الأحاديث وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن موسى بنحوه وهكذا قال قتادة وثقات بمائه وسق من تمر فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه إليه فقالوا وبينكم رسول الله فنزلت ابن عباس قال كانت قريظة والنضير وكانت النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل القرظي رجلا من النضير قتل به وإن قتل النضيري رجلا من قريظة ودي وأبو داود والنسائي من حديث ابن إسحق بنحوه ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة عن عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية في ذلك سواء والله أعلم أي ذلك كان ورواه أحمد

تفسير ابن كثير

وبني قريظة وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف تؤدي الدية كاملة وأن قريظة كان يؤدي لهم نصف الدية فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن الآيات التي في المائدة قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم إلى المقسطين إنما أنزلت في الدية في بني النضير داود من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه بنحوه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا هناد بن السري وأبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحق حدثني كله وما أرادوا فانزل الله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الخيرات إلى قوله الفاسقون ففيهم والله أنزل وإياهم عنى الله عز وجل ورواه أبو ناسا من المنافقين ليخبروا له رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما جاءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأمرهم لهم فدرسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيي إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه لأن لم يعطيكم حذرتم فلم تحكموه فدرسوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهم ثم ذكرت العزيرة فقالت والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيما منا وقهرا نصف دية بعض إنما أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وفرقا منكم فأما إذا قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول من العزيرة قتيلا فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق فقالت الذليلة وهل كان في حيين دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحدية بعضهم من الذليلة فديته خمسون وسقا وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيرة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقتلت الذليلة قال ابن عباس أنزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت إحدهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قاتلته العزيرة أبيه عن عبد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال إن الله أنزل من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الظالمون وأولئك هم الفاسقون قال: هم الكافرون فيه قولان سيأتي بيانهما سبب آخر في نزول الآيات الكريمات وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن ويعملوا به وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني أي لا تخافوا منهم أو خافوني ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك والأخبار أي وكذلك الربانيون وهم العلماء العباد والأخبار وهم العلماء بما استحفظوا من كتاب الله أي بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهره بن عمران فقال إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا أي لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها والربانيون لهم فقال وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى من الكتاب الذي بأيديهم الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبدا ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا إلى غيره مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل إن الله يحب المقسطين ثم قال تعالى منكرنا عليهم في آرائهم الفاسدة ومقادهم الذائغة في تركهم ما يعتقدون صحته بن أسلم وعطاء الخراساني والحسن وغير واحد هي منسوخة بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أي بالحق والعدل وإن فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق بل ما يوافق أهواءهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وزيد صفته كيف يظهر الله قلبه وأنى يستجيب له ثم قال لنبيه فإن جاؤك أي يتحاكمون إليك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا أي الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سمعون للكذب أي الباطل أكالون للسهو أي الحرام وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد أي ومن كانت هذه اقبلوه وإن لم تؤتوه فاحذروا أي من قبوله واتباعه قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تمك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم لهم لي صلى الله عليه وسلم إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ولهذا قالوا إن أوتيتهم هذا أي الجلد والتحميم فخذوه أي الطويلة فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه بأن زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم وعدو لهم إلى تحكيم الرسول ولكن هذا بوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطؤا على كتمانهم وجحدته وعدم العمل به تلك الدهور رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بموافقة حكم التوراة وليس هذا من باب الإكرام لهم بما يعتقدون صحته لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ثم رواه أبو داود عن الشعبي وإبراهيم النخعي مرسلًا ولم يذكر فيه قدما بالشهود فشهدوا فهذه الأحاديث دالة على أن قالًا ذهب سلطاننا فكرهنا القتل قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاء أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره مثل الميل في المكحلة فأمر رسول فنشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟ قالًا نجد إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما قال فما يمنعكم أن ترجموهما وابن ماجه من حديث مجالد به نحوه ولفظ أبي داود عن جابر قال جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال انتوني بأعلم رجلين منكم فأتوا بابني سوريا فنزلت فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ورواه أبو داود زنية والاعتناق زنية والتقبيل زنية فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يبيد ويعيد كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي هو ذاك فأمر به فرجم من آل فرعون وأنزل المن والسلوى على بني إسرائيل ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقال أحدهما للآخر ما نشدت بمثله قط ثم قالًا نجد ترداد النظر وسلم لهما أليس عندكما التوراة فيها حكم الله قالًا بلى قال النبي صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي فلق البحر لبنى إسرائيل وظلل عليكم الغمام وأنجاكم فجاءوا برجل أعور يقال له ابن سوريا وآخر فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم من قبلكما فقالا قد دعانا قومنا لذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود المدينة أن سلوا محمدا عن ذلك فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه فسألوه عن ذلك فقال ارسلا إلى أعلم رجلين فيكم في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مجالد بن معبد الهمداني عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال زنى رجل من أهل فدك فكتب أهل فدك إلى ناس من في الكفار مثلها انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي هم الكافرون قال في اليهود إلى قوله من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قال في اليهود ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون قال

تفسير ابن كثير

إن أوتيتم هذا فخذوه أي يقولون انتوا محمدا فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك وسلم اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه قال فأمر به فرجم قال فأُنزل الله عز وجل يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إلى قوله يقولون تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيم على الشريف والوضع فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجدون حد الزاني في كتابكم فقال لا والله ولولا أنك نشدتي بهذا لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف محمم مجلود فدعاهم فقال أهكذا تجدون حد الزانية و في كتابكم فقالوا نعم فقالوا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا وابن جرير وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهودي أن هذه الآية نزلت فيهم إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم رواه أحمد وأبو داود وهذا لفظه حتى تجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإني أحكم بما في التوراة فأمر بهما فرجما قال الزهري بلغنا أمر الله فقال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل في إثره من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه وقالوا لا نرجم صاحبا سكت أظ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النشدة فقال اللهم إذ نشدتنا فإننا نجد في التوراة الرجم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما أول ما ارتخصتم يحمم ويجه ويجلد والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما قالى وسكت شاب منهم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن قالوا قلنا فتيا نبي من أنبيائكم قال فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا ؟ أبي هريرة قال زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا إلى هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قلنا واحتج بها عند الله بأعلمكم فأتى شاب ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع وقال الزهري: سمعت رجلا من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ونحن عند ابن المسيب عن فجلس عليها ثم قال انتوني بالتوراة فأتى بها فبزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها وقال: أمنت بك وبمن أنزلك ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم انتوني الله عليه وسلم إلى القف فأتاهم في بيت المدارس فقالوا: يا أبا القاسم إن رجل منا زنى بامرأة فاحكم قال ووضعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسادة داود حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني حدثنا ابن وهب حدثنا هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه عن ابن عمر قال: أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه وقال أبو الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مره فليرفع يده فرفع يده ونحمتها ونحمتها ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قال فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين قال فجاءوا بها فقرؤها حتى إذا مر بأية الرجم وضع الله أتى يهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا نسود وجوههما منها فوضع يده عليه فقال ارفع يدك فرفع فإذا آية الرجم تلوح قال يا محمد إن فيها آية الرجم ولكننا نتكاثم بيننا فأمر بهما فرجما وعند مسلم أن رسول قالوا نسخم وجوههم ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين فجاءوا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعور: اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة أخرجاه وهذا لفظ البخاري وهو لفظ له قال لليهود ما تصنعون بهما أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك وقد وردت الأحاديث بذلك فقال مالك عن والحميم والركاب على حمارين مقلوبين فلما وقعت تلك الكائنة بعد الأجرة قالوا فيما بينهم تعالوا حتى نتحاكم إليه فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه نزلت في اليهود من اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم فحرفوه واصلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة قيل نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلًا وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد فإن حكم بالدية فاقبلوه وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه والصحيح أنها يحرفون الكلم من بعد مواضعه أي يتأولونه على غير تأويله ويبدلونه من بعد ما عقوله وهم يعلمون يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا يأتوك أي يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد وقيل المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك وهؤلاء هم المنافقون من الذين هادوا أعداء الإسلام وأهله وهؤلاء كلهم سماعون للكذب أي مستجيبون له منفعلون عنه سماعون لقوم آخرين لم أراءهم وأهواءهم على شرايع الله عز وجل من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم أي أظهروا الإيمان بأسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه نزلت هذه الآيات الكريكات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين

أحكم بينهم بما أنزل الله وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أي بالحق والعدل وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل إن الله يحب المقسطين . 42 ما يوافق أهواءهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقاتدة والسدي وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والحسن وغير واحد: هي منسوخة بقوله وأن إليك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا أي فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق بل وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد أي ومن كانت هذه صفته كيف يظهر الله قلبه وأنى يستجيب له ثم قال لنبيه فإن جاءوك أي يتحاكمون

تفسیر ابن کثیر

يظهر قلوبهم لهم لي الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب . يقول تعالى سماعون للكذب أي الباطل أكلون للسحت أي الحرام فخذوه أي اقبلوه وإن لم تؤتوه فاحذروا أي من قبوله واتباعه قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ولهذا قالوا: إن أوتيتهم هذا أي الجلد والتحميم به تلك الدهور الطويلة فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه بأن زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم وعدو لهم إلى تحكيم لا محالة ولكن هذا يوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطئوا على كتمانهم وعدم العمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بموافقة حكم التوراة وليس هذا من باب الإكرام لهم بما يعتقدون صحته لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ثم رواه أبو داود عن الشعبي وإبراهيم النخعي مرسلا ولم يذكر فيه قدما بالشهود فشهدوا فهذه الأحاديث دالة على قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاء أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره مثل الميل في المكحلة فأمر رسول فنشهدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟ قالا: نجد إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما قال فما يمنعكم أن ترجموهما وابن ماجه من حديث مجالد به نحوه ولفظ أبي داود عن جابر قال: جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال انتوني بأعلم رجلين منكم فأتوا بابني سوريا فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ورواه أبو داود فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يبدئ ويعيد كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي صلى اله عليه وسلم: هو ذاك فأمر به فرجم فنزلت على بني إسرائيل ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقال: أحدهما للآخر ما نشدت بمثله قط ثم قالا: نجد ترداد النظر زنية والاعتناق زنية والتقبيل زنية الله قالا: بلى قال النبي صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وظلل عليكم الغمام وأنجاكم من آل فرعون وأنزل المن والسلوى صلى الله عليه وسلم: أنتم أعلم من قبلكما فقالا: قد دعانا قومنا لذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لهما أليس عندكما التوراة فيها حكم عنه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه فسلوه عن ذلك فقال: ارسلوا إلى أعلم رجلين فيكم فجاءوا برجل أعور يقال له ابن سوريا وآخر فقال لهما النبي عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: زنى رجل من أهل فدك فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمدا عن ذلك فإن أمركم بالجلد فخذوه وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش. به وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مجالد بن معبد الهمداني الظالمون قال في اليهود ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون قال في الكفار مثلها انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري وأبو داود والنسائي وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال في اليهود إلى قوله من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إلى قوله يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه أي يقولون انتوا محمدا فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه قال: فأمر به فرجم قال فأنزل الله عز وجل الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع فقال: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم فقالوا: نعم فدعا رجلا من علمائهم وسلم منهم رواه أحمد وأبو داود وهذا لفظه وابن جرير وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال: فأمر بهما فرجما قال الزهري بلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا فكان النبي صلى الله عليه وسلم قومه دونه وقالوا لا نرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني أحكم بما في التوراة الله عليه وسلم فما أول ما ارتخصتم أمر الله فقال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل في إثره من الناس فأراد رجمه فحال الله صلى الله عليه وسلم سكت أظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم النشدة فقال: اللهم إذ نشدتنا فإننا نجد في التوراة الرجم فقال النبي صلى من زنى إذا أحصن؟ قالوا: يحمم ويحبسه ويجلد والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما رآه رسول رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على واحتج بها عند الله قلنا فتيا نبي من أنبيائكم قال فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في عند ابن المسيب عن أبي هريرة قال: زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا إلى هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلنا وسلم: انتوني بأعلمكم فأتى بفتى شاب ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع وقال الزهري: سمعت رجلا من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ونحن وسلم وسادة فجلس عليها ثم قال انتوني بالتوراة فأتي بها فبرز الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها وقال: آمنت بك وبمن أنزلك ثم قال صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلى القف فأتاهم في بيت المدارس فقالوا: يا أبا القاسم إن رجل منا زنى بامرأة فاحكم قال ووضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني حدثنا ابن وهب حدثنا هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه عن ابن عمر قال: أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه. وقال الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: مره فليرفع يده فرفع يده ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قال: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين قال فجاءوا بها فقرءوها حتى إذا مر بآية الرجم وضع الفتى

تفسير ابن كثير

ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا نسود وجوههما ونحممها عليه فقال: ارفع يدك فرفع فإذا آية الرجم تلوح قال: يا محمد إن فيها آية الرجم ولكننا نتكاثم بيننا فأمر بهما فرجما. وعند مسلم أن رسول الله أتى بيهودي ونخزيهما قال: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فجاءوا فقالوا: لرجل منهم ممن يرضون؟ أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه وسلم فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة. أخرجاه وهذا لفظ البخاري وفي لفظ له قال لليهود: ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسخم وجوههم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الرجم؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك وقد وردت الأحاديث بذلك فقال مالك: عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة قالوا: فيما بينهم تعالوا حتى نتحاكم إليه فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والإركاب على حمارين مقلوبين وقالوا تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد فإن حكم بالدية فاقبلوه وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد على غير تأويله ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا قيل نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلا لا يأتون مجلسك يا محمد وقيل المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك أعدائك يحرفون الكلم من بعد مواضعه أي يتأولونه من الذين هادوا أعداء الإسلام وأهله وهؤلاء كلهم سماعون للكذب أي مستجيبون له منفعلون عنه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي يستجيبون لأقوام آخرين على شرائع الله عز وجل من الذين قالوا أئنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم أي أظهروا الإيمان بالسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم المنافقون لت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين أراءهم وأهواءهم

في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم فقال وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . 43 في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبدا ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا إلى غيره مما يعتقدون ثم قال تعالى منكرا عليهم في آرائهم الفاسدة ومقاصدهم الذائغة

قال ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ورواه الحاكم في مستدركه عن حديث سفيان بن عيينة وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. 44 بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال وكيع عن سعيد المكي عن طاوس ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ليس بكفر ينقل عن الملة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عيسى عن حماد بن عمار عن ابن جريج عن عطاء أنه قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق رواه ابن جريج عن الشعبي وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله ومن لم يحكم الآية قال: هي به كفر قال ابن طاوس: الظالمون قال هذا في اليهود ومن لم يحكم بما أنزل الله أولئك هم الفاسقون قال: هذا في النصارى وكذا رواه هشيم والثوري عن زكريا بن أبي زائدة حدثنا شعبة بن أبي السفر عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هذا في المسلمين ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله قال للمسلمين. وقال ابن جريج حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الصمد قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به فهو ظالم فاسق رواه ابن جريج ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب أو من جحد حكم الله المنزل في يحكم بما أنزل الله فتركه عمدا أو جار وهو يعلم فهو من الكافرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ذاك الكفر ثم تلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال السدي ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون يقول ومن لم هشيم أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال: من السحت قال فقالا: وفي الحكم الثوري عن منصور عن إبراهيم قال: نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها رواه ابن جريج وقال ابن جريج أيضا: حدثنا يعقوب حدثنا العطاردي وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله والحسن البصري وغيرهم: نزلت في أهل الكتاب زاد الحسن البصري وهي علينا واجبة وقال عبد الرزاق عن سفيان وتعالى أعلم وقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال البراء بن عازب: وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء كله والله أعلم. ولهذا قال بعد ذلك وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين إلى آخرها وهذا يقول أن سبب النزول قضية القصاص والله سبحانه عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا كما تقدمت الأحاديث بذلك وقد يكون اجتماع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك المستدرك من حديث عبد الله بن موسى بنحوه وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حبان وابن زيد وغيره واحد وروى العوفي وعلي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن من قريظة فقالوا: ادفعوه إليه فقالوا بيننا وبينكم رسول الله فنزلت وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم في رجلا من النضير قتل به وإن قتل النضير رجلا من قريظة ودي بمائه وسق من تمر فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا من النضير رجلا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت قريظة والنضير وكانت النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل القرظي ذلك فجعل الدية في ذلك سواء والله أعلم أي ذلك كان. ورواه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن إسحق بنحوه ثم قال ابن جريج حدثنا أبو كريب حدثنا

تفسير ابن كثير

لهم نصف الدية فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في عنهم إلى المقسطين إنما أنزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف تؤدي الدية كاملة وأن قريظة كان يؤدي قالوا: حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: أن الآيات التي في المائدة قوله فاحكم بينهم أو أعرض فيهم والله أنزل وإياهم عنى الله عز وجل. ورواه أبو داود من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه بنحوه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا هناد بن السري وأبو كريب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الخيرات إلى قوله الفاسقون صلى الله عليه وسلم ناسا من المنافقين ليخبروا له رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله هذا إلا ضيما منا وقهرا لهم فسدوا إلى محمد من يخبر لكم رأيهم إن أعطاكم ما تريدون حكمتهم لأن لم يعطكم حذرتهم فلم تحكموه فسدوا إلى رسول الله أن يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم ذكرت العريضة فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ولقد صدقوا ما أعطونا واحد دية بعضهم نصف دية بعض إنما أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وفرقا منكم فأما إذا قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على فقتلت الذليلة من العريضة قتيلا فأرسلت العريضة إلى الذليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق فقالت الذليلة: وهل كان في حيين دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما العريضة من الذليلة فديته خمسون وسقا وكل قتيل قتلته الذليلة من العريضة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال ابن عباس: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت إحداها قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قاتلته أبيه عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: إن الله أنزل من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الظالمون وأولئك هم الفاسقون الكافرون فيه قولان سيأتي بيانهما. سبب آخر في نزول الآيات الكريمات. وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن به وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني أي لا تخافوا منهم و خافوني ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم أي وكذلك الربانيون وهم العلماء العباد والأخبار وهم العلماء بما استحفظوا من كتاب الله أي بما استودعوا من كتاب الله الذي أمرنا أن يظهره ويعملوا إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا أي لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها والربانيون والأخبار ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران فقال

عاقلة المقتص له قال ابن مسعود وإبراهيم النخعي والحكم بن عبيدة وعثمان البستي يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة ويجب الباقي في ماله. 45 في مال المقتص وقال عامر الشعبي وعطاء وطاوس وعمر بن دينار والحارث العكلي وابن أبي ليلى وحمام بن أبي سليمان والزهري والثوري: تجب الدية على الجاني فمات من القصاص فلا شيء عليه عند مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم وقال أبو حنيفة: تجب الدية الله وبطل عرجك ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه. تفرد به أحمد مسألة فلو اقتص المجني عليه من صلى الله عليه وسلم فقال: أقدني فقال: حتى تبرأ ثم جاء إليه فقال أقدني فأقاده فقال: يا رسول الله عرجت فقال: قد نهيتك فعضيتني فابعدك ثم زاد جرحه فلا شيء له والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته فجاء إلى النبي أعرابي أيضا وأبوه جبارية بن ظفر مذكور في الصحابة ثم قالوا: لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتى تندمل جراحة المجني عليه فإن اقتص منه قبل الاندمال الشيخ أبو عمر بن عبد البر: ليس لهذا الحديث غير هذا الإسناد ودهشم بن قران الكعلي ضعيف أعرابي ليس حديثه مما يحتج به ونمران بن جارية ضعيف فاستعدى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر له بالدية فقال: يا رسول الله أريد القصاص فقال: خذ الدية بارك الله لك فيها ولم يقض له بالقصاص وقال أبي بكر بن عياش عن دهشم بن قران عن نمران بن جارية عن أبيه جارية بن ظفر الحنفي أن رجلا ضرب رجلا على ساعده بالسيف من غير المفصل فقطعها فيه لأنه ورد بلفظ كسرت ثنية جارية وجائز أن تكون سقطت من غير كسر فيجب القصاص والحالة هذه بالإجماع وتمموا الدلالة بما رواه ابن ماجه من طريق من مذهب الإمام أحمد وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بحديث الربيع بنت النضر على مذهبه أنه لا قصاص في عظم إلا في السن وحديث الربيع لا حجة عباس وبه يقول: عطاء والشعبي والحسن البصري والزهري لإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز وإليه ذهب سفيان الثوري والليث بن سعد وهو المشهور لا يجب القصاص في شيء من العظام إلا في السن. وقال الشافعي: لا يجب القصاص في شيء من العظام مطلقا وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابن ذلك وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم فقال مالك: رحمه الله فيه القصاص إلا في الفخذ وشبهها لأنه مخوف خطر. وقال أبو حنيفة وصاحبا: كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق. قاعدة مهمة الجراح تارة تكون في مفصل فيجب فيه القصاص بالإجماع كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو من أصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قد تقدم عن طاوس وعطاء أنها قالا كفر دون به وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن مجالد عن عامر عن المحرر بن أبي هريرة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: كفر الله عنه ملة ما تصدق به ورواه النسائي عن علي بن حجر عن جرير بن عبد الحميد ورواه ابن جرير عن محمود بن خداح عن هشيم كلاهما عن مغيرة عن المغيرة عن الشعبي أن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من رجل يجرح من جسده جراحة فيتصدق بها إلا صلى الله عليه وسلم قال: من تصلق بدم فما دونه فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح ابن النعمان حدثنا هشيم الله عنه فأعطى دية فأبى إلا أن يقتص فأعطى ديتين فأبى فأعطى ثلاثا فأبى فحدث رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله حدثنا محمد بن علي بن زيد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمران بن ظبيان عن عدي بن ثابت أن رجلا هتم فمه رجل على عهد معاوية رضي

تفسير ابن كثير

عن يونس بن أبي إسحاق به ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه ولا أعرف لأبي السفر سماعه من أبي الدرداء وقال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد إلا رفعه الله به درجة أو حط عنه به خطيئة فقال الأنصاري: فإني قد عفوت وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما شأنك بصاحبك وأبو الدرداء جالس فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيتصدق به بن أبي إسحاق عن أبي السفر قال: كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية فقال معاوية: إنا سنرضيه فألح الأنصاري فقال معاوية: وسلم فقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي فخلى سبيل القرشي فقال معاوية: مروا له بما له هكذا رواه ابن جبير ورواه الإمام أحمد فقال حدثنا وكيع حدثنا يونس يقول: ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة فقال الأنصاري: أما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصاري إلى معاوية فلما ألح عليه الرجل قال: شأنك وصاحبك قال: وأبو الدرداء عند معاوية فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر قال: دفع رجل من قريش رجلا من الأنصار فاندفعت ثنيتاه فرفعه قال: فيحط عنه قدر خطاياه فإن كان ربع الدية فربح خطاياه وإن كان الثلث فثلث خطاياه وإن كانت الدية حطت عنه خطاياه كذلك ثم قال ابن جرير: حدثنا صلى الله عليه وسلم في قوله فمن تصدق به فهو كفارة له قال هو الذي تكسر سنه أو تقطع يده أو يقطع الشيء ما أو يجرح في بدنه فيعفو عن ذلك يعني ابن هلال أنه سمع أبا بن ثعلب عن العريان بن الهيثم بن الأسود عن عبد الله بن عمرو عن أبان بن ثعلب عن الشعبي عن رجل من الأنصار عن النبي مردويه: حدثني محمد بن علي حدثنا عبد الرحيم بن محمد المجاشعي حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المهري حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا علي كفارة له قال: يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وهكذا رواه سفيان الثوري عن قيس بن مسلم وكذا رواه ابن جرير من طريق سفيان وشعبة وقال ابن ابن شهاب يحدث عن الهيثم بن العريان النخعي قال: رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أحمر شبيها بالموالي فسألته عن قول الله فمن تصدق به فهو عن عامر الشعبي وقتادة مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قيس يعني ابن مسلم قال: سمعت طارق فمن تصدق به فهو كفارة له قال: المجروح وروى عن الحسن البصري وإبراهيم النخعي في أحد قوليه وأبي إسحاق الهمداني نحو ذلك وروى ابن جرير حدثنا حماد بن زاذان حدثنا حرمي يعني ابن عمار حدثنا شعبة عن عثمان يعني ابن أبي حفصة عن رجل عن جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل أبي حاتم ثم قال: وروى عن خيثمة بن عبد الرحمن ومجاهد وإبراهيم في أحد قوليه وعمار الشعبي وجابر بن زيد نحو ذلك الوجه الثاني ثم قال: ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري: عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فمن تصدق به فهو كفارة للجراح وأجر المجروح على الله عز وجل رواه ابن تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فمن تصدق به يقول فمن عفا عنه وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر للطالب في النفس وما دون النفس ويستوي فيه العبيد رجالهم ونسأؤهم فيما بينهم إذا كان عمدا في النفس وما دون النفس رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقوله وتفقا العين بالعين وتقطع الأنف بالأنف وتززع السن بالسن وتقتص الجراح بالجراح فهذا يستوي فيه أحرار المسلمين فيما بينهم رجالهم ونسأؤهم إذا كان عمدا ما نقص من غلام الأغنياء عن الفقراء أو استعفاهم عنه وقوله تعالى والجروح قصاصي قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: تقتل النفس بالنفس عن أبيه عن قتادة به وهذا إسناد قوي رجاله كلهم ثقات وهو حديث مشور اللهم إلا أن يقال إن الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه ولعله تحمل أرش صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا أناسا فقراء فلم يجعل عليه شيئا وكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام الدستوائي بن حنبل حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن أبي نضرة عن عمران بن حصين أن غلاما لأناس فقراء قطع أذن غلام لأناس أغنياء فأتى أهله النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره رواه البخاري عن الأنصاري بنحوه وروى أبو داود حدثنا أحمد بن النضر فقال: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال النبي: صلى الله عليه وسلم: يا أنس كتاب الله القصاص فعفا القوم لطمت جارية فكسرت ثنيتها فعرضوا عليهم الأرض فأبوا فطلبوا الأرض والعفو فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها أنس في الصحيحين وقد رواه محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري في الجزء المشهور من حديثه عن حميد عن أنس بن مالك أن الربيع بنت النضر عمته ثنية فلانه قال فرضي القوم ففعفوا وتركوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره أخرجه أنس بن النضر يا رسول الله تكسر ثنية فلانة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس كتاب الله القصاص قال فقال: لا والذي بعثك بالحق لا تكسر بن مالك أن الربيع عمه أنس كسرت ثنية جارية فطلبوا إلى القوم العفو فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال القصاص فقال أخوها ويؤيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك كما قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس وجاء في ذلك أحاديث لا تصح وحكى الشافعي الإجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قولهم إلا بدليل مخصص للآية الكريمة الله صلى الله عليه وسلم: لا يقتل مسلم بكافر وأما العبد ففيه عن السلف آثار متعددة أنهم لم يكونوا يقيدون العبد من الحر ولا يقتلون حرا بعبد على أنه يقتل المسلم بالكافر وعلى قتل الحر بالعبد وقد خالفه الجمهور فيهما ففي الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: قال رسول عن الحسن وعثمان البستي ورواية عن أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها بل تجب ديتهما وكذا احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى بعموم هذه الآية طالب أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها إلا أن يدفع وليها إلى أوليائه نصف الدية لأن ديتهما على النصف من دية الرجل وإليه ذهب أحمد في رواية وحكى في كتاب عمرو بن حزم أن الرجل يقتل المرأة وفي الحديث الآخر المسلمون تتكافأ دماؤهم وهذا قول جمهور العلماء وعن أمير المؤمنين علي بن أبي كلهم على أن الرجل يقتل المرأة بعموم هذه الآية الكريمة وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب

تفسير ابن كثير

فأله أعلم. وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه وقد احتج الأئمة دون غيره وصححه منها عدم الحجية ونقلها الشيخ أبو إسحاق الأسفرايني أقوالا عن الشافعي وأكثر الأصحاب ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا الحسن البصري: هي عليهم وعلى الناس عامة رواه ابن أبي حاتم وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي في هذه المسألة ثلاثة أوجه قالها: أن شرع إبراهيم حجة وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الأسفرايني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب هذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنائيات عند جميع الأئمة وقال المبارك بهذا الحديث وقد استدلل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكمي مقررًا ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور النفس ورفع العين وكذا رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن المبارك وقال الترمذي: حسن غريب وقال البخاري: تفرد ابن عن أبي علي بن يزيد عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين نصب الله بالعدل والروية بين الجميع فيه فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضا وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن يونس بن يزيد هم الكافرون لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا وقال ههنا فأولئك هم الظالمون لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن وعدلوا إلى ما اصطالحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار ولهذا قال هناك ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك أن النفس بالنفس وهم يخالفون ذلك عمدا وعنادا ويقيدون النضري من القرظي ولا يقيدون القرظي من النضري بل يعدلون إلى الدية كما خالفوا حكم التوراة وهذا أيضا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه فإن عندهم في نص التوراة

وموعظة للمتقين أي وجعلنا الإنجيل هدى يهdy به وموعظة أي زاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. 46 أنه قال: لبني إسرائيل ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن النجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى وهدى لما بين يديه من التوراة أي متبعا لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى إخبارا عن المسيح من التوراة أي مؤمنا بها حاكما بما فيها وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور أي هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات ومصدقا يقول تعالى وقفينا أي اتبعنا على آثارهم يعني أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه

هم الفاسقون أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق. 47 الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة إلى قوله المفلحون ولهذا قال ههنا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال تعالى قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم الآية وقال تعالى لحكم أهل ملته به في زمانهم وقرئ وليحكم بالجزم على أن اللام لام الأمر أي ليؤمّنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه ومما فيه البشارة ببعثة محمد وقوله تعالى وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه قرئ وليحكم أهل الإنجيل بالنصب على أن اللام لام كي أي وآتيناه الإنجيل

للبراهين القاطعة والحجج البالغة والأدلة الدامغة وقال الضحاك: فاستبقوا الخيرات يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر. 48 بما اختلفتم فيه من الحق فيحزي الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى إلى الله مرجعكم أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون أي فيخبركم ندهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال فاستبقوا الخيرات وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بهذا القرآن شرع لهم وبثبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير فيما آتاكم يعني من الكتاب ثم إنه تعالى خاتم الأنبياء كلهم ولهذا قال تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن لبلوكم فيما آتاكم يعني أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعية واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها واحدة فلو كان هذا خطابا لهذه الأمة لما صح أن يقول ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم للإخبار عن قدرته ومسلكا واضحا بينا هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله والصحيح القول الأول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ولو يشاء الله لجعلكم أمة كلكم تقتدون به وحذف الضمير المنصوب في قوله لكل جعلنا منكم أي جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجا أي سبيلا إلى المقاصد الصحيحة وسنة أي طريقا الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل المخاطب بهذه الآية هذه الأمة ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم أيبتها الأمة شرعة ومنهاجا أي هو لكم الإنجيل شريعة وفي الفرقان شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل الله غيره التوحيد والإخلاص لله والحجة الدامغة قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يقول سبيلا وسننا والسنن مختلفة هي في التوراة شريعة وفي الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفا فيزداد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة أن لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت الآية وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون لعلات ديننا واحدا يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحن معاشر الأنبياء إخوة بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم ثم هو الإخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة

تفسير ابن كثير

شرع في كذا أي ابتدأ فيه وكذا الشريعة وهى ما يشرع فيها إلى الماء أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن الطرائق فتفسير قوله شرعة ومنهاجا ومجاهد أي وعطاء الخراساني عكسه شرعة ومنهاجا أي سنة وسبيلا والأول أنسب فإن الشرعة وهي الشريعة أيضا هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ومنه يقال وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحاك والسدي وأبي إسحق السبيعي أنهم قالوا في قوله شرعة ومنهاجا أي سبيلا وسنة. وعن ابن عباس أيضا سفیان عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس ومنهاجا قال سنة. وكذا روى لعوفي عن ابن عباس شرعة ومنهاجا سبيلا وسنة. وكذا روى عن مجاهد حدثنا أبو خالد الأحمر عن يوسف بن أبي إسحق عن أبيه عن التميمي عن ابن عباس لكل جعلنا منكم شرعة قال سبيلا وحدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج أهواءهم أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله ولهذا قال تعالى ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق أي لا تتصرف أحكامهم فنزلت وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما في كتابنا وقوله ولا تتبع سفیان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فرددهم إلى قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك هكذا وجهه ابن جرير بمعناه قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن بينهم بما أنزل الله أي فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتابتهم بما أنزل الله إليك من هذا الكتاب العظيم وبما فرض لك من حكم من كان له ولو كان الأمر كما قال مجاهد لقال وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه يعني من غير عطف وقوله تعالى فاحكم حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد عن المفهوم في كلام العرب بل هو خطأ وذلك أن المهيم عطف على المصدق فلا يكون إلا صفة لما كان المصدق صفة فإنه صحيح في المعنى ولكن في تفسير هذا بهذا نظر وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضا نظر وبالجمل فالصحيح الأول وقال أبو جعفر بن جرير بعد وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيع عن مجاهد أنهم قالوا في قوله ومهيئنا عليه: يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أمين على القرآن شاهدا وأميننا وحاكما عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلماذا جعله أي حاكما على ما قبله من الكتب وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم المهيم يتضمن هذا كله فهو: أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالبي عن ابن عباس ومهيئنا أي شهيدا وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس ومهيئنا ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جرير: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منه عباس أي مؤتمنا عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المهيم الأمين قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله. ورواه عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد مجيء محمد عليه السلام لمفعولا أي لكاننا لا محالة حسن وقوله تعالى ومهيئنا عليه قال: سفیان الثوري وغيره عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا أي إن كان ما وعدنا الله على أسنة رسله المتقدم من نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقا عند حاملها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى إن الذين أوتوا لما بين يديه من الكتاب أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله مصدقا على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه كما تقدم بيانه شرع لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها

بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك إلى قوله لقوم يوقنون رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. 49 وبين قومنا خصومة فنحاکمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل فيهم وأن احكم بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أن أبحار يهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا لأن بيننا زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله الآية وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد مولى إضلالهم ونكالهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أي إن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى وما أكثر الناس إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم أي فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت أن يدلّسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتر بهم فإنهم كذبهم كفره خونه فإن تولوا أي عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله فاعلم الله ولا تتبع أهواءهم تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك النهي عن خلافه ثم قال واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي واحذر أعداءك اليهود وقوله وأن احكم بينهم بما أنزل

لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ولهذا قال تعالى ههنا ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين . 5 أمير المؤمنين الشرك أعظم من ذلك وقد يقبل منه إذا تاب وسيأتي الكلام على هذه المسألة مستقصى عند قوله الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية أبو هلال عن قتادة عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب لقد هممت أن أدع أحدا أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج محصنة فقال له أبي بن كعب: يا

تفسير ابن كثير

يتوب ويقطع عما هو فيه من الزنا لهذه الآية وللحديث لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا سليمان بن حرب حدثنا
الله إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى
أنفسهم عن جاءهم ولا متخذي أخدان أي ذوي العشيقات الذين لا يفعلون إلا معهن كما تقدم في سورة النساء سواء ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه
وهي العفة عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل محصنا عفيفا ولهذا قال غير مسافحين وهم الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية ولا يردون
بها أنه يفرق بينهما وترد عليه ما بذل لها من المهر رواه ابن جرير عنهم وقوله محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان فكما شرط الإحصان في النساء
فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس وقد أفتى جابر بن عبد الله وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري بأن الرجل إذا نكح امرأة فزنت قبل دخوله
وكقوله وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا الآية وقوله إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن أي كما هن محصنات عفائف
أصل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في غير موضع كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيتهم البينة
قبلكم فجعلوا هذه مخصصة في سورة البقرة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها وإلا فلا معارضة بينها وبينها لأن
نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأسا أخذا بهذه الآية الكريمة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن قال: فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فنكح الناس
حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب حدثنا القاسم بن مالك يعني المزني حدثنا إسماعيل بن سميع عن أبي مالك الغفاري قال نزلت هذه الآية
التزويج بالنصرانية ويقول لا أعلم شركا أعظم من أن تقول إن ربها عيسى وقد قال الله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الآية وقال ابن أبي حاتم:
وهو مذهب الشافعي وقيل المراد بذلك الذميات دون الحريات لقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى
يعم كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمة حكاه ابن جرير عن طائفة من السلف ممن فسر المحصنة بالعفيفة وقيل المراد بأهل الكتاب ههنا الإسرائيليات
محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم هل
ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل: حشفا وسوء كيلة والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى في الآية الأخرى
العفيفة كما قال في الرواية الأخرى عنه وهو قول الجمهور ههنا وهو الأشبه لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالها بالكلية
الحرائر دون الإماء حكاه ابن جرير عن مجاهد وإنما قال مجاهد المحصنات الحرائر فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه ومحتمل أن يكون أراد بالحرمة
نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فليلزم أن المراد بالمحصنات
الذي فيه: لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي فمحمول على الندب والاستحباب والله أعلم. وقوله والمحصنات من المؤمنات أي وأحل لكم
توبه لعبد الله بن أبي بن سلول حين مات ودفنه فيه قالوا لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة توبه فجازاه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فأما الحديث
أظهر في المعنى أي ولكم أن تطعموهم من ذبائهم كما أكلتم من ذبائهم وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة كما ألبس النبي صلى الله عليه وسلم
وليس هذا إخبارا عن الحكم عندهم اللهم إلا أن يكون خبرا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها والأول
فدل بمفهوم مفهوم المخالفة على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل وقوله تعالى وطعامكم حل لهم أي ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائهم
الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: سئوا بهم سنة أهل الكتاب ولكن لم يثبت بهذا اللفظ وإنما الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول
ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكرك عليه الفقهاء ذلك حتى قال عنه الإمام أحمد: أبو ثور كاسمه يعني في هذه المسألة وكأنه تمسك بعموم حديث روي مرسلا عن
تبعوا وإلحاقا لأهل الكتاب فإنهم لا تؤكل ذبائهم ولا تنكح نساؤهم خلافا لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبى أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل
سعيد بن أبي عروبة: عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن أنهما كانا لا يريان بأسا بذبيحة نصارى بني تغلب وأما المجوس فإنهم وإن أخذت منهم الجزية
عن محمد بن عبيدة قال: قال علي: لا تأكلوا ذبائح بني تغلب لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر وكذا قالت غير واحد من الخلف والسلف. وقال
وتوخ وبهرا وجذام ولخم وعاملة ومن أشبههم لا تؤكل ذبائهم عند الجمهور. وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب
أهل الكتابيين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ومن يتمسك بدين إبراهيم وشيث وغيرهما من الأنبياء على أحد قولي العلماء ونصارى العرب: كبنى تغلب
من عداهم من أهل الشرك ومن شابههم لأنهم لا يذكرون اسم الله على ذبائهم بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم على ذكاة بل يأكلون الميتة به بخلاف
يلزم من إباحته طعام أهل الكتاب إباحة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنهم يذكرون اسم الله على ذبائهم وقرابينهم وهم متعبدون بذلك ولهذا لم يبيح ذبائح
فقال اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب وفي هذا الذي قاله مكحول رحمه الله نظر فإنه لا
أخبرنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان بن المنذر عن مكحول قال أنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم نسخته الرب عز وجل ورحم المسلمين
الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضافه يهودي على خبز شعير وإهالة نسخة يعني ودكا زخا وقال ابن أبي حاتم قرئ: على العباس بن الوليد بن مزيد
زينب فقتلت بشر بن البراء..... ووجه الدلالة منه أنه عزم على أكلها ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا وفي الحديث
فلفظه وأثر ذلك في ثنايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي أبهره وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات فقتل اليهودية التي سمته وكان اسمها
أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع فتناوله فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مسموم

تفسير ابن كثير

وفي ذلك نظر لأنه قضية عين ويحتمل أن يكون شحما يعتقدون حله كشحم الظهر والحوايا ونحوهما والله أعلم وأجود منه في الدلالة ما ثبت في الصحيح فالمالكية لا يجوزون للمسلمين أكله لقوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قالوا: وهذا ليس من طعامهم واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث واستدل به الفقهاء: الحنفية والشافعية والحنابلة على أصحاب مالك في منعهم أكل ما يعتقد اليهود تحريمه من ذبائحهم كالشحوم ونحوها مما حرم عليهم والتفت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فاستدل به الفقهاء على أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنيمة قبل القسمة وهذا ظاهر ما هو منزله عنه تعالى وتقدس وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مغفل قال: أدلي بجراب من شحم يوم خيبر فحضنته وقلت لا أعطي اليوم من هذا أحدا أمر مجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله وإن اعتقدوا فيه تعالى لكم قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وإبراهيم النخعي والسدي ومقاتل بن حيان: يعني ذبائحهم وهذا وما أحله لهم من الطيبات قال بعده اليوم أحل لكم الطيبات ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث

إلى الله عز وجل من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة. 50 شعيب بن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن نافع بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبغض الناس قرأ أفحكم الجاهلية ييغون الآية. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أنا فحكم الجاهلية. وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: كان طاموس إذا سأله رجل: أفضل بين ولدي في النحل؟ كل شيء العادل في كل شيء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هلال بن فياض حدثنا أبو عبيدة الناجي قال: سمعت الحكم يقول: من حكم بغير حكم الله الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وأمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على قليل ولا كثير قال تعالى أفحكم الجاهلية ييغون أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي ومن أعدل من على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في عن شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها وكما يحكم به الشارع من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم من الله حكما لقوم يوقنون ينكرون تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء قوله تعالى أفحكم الجاهلية ييغون ومن أحسن

عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال: كل. قال الله تعالى ومن يتولهم منكم فإنه منهم وروى عن أبي الزناد نحو ذلك. 51 وهو لا يشعر قال: فظنناه يريد هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء الآية. وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن عاصم بن الحسن عن محمد بن الصباح حدثنا عثمان بن عمر أنبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة لبتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا هو قال لا بل نصراني قال: فانتهرني وضرب فخذي ثم قال: أخرجوه ثم قرأ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء الآية. ثم قال: حدثنا محمد له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام فقال: إنه لا يستطيع فقال عمر: أجنب سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عياض: أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد وكان أولياء بعض ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال ومن يتولهم منكم فإنه منهم الآية قال ابن أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب حدثنا محمد يعني ابن يئى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله ثم أخبر أن بعضهم

الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباده المؤمنين فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرهم أنهم من المؤمنين ويحلفون على ذلك ويتأولون فبان كذبهم وافتراؤهم. 52 محذورا بل كان عين المفسدة فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين لا يدري كيف حالهم فلما انعقدت الأسباب يعني الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين على ما أسروا في أنفسهم من الموالاة نادى أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا ولا دفع عنهم بالفتح قال السدي يعني فتح مكة وقال غيره يعني القضاء والفصل أو أمر من عنده قال السدي يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى فيصبحوا أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك عند ذلك قال الله تعالى فعسى الله أن يأتي أي شك وريب ونفاق يسارعون فيهم أي يبادرون إلى مولاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض

صلى الله عليه وسلم قد كنت أهلك عن حب يهود فقال عبد الله فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات. وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق. 53 عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي نعوذه فقال له النبي إلى قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زيادة والمؤمنين وأبرا من حلفهم الكفار وولايهم ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم

تفسير ابن كثير

فجعلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال: يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فحدثني أبو إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله من الأحمر والأسود تحصدني في غداة واحدة إني امرؤ أخشى الدوائر قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك قال محمد بن إسحاق الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال: ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني عنه قال فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي قال فأعرض بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم يعصمك من الناس وقال محمد بن إسحاق فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو قينقاع فحدثني عاصم ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال: إذا أقبل قال فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء إلى قوله تعالى والله عبد الله بن أبي لكتي لا أبرأ من ولاية يهود إني رجل لا بد لي منهم فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا الحباب أرايت الذي نفست به من الله إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسه ثم كثيرا سلاحهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال أغركم إن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا فقال عبادة بن الصامت يا رسول بن عبد الرحمن عن الزهري قال لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف قد قبلت فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء الآيتين ثم قال ابن جرير: حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا عثمان من ولاية موالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ ابن إدريس قال سمعت أبا عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول فسألوه ماذا هو صانع بنا فأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح رواه ابن جرير وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول كما قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وأتاصر معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث. وقال الآخر أما أنا فإنني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فأوي إليه وأتاصر معه فأنزل الله يا أيها الذين سبب نزول هذه الآيات الكريمات فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما: لصاحبه بعد وقعة أحد أما أنا فإنني ذاهب إلى ذلك النصراني بالشام فأوي إليه من عنده تقديره حينئذ يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين واختلف المفسرون في أهل المدينة يقول الذين آمنوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم على ما ذكره ابن جرير قال: ابن جرير عن مجاهد فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر ثم منهم من رفع ويقول على الابتداء ومنهم من نصب عطفه على قوله فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فتقديره أن يأتي وأن يقول وقرأ أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين وقد اختلف القراء في هذا الحرف فقرأه الجمهور بآباء الواو في قوله ويقول قال تعالى ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين

أي من اتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له والله واسع عليم أي واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه. 54 في الصحيح ما ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا وكيف يذل نفسه يا رسول الله قال: يتحمل من البلاء ما لا يطيق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليسأله يقول له أي عبيد أرايت منكرا فلم تنكره؟ فإذا لقن الله عبدا حجته قال أي رب وثقت بك وخفت الناس وثبت ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن أبي طوالة عن بهار بن عبد الله العبدى المدني عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن منعك أن تكون قلت في كذا وكذا؟ فيقول مخافة الناس فيقول إياي أحق أن تخاف. ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به وروى أحمد وابن عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال فلا يقول فيه فيقال له يوم القيامة: ما منه أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم تفرد أحمد وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فإنه لا يقرب قلت نعم قال ولا سوطك وإن سقط منك يعني تنزل إليه فتأخذه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن المعلى الفردوسي عن الحصن الله عليه وسلم فقال هل لك إلى بيعة ولك الجنة قلت نعم وبسطت يدي فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط علي أن لا تسأل الناس شيئا بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وواثقني سبعا وأشهد الله على سبعا أنني لا أخاف في الله لومة لائم قال أبو ذر فدعاني رسول الله صلى لا حول ولا قوة إلا بالله فإنهم من كنز تحت العرش وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن أبي المثنى أن أبا ذر رضي الله عنه قال أن أصل الرحم وإن أدبرت وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأمرني أن أكثر من قول ذر قال أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقني وأمرني

تفسير ابن كثير

عنه صاد ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عدل عادل قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبي يخافون لومة لائم أي لا يرددهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يرددهم عن ذلك راد ولا يصدهم بينهم وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه وقوله عز وجل يجاهدون في سبيل الله ولا المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قوم هذا ورواه ابن جرير من حديث شعبة بحوه وقوله تعالى أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذه صفات يعني ابن عبد الوارث حدثنا شعبة عن سماك سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الأشعري قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال قال هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب وهذا حديث غريب جدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الصمد أبي زياد الحلواني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة من السكون. وحدثنا أبي حدثنا محمد بن المصفي حدثنا معاوية يعني ابن حفص عن من سبأ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قوله فسوف بن أبي شيبه سمعت أبا بكر بن عياش يقول: في قوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هم أهل القادسية وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد هم قوم البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم وقال أبو بكر وقال تعالى ههنا يا أيها الذين آمنوا من يردت منكم عن دينه أي يرجع عن الحق إلى الباطل قال محمد بن كعب نزلت في الولاة من قريش وقال الحسن تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وقال تعالى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز أي بممتنع ولا صعب يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرته دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خيرا لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. 55 عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ولهذا قال تعالى بعد هذا كله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين وهو راعك في المسجد فأعطاه خاتمه وقال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس عن أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا رواه ابن جرير وقد تقدم في بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب قال علي من الذين آمنوا وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل قال سألت عن هذه الآية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون قلنا من الذين آمنوا؟ قال الذين آمنوا قلنا بن في قوله إنما وليكم الله ورسوله نزلت في المؤمنين وعلي بن أبي طالب أولهم وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبد الملك عن أبي جعفر الله عنه نفسه وعمار بن ياسر وأبي رافع وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها ثم روى بإسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس وهو يقول من يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون وهذا إسناد لا يقدح به ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي أحد شيئا؟ قال نعم قال من؟ قال ذلك الرجل القائم قال علي أي حال أعطاك؟ قال وهو راعك قال وذلك علي بن أبي طالب قال فكبر رسول الله عند ذلك عليه وآله وسلم إلى المسجد والناس يصلون بين رافع وساجد وقائم وقاعد وإذا مسكين يسأل فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أعطاك لم يلقى ابن عباس وروى ابن مردويه أيضا عن طريق محمد بن السائب الكلبي وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علي بن أبي طالب قائما يصلي فمر سائل وهو راعك فأعطاه خاتمه فنزلت إنما وليكم الله ورسوله الآية. الضحاك في قوله إنما وليكم الله ورسوله الآية نزلت في علي بن أبي طالب عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به. ورواه ابن مردويه عن طريق سفيان الثوري عن أبي في قوله إنما وليكم الله ورسوله الآية نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راعك. وقال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا غالب بن عبد الله سمعت مجاهدا يقول الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول حدثنا موسى بن قيس الحضرمي عن سلمه بن كهيل قال تصدق علي بخاتمه وهو راعك فنزلت إنما وليكم الله ورسوله أيوب بن سويد عن عتبة بن أبي حكيم في قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا قال هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب. وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان المرادي حدثنا دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرا وأما قوله وهم راعون فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله ويؤتون الزكاة أي في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين وقوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام قوله تعالى إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا أي ليس والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة. 56

يقول تعالى ومن يتول الله ورسوله

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاته ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير. 57
إن كنتم مؤمنين أي اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذ هؤلاء هزوا ولعبا كما قال تعالى لا يتخذ قراءة ابن مسعود فيها رواه ابن جرير لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا وقوله واتقوا الله دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم تقديره ولا الكفار أولياء أي لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والمراد بالكفار ههنا المشركون وكذا وقع في لبيان الجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وقرأ بعضهم والكفار بالخفض عطا وقرأ آخرون بالنصب على أنه معمول لا تتخذوا الذين اتخذوا الفاسد وفكرهم البارد كما قال القائل كم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم وقوله تعالى من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار من ههنا وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوا ولعبا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم وهذا تنفير من مولاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركيين والذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون

سمرة بن معير بن لوزان أحد مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم الأربعة وهو مؤذن أهل مكة وامتدت أيامه رضي الله عنه وأرضاه. 58
عبد الله بن محيريز هكذا رواه الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة من طريق عن عبد الله بن محيريز عن أبي محذورة واسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي ممن أدرك أبا محذورة على نحو ما أخبرني كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن أسيد عامل أبي محذورة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال قد أمرتك به وذهب شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة ثم أمرها على وجهه ثم بين يديه ثم على كبده حتى بلغت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم سره رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها الله عليه وآله وسلم التأذين هو بنفسه قال قل الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا أكره إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني به فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فألقى علي رسول الله صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟ فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا فأرسل كلهم وحسني وقال قم فأذن فقامت ولا شيء الله صلى الله عليه وسلم فسمعت صوت المؤذن ونحن متنكبون فصرخنا نحكيه ونستهزئ به فسمع رسول الله فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فقال الله عليه وسلم من حين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عند رسول عم إنني خارج إلى الشام وأخشى أن أسأل عن تأذينك فأخبرني أن أبا محذورة قال له نعم خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين مقفل رسول الله صلى حدثنا ابن جريج أخبرنا عبدالعزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة أن عبد الله بن محيريز أخبره وكان يتيما في حجر أبي محذورة قال: قلت لأبي محذورة يا الذي قلت ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وقال الإمام أحمد حدثنا روح بن عبادة لو أعلم أنه محق لاتبعته فقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد علمت والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد: أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحارث بن هشام أما والله إسحاق بن يسار في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد الكذاب فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شارة فأحرفت البيت فاحترق هو وأهله رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وذكر محمد بن في قوله وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا قال: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا وذلك بأنهم قوم لا يعقلون رواه ابن أبي حاتم وقال أسباط عن السدي فيقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى فإذا وجد أحدهم ذلك فليسجد سجدين قبل السلام متفق عليه. قال الزهري المنادي أدبر وله حصاص أي ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل فإذا ثوب للصلاة أدبر فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب اتخذوها أيضا هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون معاني عبادة الله وشرائعه وهذه صفات أتباع الشيطان الذي إذا سمع وقوله وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا أي وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال

وأن أكثركم فاسقون معطوف على أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل أي وأما بأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن الطريق المستقيم. 59
الحميد وكقوله وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وفي الحديث المتفق عليه ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرا فأنه الله وقوله أي هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا ؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة فيكون الاستثناء منقطع كما في قوله تعالى وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب: هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل

فسمعتة يقول: إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ولا صدقة ولا صدقة من غلول وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة. 6
بغير طهور وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبي المليح الهذلي يحدث عن أبيه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت صحيح مسلم من رواية سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلاة

تفسير ابن كثير

أو تملأ ما بين السماء والأرض والصوم جنة والصبر ضياء والصدقة برهان والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها وفي
عن جده مطور عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر تملآن
توضاً فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ورجليه وروى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام
مسح الرأس وهذا إسناد صحيح. وروى ابن جرير من طريق شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من
يديه وإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياه من ذراعيه وإذا غسل رجله خرجت خطاياه من رجله. قال: شعبة ولم يذكر
شعبة عن منصور عن سالم عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وإذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه من بين
من وجهه فإذا مسح رأسه خرجت خطاياه من رأسه فإذا غسل رجله خرجت خطاياه من رجله هذا لفظه وقد رواه الإمام أحمد عن محمد بن جعفر عن
بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه أو ذراعيه إلا خرجت خطاياه منها فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه
عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن مالك به وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان بن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كعب
يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب رواه مسلم
المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها
الثمانية يدخل من أيها شاء لفظ مسلم. وقال مالك: عن نهشل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا توضأ العبد
قد رأيتك جئت أنفا قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة
عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة قال: قلت ما أجود هذه فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود منها فنظرت فإذا عمر رضي الله عنه فقال: إني
فجاءت نوبتي فروحتها بعشى فأدرت رسول الله قائما يحدث الناس فأدرت من قوله: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلّي ركعتين مقبلا
بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة كما رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن عن عقبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل
أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرافة والرحمة والتسهيل والسماحة وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء
مقام الماء إلا من بعض الوجوه كما تقدم بيانه وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير وقوله تعالى ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون
من حرج أي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم وجعله في حق من شرع له يقوم
وجوهكم إلى آخر الآية فقال أسيد بن الحضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم إلا بركة لهم. وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم
وقد أوجعني ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا
فثنى رأسه في حجره راقدا فاقبل أبو بكر فلكنني لكزة شديدة وقال: حسبت الناس في قلادة فتمنيت الموت لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مني
الحرث أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل
وقد ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك لكن البخاري روى ههنا حديثا خاصا بهذه الآية الكريمة فقال: حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن
ماء فتييموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه كل ذلك قد تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء فلا حاجة بنا إلى إعادته لنلا يطول الكلام
قتلهم تنكيلا بهم في مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه. وقوله تعالى وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا
شريح عن يحيى بن الحرث التيمي يعني الخابر قال: نظرت في قتلى أصحاب زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد
ما ذكرنا من أنها العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم كما هو مذهب أهل السنة وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن موسى أخبرنا
صاحبه ومنكبه بمنكبه. لفظ ابن خزيمة فليس يمكن أن يلزق كعبه بكعب صاحبه إلا والمراد به العظم الناتئ في الساق حتى يحاذي كعب الآخر فدل ذلك على
عليه وسلم بوجهه قال: أقيمو صفوفكم ثلاثا والله لتقيم صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم قال: فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه وركبته بركبة
مجزوما به وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسيني ابن الحرث الجدلي عن النعمان بن بشير قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند الناس وكما دلت عليه السنة ففي الصحيح من طريق حران عن عثمان أنه توضأ فغسل رجله اليمنى إلى الكعبين واليسرى مثل ذلك وروى البخاري تعليقا
الذين ذكرهما الله في كتابه في الوضوء هما الناتان وهما مجمع مفصل الساق والقدم هذا لفظه فعند الأئمة رحمهم الله في كل قدم كعبان كما هو المعروف
فعندهم في كل رجل كعب وعند الجمهور أن الكعبين هما العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم قال الربيع: قال الشافعي: لم أعلم مخالفا في أن الكعبين
لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر ولله الحمد وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين للذين في القدمين فعندهم أنهما في ظهر القدم
الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق ما دلت عليه الآية الكريمة وهم مخالفون
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن نكاح المتعة وهم يستبيحونها وكذلك هذه
أو عدمه أو التفصيل فيه كما هو مبسوط في موضعه وقد خالفت الروافض في ذلك بلا مستند بل بجهل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم من رواية أمير
الله صلى الله عليه وسلم مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلًا كما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير مع ما يحتاج إلى ذكره هناك من تأقيت المسح
ومسح على خفيه قال الأعمش: قال إبراهيم: فكان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة لفظ مسلم. وقد ثبت بالتواتر عن رسول
حديث الأعمش عن إبراهيم عن همام قال: بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه ففعل هذا؟ فقال نعم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضأ

تفسير ابن كثير

جرير بن عبد الله البجلي قال: أنا أسلمت بعد نزول المائدة وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسخ بعدما أسلمت. تفرد به أحمد وفي الصحيحين من الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله بن عاتكة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن وقد روي ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن لم يصح إسناده ثم الثابت عنه خلافه وليس كما زعموه قاله قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على أمارا بغسل الرجلين كما في قراءة النصب وكما هو الواجب في حمل قراءة الخفض عليه توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين متعارضة وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بعموم غسل القدمين في الوضوء بالماء بالنقل المستفيض القاطع عذر من انتهى إليه وبلغه ولما كان القرآن من طريق شعبة ومن طريق هشيم ثم قال: وهذا محمول على أنه توضحاً كذلك وهو غير محدث أنه كان غير جائز أن تكون فرائض الله وسنن رسوله متنافية عطاء عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سباطة قوم فبال وتوضاً ومسح على نعليه وقدميه وقد رواه ابن جرير رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضاً ومسح على نعليه ثم قام إلى الصلاة وقد رواه أبو داود عن مسدد وعباد بن موسى كلاهما عن هشيم عن يعلى بن يكون في رجله خفان وعليهما نعلان وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى عن شعبة حدثني يعلى عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال: أجاب ابن جرير عنه بأن الثقات الحفاظ رووه عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال: فبال قائماً ثم توضاً ومسح على خفيه قلت ويحتمل الجمع بينهما بأن عن أبي وائل عن حذيفة قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائماً ثم دعا بماء فتوضاً ومسح على نعليه وهو حديث صحيح وقد والرجل في نعلها ولكن في هذا رد على المتعمقين والمتنطعين من الموسوسين. وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه وهو من روايته عن الأعمش عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش على قدميه الماء وهما في النعلين فدلكنهما إنما أراد غسلًا خفيفاً وهما في النعلين ولا مانع من إيجاد الغسل السبعي عن الحرث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: اغسلوا القدمين إلى الكعبين كما أمرتم ومن ههنا يتضح لك المراد من حديث عبد خير من ذلك. وهذا إسناده صحيح وهو في صحيح مسلم من وجه آخر وفيه ثم يغسل قدميه كما أمره الله فدل على أن القرآن يأمر بالغسل وهكذا روى أبو إسحاق أكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً لقد سمعته سبع مرات أو أكثر الله صلى الله عليه وسلم أيعطي هذا الرجل كله في مقامه؟ فقال عمرو بن عبسة: يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي حاجة أن يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال أبو أمامة: يا عمرو انظر ما تقول سمعت هذا رسول يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم ينتثر ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أطراف أنامله ثم قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال: ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتم ويستنشق وينتثر إلا خرت خطاياهما من فمه وخياشيمه مع الماء حين الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقي قال: قال أبو أمامة حدثنا عمرو بن عبسة لقيط بن صبرة عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء فقال: أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً. وقال وفي حديث حمران عن عثمان في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم أنه خلل بين أصابعه وروى أهل السنن من حديث إسماعيل بن كثير عن عاصم بن لم يصبها الماء فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء ورواه أبو داود من حديث بقية وزاد الصلاة وهذا إسناده جيد قوي صحيح والله أعلم. العباس حدثنا بقية حدثني يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي وفي ظهره قدمه لمعة قدر الدرهم وحدثنا موسى حدثنا حماد أخبرنا يونس وحميد عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى حديث قتادة. وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي وابن ماجه عن حرملة بن يحيى كلاهما عن ابن وهب به وهذا إسناده جيد رجاله كلهم ثقات لكن قال أبو داود: ليس هذا الحديث بمعروف لم يروه إلا ابن وهب قد توضاً وترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارجع فأحسن وضوءك وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن معروف حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة بن دعامة قال: حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ارجع فأحسن وضوءك وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحق الصنعاني روى مسلم في صحيحه من طريق أبي الزبير عن جابر عن عمر بن الخطاب أن رجلاً توضاً فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم المسح لا يستوعب جميع الرجل بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف وهكذا وجه هذه الدلالة على الشيعة الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى. وقد لم يصبه الماء أعاد وضوءه ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما أو أنه يجوز ذلك فيهما لما تواعد على تركه لأن وفي عقب أحدهم أو كعب أحدهم مثل موضع الدرهم أو موضع الظفر لم يمسح الماء فقال: ويل للأعقاب من النار قال فجعل الرجل إذا رأى في عقبه شيئاً حدثنا حسين عن زائدة عن ليث حدثني عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة أو عن أخي أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوما يصلون الله صلى الله عليه وسلم: ويل للأعقاب من النار قال فما بقي في المسجد شريف ولا وضع إلا نظرت إليه يقلب عرقوبه ينظر إليهما. وحدثنا أبو كريب: ابن جرير: حدثني علي بن عبد الأعلى حدثنا المحاربي عن مطروح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول أيوب بن عقبة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن معيقيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويل للأعقاب من النار تفرد به أحمد. وقال أبي سفيان عن جابر أن رسول الله رأى قوما يتوضئون لم يصب أعقابهم الماء فقال: ويل للعراقيب من النار وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا سعيد بن أبي كرب عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ثم قال: حدثنا علي بن مسلم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا حفص عن الأعمش عن

تفسير ابن كثير

أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن سعيد به نحوه وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم في رجل مثل الدرهم لم يغسله فقال: ويل للأعقاب من النار ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن شيبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ويل للعراقيب من النار وحدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر بن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق أنه سمع سعيد بن أبي كريب أو شعيب بن أبي كريب قال: سمعت جابر بن عبد الله وهو على جبل يقول سمعت الله عليه وسلم أنه قال: أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار رواه البيهقي والحاكم وهذا إسناد صحيح وقال الإمام أحمد: حدثنا الله عليه وسلم أنه قال: أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار وروى الليث بن سعد عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبد الله بن الحرث بن حرز أرجلنا فنأدى بأعلى صوته أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على الله عليه وسلم توضأ فغسل قدميه ثم قال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به. وفي الصحيح من رواية أبي عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن الله عليه وسلم غسل الرجلين في وضوئه إما مرة وإما مرتين أو ثلاثا على اختلاف رواياتهم وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى وأنه لابد منه قد تقدم في حديث أمير المؤمنين عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معدي كرب أن رسول الله صلى في قوله وأرجلكم خفضا على المسح وهو ذلك ونصبا على الغسل فأوجبهما أخذا بالجمع بين هذه وهذه. ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين بين المسح والغسل سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه وإنما أراد الرجل ما ذكرته والله أعلم. ثم تأملت كلامه أيضا فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما فحكاه من حكاه كذلك ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء وهو معذور فإنه لا معنى للجمع يجب ذلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء لأنهما يليان الأرض والطين وغير ذلك فأوجب ذلكهما ليذهب ما عليهما ولكنه عبر عن ذلك بالمسح فاعتمد ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسله للأحاديث وأوجب مسحهما للآية فلم يحقق مذهبه في ذلك فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه في الصحيح عن آدم ببعض معناه ومن أوجب من الشيعة مسحهما كما يمسح الخف فقد ضل وأضل وكذا من جوز مسحهما وجوز غسلهما فقد أخطأ أيضا فضلته وهو قائم ثم قال: إن ناسا يكرهون الشرب قائما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت وقال: هذا وضوء من لم يحدث رواه البخاري حوائج الناس في رحة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ثم أتى بكوز من ماء فأخذ منه حفنة واحدة فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه ثم قام فشرب جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي حيث قال: أخبرنا أبو علي الروزبادي حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محوية العسكري حدثنا بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضا لا بد منه للآية والأحاديث التي سنورها ومن أحسن ما يستدل به على من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان قاله أبو عبد الله الشافعي رحمه الله ومنهم من قال هي دالة على مسح الرجلين ولكن المراد وتناسب الكلام كما في قول: العرب جحر ضب خرب وكفوله تعالى عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع ومنهم محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وحدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد أخبرنا إسماعيل قلت لعامر إن ناسا يقولون إن جبريل نزل بغسل الرجلين فقال نزل جبريل بالمسح فهذه آثار غريبة جدا وهي حدثنا ابن إدريس عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: نزل جبريل بالمسح ثم قال الشعبي ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلا ويلغي ما كان مسحا نحوه وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال: رأيت عكرمة يمسح على رجله قال: وكان يقوله وقال ابن جرير: حدثني أبو السائب قال هو المسح ثم قال: وروي عن ابن عمر وعلقمة وأبي جعفر محمد بن علي والحسن في إحدى الروايات وجابر بن زيد ومجاهد في إحدى الروايات حدثنا أبي حدثنا أبو معمر المنقري حدثنا عبد الوهاب حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وامسحوا براءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان وكذا روى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال ابن أبي حاتم: عاصم الأحول عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وهذا أيضا إسناد صحيح. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن قيس الخراساني وامسحوا براءوسكم وأرجلكم قال وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما إسناد صحيح إليه. وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهل حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا براءوسكم وأرجلكم وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطنهما وظهورهما وعراقيبهما. فقال أنس: وكذب الحجاج قال الله تعالى حميد قال قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده يا أبا حمزة إن الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه فذكر الطهور فقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس وقد روي عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح فقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا عدم الترتيب ولا قائل به فوجب ما ذكرناه وأما القراءة الأخرى وهي قراءة من قرأ وأرجلكم بالخفض فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين الله توضحاً مرة مرة ثم قال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به قالوا: فلا يخلو إما أن يكون توضحاً مرتباً فيجب الترتيب أو يكون توضحاً غير مرتب فيجب الممسوح بين المغسولين دل ذلك على إرادة الترتيب ومنهم من قال لا شك أنه قد روى أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول معنى كونها تدل على الترتيب شرعا والله أعلم. ومنهم من قال لما ذكر الله تعالى هذه الصفة في هذه الآية على هذا الترتيب فقطع النظر عن النظر وأدخل ثم قال: أبداً بما بدأ الله به لفظ مسلم ولفظ النسائي ابدءوا بما بدأ الله وهذا لفظ أمر وإسناده صحيح فدل على وجوب البداءة بما بدأ الله به وهو

تفسير ابن كثير

فيما من شأنه أن يرتب والدليل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله بل هي دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء ثم نقول بتقدير تسليم كونها لا تدل على الترتيب اللغوي هي دالة على الترتيب شرعا يجب الترتيب مطلقا والآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء فوجب الترتيب فيما بعده لإجماع الأفارق ومنهم من قال لا نسلم أن الواو لا تدل على الترتيب ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولا ثم لا يجب الترتيب بعده بل القائل اثنان: أحدهما يوجب الترتيب كما هو واقع في الآية والآخر يقول لا عن هذا البحث طرقا فمنهم من قال الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة لأنه مأمور به بقاء التعقيب وهي مقتضية للترتيب لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه أجزأه ذلك لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء والواو لا تدل على الترتيب وقد سلك الجمهور في الجواب الغسل كما قاله السلف. ومن ههنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافا لأبي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب بل وعروة وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وإبراهيم والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان والزهري وإبراهيم التيمي نحو ذلك وهذه قراءة ظاهرة في وجوب حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو سلمة حدثنا وهب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها وأرجلكم يقول: رجعت إلى الغسل. وروي عن عبد الله بن مسعود تدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة قوله وأرجلكم إلى الكعبين قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على فاعلوا وجوهكم وأيديكم قال ابن أبي حاتم: ثم مسح رأسه ثلاثا ثم غسل رجله ثلاثا ثم قال: رأيت رسول الله توضع هكذا وقال: من توضع هكذا كفاه تفرد به أبو داود ثم قال وأحاديث عثمان في الصحاح عبد الرحمن بن وردان حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني حمران قال: رأيت عثمان بن عفان توضع فذكر نحوه ولم يذكر المضمضة والاستنشاق قال فيه صحيحه عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع ثلاثا ثلاثا وقال أبو داود: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا في صفة الوضوء ومسح برأسه مرة واحدة وكذا من رواية عبد خير عن علي مثله. واحتج من استحباب تكرار مسح الرأس بعموم الحديث الذي رواه مسلم في من ذنبه أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من طريق الزهري نحو هذا. وفي سنن أبي داود من رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة عن عثمان قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع نحو وضوئي هذا ثم قال: من توضع نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يده اليمن إلى المرفق ثلاثا ثم غسل يده اليسرى ثلاثا ثم اليسرى ثلاثا مثل ذلك ثم مسح برأسه ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثا ثم اليسرى ثلاثا مثل ذلك ثم عن معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن حمران بن أبان قال: رأيت عثمان بن عفان توضع فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلهما ثم تمضمض واستنشق تكميل على العمامة والله أعلم. ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثا كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين: فقال عبد الرزاق بذلك أحاديث كثيرة وأنه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين فهذا أولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير وغيره فقال لهم أصحاب الإمام أحمد: إنما اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة ونحن نقول بذلك أنه يقع عن الموقع كما وردت فأخرج يده من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه فغسل ذراعيه ومسح بनावيته وعلى العمامة وعلى خفيه وذكر باقي الحديث وهو في صحيح مسلم النبي صلى الله عليه وسلم فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأتيته بمطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة إلى أنه إنما يجب ما يطلق عليه اسم مسح ويتقدر ذلك بحد لو مسح بعض شعرة من رأسه أجزأه واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبه قال: تخلف لا سيما على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما أجمل في القرآن. وقد ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ريع الرأس وهو مقدار الناصية. وذهب أصحابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وفي حديث عبد خير عن علي في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وروى أبو داود عن معاوية والمقداد بن معدي كرب في صفة وضوء مرتين إلى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجله. وسلم يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد نعم فدعا بوضوء فأفرغ على يديه فغسل يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه في الصحيحين عن طريق مالك عن عمرو بن يحيى وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في هذه الباء هل هي للإلصاق وهو الأظهر أو للتبعية وفيه نظر على قولين ومن الأصوليين من قال هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة وقد ثبت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وقوله تعالى وامسحوا برءوسكم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وفي صحيح مسلم عن قتادة عن خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي العضد فيغسله مع ذراعيه لما روى البخاري ومسلم من حديث نعيم المجرم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أمتي يدعون يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضع أدار الماء على مرفقيه ولكن القاسم هذا متروك الحديث وجده ضعيف والله أعلم. ويستحب للمتوضئ أن يشرع في حوبا كبيرا وقد روى الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي من طريق القاسم بن محمد عبد الله بن محمد بن عقيل عن جده عن جابر بن عبد الله قال: كان الرحيم عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزاعي به وقوله وأيديكم إلى المرافق أي مع المرافق كما قال تعالى ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم إنه كان حتى غسلها ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها رجله اليسرى ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يتوضأ. ورواه البخاري عن محمد بن عبد بها وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمن ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ثم مسح رأسه ثم أخذ غرفة من ماء ثم رش على رجله اليمنى بن يسار عن ابن عباس أنه توضع فغسل وجهه أخذ غرفة من ماء فتضمض بها واستنثر ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا يعني أضافها إلى يده الأخرى فغسل من الماء ثم لينتثر والانتثار هو المبالغة في الاستنشاق. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن عطاء

تفسير ابن كثير

عن الإمام أحمد لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من توضأ فليستنشق وفي رواية إذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه قال: للمسيء صلاته توضأ كما أمرك الله أو يجبان في الغسل دون الوضوء كما هو مذهب أبي حنيفة أو يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية فيهما كما هو مذهب الشافعي ومالك لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن خزيمة عن رفاع بن رافع الزرقني أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره أنه إذا توضأ تَمَضَض واستنشق فاختلف الأئمة في ذلك هل هما واجبان في الوضوء والغسل كما هو مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله أو مستحبان عن علي وغيره وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر والحسن بن علي ثم عن النخعي وجماعة من التابعين وقد ثبت عن النبي من غير وجه في الصحاح به أبو داود. وقد روي هذا الوجه من غير وجه عن أنس قال البيهقي: وروينا في تحليل اللحية عن عمار وعائشة وأم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أخذ كفا من ماء فأدخله تحت حنكه يخلل به لحيته وقال هكذا أمرني به ربي عز وجل تفرد عبد الرزاق وقال الترمذي: حسن صحيح وحسنه البخاري. وقال أبو داود: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا أبو المليح حدثنا الوليد بن زوران عن أنس الحديث قال وخلل اللحية ثلاثاً حين غسل وجهه ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل الذي رأيتُموني فعلت رواه الترمذي وابن ماجه من حديث للمتوضئ أن يخلل لحيته إذا كانت كثيفة. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عامر بن حمزة عن شقيق قال: رأيت عثمان يتوضأ فذكر رجلاً مغطياً لحيته فقال اكشفها فإن اللحية من الوجه وقال مجاهد هي من الوجه ألا تسمع إلى قول العرب في الغلام إذا نبتت لحيته طلع وجهه ويستحب من اللحية عن محل الفرض قولان أحدهما أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه تقع به المواجهة. وروي في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى اعتباراً بالصلع ولا بالغم إلى منتهى اللحين والذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً وفي النزعتين والتحذيف خلاف هل هما الرأس أو الوجه وفي المسترسل أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده وحد الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس ولا كفيه قبل إدخالهما في الإناء ويتأكد ذلك عند القيام من النوم ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا استيقظ ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ويستحب أن يغسل فقم أي له وقد ثبت في الصحيحين حديث الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه لما إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم على وجوب النية في الوضوء لأن تقدير الكلام إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها كما تقول العرب إذا رأيت الأمير ثم إنه رجع فأتي بطعام فقيل يا رسول الله ألا تتوضأ فقال لم أصل فأتوضأ وقوله فاغسلوا وجوهكم قد استدل طائفة من العلماء بقوله تعالى إذا قمتم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الحويرث عن ابن عباس قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الخلاء قمتم إلى الصلاة وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن زياد بن أيوب عن إسماعيل وهو ابن عليّة وقال الترمذي: هذا حديث حسن وروى مسلم أبي مليكة عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء فقدم إليه طعاماً فقالوا ألا تأتيك بوضوء فقال: إنما أمرت بالوضوء إذا عن أبي كريب به نحوه وهو حديث غريب جداً وجابر هذا هو ابن زيد الجعفي ضعفه وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن لا نكلمه ولا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى نزلت آية الرخصة يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة الآية ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم سفيان عن جابر عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراق البول القيام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال وذلك لأنه عليه السلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن من حديث الأفرقي به نحوه وقال الترمذي وهو إسناد ضعيف. وقال ابن جرير: وقد قال قوم إن هذه الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند حسنات ورواه أيضاً من حديث عيسى بن يونس عن الأفرقي عن أبي عطيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ على طهر كتب له عشر منصور عن هريم عن عبد الرحمن بن زياد هو الأفرقي عن عطيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ على طهر كتب له عشر كلها بوضوء واحد ما لم يحدث وقد رواه البخاري وأهل السنن من غير وجه عن عمرو بن عامر وقال ابن جرير: حدثنا أبو سعيد البغدادي حدثنا إسحق بن عامر الأنصاري سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة قال: قلت فأنتم كيف كنتم تصنعون؟ قال: كنا نصلي الصلوات أن من اعتقد وجوبه فهو معتد وأما مشروعيته استحباباً فقد دلت السنة على ذلك وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عمرو بن أبو داود الطيالسي عن أبي هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال: الوضوء من غير حدث اعتداء فهو غريب عن سعيد بن المسيب ثم هو محمول على بن الخطاب وضوءاً فيه تجوز خفيفاً فقال هذا وضوء من لم يحدث وهذا إسناد صحيح. وقال محمد بن سيرين: كان الخلفاء يتوضئون لكل صلاة وأما ما رواه من لم يحدث. وهذه طرق جيدة عن علي يقوي بعضها بعضاً. وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن يسار حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال توضأ عمر هذا وضوء من لم يحدث وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم من مغيرة عن إبراهيم أن علياً اكتال من حب فتوضأ وضوءاً فيه تجوز فقال هذا وضوء عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال: رأيت علياً صلى الظهر ثم قعد للناس في الرحبة ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه ثم مسح برأسه ورجليه وقال الله عنه يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة الآية وحدثنا ابن المثنى حدثني وهب بن جرير أخبرنا شعبة عن لكل صلاة وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت مسعود بن علي الشيباني سمعت عكرمة يقول كان علي رضي استحباب ذلك كما هو مذهب الجمهور. وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين أن الخلفاء كانوا يتوضئون عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن محمد بن يحيى بن حبان به والله أعلم وفي فعل ابن عمر هذا ومدامته على إسباغ الوضوء لكل صلاة دلالة على

تفسير ابن كثير

فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان فزال محذور التدليس لكن قال الحافظ ابن عساكر: رواه سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد عن ابن إسحق ورواه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق فقال عبيد الله بن عمر يعني كما تقدم في رواية الإمام أحمد وأيا ما كان فهو إسناده صحيح وقد صرح ابن إسحق عن محمد بن عوف الجمعي عن أحمد بن خالد الذهني عن محمد بن إسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ثم قال أبو داود: شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء إلا من حدث فكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك كان يفعله حتى مات وهكذا رواه أبو داود بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان أو غير طاهر فلما يحيى بن حبان الأنصاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال: رأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهرا كان أو غير طاهر عمن هو؟ قال: حدثته أسماء كما رأيت رسول الله يصنعه وكذا رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن توبة عن زياد البكائي وقال أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحق حدثني محمد بن فإذا بال أو أحدث توضاً ومسح بفضل طهوره الخفين فقلت: أبا عبد الله أشيء تصنعه برأيك؟ قال: بل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصنعه فأنا أصنعه حدثنا محمد بن عباد بن موسى أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي حدثنا الفضل بن المبرقع قال: رأيت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد ووقع في سنن ابن ماجه عن سفيان عن محارب بن دثار بدل علقمة بن مرثد كلاهما عن سليمان بن بريدة به وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال ابن جرير: عمر: يا رسول الله إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال: إني عمدا فعلته يا عمر وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد بريدة عن أبيه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له قيل إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبا في ابتداء الإسلام ثم نسخ. وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ابن وكلاهما قريب وقال آخرون بل المعنى أعم من ذلك فالآية أمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب وقد قال كثيرون من السلف في قوله إذا قمتم إلى الصلاة يعني وأنتم محدثون وقال آخرون إذا قمتم من النوم إلى الصلاة

السبيل وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا. 60 ديننا الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ولهذا قال أولئك شر مكانا وأضل عن سواء ذلك لأن هذا من باب التعريض بهم أي وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في عبدوا وحكى ابن جرير عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤها وعبد الطاغوت على أنه مفعول ما لم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر بعد في الجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر حكاها ابن جرير عن الأعمش وحكى عن بريدة الأسلمي أنه كان يقرؤها وعابد الطاغوت وعن أبي مسعود منهم الطاغوت وقرئ وعبد الطاغوت بالإضافة على أن المعنى وجعل منهم من الطاغوت أي خدامه وعبيده وقرئ وعبد الطاغوت على أنه يجمع القردة والنخازير هذا حديث غريب جدا وقوله تعالى وعبد الطاغوت قرئ وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض والطاغوت منصوب به أي وجعل حدثنا عبد العزيز بن المختار عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحيات مسخ الجن كما مسخت جعلهم مثلهم ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات به وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا أحمد بن إسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب القردة والنخازير أي من نسل اليهود فقال: لا إن الله لم يلعن قوما قط فيمسخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان فلما غضب الله على اليهود فمسخهم حدثنا داود بن أبي الفرات عن محمد بن زيد عن أبي الأعين المعبدي عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عقبا وإن القردة والنخازير كانت قبل ذلك وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما عن مغيرة بن عبد الله البشكري به وقال أبو داود الطيالسي قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والنخازير أي مما مسخ الله فقال إن الله لم يهلك قوما أو قال لم يمسح قوما فيجعل لهم نسلا ولا سورة البقرة وكما سيأتي إيضاحه في سورة الأعراف وقد قال سفيان الثوري عن علقمة بن يزيد عن المغيرة بن عبد الله عن المعمر بن سويد عن ابن مسعود الصفات المفسرة بقوله من لعنه الله أي أبعد من رحمته وغضب عليه أي غضبا لا يرضى بعده أبدا وجعل منهم القردة والنخازير كما تقدم بيانه في قال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه

تنطوي عليه ضمايرهم وإن أظهرها لخلق خلاف ذلك وتزينوا بما ليس فيهم فإن عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء. 61 ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر ولهذا قال وهم قد خرجوا به فخصهم به دون غيرهم وقوله تعالى والله أعلم بما كانوا يكتمون أي عالم بسرانهم وما على الكفر ولهذا قال وقد دخلوا أي عندنا يا محمد بالكفر أي مستصحبين الكفر في قلوبهم ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم قوله تعالى وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية المآثم والمحارم والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل لبئس ما كانوا يعملون أي: لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم. 62 أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي

ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه به قال الحافظ المزي وهكذا رواه شعبة عن إسحق به. 63 وسلم يقول: ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدر أن يغيروا عليه فلا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا وقد رواه ابن تفرده به أحمد من هذا الوجه ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الأحوص عن أبي إسحق عن المنذر بن جرير عن جرير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع ولم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعداب

تفسير ابن كثير

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن أبي إسحق عن المنذر بن جرير عن أبيه ولم ينههم الربانيون والأخبار فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات فمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا أن قال لقيته بالري فحدث عن يحيى بن يعمر قال خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي منها إنا لا ننهي رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم ذكره يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن مسلم عن أبي الوضاح حدثنا ثابت أبو سعيد الهمداني الآية لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون قال كذا قرأ وكذا قال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس عن العلاء بن المسيب عن خالد بن دينار عن ابن عباس قال ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه ابن عباس وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال لهؤلاء حين لم ينهوا ولهؤلاء حين علموا قال وذلك الأركان قال ويعلمون ويصنعون واحد رواه ابن أبي حاتم ذلك والربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم والأخبار هم العلماء فقط لبئس ما كانوا يصنعون يعني من تركهم ذلك قاله علي بن أبي طلحة عن قوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون يعني ينهاهم الربانيون والأخبار منهم عن تعاطي

بهم ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين أي من سجيتهم أنهم أئمة يسعون في الإفساد في الأرض والله لا يحب من هذه صفة. 64 كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله أي كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها أبطلها الله ورد كيدهم عليهم وحاق مكرهم السيء على حق وقد خالفوك وكذبوك وقال إبراهيم النخعي وألقينا بينهم العداوة والبغضاء قال الخصومات والجدال في الدين رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة يعني أنه لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما لأنهم لا يجتمعون آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وقوله الحاسدون لك ولأمتك طغيانا وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء وكفرا أي تكديبا كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في يكون ما أناك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلما نافعا يزداد به الكافرون عن علي بن المديني ومسلم فيه عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا أي يمينه قال وعمره على الماء وفي يده الأخرى الفيض يرفع ويخفض وقال يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك أخرجه في الصحيحين البخاري في التوحيد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يمين الله ملأى لا يفيضها نفقه سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإذا لم يفيض ما في لظلم كفار والآيات في هذا كثيرة وقد قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال كل شيء مما نحتاج إليه في ليلنا ونهارنا وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا كما قال وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان ينفق كيف يشاء أي بل هو الواهب الفضل الجزيل العطاء الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وهو لا شريك له الذي خلق لنا فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية وقال تعالى ضربت عليهم الذلة الآية ثم قال تعالى بل يدها مبسوطتان وأنفقوه فقال غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وهكذا وقع لهم فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم كما قال تعالى أم لهم نصيب من الملك اليهود: يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقد رد الله عز وجل عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلعهوا وافتروه حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال: له شاس بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله وقالت نزلت في فنحاص اليهودي عليه لعنة الله وقد تقدم أنه الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال محمد بن إسحاق زيادة الإنفاق في غير محله وعبر عن البخل بقوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله وقد قال عكرمة أنها وقتادة والسدي والضحاك وقرأ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يعني أنه ينهى عن البخل وعن التبذير وهو الله مغلولة قال لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكن يقولون بخيل يعني أمسك ما عنده بخلا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وكذا روى عن مجاهد وعكرمة حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس: مغلولة أي بخيلة وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس قوله وقالت اليهود يد علوا كبيرا بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا يد الله مغلولة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة بأنهم وصفوه تعالى عن قولهم ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المآثم والمحارم لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم أي لأزلنا عنهم المحذور وألناهم المقصود. ف. 65 ثم قال جل وعلا ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا أي لو أنهم آمنوا بالله

غريب جدا من هذا الوجه وبهذا السياق وحديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة وقد ذكرناه في موضع آخر ولله الحمد والمنة. 66 وكثير منهم ساء ما يعملون وتلا أيضا قوله تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حديث صلى الله عليه وسلم تلا فيه القرآن قال ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم إلى قوله منهم أمة مقتصة وسبعون في النار قالوا من هم يا رسول الله قال الجماعات الجماعات قال يعقوب بن زيد كان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة واحدة منها في الجنة وإحدى وسبعون منها في النار وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا واحدة في الجنة وثلثان أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة

تفسير ابن كثير

بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس الضبي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو معشر عن يعقوب بن يزيد بن طلحة عن زيد بن أسلم عن سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها الآية والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة وقد قال أبو وسط مقامات هذه الأمة وفوق ذلك رتبة السابقين كما في قوله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم كقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وكقوله عن أتباع عيسى فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم الآية فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد وهو بشيء هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به نحوه وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى منهم أمة مقتعدة وكثير منهم ساء ما يعملون يوم القيامة فقال ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيها الله عليه وسلم شيئا فقال وذلك عند ذهاب العلم قال قلنا يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبنائنا يقرءونه أبناءهم إلى في آخره وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل متصلا موصولا فقال: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن لبيد أنه قال ذكر النبي صلى بأيدي اليهود والنصارى فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله ثم قرأ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل هكذا أورده ابن أبي حاتم معلقا من أول إسناده مرسلا لبيد يا رسول الله وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة أوليست التوراة والإنجيل حدثنا علقمة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يرفع العلم قال زياد بن القائل: هو في الخير من فرقته إلى قدمه ثم رد هذا القول لمخالفه أقوال السلف. وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل فقال بعضهم معناه لأكلا من فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء وقال ابن جرير: قال بعضهم معناه لكانوا في الخير كما يقول ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض الآية وقال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس الآية وقال فوقهم يعني لأرسل السماء عليهم مدرارا ومن تحت أرجلهم يعني يخرج من الأرض بركاتها وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبر وقتادة والسدي كما قال تعالى تعالى لأكلا من فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والأرض وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لأكلا من لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعلم بمقتضى ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتما لا محالة وقوله هو القرآن لأكلا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي لأنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير قال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم قال ابن عباس وغيره

والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب. 67 فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترع ولو أردت ذلك لم يسلكك الله علي وقوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين أي بلغ أنت سمينا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى بطنه بيده ويقول لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك قال وأتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل سمعت أبا إسرائيل يعني الجشمي سمعت جعدة هو ابن خالد بن الصمة الجشمي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ورأى رجلا في صحيحه عن عبد الله بن محمد عن إسحاق بن إبراهيم عن المؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم الله يمني منك ضع السيف فوضعه فأنزل الله عز وجل والله يعصمك من الناس وكذا رواه أبو حاتم بن حبان عليه وسلم في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها فجاء رجل فأخذه فقال يا محمد من يمنعك مني إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كنا إذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقصة غوث بن الحرث مشهورة في الصحيح وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن صلى الله عليه وسلم حال الله بينك وبين ما تريد فأنزل الله عز وجل يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به قال فأتاه فقال يا محمد أعطني سيفك أشيمه فأعطاه إياه فرعدت يده حتى سقط السيف من يده فقال رسول الله أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه فقال الحارث من بني النجار: لأقتلن محمدا فقال أصحابه كيف تقتله قال أقول القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثنا موسى بن عبيدة حدثني زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني برأس الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله عز وجل والله يعصمك من الناس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد له أصحابه شجرة ظليلة يقبل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله عز وجل فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه وضرب الكريمة. قال أبو جعفر بن جرير حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: كان رسول الله إذا نزل منزلا اختار لذلك الداء ولما سمع اليهود في ذراع تلك الشاة بخبير أعلمه الله به وحماه منه ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية والأسود وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاد الله ورد كيده عليه كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء طالب نال منه المشركون أذي يسيرا ثم قبض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة فلما صار إليها منعه من الأحمر صلى الله عليه وسلم لا شرعية ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه فلما مات عمه أبو بقدرته وحكمته العظيمة فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارا بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة

تفسير ابن كثير

بن غيلان العماني عن أبي كريب به. هذا أيضا حديث غريب والصحيح أن هذه الآية منافية بل هي من أواخر ما نزل بها والله أعلم ومن عصمة الله لرسوله بلغت رسالته والله يعصمك من الناس قال فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال: إن الله قد عصمني من الجن والإنس ورواه الطبراني عن يعقوب فكان أبو طالب يرسل إليه كل يوم رجلا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الجماني عن النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب وفيه نكارة فإن هذه الآية مدنية وهذا الحديث يقتضي أنها مكية ثم قال حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزلت والله يعصمك من الناس فذهب ليعث معه فقال يا عم إن الله قد عصمني بن مفضل بن إبراهيم الأشعري حدثنا أبي حدثنا محمد بن معاوية بن عمار حدثنا أبي قال سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الآية والله يعصمك من الناس ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس حدثنا علي بن أبي حامد المدني حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحرسه فلما نزلت هذه من الناس فترك الحرس حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد أبو نصر الكاتب البغدادي حدثنا كردوس بن محمد الواسطي حدثنا يعلى الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي قال كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت والله يعصمك رواهما ابن جرير والربيع بن أنس رواه ابن مردويه ثم قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشدين المصري حدثنا خالد بن عبد السلام الصدي حدثنا بن علي بن مردويه من طريق وهيب كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق مرسلا وقد روى هذا مرسلا عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي الجريري عن ابن شقيق قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ولم يذكر عائشة قلت هكذا رواه ابن جرير من طريق إسماعيل وكذا رواه سعيد ابن منصور عن الحارث بن عبيد أن قدامة الأيادي عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به ثم قال الترمذي وقد روى بعضهم هذا عن بن إبراهيم به ثم قال وهذا حديث غريب وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طرق مسلم بن إبراهيم ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه من القبة وقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد وعن نصر بن علي الجهضمي كلاهما عن مسلم عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس قالت فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه حاتم حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحرث بن عبيد يعني أبا قدامة عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمه المدينة يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها وكان ذلك في سنة ثنتين منها وقال ابن أبي الله قالت فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به وفي لفظ سهر رسول من أصحابي يحرسني الليلة قالت فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا فقال أنا سعد بن مالك فقال ما جاء بك قال جئت لأحرسك يا رسول رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت: فقلت ما شأنك يا رسول الله قال ليت رجلا صالحا صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة الناس أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيكم وقد كان النبي أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي فنزلت وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به وقوله تعالى والله يعصمك من ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال لما نزلت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك قال يا رب كيف على ذلك لو وقع وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس وإن لم تفعل فما بلغت رسالته يعني إن كنتم آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته قال عن فضيل بن غزوان به نحوه قوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته أي وقد علم ما يترتب ربه عز وجل ثم قال: ألا فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقد روى البخاري عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ثم أعادها مرارا ثم رفع أصبعه إلى السماء قال اللهم هل بلغت مرارا قال يقول ابن عباس والله لوصية إلى الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام قال أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام قال فأَي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام قال فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا فضيل يعني ابن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: يا أيها إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء منكسها إليهم ويقول اللهم هل بلغت قال من أصحابه نحو من أربعين ألفا كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ: يا أيها الناس الرسول البلاغ وعلينا التسليم وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر. وقال البخاري رضي الله عنه قال الزهري من الله الرسالة وعلى رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه عليه وسلم سوداء في بيضاء. وهذا إسناد جيد وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوداني قال: قلت لعلي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم للناس فقال ابن عباس ألم تعلم أن الله تعالى قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك والله ما ورتنا رسول الله صلى الله بن سليمان حدثنا عباد عن هارون بن عنترة عن أبيه قال كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له إن ناسا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يیده رسول الله

تفسير ابن كثير

القرآن لكتم هذه الآية وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا سعيد عن عامر الشعبي عن مسروق بن الأجدع عنها رضي الله عنها وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت: لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من رواه هاهنا مختصرا وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولا وكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من طرق عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب وهو يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الآية هكذا الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن موسى حدثنا سفيان عن إسماعيل عن الشعبي عن مسروق عن يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة وأمرأ له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل

ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا تقدم تقدير فلا تأس على القوم الكافرين أي فلا تحزن عليهم ولا يهيئك ذلك منهم. 68
الله عليه وسلم والإيمان بمبعثه والافتداء بشريعته ولهذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله وما أنزل إليكم من ربكم يعني القرآن العظيم وقوله التوراة والإنجيل أي حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء وتعملوا بما فيها ومما فيها الإيمان بمحمد والأمر باتباعه صلى يقول تعالى قل يا محمد يا أهل الكتاب لستم على شيء أي من الدين حتى تقيموا

خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا على ما تركوا وراء ظهورهم ولا هم يحزنون وقد تقدم الكلام على نظيراتها في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا. 69
يوم الدين وعملت عملا صالحا ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقليين فمن اتصف بذلك فلا كل يوم خمس صلوات وقيل غير ذلك وأما النصارى فمعروفون وهم حملة الإنجيل والمقصود أن كل فرقة أمنت بالله وباليوم الآخر وهو الميعاد والجزاء وقال ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال هم قوم مما يلي العراق وهم بكوثي وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون كل سنة ثلاثين يوما ويصلون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى غير القبلة ويقراءون الزبور وقال وهب بن منبه هم قوم يعرفون الله وحده وليس لهم شريعة يعملون بها ولم يحدثوا كفرا ليس لهم دين قاله مجاهد وعنه من اليهود والمجوس وقال سعيد بن جبير من اليهود والنصارى وعن الحسن والحكم إنهم كالمجوس وقال قتادة هم إن الذين آمنوا وهم المسلمون والذين هادوا وهم حملة التوراة والصابئون لما طال الفصل حسن العطف بالرفع والصابئون طائفة من النصارى والمجوس قال

تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال ثم أعلمهم أنه يعلم ما يتخالج في الضمائر من الأسرار والخواطر فقال إن الله عليم بذات الصدور. 7
قالوا بلى شهدنا قاله مجاهد ومقاتل بن حيان والقول الأول أظهر وهو المحكي عن ابن عباس والسدي واختاره ابن جرير ثم قال تعالى واتقوا الله رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هو تذكاري بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم ألا تست بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين وقيل هذا تذكاري لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق واليهود في متابعة محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشريعة وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وقال الله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند إسلامهم كما قالوا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والميثاق في مبايعته على متابعتة ومناصرتة ومؤازرتة والقيام بدينه لإبلاغه عنه وقبوله منه فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم يقول تعالى مذكرا عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم وما أخذ عليهم من العهد

وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردوه ولهذا قال تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة. أ. 70
أنه أخذ العهد والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهود والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموا على الشرائع فما يذكر تعالى

مما كانوا فيه ثم عموا وصموا أي بعد ذلك كثير منهم والله بصير بما يعملون أي مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية منهم. 71
فتنة أي وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا فترتب وهو أنهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقا ولا يهتدون إليه ثم تاب الله عليهم أي قال تعالى وحسبوا أن لا تكون

لبنی إسرائيل إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار أي وماله عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه. 72
لا يغفره الله وهو الشرك بالله قال الله تعالى من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة والحديث في مسند أحمد ولهذا قال تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال وفي لفظ مؤمنة وتقدم في أول سورة النساء عند قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة: الدواوين ثلاثة فذكر منهم ديوانا الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي في الناس إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله أي فيعبد معه غيره فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال هذا صراط مستقيم وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته أمرا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى وقال المسيح يا بني إسرائيل في المهد أن قال إني عبد الله ولم يقل إني أنا الله ولا ابن الله بل قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا إلى أن قال إن الله ربي وربكم فاعبدوه

تفسير ابن كثير

قال منهم بأن المسيح هو الله تعالى الله عن قولهم وتنزهه وتقدس علوا كبيرا هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى: من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن

لهم ومتهددا وإن لم ينتهوا عما يقولون أي من هذا الافتراء والكذب ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم أي في الآخرة من الأغلال والنكال. 73 والله أعلم. قال الله تعالى وما من إله إلا إله واحد أي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له إنه جمع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعدا كقوله تعالى في آخر السورة وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه الآية وهذا القول هو الأظهر تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن جرير في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتي اليهود والنصارى والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة قال هو قول اليهود عزيز ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة وهذا قول غريب الله ثالث ثلاثة قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن الهسجاني حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل حدثني أبو صخر في قول الله تعالى قوله لقد كفر الذين قالوا إن

تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه. 74 ثم قال أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وهذا من كرمه ونظيرها ثم انظر أني يؤفكون أي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون. 75 كسائر الناس وليسوا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ثم قال تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات أي نوضحها حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك وقوله تعالى كانا يأكلان الطعام أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما فهما عبادان وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلا من الرجال قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى وقد ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى استدلالا منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وبقوله وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل قوله وأمه صديقة أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبوة كما زعمه ابن حزم وغيره إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال إن هو إلا وقوله تعالى ما المسيح ابن مريم

أي السميع لأقوال عباد العليم بكل شيء فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك ضرا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه. 76 في ذلك النصارى وغيرهم أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا أي لا يقدر علي دفع ضرر عنكم ولا إيصال نفع إليكم والله هو السميع العليم غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ومبينا له أنها لا تستحق شيئا من الإلهية فقال تعالى قل أي يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ودخل يقول تعالى منكرا على من عبد

وفي أشباهه هذه الآية يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل. 77 وبين ربك عسى أن يتاب عليك ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيلك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة فكيف لك بهداهم فلا توبة لك أبدا. ففيه سمعنا ثم أذكر بعد فعله زمانا فأراد أن يتوب منه فخلع سلطانه وملكه وأراد أن يتعبد فلبث في عبادته أياما فأتى فقيل له لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك والسنة زمانا فأتاه الشيطان فقال إنما تركب أثرا أو أمرا قد عمل قبلك فلا تحمد عليه ولكن ابتدع أمرا من قبل نفسك وادع إليه واجبر الناس عليه ففعل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال: وقد كان قائم عليهم فأخذ بالكتاب الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتهم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه

واعتدائهم على خلقه قال العوفي: عن ابن عباس لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم. 78 يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبیه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله العلم في الفساق. تفرد به ابن ماجه وسيأتي في حديث أبي ثعلبة عند قوله لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم شاهد لهذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة. 79 الأمم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاشحة في كباركم والعلم في رذالكم قال زيد تفسير معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم والعلم في رذالكم إذا كان بن مالك قال: قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا الهيثم بن حميد حدثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرعيني عن مكحول عن أنس

تفسير ابن كثير

من البلاء لما لا يطيق وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا عن محمد بن يسار عن عمرو بن عاصم به وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال ابن ماجه عن علي بن زيد عن الحسن عن جندب عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه قبيلا وكيف يذل نفسه قال يتعرض لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت الناس تفرد به أيضا ابن ماجه وإسناده لا بأس به وقال الإمام أحمد حدثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا تفرد به وقال أيضا حدثنا علي بن محمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة حدثنا نهار العبدي أنه سمع قال يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول فإياي كنت أحق أن تخشى عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال أنا يا رسول الله قال: كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر تفرد به وقال ابن ماجه حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية عن الأعمش يا رسول الله أي الجهاد أفضل فسكت عنه فلما رمى العقبة الثانية سأله فسكت عنه فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب فقال أين السائل؟ الرملي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن أبي طالب عن أبي أمامة قال عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عند الجمرة الأولى فقال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وقال ابن ماجه: حدثنا راشد بن سعيد إذا علمه قال فبكى أبو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فبهناه وفي حديث إسرائيل عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فكان فيما قال: ألا لا يمتنع رجل هيبة الناس أن يقول الحق الله عليه وسلم قال لى: يهلك الناس حتى يعذروا أو يعذروا من أنفسهم وقال ابن ماجه حدثنا عمران بن موسى حدثنا حماد بن زيد حدثنا علي بن زيد بن مرة عن أبي البحتري قال أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وقال سليمان حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى يونس عن ابن شهاب عن مغيرة بن زياد عن عدي بن عدي مرسلًا وقال أبو داود حدثنا سليمان بن حرب وحفص بن عمر قالوا: حدثنا شعبة وهذا لفظه عن عمرو في الأرض كان من شهدها فكرها وقال مرة فأنكرها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها تفرد به أبو داود ثم رواه عن أحمد بن العلاء حدثنا أبو بكر حدثنا المغيرة بن زياد المصلي عن عدي بن عدي عن العرس يعني ابن عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عملت الخطيئة حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره هكذا رواه الإمام أحمد من هذين الوجهين قال أبو داود حدثنا أبو فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة ثم رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج عن عبد الله بن المبارك عن سيف بن أبي سليمان عن عيسى بن عدي الكندي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه حدثنا سيف هو ابن أبي سليمان سمعت عدي بن عدي الكندي يحدث عن مجاهد قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يعني عدي بن عميره رضي الله عنه يقول وسلم: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان رواه مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد وعن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله صلى الله عليه وسلم يقول: مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم تفرد به وعاصم هذا مجهول وفي الصحيح من طريق حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان عن عاصم بن عمر بن عمان عن عروة عن عائشة قالت سمعت رسول ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر به وقال هذا حديث حسن وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده وأبي ثعلبة الخشني فقال الإمام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأسهلي عن جابر عند قوله لولا ينهاهم الربانيون والأحبار وسيأتي عند قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم حديث أبي بكر الصديق عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام قد تقدم حديث عمرو بن مرة عن سالم الأفطس عن أبي عبيدة عن عبد الله قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال أبو داود كذا رواه خالد عن العلاء عن عمرو بن مرة به ورواه المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن أيضا عن خلف بن هشام عن أبي شهاب الخياط عن العلاء بن المسيب عن ابن مرة عن سالم وهو ابن عجلان الأفطس عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن علي الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم والسياق لأبي سعيد كذا قال في رواية هذا الحديث وقد رواه أبو داود عصوا وكانوا يعتدون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه وفي حديث هارون وشريبه ثم اتفقا في المتن فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عليه وسلم: إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيرا فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الأفطس عن ابن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سفيان عن علي بن بزيمة عن أبي عبيدة مرسلًا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وهارون بن إسحق الهمداني قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد على الحق قصرا وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق علي بن بزيمة به وقال الترمذي حسن غريب ثم رواه هو وابن ماجه عن بندار عن ابن مهدي

تفسير ابن كثير

وعيسى ابن مريم إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو تقصرنه الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع قاله لا يحل لك ثم يلقاه من تأطروهم على الحق أطرا وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا يونس بن راشد عن علي بن بزيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فقال: لا والذي نفسي بيده حتى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم قال يزيد وأحسبه قال في أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن علي بن بزيمة عن أبي صدة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي أحدا عن ارتكاب المأثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبه فقال لبئس ما كانوا يفعلون وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا قال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون أي كان لا ينهي أحد منهم

وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولهذا قال بعده وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة . 8 وأحسن مقبلا وكقول بعض الصحابييات لعمر: أنت أظف وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي هو أقرب للتقوى من باب استعمال أفعال التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء كما في قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا من تركه ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم وقوله: أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدوا ولهذا قال اعدلوا هو أقرب للتقوى أي أقرب إلى التقوى اتقوا الله واعدوا في أولادكم وقال إني لا أشهد على جور قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا أми عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ليشهده على صدقتي فقال: أكل ولدك نحلته مثله؟ قال لا قال: وجل لا لأجل الناس والسمعة وكونوا شهداء بالقسط أي بالعدل لا بالجور وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: نحلني أبي نحلا فقالت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله أي كونوا قوامين بالحق لله عز

عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله وهذا حديث ضعيف على كل حال والله أعلم. 80 عن طريق هشام بن عمار عن مسلم عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وساقه أيضا من طريق سعيد بن عفير عن مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هكذا ذكره ابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه الآخرة فأما التي في الدنيا: فإنه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة: فإنه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار ثم تلا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا مسلم بن علي عن الأعمش بإسناد ذكره قال: يا معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في يوم معادهم ولهذا قال أن سخط الله عليهم وفسر بذلك ما ذمهم به ثم أخبر عنهم أنهم في العذاب خالدون يعني يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم يعني بذلك مولاتهم للكافرين وتركهم مولاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقا في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطا مستمرا إلى قوله تعالى ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قال مجاهد يعني بذلك المنافقين وقوله

الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل الله ولكن كثيرا منهم فاسقون أي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لأيات وحيه وتنزيله. 81 ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء أي لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبه من مولاة الكافرين في قوله تعالى

ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع ثم وصفهم بالانقياد للحق وأتباعه والإنصاف. 82 الصوامع والخرب فدعوهم فيها قال سلمان: وقرأت على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأن منهم قسيسين فأقراني ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا فقله: بن زياد الطائي حدثنا صلت الدهان عن جاثمة بن رثاب قال سمعت سلمان وسئل عن قوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فقال هم الرهبان الذين هم في عن نضير بن زياد الطائي عن صلت الدهان عن جاثمة بن رثاب عن سلمان به وقال ابن أبي حاتم ذكره أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الخاني حدثنا نضير في البيع والخرب أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا. وكذا رواه ابن مردويه من طريق يحيى بن عبد الحميد الخاني نصير ابن أبي الأشعث حدثني الصلت الدهان عن جاثمة بن رثاب قال سألت سلمان عن قول الله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فقال دع القسيسين على أن يكون عند العرب واحدا قول الشاعر: لو عابنت رهبان دير في القل لانحدر الرهبان يمشي ونزل وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا بشر بن آدم حدثنا وركبان وفارس وفرسان قال ابن جرير وقد يكون الرهبان واحدا وجمعه رهابين مثل قربان وقرايين وجرذان وجرادين وقد يجمع على رهابنة ومن الدليل وهم خطباؤهم وعلماؤهم واحدهم قسيس وقس أيضا وقد يجمع على قسوس والرهبان جمع راهب وهو العابد مشتق من الرهبة وهي الخوف كراكب فأدر له خدك الأيسر وليس القتال مشروعا في ملتهم ولهذا قال تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون أي يوجد فيهم القسيسون إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة كما قال تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن الذين قالوا إنا نصارى أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة وما ذاك إلا لما في قلوبهم

تفسير ابن كثير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلا يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله وهذا حديث غريب جدا وقوله تعالى ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا أحمد بن إسحاق العسكري حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي حدثنا فرج بن عبيد حدثنا عباد بن العوام عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله ثم رواه عن محمد بن تفسير هذه الآية حدثنا أحمد بن محمد بن السري حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي حدثنا علي بن سعيد العلاف حدثنا أبو النضر عن الأشجعي عن سفيان الله عليه وسلم غير مرة وسموه وسحروه وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة. قال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند وما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ولهذا قتلوا كثيرا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله صلى أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها. فقله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا مهاجرة الحبشة من المسلمين وقال قتادة: هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعتموا واختار ابن جرير وقيل بالعكس وقيل خمسون وقيل بضع وستون وقيل سبعون رجلا فآله أعلم. وقال عطاء بن أبي ربيع هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم صلى الله عليه وسلم يوم مات وأخبر به أصحابه وأخبر أنه مات بأرض الحبشة ثم اختلف في عدة هذا الوفد فقيلاً اثنا عشر: سبعة قساوسة وخمسة رهابين ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه قال السدي فهاجر النجاشي فمات بالطريق وهذا من أفراد السدي فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة وصلى عليه النبي وغيرهما نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه ويروا صفاته فلما رأوه قرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخذوا لحاهم وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مدنية وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة وقال سعيد بن جبير والسدي قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي

إلى دينكم فقالوا: لن ننتقل عن ديننا فأنزل الله ذلك من قولهم ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين. 83 فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم القرآن آمنوا وفاضة أعينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم قول الله تعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع قال إنهم كانوا كرايين يعنى فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة الله بن عبد الرحمن بن واقد حدثنا أبي حدثنا العباس بن الفضل عن عبد الجبار بن نافع الضبي عن قتادة وجعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في وسلم وأمتهم هم الشاهدون يشهدون لنبيهم أنه قد بلغ وللرسل أنهم قد بلغوا ثم قال الحكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الطبراني حدثنا أبو شبيب عبد ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه عن طريق سمالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فاكتمنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم في النجاشي وفي أصحابه وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتمنا مع الشاهدين وروى هذا ويؤمن به وقد روى النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن عمر بن علي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية من الدمع مما عرفوا من الحق أي مما عندهم من البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم يقولون ربنا آمنا فاكتمنا مع الشاهدين أي مع من يشهد بصحة فقال وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين إلى قوله لا نبتغي الجاهلين. 84 النصارى هم المذكورون في قوله تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله الآية وهم الذين دد قال الله فيهم يقول تعالى وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين وهذا الصنف من

فيها أي ما كتم فيها أبدا لا يحولون ولا يزولون وذلك جزاء المحسنين أي في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان وأين كان ومع من كان. 85 ههنا فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار أي فجازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين قال تعالى

ثم أخبر عن حال الأشقياء فقال: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي جحدوا بها وخالفوها أولئك أصحاب الجحيم أي هم أهلها والداخلون فيها. 86 فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه لا إفراط ولا تفريط ولهذا قال لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. 87 وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه كما قال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الآية وقال والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف ويحتمل أن يكون المراد كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان رواه ابن جرير وقوله تعالى ولا تعتدوا يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضيق على أنفسكم لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا يقول لعثمان لا تجب نفسك فإن هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا عن أيمانهم فقال لا يؤاخذكم الله باللغو عليه وسلم: ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والنوم ألا إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عني فليس مني فنزلت يا أيها الذين آمنوا أهله فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد امتشطت واغتسلت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت: مالك يا حولاء فقالت إنه أتاه أمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوجب نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقسمت عليك ألا رجعت فواقعت أهلك فقال يا رسول الله إني صائم فقال: أفطر قال فأفطر وأتى ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل إليه فدعاه فقال: مالك يا عثمان قال إني تركته لله لكي أتخلي للعبادات وقصص عليه أمره وكان عثمان قد أراد

تفسير ابن كثير

فجعلن يضحكن من كلامها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن فقال ما يضحكن قالت: يا رسول الله إن الحولاء سألتها عن أمرها فقالت عليه وسلم ما بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تتطيبين فقالت: وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع علي زوجي وما رفع عني ثوبا منذ كذا وكذا قال حرم النساء فكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها وكان يقال لها الحولاء فقالت لها عائشة ومن عندها أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على أنفسهم فنحن نحرم فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن فقال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة منهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون ما حقنا إن لم نحدث عملا فإن النصارى قد ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما فذكر الناس ثم قام ولم يزدكم على التخفيف شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين كما تقدم ذلك ولله الحمد والمنة وقال أسباط عن السدي في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات حقا صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا بما أنزلت. وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسله ولها واللباس وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار وما هموا به من الاختصاص فلما نزلت فيهم بعث اليهم رسول الله فقال إن لأنفسكم حقا وإن لأعينكم أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين يقول لا تسيروا بغير سنة المسلمين يريد ما حرموا من النساء والطعام وحرّموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل وهموا بالاختصاص وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية يا مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالما مولى أبي حذيفة في أصحابه تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح بن عمرو أن يتبتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية إلى قوله واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون قال ابن جريج عن عكرمة أن عمان بن التكفير والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم الآية وكذلك ها هنا لما ذكر هذا الحكم عقبه بالآية المبينة لتكفير اليمين فدل على أن هذا منزل منزلة اليمين في اقتضاء إلزاما له بما التزمه كما أفتى بذلك ابن عباس وكما في قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ثم قال أن من حرم مأكلا أو مشربا أو ملبسا أو شيئا من الأشياء فإنه يجب عليه بذلك كفارة يمين كما إذا التزم تركه باليمين فكذلك يؤاخذ بمجرد تحريره على نفسه الله لكم ولأن الذي حرم اللحم على نفسه كما في الحديث المتقدم لم يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بكفارة. وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى وغيره إلى أن من حرم مأكلا أو ملبسا أو شيئا ما عدا النساء أنه لا يحرم عليه ولا كفارة عليه أيضا ولقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وهذا أثر منقطع. وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أضيفه شبهه بهذا وفيه وفي هذه القصة دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي فلما رأى ذلك وضع يده وقال كلوا بسم الله ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الذي كان منهم ثم أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات إلى أهله فوجدتهم لم يطعموا ضيفهم انتظارا له فقال لامرأته حبست ضيفي من أجلي هو علي حرام فقالت امرأته هو علي حرام وقال الضيف هو علي حرام الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الأخير في مستدركه من طريق إسحاق بن راهويه عن جرير عن منصور به ثم قال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد عبد الله ادن فاطعم وكفر عن يمينك وتلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية رواه ابن أبي حاتم وروى الحاكم هذا الأثر عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال كنا عند عبد الله بن مسعود فجاء بضرع فتنحى رجل فقال له عبد الملك ادن فقال إنني حرمت أن أكله فقال جاء معقل بن مقرن إلى عبد الله بن مسعود فقال إنني حرمت فراشي فتلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية وقال الثوري الآية أخرجاه من حديث إسماعيل وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة والله أعلم وقال الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن عمرو بن شرحبيل قال الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك لخص لنا أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا ألا نستخصي فنهانا رسول عن أبي عاصم النبيل به وقال حسن غريب وقد روي من وجه آخر مرسلًا وروي موقوفًا على ابن عباس فآله أعلم وقال سفبان الثوري ووكيع عن إسماعيل النساء وإنني حرمت علي اللحم فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعا عن عمرو بن علي الفلاس عن عثمان يعني أبا سعد أخبرني عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى وأقوم وأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكتي أصوم وأفطر وأنام عنها أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في الدنيا فقال بعضهم لا أكل اللحم وقال بعضهم مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني رواه ابن أبي حاتم وروى ابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس نحو ذلك وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله الله عليه وسلم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لكتي أصوم وأفطر وأصل وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو الآية في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا نقطع مذاكيرنا وترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان ذلك النبي صلى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه

أي في حال كونه حلالا طيبا واتقوا الله أي في جميع أموركم واتبعوا طاعته ورضوانه واتركوا مخالفته وعصيانته واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون. 88

ثم قال وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا

اليمن الشرعية واحفظوا أيمانكم قال ابن جرير معناه لا تتركوها بغير تكفير كذلك يبين الله لكم آياته أي يوضحها ويفسرها لعلكم تشكرون. 89
إن شئت كسوت وإن شاء أطعمت فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات وهذا حديث غريب جدا وقوله ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم أي هذه كفارة
عن إسماعيل بن يحيى عن ابن جريج عن ابن عباس قال لما نزلت آية الكفارات قال حزيمة يا رسول الله نحن بالخيار قال: أنت بالخيار إن شئت أعتقت
وهو في حكم المرفوع وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي حدثنا محمد بن جعفر الأشعري حدثنا الهيثم بن خالد القرشي حدثنا يزيد بن قيس
متتابعات وقال الأعمش كان أصحاب ابن مسعود يقرءونها كذلك وهذه إذا لم يثبت كونها قرآنا متواترا فلا أقل أن يكون خبرا واحدا أو تفسيراً من الصحابة
ثلاثة أيام متتابعات وحكاها مجاهد والشعبي وأبو إسحق عن عبد الله بن مسعود وقال إبراهيم في قراءة أصحاب عبد الله بن مسعود فصيام ثلاثة أيام
بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرءونها فصيام ثلاثة أيام متتابعات قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها فصيام
في قضاء رمضان لقوله فعدة من أيام أخر ونص الشافعي في موضع آخر في الأم على وجوب التتابع كما هو قول الحنفية والحنابلة لأنه قد روي عن أبي
قولان: أحدهما لا يجب وهذا منصوص الشافعي في كتاب الأيمان وهو قول مالك لإطلاق قوله فصيام ثلاثة أيام وهو صادق على المجموعة والمفرقة كما
أنه الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمن واختلف العلماء هل يجب فيها التتابع أو يستحب ولا يجب ويجزئ التفريق؟
عن بعض متأخري متفقهة زمانه أنه جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال تصرف فيه لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه ثم اختار ابن جرير
الأعلى فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام كما قال تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام وروى ابن جرير حاكيا
أيها فعل الحائث أجزأ عنه بالإجماع وقد بدأ بالأسهل فالأسهل فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة كما أن الكسوة أيسر من العتق فترقى فيها من الأدنى إلى
الله صلى الله عليه وسلم أين الله قالت: في السماء قال: من أنا قالت: رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة. الحديث بطوله فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمن
حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسنند الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بجارية سوداء فقال لها رسول
تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة وقال الشافعي وآخرون لا بد أن تكون مؤمنة وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب ومن
عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أو كسوتهم قال: عباءة لكل مسكين. حديث غريب وقوله أو تحرير رقبة أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال
حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن المعلى حدثنا إسماعيل بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش عن مقاتل بن سليمان عن أبي عثمان عن أبي عياض عن
جرير حدثنا هناد حدثنا ابن المبارك عن عاصم الأحول عن ابن سيرين عن أبي موسى أنه حلف على يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين وقال ابن مردويه:
الأشعث عن ابن سيرين والحسن: ثوبان ثوبان وقال الثوري عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عمامة يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها رأسه وقال ابن
أبي سليمان وأبو مالك: ثوب ثوب وعن إبراهيم النخعي أيضا ثوب جامع كالمحفة والرداء ولا يرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعا وقال الأنصاري عن
وأعلاه ما شئت وقال ليث عن مجاهد يجزئ في كفارة اليمن كل شيء إلا التبان. وقال الحسن وأبو جعفر الباقر وعطاء وطاوس وإبراهيم النخعي وحماد بن
الكسوة ما يصح أن يصلي فيه إن كان رجلا أو امرأة كل بحسبه والله أعلم. وقال العوفي عن ابن عباس: عباءة لكل مسكين أو شملة وقال مجاهد أدناه ثوب
أعلم. وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الإسفرايني في الخف وجهين أيضا والصحيح عدم الإجزاء وقال مالك وأحمد بن حنبل لابد أن يدفع إلى كل واحد منهم من
عن قوله أو كسوتهم قال لو أن وفدا قدموا على أميركم فكساهم قلنسوة قلنسوة قتلتم قد كسوا ولكن هذا إسناد ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا والله
بما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج عمار بن خالد الواسطي قال حدثنا القاسم بن مالك عن محمد بن الزبير عن أبيه قال: سألت عمران بن الحصين
من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة أجزأه ذلك واختلف أصحابه في القلنسوة هل تجزئ أم لا على وجهين فمنهم من ذهب إلى الجواز احتجاجا
مد من بر أو مدان من غيره والله أعلم. وقوله تعالى أو كسوتهم قال الشافعي رحمه الله لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة
واحد وذكره ابن حبان في الثقات وقال روى عنه قتبية بن سعيد أشياء مستقيمة فالله أعلم ثم إن شيخه العمري ضعيف أيضا وقال أحمد بن حنبل الواجب
حنطة بالمد الأول إسناده ضعيف لحال النضر بن زرارة بن عبد الأكرم الذهلي الكوفي نزيل بلخ قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول مع أنه قد روى عنه غير
بن سعيد حدثنا النضر بن زرارة الكوفي عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقيم كفارة اليمن مدا من
منهم مد وقد ورد حديث آخر صريح في ذلك فقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن علي بن الحسن المقرئ حدثنا محمد بن إسحاق السراج حدثنا قتبية
مسكين ولم يتعرض للأدم واحتج بأمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي جامع في رمضان بأن يطعم ستين مسكينا من مئزر يبيع خمسة عشر صاعا لكل واحد
وسليمان بن يسار والحسن ومحمد بن سيرين والزهري نحو ذلك. وقال الشافعي الواجب في كفارة اليمن مد بمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل
ومعه إدامه ثم قال: وروي عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبي الشعثاء والقاسم وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن
متروك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن داود يعني ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال مد من بر يعني لكل مسكين
بن يعلى الثقفي عن المنهال بن عمرو به. لا يصح هذا الحديث لحال عمر بن عبد الله هذا قاله مجمع على ضعفه وذكرنا أنه كان يشرب الخمر وقال الدارقطني
عليه وسلم بصاع من تمر وأمر الناس به ولمن لم يجد فنصف صاع من بر. ورواه ابن ماجه عن العباس بن يزيد عن زياد بن عبد الله البكاء عن عمر بن عبد الله
عبد الله بن الطفيل بن سخرية بن أخي عائشة لأمه حدثنا عمر بن يعلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كفر رسول الله صلى الله
وصاع مما عدها وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الثقفي حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف حدثنا محمد بن معاوية حدثنا زياد بن

تفسير ابن كثير

وسعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي وميمون بن مهران وأبي مالك والضحاك والحكم ومكحول وأبي قلابة ومقاتل بن حيان وقال أبو حنيفة نصف صاع بر فخبزا وزيتا وخلا حتى يشبعوا وقال آخرون يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما فهذا قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي ويعيشهم وقال الحسن ومحمد بن سيرين يكفيه أن يطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزا ولحما زاد الحسن فإن لم يجد فخبزا وقال أبو خالد الأحمر عن حجاج عن حصين الحارثي عن الشعبي عن الحارث عن علي رضي الله عنه في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال يغديهم ابن جرير أن المراد بقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم أي في القلة والكثرة ثم اختلف العلماء في مقدار ما يطعمهم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد جرير عن عبيدة والأسود وشريح القاضي ومحمد بن سيرين والحسن والضحاك وأبي رزين أنهم قالوا نحو ذلك وحكاها ابن أبي حاتم عن مكحول أيضا. واختار واللبن والخبز والزيت والخبز والتمر ومن أفضل ما تطعمون أهليكم الخبز واللحم. ورواه ابن جرير عن هناد وابن وكيع كلاهما عن أبي معاوية ثم روى ابن وحدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن ابن سيرين عن ابن عمر في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال: الخبز والسمن والخبز التميمي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال من أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز واللحم والخبز والسمن والخبز واللبن والخبز والزيت والخبز والخبز حدثنا محمد بن شعيب يعني ابن شاذان حدثنا شيبان بن عبد الرحمن التميمي عن ليث بن أبي سليم عن عاصم الأحول عن رجل يقال له عبد الرحمن وكيع حدثنا إسرائيل عن جابر عن عامر عن ابن عباس من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من عسرهم ويسرهم وحدثنا عبد الرحمن بن خلف الحمصي يقوت بعض أهله قوت دون وبعضهم قوتا فيه سعة فقال الله تعالى من أوسط ما تطعمون أهليكم أي من الخبز والزيت وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن أبي حاتم أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن سلمان يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان الرجل أهليكم قال ابن حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث عن علي قال خبز ولبن وخبز وسمن وقال وقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة أي من أعدل ما تطعمون أهليكم وقال عطاء الخراساني من أمثل ما تطعمون قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان أي بما صمتم عليه منها وقصدتموها فكفارتها إطعام عشرة مساكين يعني محاويج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه وقيل هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك واستدلوا بقوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم والصحيح أنه اليمين من غير قصد بدليل وهذا مذهب الشافعي وقيل هو في الهزل وقيل في المعصية وقيل على غلبة الظن وهو قول أبي حنيفة وأحمد وقيل اليمين في الغضب وقيل في النسيان وقد تقدم الكلام على اللغو في اليمين في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة وإنه قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله بلى والله وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم وهو تعالى الذي جعلها أسبابا إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه فالكل منه وله فله الحمد والمنة. 9 وعملا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم أي لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة التي هي من رحمته على عباده لا ينالوها بأعمالهم بل برحمته منه وفضل وعد الله الدين آمنوا

وقال سعيد بن جبيرة: إثم وقال زيد بن أسلم أي شر من عمل الشيطان فاجتنبوه الضمير عائد على الرجس أي اتركوه لعلكم تفلحون وهذا أثر غريب. 90 هي قداح كانوا يستقسمون بها رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى رجس من عمل الشيطان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي سخط من عمل الشيطان تعالى وأما الأنصاب فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والحسن وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قربانهم عندها وأما الأزلام فقالوا أيضا لقد قال عبد الله بن عمر أنه شر من النرد وتقدم عن علي أنه قال هو من الميسر ونعى على تحريره مالك وأبو حنيفة وأحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي وأما الشطرنج أنه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول أخبرني ماسمعت أباك يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول الله ورسوله وروي موقوفا على أبي موسى من قوله فالله أعلم. وقاله الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا الجعفر عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي وفي موطأ مالك ومسنده أحمد وسنني أبي داود وابن ماجه عن أبي موسى الأثري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لعب بالنرد فقد عصى به في صحيح مسلم عن بريدة عن الحصيب الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزر بها زجرا فإنها من الميسر حديث غريب وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد الحديث منصور الزيايدي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي موسى الأشعري عن النبي بالقداح على الأموال والثمار وقال القاسم بن محمد ما ألهي عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن مالك عن داود بن الحصين: أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: كان ميسر أهل الجاهلية يبيع اللحم بالشاة والشاتين. وقال الزهري عن الأعرج قال الميسر الضرب هو القمار وقال الضحاك عن ابن عباس قال: الميسر هو القمار كانوا يتقمارون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة وقال عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب مثله وقال: حتى الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان وقال موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال الميسر وكيع عن سفيان عن ليث عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان أو اثنين منهم قالوا: كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن عيسى بن مرحوم عن حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر وهو القمار وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال الشطرنج من الميسر رواه يقول تعالى

تفسير ابن كثير

الأخوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجرا فإنهما ميسر العجم. 91 أنت منهم وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه وقال عبد الله ابن الإمام أحمد قرأت على أبي حدثنا علي بن عاصم حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قيل لي أن يسقيه من طينة الخبال قالت: قلت يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال صديد أهل النار وقال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة إن مات مات كافرا وإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان حقا على الله وما كان الله ليضيع إيمانكم وقال الإمام أحمد حدثنا داود بن مهران الدباغ حدثنا داود يعني العطار عن أبي خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية ولما حولت القبلة قال ناس: يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما حرمت الخمر قال ناس يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله ليس على الذين آمنوا حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وقال أحمد بن حنبل حدثنا أسود بن عامر حدثنا عن عمر بن سعيد عن الزهري به مرفوعا والموقوف أصح والله أعلم وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزني الزاني يخرج صاحبه رواه البيهقي وهذا إسناد صحيح وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر عن محمد بن عبد الله بن بزيع الفضيل ابن سليمان التميمي أو تشرب هذا الخمر فسقته كأسا فقال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضئته عندها غلام وباطية خمر فقالت إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة فدخل معها فطفقت وعن طريقه أيضا عن أبي هريرة قاله أعلم وقال الزهري حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه قال سمعت عثمان بن عفان يقول اجتنبوا عن نبيط بن شريط وقال البخاري لا يعرف لجابان سماع من عبد الله ولا لسالم من جابان ولا نبيط وقد روى هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة منان ولا عاق والدية ولا مدمن خمر ورواه النسائي من حديث شعبة كذا قال ولا نعلم أحدا تابع شعبة سالم عن جابان عن عبد الله بن عمرو به وقد رواه أيضا عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبد الله بن عمرو عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا منان ولا ولد زانية وكذا رواه عن يزيد عن همام عن منصور عن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد به حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن به وعن مروان بن شجاع عن خصيف عن مجاهد به ورواه النسائي عن القاسم بن زكريا عن حصين الجعفي عن زائدة عن يزيد بن أبي زياد عن سالم بن الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ورواه أحمد أيضا عن عبد الصمد عن عبد العزيز بن أسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن عمر بن علي عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري به وروى أحمد عن غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد عن النبي صلى قال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى ورواه النسائي وهو يدمنها ولم يتب منها لم يسر بها في الآخرة حديث آخر قال ابن وهب أخبرني عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول أبي الربيع عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرما في الآخرة أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به وروى مسلم عن يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال تفرد أبو داود حديث آخر قال الشافعي رحمه الله أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال صديد أهل النار ومن سقاها صغيرا لا يقول عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فإن من طريق عمرو بن شعيب حديث آخر قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال سمعت النعمان هو ابن أبي شبة الجندي له الدنيا وما عليها فسلبها ومن ترك الصلاة سكر أربع مرات كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال؟ قال عصارة جهنم ورواه أحمد أن عمرو بن شعيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة سكر مرة واحدة فكأنما كانت يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقيته إياها في حظيرة القدس وهذا إسناد صحيح حديث آخر قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث والزفن والكبارات يعني البرابط والزمارات يعني به الدف والطناير والشعر والخمر مرة لمن طعمها أقسم الله بيمينه وعزمه من شربها بعدما حرمتها لأعطشه والآنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون قال هي في التوراة: إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والمزامير عبد العزيز بن سلمة حدثنا هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال إن هذه الآية التي في القرآن يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر نجعلها خلا؟ قال لا ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه حديث آخر قال إن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا وهو يحيى بن عباد الأنصاري عن أنس بن مالك أن أبا طلحة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أيتام في حجره ورتوا خمر فقال أهرقها قال أفلا فحلوا أوكيتها فانصبحت حتى استقرت في بطن الوادي هذا حديث غريب. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن السدي عن أبي هبيرة لا قال فإن فيها مالا ليتامى في حجره قال إذ أتانا مال البحرين فأتنا نعوض أيتامك من مالهم ثم نادى بالمدينة فقال رجل يا رسول الله الأوعية تنتفع بها قال

تفسير ابن كثير

فقال يا رسول الله بلغني أن الخمر قد حُرمت قال أجل قال لي أن أردّها على من ابتعتها منه قال لا يصح ردها فقال لي أن أهدبها إلى من يكافئني منها؟ قال بها المدينة فلقبه رجل من المسلمين فقال يا فلان إن الخمر قد حُرمت فوضعها حيث انتهى على تل وسجى عليها بأكسية ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يعقوب القمي عن عيسى بن جارية عن جابر بن عبد الله قال كان رجل يحمل الخمر من خيبر إلى المدينة فيبيعها من المسلمين فحمل منها بمال فقدم الآية. ورواه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة به نحوه وقال حسن صحيح حديث آخر قال الحافظ أبو يعلي الموصلي حدثنا جعفر بن حميد الكوفي عن البراء بن عازب قال لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم؟ فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا جناح فيما طعموا ثم قال هذا إسناده صحيح وهو كما قال ولكن في سياقه غرابة. حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق صلى الله عليه وسلم ثم قتلوا شهداء يوم أحد فقالت اليهود فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن عتبة حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي عن عمرو عن جابر قال صبح أناس غداة أحد الخمر فقتلوا من يومهم جميعا شهداء وذلك قبل تحريمها. هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه وقد بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا. حديث آخر قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة أنتم منتهون فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله فهل أنتم منتهون قال وبعض القوم شربته في يده قد ضرب بعضها وبقي بعض في الإناء فقال حالا إذ قمت حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه إذ نزل تحريم الخمر يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر إلى آخر الآيتين فهل مولى حفص أبي القاسم عن أبي بريدة عن أبيه قال بينا نحن قعود على شراب لنا ونحن على رملة ونحن ثلاثة أو أربعة وعندنا باطية لنا ونحن نشرب الخمر بن عبد الرحيم صاعقة عن حجاج بن منهال. حديث آخر قال ابن جرير حدثني محمد بن خلف حدثنا سعيد بن محمد الحرمي عن أبي نميلة عن سلام فلان وقد قتل يوم أحد فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية ورواه النسائي في التفسير عن محمد إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فقال أناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن ليس في قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بي رءوفا رحيم ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قبائل الأنصار شربوا فلما أن ثمل عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول صنع بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون أخرجه مسلم من حديث شعبة. حديث آخر قال البيهقي وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو علي الرضا حدثنا نحن أفضل وقالت فريش نحن أفضل فأخذ رجل من الأنصار لحي جزور فضرب به أنف سعد ففرزه وكانت أنف سعد مفزورة فنزلت إنما الخمر والميسر سعد قال أنزلت في الخمر أربع آيات فذكر الحديث قال وضع رجل من الأنصار طعاما فدعانا فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا فتفاخرنا فقالت الأنصار أبو الحصين بن بشر أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سماك عن مصعب بن سعد عن عمر أنا أكفيك يا رسول الله قال لا قال ابن وهب وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث رواه البيهقي. حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا الله صلى الله عليه وسلم يخرق بها الزقاق قال: فقال الناس في هذه الزقاق منفعة فقال أجل ولكني إنما أفعل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطه فقال لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وأكل ثمنها ثم دعا بسكين فقال اشحذوها ففعلوا ثم أخذها رسول فأخبرني وجعله عن يساره فمشى بينهما حتى إذا وقف على الخمر قال للناس أنعرفون هذه؟ قالوا: نعم يا رسول الله هذه الخمر قال صدقتم ثم قال فإن الله فلحقنا أبو بكر رضي الله عنه فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلني عن شماله وجعل أبا بكر في مكاني ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوه ببيع كذا وكذا ثم آذنوني ففعلوا ثم آذنه فقام وقمت معه ومشيت عن يمينه وهو متكئ علي فبينما هو محتب على حبوته ثم قال: من كان عنده من هذه الخمر فليأتها بها فجعلا يأتونه فيقول أحدهم عندي راوية ويقول الآخر عندي زق أو ما شاء الله لهو أشد عليكم قال ثابت فلقبت عبد الله بن عمر فسألته عن ثمن الخمر فقال سأخبرك عن الخمر إنني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الله عنه يا معشر أمة محمد إنه لو كان كتاب بعد كتابكم ونبي بعد نبيكم لأنزل فيكم كما أنزل فيمن قبلكم ولكن أخر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ولعمري الخمر وكان يتصدق قال فنهيته عنها فلم ينته فقدمت المدينة فلقبت ابن عباس فسألته عن الخمر وثمرتها فقال: هي حرام وثمرتها حرام ثم قال ابن عباس رضي آخر قال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد عن خالد بن زيد عن ثابت أن يزيد الخولاني أخبره أنه كان له عم يبيع كانوا معه أن يمشوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته. حديث بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المدينة مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين الله بن عمر أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتية بمدينة وهي الشفرة فأتيتها بها فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها وقال اغد علي بها ففعلت فخرج وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها وأكل ثمنها وقال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال: قال عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قال ابن عمر وما عرفت المدينة إلا يومئذ فأمر بالزقاق فشقت ثم قال: لعنت الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وكنت عن يساره ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المربد فإذا بزقاق على المربد فيها خمر قال ابن عمر فدعاني أبو طعمة سمعت ابن عمر يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المربد فخرج معه فكنت عن يمينه وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه فكان عن يمينه

تفسير ابن كثير

وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعنت الخمر على عشرة وجوه لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها تفرد به أحمد أيضا حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة مولا هم وعن عبد الرحمن بن عبد الله علي مالم أقل فليتوبوا مقعده من جهنم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام وهو النبيل أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال إن الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والقنين وزادني صلاة الوتر قال يزيد القنين البرابط تفرد به أحمد وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عاصم الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا فرج بن فضالة عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن رافع عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ربي تبارك وتعالى حرم الخمر والكوبة والقنين وإياكم والغبيراء فإنها ثلث خمر العالم. حديث آخر قال ولا ندرى ما الكذب. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سودة عن قيس بن سعد سمعته من أنس بن مالك؟ قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم أو حدثني من لم يكذب ما كنا نكذب رجل يا رسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية. فقال رجل لقتادة أنت الله عليه وآله وسلم يقرأ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ به بعضنا واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلى وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت مناديا ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فما دخل علينا داخل بن بشار حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد حدثنا عباد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح قال بعضهم قل فلان وفلان وهي في بطونهم قال فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد فإذا مناد ينادي قال اخرج فانظر فإذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت فجرت في سكك المدينة قال: فقال لي أبو طلحة اخرج فأهرقها فهرقتها فقالوا أو غير وجه عن أنس وفي رواية حماد بن زي عن ثابت عن أنس قال كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شراهم إلا الفضيف البسر والتمر فقالوا حتى ننظر ونسأل فقالوا يا أنس اسكب ما بقى في إنائك فوالله ما عادوا فيها وما هي إلا التمر والبسر. وهي خمرهم يومئذ أخرجاه في الصحيحين من وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونقرأ من أصحابه عند أبي طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى أت من المسلمين فقال أما شعرتم أن الخمر قد حرمت؟ كيسان إلى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا محيي بن سعيد عن حميد عن أنس قال: كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح الله صلى الله عليه وسلم: يا كيسان إنها قد حرمت بعدك قال فأبيعها يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها قد حرمت وحرم ثمنها فانطلق وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني جئتكم بشراب طيب فقال رسول قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذا به فباعوه إنه ما يأكلون وإن الخمر حرام وثمرها حرام وإن الخمر حرام وثمرها حرام وثمرها حرام وثمرها حرام وثمرها حرام وثمرها حرام فقال يا رسول الله ألا أبيعها وأنتفع بثمرها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن الله اليهود انطلقوا إلى ما حرم عليهم من شحم البقر والغنم كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما كان عام حرمت جاء براوية فلما نظر إليه ضحك فقال أشعرت أنها حرمت بعدك الخمر وثمرها وقد رواه أيضا الإمام أحمد فقال حدثنا روح حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال سمعت شهر بن حوشب قال حدثني عبد الرحمن بن غنم أن الداري قال يا رسول الله فأبيعها وأنتفع بثمرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله اليهود حرمت عليهم شحوم البقر والغنم فأذا به وباعوه والله حرم صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك وقال إنها قد حرمت بعدك الموصلي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن شهر بن حوشب عن تميم الداري أنه كان يهدي لرسول الله بن بلال عن يحيى بن سعيد كلاهما عن عبد الرحمن بن ولة عن ابن عباس به ورواه النسائي عن قتيبة عن مالك به حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الذي حرم شربها حرم بيعها فأمر بها فأفرغت في البطحاء. رواه مسلم من طريق ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم ومن طريق ابن وهب أيضا عن سليمان أما علمت أن الله حرمها فأقبل الرجل على غلامه فقال اذهب فبيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان بماذا أمرته فقال أمرته أن يبيعها قال إن عن بيع الخمر فقال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صديق من ثقيف أو من دوس فلقية يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله يا فلان حرمت الخمر حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يعلى حدثنا محمد بن إسحاق عن القعقاع بن حكيم أن عبد الرحمن بن ولة قال سألت ابن عباس عنهم ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى قال فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقبل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة فسكت ابن عمر يقول نزلت في الخمر ثلاث آيات فأول شئ نزل يسألونك عن الخمر والميسر الآية فقبل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله دعنا نتنفع بها كما لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب. حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن أبي حميد عن المصري يعني أبا طعمة قارئ مصر قال سمعت حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني نافع عن ابن عمر قال نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ

تفسير ابن كثير

الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وقال البخاري أبو زرعة ولم يسمع منه وصح هذا الحديث علي بن المديني والترمذي وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي وعن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني عن عمر به وليس له عنه سواه قال فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى فهل أنتم متتهون قال عمر انتهينا وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال حي على الصلاة نادى: لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الأمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم انفراد به أحمد وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب الله رجسا من عمل الشيطان فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لعلكم تغفون قالوا انتهينا ربنا وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرسهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبق ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه في المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فكان الناس يشربون فقال الناس ما حرما علينا إنما قال فيهما إثم كبير ومنافع للناس وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمام الصحابة ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس إلى آخر الآية حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وهذا تهديد وترهيب. ذكر الأحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر قال الإمام أحمد حدثنا شريح ثم قال تعالى إنما يريد الشيطان أن يرفع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر

الله عليه وسلم أنه قال: لا يزنني الزاني حين يزنني وهو مؤمن ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن. 92 بن بزيع عن الفضيل ابن سليمان التميمي عن عمر بن سعيد عن الزهري به مرفوعا والموقوف أصح والله أعلم. وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله صلى والإيمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه رواه البيهقي وهذا إسناد صحيح وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر عن محمد بن عبد الله دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فسقته كأسا فقال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي تدعوه لشهادة فدخل معها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيفة عندها غلام وباطية خمر فقالت إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن سمعت عثمان بن عفان يقول اجتنبوا الخمر فإنها أم الخباثت إنه كان رجل فيمن خلا بقلبك يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها أن من طريق مجاهد عن ابن عباس وعن طريقه أيضا عن أبي هريرة قاله أعلم. وقال الزهري حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه قال ثم قال: ولا نعلم أحدا تابع شعبة عن نبيط بن شريط وقال البخاري لا يعرف لجابان سماع من عبد الله ولا لسالم من جابان ولا نبيط وقد روى هذا الحديث جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة منان ولا عاق والدية ولا مدمن خمر ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك يزيد عن همام عن منصور عن سالم عن جابان عن عبد الله بن عمرو به وقد رواه أيضا عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نبيط بن شريط عن بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا منان ولا ولد زانية وكذا رواه عن بن أبي زياد عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد به حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفیان عن منصور عن سالم يزيد بن أبي زياد عن مجاهد به وعن مروان بن شجاع عن خصيف عن مجاهد به ورواه النسائي عن القاسم بن زكريا عن حصين الجعفي عن زائدة عن يزيد أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ورواه أحمد أيضا عن عبد الصمد عن عبد العزيز بن أسلم عن بما أعطى ورواه النسائي عن عمر بن علي عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري به وروى أحمد عن غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن سالم بن عبد الله يقول قال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان ومن شرب الخمر فمات وهو يدمنها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة. حديث آخر قال ابن وهب أخبرني عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار أنه سمع به وروى مسلم عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل مسكر خمر وكل مسكر حرام عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرما في الآخرة أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال تفرد أبو داود حديث آخر قال الشافعي رحمه الله أنبأنا مالك عن نافع فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: صديد أهل النار ومن سقاه الجندي يقول عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلواته أربعين صباحا أحمد من طريق عمرو بن شعيب. حديث آخر قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال سمعت النعمان هو ابن أبي شيبه له الدنيا وما عليها فسلها ومن ترك الصلاة سكر أربع مرات كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال؟ قال عصارة جهنم ورواه

تفسير ابن كثير

أن عمرو بن شعيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة فكأنما كانت يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقينه إياها في حظيرة القدس وهذا إسناد صحيح. حديث آخر قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث والزفن والكباريات يعني البرابط والزماريات يعني به الدف والطنابير والشعر والخمر مرة لمن طعمها أقسم الله بيمينه وعزمه من شربها بعدما حرمتها لأعطشه والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون قال هي في التوراة: إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والمزامير العزيز بن سلمة حدثنا هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال إن هذه الآية التي في القرآن يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر خلا؟ قال لا ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا عبد يحيى بن عباد الأنصاري عن أنس بن مالك أن أبا طلحة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أيتام في حجره ورثوا خمرًا فقال أهرقها قال أفلا نجعلها أوكيتها فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي هذا حديث غريب حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن السدي عن أبي هبيرة وهو فإن فيها مالا ليتامى في حجره قال إذ أتانا مال البحرين فأتنا نعوض أيتامك من مالهم ثم نادى بالمدينة فقال رجل يا رسول الله الأوعية تنتفع بها قال فحلوا يا رسول الله بلغني أن الخمر قد حرمت قال أجل قال لي أن أردّها على من ابتعتها منه قال لا يصح ردّها فقال لي أن أهديها إلى من يكافئني منها؟ قال لا قال المدينة فلقية رجل من المسلمين فقال يا فلان إن الخمر قد حرمت فوضعها حيث انتهت على تل وسجى عليها بأكسية ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا يعقوب القمي عن عيسى بن جارية عن جابر بن عبد الله قال كان رجل يحمل الخمر خيبر إلى المدينة فيبيعها من المسلمين فحمل منها بمال فقدم بها الآية ورواه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة به نحوه وقال حسن صحيح حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا جعفر بن حميد الكوفي عن البراء بن عازب قال لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم؟ فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الصالحات جناح فيما طعموا ثم قال هذا إسناد صحيح وهو كما قال ولكن في سياقه غرابة حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق النبي صلى الله عليه وسلم ثم قتلوا شهداء يوم أحد فقالت اليهود فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول اصطحب ناس الخمر من أصحاب ابن عيينة عن عمرو بن جابر قال صبح أناس غداة أحد الخمر فقتلوا من يومهم جميعا شهداء وذلك قبل تحريمها هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه في الإناء فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجاج ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا حديث آخر قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا إلى آخر الآيتين فهل أنتم منتهون فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله فهل أنتم منتهون قال وبعض القوم شربته في يده قد ضرب بعضها وبقي بعض باطية لنا ونحن نشرب الخمر حلا إذ قمت حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه إذ نزل تحريم الخمر يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر الحرام عن أبي نميلة عن سلام مولى حفص أبي القاسم عن أبي بريدة عن أبيه قال بينا نحن قعود على شراب لنا ونحن على رملة ونحن ثلاثه أو أربعة وعندنا ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حجاج بن منهال حديث آخر قال ابن جرير حدثني محمد بن خلف حدثنا سعيد بن محمد أناس من المتكلمين هي رجس وهي في بطن فلان وقد قتل يوم أحد فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية في قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فقال ولحيته فيقول صنع بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بوجهه رءوفا رحيمًا ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن ابن عباس قال إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا فلما أن حل عبد بعضهم ببعض فلما أن صحووا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو علي الرضا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثني أبي عن سعيد بن جبيرة عن سعد ففزره وكانت أنف سعد مفزورة فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون أخرجه مسلم من حديث شعبة حديث آخر قال البيهقي فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشيننا فتفأخرنا فقالت الأنصار نحن أفضل وقالت فريش نحن أفضل فأخذ رجل من الأنصار لحى جزور فضرب به أنف وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أنزلت في الخمر أربع آيات فذكر الحديث قال وضع رجل من الأنصار طعاما فدعانا رواه البيهقي حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحصين بن بشر أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي حدثنا ولكني إنما أفعل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطه فقال عمر أنا أكفيك يا رسول الله قال لا قال ابن وهب وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث ثم دعا بسكين فقال اشحذوها ففعلوا ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرق بها الزقاق قال: فقال الناس في هذه الزقاق منفعة فقال أجل نعم يا رسول الله هذه الخمر قال صدقتم ثم قال فإن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيتها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وأكل أبا بكر في مكاني ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبرني وجعله عن يساره فمشى بينهما حتى إذا وقف على الخمر قال للناس أنعرفون هذه؟ قالوا آذنه فقام وقمت معه ومشيت عن يمينه وهو متكئ علي فلحقنا أبو بكر رضي الله عنه فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلني عن شماله وجعل أحدهم عندي راوية ويقول الآخر عندي رزق أو ما شاء الله أن يكون عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوه ببيع كذا وكذا ثم آذوني ففعلوا ثم إني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فبينما هو محتب على حبوته ثم قال من كان عنده من هذه الخمر فليأتنا بها فجعلوا يأتونه فيقول فيمن قبلكم ولكن آخر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ولعمري لهو أشد عليكم قال ثابت فلقيت عبد الله بن عمر فسألته عن ثمن الخمر فقال سأخبرك عن الخمر وثمرتها فقال هي حرام وثمرتها حرام ثم قال ابن عباس رضي الله عنه يا معشر أمة محمد إنه لو كان كتاب بعد كتابكم ونبي بعد نبيكم لأنزل فيكم كما أنزل

تفسير ابن كثير

زيد عن ثابت أن يزيد الخولاني أخبره أنه كان له عم يبيع الخمر وكان يتصدق قال فنهيته عنها فلم ينته فقدمت المدينة فلقيت ابن عباس فسألته عن الخمر ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته حديث آخر قال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد عن خالد بن من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته بها فأرهفت ثم أعطانيها وقال اغد علي بها ففعلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المدينة مني فشق ما كان حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال: قال عبد الله بن عمر أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتية بمدينة وهي الشفرة فأتيتها بها فأرسل فشقت ثم قال لعنت الخمر وشاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها واكل ثمنها وقال أحمد حدثنا الحكم بن نافع المرید فإذا بزقاق على المرید فيها خمر قال ابن عمر فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قال ابن عمر وما عرفت المدينة إلا يومئذ فأمر بالزقاق فكنت عن يمينه وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه فكان عن يمينه وكنت عن يساره ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث وكيع به وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو طعمة سمعت ابن عمر يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرید فخرج معه على عشرة وجوه لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها ورواه أبو داود وابن ماجه من بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة مولاهم وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنت الخمر وسلم يقول إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام تفرد به أحمد أيضا حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن الوليد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه الوتر قال يزيد القنن البرابط تفرد به أحمد وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عاصم وهو النبيل أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن رافع عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والقنين وزادني صلاة الخمر والكوبة والقنين وإياكم والغبيراء فإنها ثلث خمر العالم حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا فرج بن فضالة عن إبراهيم بن عبد الرحمن أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سودة عن قيس بن سعد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ربي تبارك وتعالى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم أو حدثني من لم يكذب ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فقال رجل لقتادة أنت سمعته من أنس بن مالك ؟ قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال رجل يا رسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها فأنزل الله تعالى ليس بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب وتمر فسمعت مناديا ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ به بعضنا واغتسل أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤسهم من خليط بسر آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد حدثنا عباد بن راشد عن قتادة عن في سكك المدينة قال: فقال لي أبو طلحة أخرج فأهرقها فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم قل فلان وفلان وهي في بطونهم قال فأنزل الله ليس على الذين يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شربهم إلا الفضيخ البسر والتمر فإذا مناد ينادي قال أخرج فانظر فإذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت فجرت وما هي إلا التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ أخرجاه في الصحيحين من غير وجه عن أنس وفي رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنت ساقى القوم يأخذ منهم فأتى أت من المسلمين فقال أما شعرتم أن الخمر قد حرمت ؟ فقالوا حتى فنظر ونسأل فقالوا يا أنس اسكب ما بقى في إنائك فوالله ما عادوا فيها محيى بن سعيد عن حميد عن أنه قال كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونقرأ من أصحابه عند أبي طلحة حتى كاد الشراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها قد حرمت وحرم ثمنها فانطلق كيسان إلى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني جئت بك بشراب طيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كيسان إنها قد حرمت بعدك قال فأبيعها يا رسول الله ؟ أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الخمر حرام وثمرتها حرام حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن نافع بن كيسان أن أباه وسلم لعن الله اليهود انطلقوا إلى ما حرم عليهم من شحم البقر والغنم فأذا به فباعوه إنه ما يأكلون وإن الخمر حرام وثمرتها حرام وإن الخمر حرام وثمرتها حرام عام حرمت جاء براوية فلما نظر إليه ضحك فقال أشعرت أنها حرمت بعدك فقال يا رسول الله ألا أبيعها وأنتفع بثمرتها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بن بهرام قال سمعت شهر بن حوشب قال حدثني عبد الرحمن بن غنم أن الداري كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما كان وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم شحوم البقر والغنم فأذا به وباعوه والله حرم الخمر وثمرتها وقد رواه أيضا الإمام أحمد فقال حدثنا روح حدثنا عبد الحميد جاء بها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك وقال إنها قد حرمت بعدك قال يا رسول الله فأبيعها وأنتفع بثمرتها فقال رسول الله صلى الله عليه عبد الحميد بن جعفر عن شهر بن حوشب عن تميم الداري أنه كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما أنزل الله تحريم الخمر عباس به ورواه النسائي عن قتيبة عن مالك به حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا من طريق ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم ومن طريق ابن وهب أيضا عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد كلاهما عن عبد الرحمن بن وعله عن ابن

تفسير ابن كثير

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان بماذا أمرته فقال أمرته أن يبيعهها قال إن الذي حرم شربها حرم بيعها فأمر بها فأفرغت في البطحاء رواه مسلم من ثقيف أو من دوس فلقبه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله يا فلان أما علمت أن الله حرمها فأقبل الرجل على غلامه فقال اذهب فبعها حدثنا محمد بن إسحاق عن القعقاع بن حكيم أن عبد الرحمن بن وعلة قال سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صديق والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الآيتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يعلى الصلاة وأنتم سكارى فقل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب نزل يسألونك عن الخمر والميسر الآية فقل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله دعنا نتنفع بها كما قال الله تعالى قال فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية لا تقربوا قال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن أبي حميد عن المصري يعني أبا طعمة قارئ مصر قال سمعت ابن عمر يقول نزلت في الخمر ثلاث آيات فأول شئ حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني نافع عن ابن عمر قال نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ خمسة أشربة ما فيها شراب العنب حديث آخر نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل الحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وقال البخاري حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن بشر الحديث علي بن المديني والترمذي وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إنه عمرو بن عبد الله السبيعي وعن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني عن عمر به وليس له عنه سواه قال أبو زرعة ولم يسمع منه وضح هذا عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى فهل أنتم منتهون قال عمر انتهينا وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق إذا قال حي على الصلاة نادى: لا يقربن الصلاة سكران فدعى عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة فدعي بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم بين لنا في الأمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم تركتم انفراد به أحمد وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب أنه قال لما نزل تحريم الخمر الشيطان فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو حرم عليهم لتركوه كما قالوا انتهينا ربنا وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرسهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الصلاة وهو مغيب ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلمكم تغفلون فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الناس ما حرما علينا إنما قال فيهما إثم كبير ومنافع للناس وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمام الصحابة في المغرب ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس إلى آخر الآية فقال حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ومصدقكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وهذا تهديد وترهيب ذكر الأحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر قال الإمام أحمد حدثنا شريح الضمير عائد على الرجس أي اتركوه لعلمكم تغفلون وهذا أثر غريب ثم قال تعالى إنما يريد الشيطان أن يرفع بينكم العداءة والبغضاء في الخمر والميسر الشيطان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي سخط من عمل الشيطان وقال سعيد بن جبيرة إثم وقال زيد بن أسلم أي سر من عمل الشيطان فاجتنبوه وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها وأما الأزلام فقالوا أيضا هي قداح كانوا يستقسمون بها رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى رجس من عمل الميسر ونعى على تحريره مالك وأبو حنيفة وأحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى وأما الأنصاب فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والحسن ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقبح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي وأما الشطرنج لقد قال عبد الله بن عمر أنه شر من النرد وتقدم عن علي أنه قال هو من أباك يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل الذي يلعب بالنرد الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا الجعفر عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي أنه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول أخبرني ماسمعت داود وابن ماجه عن أبي موسى الأثمري قال: قال رسول الله من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وروى موقوفا على أبي موسى من قوله فإله أعلم وقاله الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه وفي موطأ مالك ومسنند أحمد وسنني أبي الكعب الموسومة التي يزر بها زجرا فإنها من الميسر حديث غريب وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد الحديث به صحيح مسلم عن بريدة عن الحصيب حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا هذه القاسم بن محمد ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزياتي حدثنا هشام بن عمار سعيد بن المسيب يقول كان ميسر أهل الجاهلية يبيع اللحم بالشاء والشاتين وقال الزهري عن الأعرج قال الميسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار وقال عباس قال الميسر هو القمار كانوا يتقارمون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة وقال مالك عن داود بن الحصين أنه سمع حبيب مثله وقال حتى الكعب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان وقال موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال الميسر هو القمار وقال الضحاك عن ابن عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان أو اثنين منهم قالوا: كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى عن راشد بن سعد وضمرة بن عيسى بن مرحوم عن حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث

تفسير ابن كثير

تعاطي الخمر والميسر وهو القمار وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال الشطرنج من الميسر رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجرا فإنهما ميسر العجم. 93 وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه وقال عبد الله ابن الإمام أحمد قرأت على أبي حدثنا علي بن عاصم حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عليه وسلم قال: لما نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم الخبال قالت: قلت يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار وقال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة إن مات مات كافرا وإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة وقال الإمام أحمد حدثنا داود بن مهرا ن الدباغ حدثنا داود يعني العطار عن أبي خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت النبي صلى طعموا إلى آخر الآية ولما حولت القبلة قال ناس: يا رسول الله إخواننا الذين ما توا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ابن عباس قال لما حرمت الخمر قال ناس يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما قال أحمد بن حنبل حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن

كبير وقوله ههنا فمن اعتدى بعد ذلك قال السدي وغيره يعني بعد هذا الإعلام والإنذار والتقدم فله عذاب أليم أي لمخالفته أمر الله وشرعه. 94 يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرا وجهرا لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو جهره كما قال تعالى إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون ليعلم الله من يخافه بالغيب يعني أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم يعني صغار الصيد وفراخه ورماحكم يعني كبارهم وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاءوا لتناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه. وقال مجاهد تناله أيديكم قال الوالبي عن ابن عباس قوله ليلولنكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم

ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع لأن الخلق خلقه والأمر أمره له العزة والمنعة وقوله ذو انتقام يعني أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته إياه. 95 فينتقم الله منه وقال ابن جرير في قوله والله عزيز ذو انتقام يقول عز ذكره والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه سليمان عن زيد أبي المولى عن الحسن البصري أن رجلا أصاب صيدا فتجوز عنه ثم عاد فأصاب صيدا آخر فنزلت نار من السماء فأحرقته فهو قوله من عاد وسعيد بن جبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي رواه ابن جرير ثم اختار القول الأول وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدى حدثنا المعتمر بن جميعا عن هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس فيمن أصاب صيدا يحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم عليه ينتقم الله منه وهكذا قال شريح ومجاهد يحكم عليه فيه مرة واحدة فإن عاد يقال له: ينتقم الله منك كما قال الله عز وجل وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي سواء الخطأ في ذلك والعمد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال من قتل شيئا من الصيد خطأ وهو محرم يحكم عليه فيه كلما قتله فإن قتله عمدا سعيد بن جبير وعطاء ثم الجمهور من السلف والخلف على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ولا فرق بين الأولى والثانية والثالثة وإن تكرر ما تكرر قلت فترى حقا على الإمام أن يعاقبه؟ قال لا هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله عز وجل ولكن يفتدي ورواه ابن جرير وقيل معناه فينتقم الله منه بالكفارة قاله قال: قلت وما ومن عاد فينتقم الله منه قال: ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة قال: قلت فهل في العود من حد تعلمه قال لا قال: في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام. قال ابن جريج قلت لعطاء ما عفا الله عما سلف؟ قال عما كان في الجاهلية سلف أي في زمان الجاهلية لمي أحسن في الإسلام واتبع شرع الله ولم يرتكب المعصية ثم قال ومن عاد فينتقم الله منه أي ومن فعل ذلك بعد تحريره عن ابن عباس واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وقوله ليدوق وبال أمره أي أوجبنا عليه الكفارة ليدوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة عفا الله عما مجاهد وأسابط عن السدي أنها على الترتيب. وقال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية الضحاك وإبراهيم النخعي هي على الخيار وهي رواية الليث عن مجاهد جابر الجعفي عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد أو عدل ذلك صياما قالوا إنما الطعام مد مد لمن لا يبلغ الهدى. رواه ابن جرير وكذا روى ابن جريج عن أو نحوه فعليه بدنة من الإبل فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فإن لم يجد صام ثلاثين يوما. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد: الطعام مد مد يشبعهم وقال لم يجد فصيام ثلاثة أيام فإن قتل إبلا أو نحوه فعليه بقرة فإن لم يجد أطعم عشرين مسكينا فإن لم يجد صام عشرين يوما وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو عدل ذلك صياما فإذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه فإن قتل طيبا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين فإن الصيام أنه إذا وجد الطعام وجد جزاؤه ورواه ابن جرير من طريق جرير. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين لم يجد نظركم ثمنه ثم قوم ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوما قال الله تعالى أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال إنما أريد بالطعام من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فإن قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل في المكان الذي أصاب فيه الصيد أو أقرب الأماكن إليه وقال أبو حنيفة إن شاء أطعم في الحرم وإن شاء أطعم في غيره. ذكر أقوال السلف في هذا المقام أن يقسم فرقا بين ستة أو يصوم ثلاثة أيام والفرق ثلاثة أصع واختلفوا في مكان هذا الإطعام فقال الشافعي مكانه الحرم وهو قول عطاء وقال مالك يطعم

تفسير ابن كثير

صام عن إطعام كل مسكين يوما. وقال ابن جرير وقال آخرون يصوم مكان كل صاع يوما كما في جزاء المترفه بالحلق ونحوه فإن الشارع أمر كعب بن عجرة ابن جرير وقال أبو حنيفة وأصحابه: يطعم كل مسكين مدين وهو قول مجاهد. وقال أحمد مد من حنطة أو مدان من غيره فإن لم يجد أو قلنا بالتخيير وقال الشافعي: يقوم مثله من النعم لو كان موجودا ثم يشتري به طعاما فيصدق به فيصرف لكل مسكين مد منه عند الشافعي ومالك وفقهاء الحجاز واختاره أو بأنها للتخيير والقول الآخر أنها على الترتيب فصورة ذلك أن يعدل إلى القيمة فيقوم الصيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه وحماة وإبراهيم بين الجزاء والإطعام والصيام كما هو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحد قولي الشافعي والمشهور عن أحمد رحمه الله لظاهر طعام مساكين أو عدل ذلك صياما أي إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال أو قلنا بالتخيير في هذا المقام أي واصلا إلى الكعبة والمراد وصوله إلى الحرم بأن يذبح هناك ويفرق لحمه على مساكين الحرم وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة وقوله أو كفارة وأبو حنيفة: بل يجب الحكم في كل فرد فرد سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا لقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة قولين فقال الشافعي وأحمد يتبع في ذلك ما حكمت به الصحابة وجعلناه شرعا مقررًا لا يعدل عنه وما لم يحكم فيه الصحابة يرجع فيه إلى عدلين وقال مالك هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيبه المحرم فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم في مثله الصحابة أو يكتفي بأحكام الصحابة المتقدمة؟ على جمع الماء والشجر ثم قال عمر يحكم به ذوا عدل منكم وفي هذا دلالة على جواز كون القاتل أحد الحكمين كما قاله الشافعي وأحمد رحمهما الله. واختلفوا ابن وكيع حدثنا ابن عيينة من مخارق عن طارق قال أوطأ أريد ظيبا فقتله وهو محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر احكم معي فحكمنا فيه جديا قد أصبت ظيبا وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال ائت رجلين من إخوانك فليحكم عليك فأتيتهما عبد الرحمن وسعدا فحكمنا علي بتيس أعفر وقال ابن جرير حدثنا بكر بن عبد الله المزني ومحمد بن سيرين وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل أخبرني ابن جرير البجلي قال الشاب. وروى هشيم هذه القصة عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بنحوه. ورواه أيضا عن حصين عن الشعبي عن قبيصة بنحوه وذكرها رسالة عن عمر بن جابر إني أراك شاب السن فسيح الصدر بين اللسان وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة فإياك وعثرات صاحبي ضربا بالدرة أقتلت في الحرم وسفهت في الحكم قال ثم أقبل علي فقلت يا أمير المؤمنين لا أحل لك اليوم شيئا يحرم عليك مني فقال يا قبيصة ابن فلعل ذلك يعني أن يجزئ عنك قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة يحكم به ذوا عدل منكم فبلغ مقالتي فلم يفجأنا منه إلا ومعه الدرة قال فعلا واستبق إهابها قال فقمننا من عنده فقلت لصاحبي أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه اعمد إلى ناقتك فانحرها أعمدا قتلته أم خطأ؟ فقال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله فقال عمر ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ اعمد إلى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها عنه فقص عليه القصة قال وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة يعني عبد الرحمن بن عوف فالتفت عمر إلى صاحبه فكلمه قال ثم أقبل على الرجل فقال أو برح فرماه رجل كان معنا بحجر فما أخطأ حشاه فركب وودعه ميتا قال فعظمنا عليه فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر بن الخطاب رضي الله عن عبد الملك بن عمر عن قبيصة بن جابر قال خرجنا حجاجا فكتنا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحنا فتماشى نتحدث قال فبينما نحن ذات غداة إذ سرح لنا ظبي وإنما دواء الجهل التعليم فأما إذا كان المعترض منسوبًا إلى العلم فقد قال ابن جرير حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي قال حدثنا وكيع بن الجراح عن المسعودي اتفقتا على أمر أمرناك به وهذا إسناد جيد لكنه منقطع بين ميمون وبين الصديق ومثله يحتمل ههنا فبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابيا جاهلا وسلم أسألك فإذا أنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما تنكر؟ يقول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي حتى إذا علي من الجزاء؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه لأبي بن كعب وهو جالس عنده: ما ترى فيها قال: فقال الأعرابي أتيتك وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا جعفر هو ابن برقان عن ميمون بن مهران أن أعرابيا أتى أبا بكر فقال: قتلت صيدا وأنا محرم فما ترى مذهب مالك والثاني نعم لعموم الآية وهو مذهب الشافعي وأحمد واحتج الأولون بأن الحاكم لا يكون محكوما عليه في صورة واحدة قال ابن أبي حاتم غير المثل عدلان من المسلمين واختلف العلماء في القاتل هل يجوز أن يكون أحد الحكمين علي قولين: أحدهما لا لأنه قد يهتم في حكمه على نفسه وهذا مثليا فقد حكم ابن عباس فيه بثمانية يحمل إلى مكة رواه البيهقي. وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني أنه يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في فإنهم حكموا في النعامة ببدنة وفي بقرة الوحش ببقرة وفي الغزال بعنز وذكر قضايا الصحابة وأسانيدهم مقرر في كتاب الأحكام وأما إذا لم يكن الصيد سواء كان الصيد المقتول مثليا أو غير مثلي قال وهو مخير إن شاء تصدق بثمانية وإن شاء اشترى به هديا والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع والشافعي وأحمد والجمهور من وجب الجزاء من مثل ما قتله المحرم إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي خلافا لأبي حنيفة رحمه الله حيث أوجب القيمة ابن جرير أن ابن مسعود قرأ فجزاؤه مثل ما قتل من النعم وفي قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم على كل من القراءتين دليل لما ذهب إليه مالك مأثوم والمخطئ غير ملوم وقوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم قرأ بعضهم بالإضافة وقرأ آخرون بعطفها فجزاء مثل ما قتل من النعم وحكى وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في العمد وأيضا فإن قتل الصيد إتلاف وإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان لكن المتعمد الجزاء على المعتمد وعلي تأثيمه بقوله ليزوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه وجاءت السنة من أحكام النبي صلى الله عليه وسلم الجمهور أن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه وقال الزهري دل الكتاب علي العامد وجرت السنة علي الناسي ومعني هذا أن القرآن دل على وجوب أمره أعظم من أن يكفر وقد بطل إحرامه. رواه ابن جرير عنه من طريق ابن أبي نجيح وليث بن أبي سليم وغيرهما عنه وهو قول غريب أيضا والذي عليه وهو متمسك بظاهر الآية. وقال مجاهد بن جبير المراد بالمعتمد هنا القاصد إلي قتل الصيد الناسي لإحرامه فأما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لإحرامه فذاك

تفسير ابن كثير

حدثنا ابن عليه عن أيوب قال نبئت عن طاوس أنه قال لا يحكم علي من أصاب صيدا خطأ إنما يحكم علي من أصابه متعمدا وهذا مذهب غريب عن طاوس وهو ضعيف وقال الترمذي هذا حديث حسن. وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذي عن أحمد بن منيع كلاهما عن هشيم وابن ماجه عن أبي كريب وعن محمد بن فضيل كلاهما عن يزيد بن أبي زياد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عما يقتل المحرم فقال الحية والعقرب والفويسقة ويرمي الغراب ولا يقتله والكلب العقور والحدأة والسبع العادي. وأذاه وقال مجاهد بن جبير وطائفة لا يقتله بل يرميه ويروي مثله عن علي وقد روى هشيم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبدالرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد العقور والجمهور على أن المراد به أعم من ذلك لما ثبت في الصحيحين من إطلاق لفظه وقال مالك رحمه الله لا يقتل المحرم الغراب إلا إذا صال عليه عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خمس يقتلن المحرم: الحية والفأرة والحدأة والغراب الأبقع والكلب الأبقع وهو الذي في بطنه وظهره بياض دون الأدرع وهو الأسود والأعصم وهو الأبيض لما رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة فلا فداء عليه وهذا قول الأوزاعي والحسن بن صالح بن حيي وقال زفر بن الهذيل يفدي ما سوى ذلك وإن صال عليه. وقال بعض الناس المراد بالغراب ههنا العلة الجامعة كونها لا تؤكل وقال أبو حنيفة: يقتل المحرم الكلب العقور والذئب لأنه كلب بري فإن قتل غيرهما فداءه إلا أن يصول عليه سبع غيرهما فيقتله هذه الخمس المنصوص عليها وصغار الملحق بها من السباع العوادي وقال الشافعي: يجوز للمحرم قتل ما لا يؤكل لحمة ولا فرق بين صغاره وكباره وجعل اللهم سلب عليه كلبك بالشام فأكله السبع بالزرقاء قالوا فان قتل ما عداهن فداءه كالضبع والثعلب والوبر ونحو ذلك قال مالك وكذا يستثنى من ذلك صغار بن عيينة الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها واستأنس من قال بهذا بما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على عتبة بن أبي لهب قال ولا يختلف في قتلها ومن العلماء كمالك وأحمد من ألحق بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لأنها أشد ضررا منه فأنه أعلم. وقال زيد بن أسلم وسفيان جناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور أخرجاه ورواه أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال أيوب فقلت لنافع فالحية قال الحية لا شك فيها والعقرب والفأرة والكلب العقور. وقال مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس علي المحرم في قتلن من طريق الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة غيره فأما غير المأكول من حيوانات البر فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها والجمهور على تحريم قتلها أيضا ولا يستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين الصيد وأنتم حرم وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام ونهى عن تعاطيه فيه وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول ولو ما تولد منه ومن قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا

يوم صائف قد غطي وجهه بقطيفة أرجوان ثم أتى بلحم صيد فقال لأصحابه كلوا فقالوا: أولا تأكل أنت فقال إني لست كهينتكم إنما صيد من أجلي. 96 في هذا الباب وأقيس. وقال مالك رضي الله عنه عن عبدالله بن أبي بكر عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عثمان بن عفان بالعرج وهو محرم في من جابر ورواه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن أبي عمرو عن مولاه المطلب عن جابر ثم قال: وهذا أحسن حديث روي حلال قال سعيد وأنتم حرم ما لم تصيده أو يصد لكم وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة وقال الترمذي لا نعرف للمطلب سمعا حنطب عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتيبة في حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صيد البر لكم بألفاظ كثيرة. وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور وكتيبة بن سعيد قالوا: حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبدالله بن هل كان منكم أحد أشار إليها أو أعان في قتلها؟ قالوا لا قال فكلوا وأكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه القصة ثابتة أيضا في الصحيحين منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش وكان حلالا لم يحرم وكان أصحابه محرمين فتوقفوا في أكله ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وله ألفاظ كثيرة قالوا فوجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم ظن أن هذا إنما صاده من أجله فرده لذلك فأما إذا لم يقصده بالاصطياد فإنه يجوز له الأكل عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بודان فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وإسحاق بن راهوية في رواية والجمهور إن كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد لم يجز للمحرم أكله لحديث الصعب بن جثامة أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم وهذا الحديث مخرج في الصحيحين جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره أكل لحم الصيد للمحرم على كل حال وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ابن عمر مثله قال ابن عبدالبر وبه قال طاوس وجابر بن زيد وإليه ذهب الثوري وإسحاق بن راهوية في رواية وقد روي نحوه عن علي بن أبي طالب رواه ابن ما دتم حرم قال وأخبرني معمر عن الزهري عن ابن عمر أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال قال معمر: وأخبرني أيوب عن نافع عن معمر عن ابن طاوس وعبدالكريم عن ابن أبي آسية عن طاوس عن ابن عباس أنه كره أكل الصيد للمحرم. وقال هي مبهمة يعني قوله وحرم عليكم صيد البر لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك وقال آخرون لا يجوز أكل الصيد للمحرم بالكلية ومنعوا من ذلك مطلقا لعموم هذه الآية الكريمة. قال عبدالرزاق عن بن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال أياأكله المحرم؟ قال فأفتاهم بأكله ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره فقال وعطاء في رواية وسعيد بن جبير وبه قال الكوفيون. قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبدالله بن بزيع حدثنا بشر بن الفضل حدثنا سعيد عن قتادة أن سعيد يستفصلوا بين أن يكون قد صاده من أجله أم لا حكى هذا القول أبو عمر بن عبدالبر عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن العوام وكعب الأحبار ومجاهد بإباحته لغير القاتل سواء المحرمون والمحلون لهذا الحديث والله أعلم. وأما إذا صاد حلال صيدا فأهداه إلى محرم فقد ذهب ذاهبون إلى إباحته مطلقا ولم وأنتم حرم ما لم تصيده أو يصد لكم وهذا الحديث سيأتي بيانه وقوله بإباحته للقاتل غريب وأما لغيره ففيه خلاف قد ذكرنا المنع عن تقديم وقال آخرون

تفسير ابن كثير

أبو ثور إذا قتل المحرم الصيد فعليه جزاؤه وحلال أكل ذلك الصيد إلا أنني أكرهه للذي قتله للخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيد البر لكم حلال فقهاء الأمصار وجمهور العلماء ثم وجهه أبو عمر بما لو وطئ ثم وطئ قبل أن يحد فإنما عليه حد واحد وقال أبو حنيفة عليه قيمة ما أكل. وقال عطاء قال إن ذبحه ثم أكله فكفارتان وإليه ذهب طائفة. والثاني لا جزاء عليه في أكله نص عليه مالك بن أنس قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا مذاهب وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم. فإن أكله أو شينا منه فهل يلزمه جزاء ثان؟ فيه قولان للعلماء: أحدهما نعم قال عبد الرزاق عن ابن جريج عن غرم وحرمة عليه أكله لأنه في حقه كالميتة وكذا في حق غيره من المحرمين والمحليين عند مالك والشافعي في أحد قوليه وبه يقول عطاء والقاسم وسالم صيد البر ما دتمت حرما أي في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد فيه دلالة على تحريم ذلك فإذا اصطاد المحرم الصيد متعمدا أثم وغرم أو مخطئا فالحوت والجراد وأما الدمان: فالكبد والطحال. ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وله شواهد روي موقوفا والله أعلم. وقوله وحرمة عليكم أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان: الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره وبحديث هو الطهور ماؤه الحل ميتته. وقد تقدم أيضا وروى الإمام فكلوه وما ألقى البحر ميتا طافيا فلا تأكلوه. ثم رواه من طريق إسماعيل بن أمية ويحيى بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر به وهو منكر وقد احتج بن يزيد الطحان حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صدتموه وهو حي فمات حديث بنحو ذلك فقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي هو ابن قانع حدثنا الحسين بن إسحاق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قالا حدثنا الحسين رحمه الله تعالى وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يؤكل ما مات في البحر كما لا يؤكل ما مات في البر لعموم قوله تعالى حرمت عليكم الميتة: وقد ورد سواهما فقيل يؤكل سائر ذلك وقيل لا يؤكل وقيل ما أكل شبهه من البر أكل مثله في البحر وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل وهذه كلها وجوه في مذهب الشافعي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال: نقيقها تسبيح وقال آخرون يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع واختلفوا فيما خالده عن سعيد بن المسيب عن أبي عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع وللنسائي عن عبد الله بن عمرو الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه. وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها لما رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد بن أنه أنكر على من يصيد الجراد في الحرم وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء إلى أنه تؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شينا وقد تقدم عن الحوت في البحر قال هاشم قال زياد فحدثني من رأى الحوت ينثره تفرد به ابن ماجه. وقد روى الشافعي عن سعيد بن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء فقال خالد يا رسول الله كيف تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال إن الجراد نثره بن إبراهيم عن أبيه عن جابر وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال اللهم أهلك كباره واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع أبو المهزم ضعيف والله أعلم. وقال ابن ماجه حدثنا هارون بن عبد الله الجمال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله عن علام عن موسى بن محمد فجعلنا نضربهن بعصينا وسيطانا فنقتلن فسقط في أيدينا فقلنا ما نصنع ونحن محرمون فسلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا بأس بصيد البحر عن حماد بن سلمة حدثنا أبو المهزم هو يزيد بن سفيان سمعت أبا هريرة يقول: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة فاستقبلنا جراد وابن حبان وغيرهم. وقد روي عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته. وقد روى هذا الحديث الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل وأهل السنن الأربع وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نركب البحر نحمل معنا القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة من آل ابن الأرق أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سأل رجل رسول الله قضية واحدة لكن كانوا أولا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة فوجدوا هذه في سريتهم تلك مع أبي عبيدة والله أعلم وقال مالك منه فأكله وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين وجدوا هذه السمكة فقال بعضهم هي واقعة أخرى وقال بعضهم بل هي الله عليه وآله وسلم. فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقب عينيه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بغير معنا فمر من تحته وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن ومقتطع منه القدر كالثور قال ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فأتيناه فإذا بدابة يقال لها العنبر قال: قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اضطررتم فكلوا قال فأقمنا عليه شهرا تصبهما وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله طرق عن جابر وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر فإذا على ساحل البحر مثل الكتيب الضخم إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلة فرحلت ومرت تحتها فلم فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر قال فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا ثمرة تمر فقال فقد وجدنا فقدنا حين فنيتم قال ثم انتهينا بعثا قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة وأنا فيهم قال فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش على حل ميتته بهذه الآية الكريمة وبما رواه الإمام مالك بن أنس عن ابن وهب وابن كيسان عن جابر بن عبد الله قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما مات فيه أو اصطيد منه وملح وقد يكون زادا للمسافرين والنائين عن البحر وقد روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم. وقد استدلل الجمهور وقوتا لكم أيها المخاطبون وللسيارة وهم جمع سيار قال عكرمة لمن كان بحضرة البحر والسفر وقال غيره الطري لمن يصطاده من حاضرة البحر وطعامه

تفسير ابن كثير

عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ما لفظه ميتا. وقوله متاعا لكم وللسيارة أي منفعة أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال: طعامه ما لفظه ميتا ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة. حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة موقوفا حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكم وللسيارة فقال اذهب فقل له فليأكله فإنه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه ما مات فيه. قال وقد روى في ذلك خبر وإن بعضهم يرويه إن البحر قد قذف حيثانا كثيرة ميتة أفناكلها؟ فقال لا تأكلوها فلما رجع عبدالله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى هذه الآية وطعامه متاعا أو حسر عنه فمات. رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال: وطعامه قال طعامه ما قذف وقال عكرمة عن ابن عباس قال طعامه ما لفظ من ميتة. ورواه ابن جرير أيضا وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لفظه حيا البحر وطعامه متاعا لكم وطعامه ما قذف. قال وحدثنا يعقوب حدثنا ابن عليه عن سليمان التيمي عن أبي مجلز عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر وابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال: حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد وإبراهيم النخعي والحسن البصري. قال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي بكر الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه رواه ابن جرير ما لفظه ميتا وكذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن أحل لكم صيد البحر يعني ما يصطاد منه طريا وطعامه ما يتزود منه مليحا يابساً وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه صيده ما أخذ منه حيا وطعامه قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم في قوله تعالى

أولي الألباب أي يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة وتجنبوا الحرام ودعوه واقنعوا بالحلال واكتفوا به لعلكم تفلحون أي في الدنيا والآخرة. 97 بن حاطب الأنصاري قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فاتقوا الله يا معجمه: حدثنا أحمد بن زهير حدثنا الحوطي حدثنا محمد بن شعيب حدثنا معان بن رفاعة عن أبي عبد الملك علي بن يزيد عن القاسم أبي أمامة أن ثعلبة الخبيث يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار كما جاء في الحديث ما قل وكفي خير مما كثر وألهى وقال أبو القاسم البغوي في يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك أي يا أيها الإنسان كثرة الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها. 98 الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وفي الحديث الصحيح أيضا إن بيانها بينت لكم حينئذ لاحتياجكم إليها عفا الله عنها أي ما لم يذكره في كتابه فهو عفا عنه فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها وفي الصحيح عن رسول أو تضييق وقد ورد في الحديث أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن حليم وقيل المراد بقوله وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم أي لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد حين ينزل الوحي علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبين لكم وذلك على الله يسير ثم قال عفا الله عنها أي عما كان منكم قبل ذلك والله غفور به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه وقوله تعالى وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم أي وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتكم عن السؤال عنها سليم الصدر الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل قال أبو داود عن الوليد وقال الترمذي عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا عنها وتركها وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا حجاج قال: سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى الهمداني عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم إلى آخر الآية في إسناده ضعف وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض أئمة الحرج والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه قال فأنزل الله عند ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا من السائل؟ فقال الأعرابي أنا ذا فقال ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا إنه إنما هلك الذين من قبلكم الحج فقام رجل من الأعراب فقال: أفي كل عام؟ قال فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب ومكث طويلا ثم تكلم فقال بن يحيى عن صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال كتب عليكم وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف. وقال ابن جرير أيضا: حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري حدثنا أبو زيد عبدالعزيز أبي الغمر حدثنا ابن مطيع معاوية ابن جرير من طريق الحسين بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وقال فقام محسن الأسدي وفي رواية من هذه الطريق عكاشة بن محسن وهو أشبه ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حتى ختم الآية. ثم رواه فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال من السائل؟ فقال فلان فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت عبدالرحيم بن سليمان عن إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب عليكم الحج من طريق منصور بن وردان به وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه وسمعت البخاري يقول أبو البخري لم يدرك عليا وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية وكذا رواه الترمذي وابن ماجه ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي كل عام؟ فسكت قال: ثم قالوا أفي كل عام؟ فقال لا

تفسير ابن كثير

وقال الإمام أحمد: حدثنا منصور بن وردان الأسدي حدثنا علي بن عبد الأعلى عن أبيه عن أبي البخري وهو سعيد بن فيروز عن علي قال: لما نزلت هذه الآية الرجل تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري. خيثمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي؟ ويقول فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال الولد للفراس وللعاشر الحجر ثم قال البخاري حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو الله من أبي؟ فقال أبوك فلان فدعاه لأبيه. فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله وقال: يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما فقال سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبدالله بن حذافة وكان يطعن فيه فقال يا رسول الله قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فقام خطيبا الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم الآية إسناده جيد وقد ذكر هذه القصة مرسله غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدي وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من أبائنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين أنا قال في النار فقام آخر فقال من أبي؟ فقال أبوك حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربا حدثنا الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه قط أكنت تأمن أن تكون أملك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رءوس الناس فقال والله لو ألحقني بعد أسود للحقته. وقال ابن جرير أيضا: الحائط أخرجاه من طريق سعيد ورواه معمر عن الزهري عن أنس بنحو ذلك أو قريبا منه. قال الزهري: فقالت أم عبدالله بن حذافة ما رأيت ولدا أعق منك بالله أو قال أعوذ بالله من شر الفتنة قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر في الخير والشر كاليوم قط صورت الجنة والنار حتى رأيتهما دون فيدعي إلى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي؟ قال أبوك حذافة قال ثم قام عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا عائذا بالله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر فجعلت لا ألتفت يميني ولا شمالا إلا وجدت كلا لافا رأسه في ثوبه يبيكي فأنشأ رجل كان يلاحى صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فأشفق أصحاب رسول يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم الآية قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله عن شعبة وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج به. وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من أبي؟ قال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء رواه النضر وروح بن عباد قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط وقال فيها لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى أصحاب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر وقال البخاري: حدثنا منذر بن الوليد بن 0 عبدالرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءت لهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد عن أحد شيئا إني أحب عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها لأنها إن ثم قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا

في طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله لكن أكثرهم يجهلون. 99 إيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وقال تعالى وأقسموا بالله جهد سؤال وقوع الآيات كما سألت قريش أن يجري لهم أنهارا وأن يجعل لهم الصفا ذهابا وغير ذلك وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء وقد قال الله يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين رواه ابن جرير يعني عكرمة رحمه الله أن المراد بهذا النهي عن عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسانية والحام ألا ترى أنه قال بعدها ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا قال وأما عكرمة فقال: إنهم كانوا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إلى قوله ثم أصبحوا بها كافرين رواه ابن جرير وقال خطيف عن مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله أعاما واحدا أم كل عام؟ فقال لا بل أعاما واحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم ثم أشياء إن تبد لكم تسؤمكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم قال: لما نزلت آية الحج نادى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس انتظروا فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم بيبانه رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن عن مثل الذي سألت عنه النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك وقال لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن ولو وجبت ما استطعتم وإذا لكفرتم فأتروني ما تركتكم وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا وإذا نهيتكم عن شيء فانتهاوا عنه فأنزل الله هذه الآية نهاهم أن يسألوا فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله أفي كل عام فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت بل علي وجه الاستهزاء والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين أي بسببها أن بينت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد قال تعالى قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين أي قد سألتهم هذه المسائل

سورة 6

كفروا بربهم يعدلون أي ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا. 1
عن اليمين والشمائل وكما قال في آخر هذه السورة وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ثم قال تعالى ثم الذين خلقه السموات والأرض قرارا لعباده. وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووجد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى
نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد. يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على
عن الطبراني عن إبراهيم بن نائلة عن إسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج ورسول الله يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم ثم روى ابن مردويه
حدثني عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة الأنعام معها موكب
شرط مسلم. وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن عمر حدثنا إبراهيم بن دستوريه الفارسي حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك
عن جابر قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق ثم قال صحيح على
الفضل الحسن بن يعقوب العدل قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى أخبرنا جعفر بن عون حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي حدثنا محمد بن المنكدر
الأنعام يشيعها سبعون ألفا من الملائكة وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود. وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض. وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال: نزلت سورة
وأنا أخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة. وقال شريك عن ليث عن شهر عن أسماء قالت: نزلت سورة الأنعام على
يجأرون حولها بالتسبيح وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملة
حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: نزلت الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك
اسورة الأنعام قال العوفي وعكرمة وعطاء عن ابن عباس أنزلت سورة الأنعام بمكة. وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا

هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له المؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة. 10

شريك ولهذا قال سبحانه وتعالى عما يصفون أي تقدس وتنزه وتعاضم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد والنظرء والشركاء. 100
له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته فإنه لا ينبغي لمن كان إلها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه
وضعوا وقال السدي قطعوا قال ابن جرير وتأويله إذا وجعلوا لله الجن شركاء في عبادته إياهم وهو المتفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير وخرقوا
العوفي عنه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال جعلوا له بنين وبنات وقال مجاهد وخرقوا له بنين وبنات قال كذبوا. وكذا قال الحسن وقال الضحاك
علوا كبيرا ومعنى خرقوا أي اختلقوا واثفكوا وتخرصوا وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طلحة وابن عباس وخرقوا يعني تخرصوا وقال
كما زعم من قاله من اليهود في عزيز ومن قال من النصارى في عيسى ومن قال من مشركي العرب في الملائكة أنها بنات الله. تعالى الله عما يقول الظالمون
فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له وقوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ينهيه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدا
لا شريك له فكيف يعبد معه غيره كقول إبراهيم أتعبدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون ومعنى الآية. أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده
أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ولهذا قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده
وكقوله ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم وتقول الملائكة يوم القيامة سبحانه
الشيطان إلا غرورا وكقوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني الآية. وقال إبراهيم لأبيه يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا
ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمينهم وما يعدهم
طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك كقوله إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم
فجعلوهم شركاء له في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم فإن قيل فكيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب أنهم ما عبدوها إلا عن
هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به في عبادته أن عبدوا الجن

خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. 101
تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا إلى قوله ولكلهم آتية يوم القيامة فردا وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم فبين تعالى أنه الذي
صاحبة أي والولد إنما يكون متولدا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لأنه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد كما قال
على غير مثال سبق كما قال مجاهد والسدي ومنه سميت البدعة بدعة لأنه لا نظير لها فيما سلف أنى يكون له ولد أي كيف يكون له ولد ولم تكن له
بديع السموات والأرض أي مبدعها وخالقها ومنشئها ومحدثها

لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عدل وهو على كل شيء وكيل أي حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار. 102

تفسير ابن كثير

الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه أي فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه يقول تعالى ذلكم الله ربكم أي

لقمان فيما وعظ به ابنه يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. 103 وهو يرى الخلائق وقال أبو العالية في قوله تعالى وهو اللطيف الخبير قال اللطيف لاستخراجها الخبير بمكانها والله أعلم وهذا كما قال تعالى إخبارا عن ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقد يكون عبر بالأبصار عن المبصرين كما قال السدي في قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار لا يراه شيء على ما هو عليه فإن ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء وقوله وهو يدرك الأبصار أي يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لأنه خلقها كما قال تعالى الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فالذي نفتته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال لعباده المؤمنين كما يشاء فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الأبصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ونفي هذا الأثر الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة يتجلى خلقه وفي الكتب المتقدمة إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده. أي تدعثر وقال تعالى فلما تجلى يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من الشيخين ولم يخرجاه وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعا إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام وهو يدرك الأبصار الآية فقال لي لا أم لك ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي رواية لا يقوم له شيء قال الحاكم صحيح على شرط مستدركه من حديث الحكم بن أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت أليس الله يقول لا تدركه الأبصار والله أعلم. وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في كتاب السنة له وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم في والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار قال لو أن الجن والإنس الأبصار وورد في تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا مناجب بن الحارث السهمي حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم فذلك قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك من أن تدركه الأبصار. وقال ابن جرير حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عرفة عن عطية العوفي في قوله تعالى الأبصار قال ألسنت ترى السماء؟ قال بلى قال فكلمها ترى؟ وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في الآية لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو أعظم قال لا يحيط بصر أحد بالملك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط عن سماك عن عكرمة أنه قيل له لا تدركه ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار الإحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى ولا يحيطون به علما وفي صحيح مسلم لا أحصي وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى. قال ابن عليه في الآية. هذا في الدنيا رواه ابن أبي حاتم. وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الأعم. ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ما هو فقل معرفة الحقيقة فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية والله أعلم. وقال آخرون لا منافاة إثبات الرؤية ونفي الإدراك فإن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء عن علي بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدي عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قارئ أهل مكة أنه قال ذلك وهذا غريب جدا وخلاف ظاهر الآية وكأنه الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين. وقيل المراد بقوله لا تدركه الأبصار أي العقول رواه ابن أبي حاتم تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن جريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن المؤمنين يرون الله في وقال تعالى عن الكافرين كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الإمام الشافعي فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى. وأما السنة فقد أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. أما الكتاب فقول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا عليه يقول في قول الله لا تدركه الأبصار قال هذا في الدنيا وذكر أبي عن هشام بن عبد الله أنه قال نحو ذلك. وقال آخرون لا تدركه الأبصار أي جميعها في أول سورة النجم إن شاء الله وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال: سمعت إسماعيل بن ورواه غير واحد عن مسروق وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة غير وجه وخالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والمسألة تذكر الله تعالى قال لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الضحى عن مسروق غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن. كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمدا أبصر ربه فقد كذب وفي رواية على الله فإن الأبصار فيه أقوال للأئمة من السلف. أحدها لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقوله لا تدركه

الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وما أنا عليكم بحفيظ أي بحافظ ولا رقيب بل إنما أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء. 104

تفسير ابن كثير

لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولهذا قال ومن عمي فعليها لما ذكر البصائر قال ومن عمي فعليها أي إنما يعود وباله عليه كقوله فإنها لا تعمى
البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن أبصر فلنفسه كقوله فمن اهتدى فإنما يهتدي
وليقلوا درست. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث وهب بن زعبة وقال يعني بجزم السين ونصب التاء ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. 105
بن أبي بزة المكي حدثنا وهب بن زعبة عن أبيه عن حميد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا غريب فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة حدثنا أحمد
أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا حجاج عن هارون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقلوا درس قال يعنون النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ
وتطاولت مدته وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قرأها درست أي قرئت وتعلمت وقال معمر عن قتادة درست قرئت وفي حرف ابن مسعود درس وقال
في قراءة ابن مسعود درست يعني بغير ألف بنصب السين ووقف على التاء قال ابن جرير ومعناه انمحت وتقادمت أي أن هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديما
أيضا أنبأنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت ابن الزبير يقول إن صبيانا يقرءون ههنا دارست وإنما درست وقال شعبة حدثنا أبو إسحاق الهمداني قال هي
والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن وليقلوا درست وتقادمت وانمحت وقال عبد الرزاق
الآيات وليقلوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وقرأ بعضهم وليقلوا درست قال التميمي عن ابن عباس درست أي قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدي
مكان بعيد إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء ولهذا قال ههنا وكذلك نصرف
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من
مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
وما جعلنا عدتهن إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم وقال تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة
والباطل فيجتنبونه فله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الآية وكقوله ليجعل ما
ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر وقوله ولنبينه لقوم يعلمون أي ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه
فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها الآية وقال تعالى إخبارا عن زعيمهم وكاذبهم إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر
عباس يقول دارست تلوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى إخبارا عن كذبهم وعنادهم وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون
بن جببر والضحاك وغيرهم. وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عيسى بن كيسان قال سمعت ابن
الجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذوبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقاراتهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد
وكذلك نصرف الآيات أي وكما فصلنا الآيات في هذه السورة من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبيها في كل موطن لجهالة
وقوله

الحق الذي لا مرية فيه لأنه لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين أي اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم. 106
تعالى أمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن اتبع طريقته اتبع ما أوحى إليك من ربك أي اقتد به واقتف أثره واعمل به فإن ما أوحى إليك من ربك هو
يقول

على أرزاقهم وأمورهم إن عليك إلا البلاغ كما قال تعالى فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وقال إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب. 107
ويختاره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا أي حافظا تحفظ أقوالهم وأعمالهم وما أنت عليهم بوكيل أي موكل
واعلم أن لله حكمة في إضلالهم فإنه لو شاء لهدى الناس جميعا ولو شاء لجمعهم على الهدى ولو شاء الله ما أشركوا أي بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه
فيما يشاؤه ويختاره ثم إلى ربهم مرجعهم أي معادهم ومصيرهم فينبههم بما كانوا يعملون أي يجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 108
القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زينا لكل أمة أي من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه ولله الحجة البالغة والحكمة التامة
الرجل والديه؟ قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقوله كذلك زينا لكل أمة عملهم أي وكما زينا لهؤلاء
وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ملعون من سب والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب
ما قلت غيرها إرادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فذلك قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم ومن هذا القبيل
ابن أخي قل غيرها. فإن قومك قد فزعوا منها قال يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي
ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج قال أبو جهل وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا فما هي؟ قال: قولوا لا إله إلا الله فأتوا واشمأزوا قال أبو طالب يا
قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا ولنضعك وإلهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيتم أن أعطيكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم بها العرب
ذكر آلهتنا ولنضعه وإلهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تريدون؟
قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن
بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البختري وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن لنا على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة

تفسير ابن كثير

أخيه فإننا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنهم فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمّية وأبي ابن خلف وعقبة جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية: لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن الرزاق عن معمر عن قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وروى ابن عن ابن عباس في هذه الآية قالوا يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أو ثأنهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عبد وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسبب إله المؤمنين وهو الله لا إله إلا هو كما قال علي بن أبي طلحة يقول الله تعالى ناهيا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين

هذا: أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله أعلم. 109 قراءة أبي بن كعب. قال وقد ذكر عن العرب سماعا اذهب إلى السوق أنك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك تشتري. قال وقد قيل إن قول عدي بن زيد العبادي من أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصا على إيمانهم أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون قال بعضهم أنها بمعنى لعلها قال ابن جرير وذكرنا أن ذلك كذلك في إذ أمرتك وقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أي ما منعك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم يرجعون وتقديره في هذه الآية وما يدريك في قوله أنها الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى هذا فتكون لا في قوله أنها إذا جاءت لا يؤمنون صلة كقوله ما منعك ألا تسجد بعضهم أنها إذا جاءت لا تؤمنون بالتاء المثناة من فوق وقيل المخاطب بقوله وما يشعركم المؤمنون يقول وما يدريك أيها المؤمنون وعلى هذا فيجوز التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة إنها إذا جاءت لا يؤمنون بكسر أنها على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها وقرأ تعالى وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون قيل المخاطب بما يشعركم المشركون وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم وما يدريك بصدقهم في هذه الأيمان تعالى ولكن أكثرهم يجهلون وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر. وقال الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية وقوله وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم إلى قوله الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما شئت إن شئت أصبح من الصفا ذهابا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبهم الله عليه وسلم أي شيء تحبون أن أتاكم به؟ قالوا تجعل لنا الصفا ذهابا فقال لهم فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا نعم والله لئن فعلت لتنبعك أجمعون فقام رسول فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبّرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبّرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر وكفرا وعنادا لا على سبيل الهدى والاسترشاد إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير أيمانا مؤكدة لئن جاءتهم آية أي معجزة وخارق ليؤمنن بها أي ليصدقن قل إنما الآيات عند الله أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم أي حلفوا

الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين. 11 أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية

بن أنس وقتادة في ضلالهم يعمهون قال الأعمش يلعبون وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والربيع وأبو مالك وغيره في كفرهم يترددون. 110 الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا وقوله ونذرهم أي نتركهم في طغيانهم قال ابن عباس والسدي في كفرهم وقال أبو العالية والربيع ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقال ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله إلى قوله لو أن لي كرة فأكون من المحسنين فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى وقال: عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال ولا ينبئكم مثل خبير جل وعلا وقال أن تقول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة. وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال ابن أبي طلحة في هذه الآية لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ونحول وقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال العوفي عن ابن عباس

وحكمته وسلطانه وقهره وغللبته وهذه الآية كقوله تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 111 كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله أي إن الهداية إليه لا إليهم بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقال مجاهد قبلا أي أفواجا قبلا قبلا أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاءهم وهم به ما القاف وفتح الباء من المقابلة والمعينة وقرأ آخرون بضمهما قيل معناه من المقابلة والمعينة أيضا كما رواه علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وبه قال استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وكلمهم الموتى أي فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قرأ بعضهم قبلا بكسر أو تأتي بالله والملائكة قبلا وقالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا نزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد أجبننا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل كما سألو فقالوا يقول تعالى ولو أننا

تفسير ابن كثير

لكل نبي عدو من هؤلاء فذرهم أي فدعهم وما يفترون أي يكذبون أي دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم فإن الله كافيك وناصرك عليهم. 112 القول المزين المزخرف وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره ولو شاء ربك ما فعلوه أي وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيتته أن يكون فقال صدق قال الله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم وقوله تعالى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا أي يلقي بعضهم إلى بعض الله وكان يزعم أنه يأتيه الوحي وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه زخرف القول غرورا قال فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم: ما لكم ذلك إني مفتيكم وضيحكم فتركوني وإنما عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد قبحه فقال: ما تقول في الوحي فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى بما أوحينا إليك هذا القرآن وقال تعالى شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني حتى كاد يتعاهد مبיתי بالليل قال: فقال لي اخرج إلى الناس فحدثهم قال: فخرجت فجاء رجل في الكلاب وقال ابن جريج قال مجاهد في تفسير هذه الآية: كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غرورا وروى ابن أبي وشيطان كل شيء ما رده ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلب الأسود شيطان ومعناه والله أعلم شيطان هذا لهذا أضله بكذا فهو قوله يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر إن للإنس شياطين منهم هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال إن للجن شياطين مثل شياطين الإنس يضلونهم قال فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن فيقول المراد منه شياطين الإنس منهم ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى وهو محتمل. وقد روى ابن أبي حاتم نحو صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا فهم ابن جرير من هذا أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة والسدي الشياطين من الجن الذين يضلون الناس لا أن الإنس فالشياطين التي تضل الإنس وشياطين الجن التي تضل الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما لصاحبه إني أضلت صاحبك بكذا وكذا فأضل أنت الإنس شيطان الجن فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وقال أسباط عن السدي عن عكرمة في قوله يوحى بعضهم إلى بعض أما شياطين عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن السدي عن عكرمة في قوله يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا قال للإنس شياطين وللجن شياطين فيلقى شيطان والجن قال ليس من الإنس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن قال وحدثنا الحارث حدثنا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة شياطين الإنس قال نعم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وقوله يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فهذه طرق لهذا يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر تعوذت من شياطين الجن والإنس؟ قال يا رسول الله وهل للإنس شياطين؟ للإنس من شياطين؟ قال: نعم. طريق أخرى للحديث قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة عن علي بن عن عوف بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟ قال: قلت يا رسول الله هل ثلاثتهم عن المسعودي به. طريق أخرى عن أبي ذر قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق قال نعم وذكر تمام الحديث بطوله. وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث جعفر بن عون ويعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى قلت لا قال قم فصل قال فقلت فصليت ثم جلست فقال يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن. قال: قلت يا رسول الله وللإنس شياطين؟ أنبأنا أبو عمر الدمشقي عن عبيد بن الحسيحاس عن أبي ذر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست فقال: يا أبا ذر هل صليت؟. الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم هم شر من شياطين الجن. وهذا أيضا فيه انقطاع وروي متصلا كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي قلت لا يا رسول الله قال قم فاركع ركعتين قال ثم جئت فجلست إليه فقال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس قال: قلت لا يا رسول وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطل فيه الجلوس قال: فقال يا أبا ذر هل صليت وأبي ذر. وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر رضي الله عنه قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح أبي عبد الله محمد بن أيوب عليه وسلم تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن فقال أو إن من الإنس شياطين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وهذا منقطع بين قتادة الإنس والجن قال من الجن شياطين ومن الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض قال قتادة وبلغني أن أبا ذر كان يوما يصلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ربك لذنو مغفرة وذو عقاب أليم وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية. وقال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربك لذنو مغفرة وذو عقاب أليم وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية. وقال تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل يقول تعالى وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعانونك جعلنا لكل نبي من قبلك

وليقتروا ما هم مقترفون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليكتسبوا ما هم مكتسبون وقال السدي وابن زيد وليعملوا ما هم عاملون. 113 بالآخرة كما قال تعالى فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالح الجحيم وقال تعالى إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله الذين لا يؤمنون بالآخرة أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم وقال السدي: قلوب الكافرين وليرضوه أي يحبوه ويريدوه وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن وقوله تعالى ولتصغى إليه ولتميل إليه قاله ابن عباس أفئدة

تفسير ابن كثير

- من ربك فلا تكونن من الممترين وهذا شرط والشرط لا يقتضي وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أشك ولا أسأل. 114
- بك من الأنبياء المتقدمين فلا تكونن من الممترين كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً أي مبيناً والذين آتيناهم الكتاب أي من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق أي بما عندهم من البشارات يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره أغير الله أبتغي حكماً أي بيني وبينكم وهو
- أي ليس أحد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله. 115
- لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر إلى آخر الآية لا مبدل لكلماته قال قتادة: صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم يقول صدقاً في الأخبار وعدلاً في الطلب فكل ما أخبر به فحق لا مريبة فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي وقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً
- إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون فإن الخرص هو الحزر ومنه خرص النخل وهو حزر ما عليها من التمر وذلك كله عن قدر الله ومشينته. 116
- أكثر الأولين وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال كما قال تعالى ولقد ضل قبلهم
- هو أعلم من يضل عن سبيله فييسره لذلك هو أعلم بالمهتدين فييسرهم لذلك وكل ميسر لما خلق له. 117
- ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ما ذبح على النصب وغيرها ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه. 118
- هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ومفهومه أنه لا يباح
- وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال وإن كثيراً ليضلوا بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين أي هو أعلم باعتدائهم وكذبهم واقترائهم. 119
- والوضوح إلا ما اضطررتم إليه أي إلا في حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم أي قد بين لكم ما حرم عليكم ووضحه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون بالتخفيف والكل بمعنى البيان فقال وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر
- وأرجو أن أكون أكثرهم وارداً وقوله الذين خسروا أنفسهم أي يوم القيامة فهم لا يؤمنون أي لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم. 120
- الأنبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء هذا حديث غريب. وفي الترمذي إن لكل نبي حوضاً قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال والذي نفسي بيده إن فيه لماء إن أولياء الله ليردون حياض الله بن أحمد بن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محسن بن عتبة اليماني عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاصر عن ابن عباس عند عباده المؤمنين فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عن تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد لا ريب فيه هذه اللام هي الموطئة للقسم فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه أي لا شك فيه الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي وقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة مالك السموات والأرض ومن فيهما وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي
- يخبر تعالى أنه
- عن أبيه عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإثم فقال الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه. 120
- أو خفياً فإن الله سيجزيهم عليه قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الآية ولهذا قال تعالى إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقتطفون أي سواء كان ظاهراً مع البغايا ذوات الرايات وباطنه الزنا مع الخلية والصدائق والأخدان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله وهي كقوله السر والعلانية وفي رواية عنه هو ما ينوي مما هو عامل وقال قتادة وذروا ظاهر الإثم وباطنه أي سره وعلانيته قليلاً وكثيره وقال السدي: ظاهره الزنا قال مجاهد وذروا ظاهر الإثم وباطنه معصيته في
- تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله ما عبدوهم فقال بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم. 121
- الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله الآية. وقد روى الترمذي في الميتة إنكم لمشركون وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف. وقوله تعالى وإن أطمعتموهم إنكم لمشركون أي حيث عدلتم عن أمر المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضات الله فما قتل الله فلا تأكلونه وما ذبحت أنتم تأكلونه؟ فقال الله تعالى وإن أطمعتموهم في أكل ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطمعتموهم إنكم لمشركون ونزلت يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وقال السدي في تفسير هذه الآية إن فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع في أنفس ناس من المسلمون من ذلك شيء فأنزل الله وإنه لفسق وإن الشياطين الروم وكتبتهن فارس فكتب فارس إليهم إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وما ذبحوه هم يأكلونه

تفسير ابن كثير

أن الذي قتلتم ذكر اسم الله عليه وأن الذي قد مات لم يذكر اسم الله عليه وقال ابن جريج: قال عمرو بن دينار عن عكرمة إن مشركي قريش كاتبوا فارس على يذكر اسم الله عليه إلى قوله ليجادلوكم قال: يوحى الشياطين إلى أوليائهم تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟ وفي بعض ألفاظه عن ابن عباس المحفوظ لأن الآية مكية واليهود لا يحبون الميتة. وقال ابن جريج: حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم أبي حاتم عن عمرو بن عبد الله عن وكيع عن إسرائيل به وهذا إسناد صحيح. ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود فهذا هو ليوحون إلى أوليائهم يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ورواه ابن ماجه وابن فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش وقال أبو داود: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وإن الشياطين من ذهب يعني الميتة فهو حرام فنزلت هذه الآية وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون أي وإن الشياطين من تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا له فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله عز وجل بشمشير وقال الطبراني: حدثنا علي بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت ولا عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ورواه الترمذي بلفظ: أتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال حسن غريب. وروي عن سعيد بن جبيرة مراسلاً أن الآية من الأنعام وهي مكية. الثالث أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الجرسى عن زياد بن عبد الله البكائي عن عطاء بن السائب البزار عن محمد بن موسى الجرسى عن عمران بن عيينة به وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة أحدها أن اليهود لا يرون إبادة الميتة حتى يجادلوا الثاني فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والآية وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة به. ورواه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق هكذا رواه مراسلاً ورواه أبو داود متصلاً فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عيينة حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة قال: خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ وقد تقدم عن عكرمة في قوله يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا نحو هذا وقوله ليجادلوكم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج هما وحيان وحي الله ووحى الشيطان فوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ووحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ابن أبي عبيد فجاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة فقال ابن عباس صدق فنفرت وقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس الآية وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم وحدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل قال: كنت قاعداً عند ابن عباس وحج المختار قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: قال رجل لابن عمر إن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال صدق وتلاه هذه قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ ههنا فإنما أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب ثم قال ابن جرير: والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه وهذا الذي الله في القرآن ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم لكم وطعامكم حل لهم وقال ابن أبي حاتم: قرأ علي العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن سعيد أخبرني النعمان يعني ابن المنذر عن مكحول قال: أنزل الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين وقال ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق فنسخ واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد: حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصري قالوا: قال الله فكلوا مما ذكر اسم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنت به وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم وروى عن هذه المسألة على حدة وذكرت مذهب الأئمة ومأخذهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات والله أعلم. قال ابن جرير: وقد اختلف أهل العلم الله على كل مسلم ولكن هذا إسناد ضعيف فإن مروان بن سالم القرقيساني أبا عبد الله الشامي ضعيف تكلم فيه غير واحد من الأئمة والله أعلم وقد أفردت أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسم عليه وفيه نظر والله أعلم وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم القرقيساني عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال: قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه بن يزيد قال: سئل الحسن سأل رجل أنيت بطير كذا فمناه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفاً لقول الجمهور فيعده إجماعاً فليعلم هذا والله الموفق قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن جبيرة وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين أنهما كرها متروك التسمية نسيانا والسلف يطلقون الكراهية على التحريم كثيراً والله أعلم إلا أن من قاعدة ابن جرير عمرو عن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزاد في إسناده أبا الشعثاء ووثقه وهذا أصح نص عليه البيهقي وغيره من الحفاظ ثم نقل ابن جرير خطأ أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزري فإنه وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي رواياه عن سفيان بن عيينة عن عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله وهذا الحديث رفعه بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار

تفسير ابن كثير

رحمه الله من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك يعني ما رواه الحافظ أبو حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الإجماع وهذا الذي قاله غريب جدا وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعي والله أعلم. وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الرحمن ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني في كتابه الهداية الإجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمدا فلماذا قال أبو يوسف والمشايخ لو حكم محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعه بن أبي عبد الذبيحة نسيانا لم يضر وإن تركها عمدا لم تحل هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحق بن راهويه وهو عليه أم لا؟ فقال سموا أنتم وكلوا قالوا فلو كان وجود التسمية شرطا لم يرخص لهم إلا مع تحققها والله أعلم. المذهب الثالث في المسألة إن ترك التسمية على الله واحتج البيهقي أيضا بحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم أن ناسا قالوا يا رسول الله إن قوما حديثي عهد بجاهلية يأتوننا بلحم لا ندري أذكروا اسم الله لم يذكر إلا اسم الله وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه قال إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل فإن المسلم فيه اسم من أسماء التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر إنه إن ذكر عطاء وهو ابن السائب به وقد استدلل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل من حديث ثور بن يزيد عن الصلت السدوسي مولى سويد بن ميمون أحد سعيد بن جببر عن ابن عباس في الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال هي الميتة. ثم رواه عن أبي زرعة عن يحيى بن أبي كثير عن ابن لهيعة عن ما أورد على غيره وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله والله أعلم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن عطاء عن إلى أوليائهم فإنها عاطفة لا محاولة فإن كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها فإن عطفت على الطلبية ورد عليه هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لأنه يلزم منه عطف جملة إسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله وإن الشياطين ليوحون الواو في قوله إنه لفسق حالية أي: لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقا ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهل به لغير الله. ثم ادعى أن عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان وينهى عن ذبائح المجوس وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوي وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل عليه وإنه لفسق على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى أو فسقا أهل لغير الله به وقال ابن جرير عن عطاء ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال: ينهى بن عبد العزيز من أصحابه وحكي عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله أعلم. وحمل الشافعي الآية الكريمة ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله نسيانا لا يضر وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الإمام مالك ونص على ذلك أشهب لم تكن وجدت وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم. والمذهب الثاني في المسألة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فإن تركت عمدا أو أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحدائهم إسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ قال سموا عليه أنتم وكلوا قال: وكانوا حديثي عهد بالكفر رواه البخاري. ووجه الدلالة أنهم فهموا وسلم من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله أخرجاه. وعن عائشة رضي الله عنها أن ناسا قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للجن لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه رواه مسلم وحديث جندب بن سفيان البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه أمسك عليك وهما في الصحيحين وحديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه وهو في الصحيحين أيضا وحديث ابن مسعود أن رسول الله وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قد أكد في هذه الآية قوله وإنه لفسق والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية وبقوله في آية الصيد ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري على ثلاثة أقوال فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمدا أو سهوا وهو مروي عن ابن عمر ونافع مولاة وعامر الشعبي استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان الذابح مسلما وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون أي حسنا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدرا من الله وحكمة بالغة لا إله إلا هو وحده لا شريك له. 122 عمار بن ياسر وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله. والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر. وقوله تعالى والنور وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معيان فقيل عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس وقيل من في القبور إن أنت إلا نذير والآيات في هذا كثيرة ووجه المناسبة في ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم في أول السورة وجعل الظلمات وقال تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى أفمن يمشي مكبا قال إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل كما قال تعالى ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات والضلالت المتفرقة ليس بخارج منها أي لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه به والنور هو القرآن كما رواه العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس وقال السدي: الإسلام والكل صحيح كمن مثله في الظلمات أي الجهالات والأهواء

تفسير ابن كثير

الضلالة هالكا حائرا فأحياه الله أي أحيأ قلبه بالإيمان وهداة له ووفقه لاتباع رسله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس أي يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا أي في

من أضلوه إلا على أنفسهم كما قال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقال ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون. 123
ابن أبي عمر حدثنا سفيان قال: كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله تعالى وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون أي وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا الآية وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم من المقال والفعال كقوله تعالى إخبارا عن قوم نوح ومكروا مكرا كبيرا وكقوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف قوله تعالى وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين وقال تعالى وكذلك مجرميها ليمكروا فيها قال سلطان شرارهم فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب. وقال مجاهد وقتادة أكابر مجرميها عظماءها قلت: وهكذا فدمرناهم وقيل أمرناهم أمرا قديرا كما قال ههنا ليمكروا فيها وقوله تعالى أكابر مجرميها ليمكروا فيها قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس أكابر جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية وقال تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية قيل معناه أمرناهم بالطاعة فخالفوا ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى وكذلك يقول تعالى: وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين

فيقال هذه غدة فلان بن فلان والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل. 124
أي تظهر المستترات والمكتونات والضمائر وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة خفيا وهو التلطف في التحيل والخديعة قبولوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا كما قال تعالى يوم تبلى السرائر يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين ذليلين حقيرين وقوله تعالى وعذاب شديد بما كانوا يمكرون لما كان المكر غالبا إنما يكون فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الذلة الدائمة كما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذلا يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى إن الذين تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد الآية هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والانتقاد لهم فيما جاءوا به من باب المسجد فلما نظر إليه راعه فقال من هذا قالوا ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله العرب فتبغضني وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية ذكر عن محمد بن منصور الجواز حدثنا سفيان عن أبي حسين قال: أبصر رجل ابن عباس وهو داخل عن أبيه عن سلمان قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هانا الله؟ قال تبغض دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء. وقال أحمد: حدثنا شجاع بن الوليد قال: ذكر قابوس بن أبي ظبيان لنفسه فيبعثه برسائله ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه فلم أجد رجلا أفضل من محمد وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم رواه الحاكم والبيهقي. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو وسلامه عليه وفي الحديث أيضا المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فريقيق فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيوتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا صدق صلوات الله ما يقول الناس فصعد المنبر فقال من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس بلغه صلى الله عليه وسلم بعض هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه وقال الإمام أحمد: هاشم واصطفاني من بني هاشم انفرد بإخراجه مسلم من حديث الأوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام به نحوه وفي صحيح البخاري عن أبي عليه وآله وسلم قال إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني وصحة ما جاء به وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه فينا ذو نسب قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال لا الحديث بطوله الذي استدل ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدق نبوته حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه الأمين وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم؟ قال هو فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون هذا وهم معترفون بفضلهم وشرفه ونسبه وطهارة بيته ومرباه ومنشئه صلى الله عليه وملائكته والمؤمنون عليه الله رسولا وقال تعالى وإذا رآوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون وقال تعالى ولقد استهزئ برسلك من قبلك يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغيا وحسدا وعنادا واستكبارا كقوله تعالى مخبرا عنه وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث رحمة ربك الآية يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم من القريتين أي من مكة والطائف وذلك أنهم قبحهم الله كانوا

تفسير ابن كثير

يجعل رسالته أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا الآية وقوله الله أعلم حيث قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله أي إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله أي حتى تأتيهم وقوله تعالى وإذا جاءتهم آية

الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: الرجس الشيطان وقال مجاهد: الرجس كل ما لا خير فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرجس العذاب. 125 يقول كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله فيغويه ويصد عنه سبيل وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه وطاقته وقال في قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون الإمام أبو جعفر بن جرير: وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه يقول فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه وقال الأوزاعي كأنما يصعد في السماء كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما. وقال السماء. وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس كأنما يصعد في السماء يقول فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل وقال السدي كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره. وقال عطاء الخراساني كأنما يصعد في السماء يقول مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد إلى إلا الله حتى يستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه. وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال: لا يجد فيه مسلكا إلا صعدا ضيق وقال مجاهد والسدي: ضيقا حرجا شاكا. وقال عطاء الخراساني ضيقا حرجا أي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا إله عن ابن عباس يجعل الله عليه الإسلام ضيقا والإسلام واسع وذلك حين يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج يقول ما جعل عليكم في الإسلام من الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير. وقال العوفي يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الأعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة فقال هي بعضهم حرجا بفتح الحاء وكسر الراء قيل بمعنى أثم قاله السدي. وقيل بمعنى القراءة الأخرى حرجا بفتح الحاء والراء وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ولا تعالى ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قرئ: بفتح الضاد وتسكين الياء والأكثرون ضيقا بتشديد الياء وكسرها وهما لغتان كهين وهين وقرأ عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم. وقوله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قالوا: يا رسول الله وكيف يشرح صدره؟ قال يدخل فيه النور فينفسح قالوا: وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال التجافي محبوب بن الحسن الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبيد بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن يرد الله الخلود والتنجي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال: حدثني ابن سنان القزاز حدثنا بن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا: فهل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال الإنابة إلى دار حدثني هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن وافد حدثنا محمد بن مسلم عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة فهل لذلك من أمانة تعرف؟ قال نعم قالوا: وما هي؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت. وقال ابن جرير أيضا: الله عليه وسلم هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال نور يقذف في القلب قالوا: يا رسول الله فذكره. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: تلا رسول الله صلى والاستعداد للموت قبل الموت وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر الله عليه وسلم إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح قالوا: يا رسول الله هل لذلك من أمانة؟ قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قال رسول الله صلى الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فذكر نحو ما تقدم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن الحسن بن حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعني الثوري عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول له وينفسح قالوا: فهل لذلك من أمانة يعرف بها؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقال ابن جرير: النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال نور يقذف فيه فينشرح بن مرة عن أبي جعفر قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أكيس؟ قال أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم لما بعده استعدادا قال: وسئل للإسلام يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر. وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون وقال ابن عباس في قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه الآية وقال تعالى ولكن الله حبيب يقول تعالى: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام أي ييسره

رواه أحمد والترمذي بطوله قد فصلنا الآيات أي وضحناها وبينناها وفسرناها لقوم يذكرون أي لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله. 126 إليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن: هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذكر الحكيم

تفسیر ابن کثیر

ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى وهذا صراط ربك مستقيما منصوب على الحال أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف

إلى دار السلام وهو وليهم أي حافظهم وناصرهم ومؤيدهم بما كانوا يعملون أي جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأنابهم الجنة بمنه وكرمه. 127
وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتضي أثر الأنبياء وطرائقهم فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا
لهم دار السلام وهي الجنة عند ربهم أي يوم القيامة

مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم قال إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً. 128

أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي حاتم بن أبي طلحة عن ابن عباس قال النار التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وقد روى ابن جرير وابن أبي مآكثين فيها مكتناً مخلداً إلا ما شاء الله قال بعضهم يرجع معنى الاستثناء إلى البرزخ وقال بعضهم: هذا رد إلى حدة الدنيا وقيل غير ذلك من الأقوال قد سدا الإنسان والجن وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال السدي يعني الموت قال النار مثواكم أي مأواكم ومنزلكم أنتم وإياهم وأولياؤكم خالدين استمتعاهما فاعتذروا به يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم فيقولون في قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض قال الصحابة في الدنيا. وقال ابن جريج: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادي فلذلك القيامة فقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض قال الحسن: وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس. وقال محمد بن كعب مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الأشهب هوزة بن خليفة حدثنا عوف عن الحسن في هذه الآية قال: استكثرتم من أهل النار يوم يعني أضللتهم منهم كثيراً وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني أن أولياء الجن من الإنس قالوا هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس قوله قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم كقوله تعالى ألم عهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس أي يقول يا معشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف ومعنى يا محمد فيما تقصه عليهم وتنذرهم به ويوم يحشرهم جميعاً يعني الجن وأولياءهم من الإنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم يقول تعالى: واذكر

التي أعتوتهم من الجن كذلك تفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض ونتنقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم. 129

حديث غريب وقال بعض الشعراء: وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيلى بظالم ومعنى الآية الكريمة كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعا من أعان ظالما سلطه الله عليه وهذا

وقرأ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس. وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد

تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا قال ظالمي الجن وظالمي الإنس

في النار يتبع بعضهم بعضا وقال: مالك بن دينار قرأت في الزبور إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ثم أنتقم من المنافقين جميعا وذلك في كتاب الله قول الله

ولي الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي واختاره ابن جرير وقال معمر عن قتادة في تفسير الآية يولي الله بعض الظالمين بعضا

قال سعيد عن قتادة في تفسيرها إنما يولي الله الناس أفعالهم فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان والكافر

ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم. 13 والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتديره لا إله إلا هو وهو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وضمايرهم وسرائرهم ثم قال تعالى وله ما سكن في الليل والنهار أي كل دابة في السموات

الدنيا وزينتها وشهواتها وشهدوا على أنفسهم أي يوم القيامة أنهم كانوا كافرين أي في الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. 130 لا محالة وقال تعالى وغرثهم الحياة الدنيا أي وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم للمعجزات لما اغتروا به من زخرف الحياة منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا أي أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن سورة الرحمن وفيها قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان وقال تعالى في هذه الآية الكريمة يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجبوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ولهذا قال تعالى إخبارا عنهم وإذ صرفنا إليك نفرا في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بعبثته وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال

تفسير ابن كثير

الرسول وقوله تعالى عن إبراهيم وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت هم من الإنس قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده إلى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا من الحلو وهذا واضح ولله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير والدليل على أن الرسول إنما وليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان إلى أن قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عباس الرسول من بني آدم ومن الجن نذر. وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لأنها محتملة أي من جملتكم والرسول من الإنس فقط وليس من الجن رسل كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جرير وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف وقال ابن الله به كافري الجن والإنس يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتكم الرسول رسالاته وهذا استفهام تقرير يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وهذا أيضا مما يقرع

ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده ثم شرع يرجح الوجه الأول ولا شك أنه أقوى والله أعلم. 131 يوم معادهم ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير والوجه الثاني ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يقول لم يكن ربك بظلم أهلها بالشرك ونحوه وهم غافلون يقول إن لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولا ينبههم على حجج الله وينذرهم عذاب الله والآيات في هذا كثيرة قال الإمام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى بظلم وجهين: أحدهما ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى الطاغوت كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وما عذبنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم كما قال تعالى وإن من قرية إلا خلا فيها نذير وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون أي إنما أعذرنا إلى التقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يؤاخذ أحدا بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ولكن أعذرنا إلى الأمم يقول تعالى ذلك أن لم يكن

عما يعملون قال ابن جرير: أي وكل ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه. 132 درجة في النار بحسبه كقوله قال لكل ضعف وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وما ربك بغافل من عمله يبلغه الله إياها ويثيبه بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر قلت: ويحتمل أن يعود قوله ولكل درجات مما عملوا أي من كافري الجن والإنس أي ولكل قال: وقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل

بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال: سمعت أبا بن عثمان يقول في هذه الآية كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين الذرية الأصل والذرية النسل. 133 وبأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. وقال تعالى والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وقال محمد إن يشأ يذهبكم أيها الناس وبأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم أي هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين كما قال تعالى رحيم إن يشأ يذهبكم أي إذا خالفتم أمره ويستخلف من بعدهم ما يشاء أي قوم آخرين أي يعملون بطاعته كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ذو الرحمة أي وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى إن الله بالناس لرءوف يقول تعالى وربك يا محمد الغني

صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إن ما توعدن لآت وما أنتم بمعجزين. 134 حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن حسين عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي وما أنتم بمعجزين أي ولا تعجزون الله بل هو قادر على إعادتكم وإن صرتم ترابا رفاتا وعظاما هو قادر لا يعجزه شيء وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها: وقوله تعالى إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين أي أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة

من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا الآية وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة المحمدية وله الحمد والمنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا. 135 تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم عبادي الصالحين وقال تعالى إخبارا عن رسله فأوحى إليهم ربه لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقال الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها وفاته في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز وقال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في من كذب من قومه وعاداه وناوأه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك في حياته ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد لي أو لكم وقد أنجز الله مواعده لرسوله صلوات الله عليه أي فإنه تعالى مكنته في البلاد وحكمه في نواصي مخالفه من العباد وفتح له مكة وأظهره على إنا منتظرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على مكانتكم ناحيتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون أي تكون طريقكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي كقوله وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا

تفسير ابن كثير

وقوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون هذا تهديد شديد ووعيد أكيد أي استمروا على

ما يشتهون وقال تعالى وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين وقال تعالى ألكم الذكر و له الأئى وقوله تلك إذا قسمة ضيزى. 136
ومشيئته لا إله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا فيما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقوله جل وعلا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يحكمون أي ساء ما يقسمون فإنهم أخطأوا أولا القسم لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته الآية: كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ ساء فقال الله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا الآية وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في جعلوه لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلوه للأوثان ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله ذلك للوثن وإن سقط شيء من الحرث والثمر الذي جعلوه لله فاختلف بالذي جعلوه للوثن قالوا: هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه لله وإن سبقتهم الماء الذي الأوثان حفظوه وأحصوه وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد رده إلى ما جعلوه للوثن وإن سبقتهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا قال في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم قال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس أنه وتعالى ولهذا قال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ أي مما خلق وبرأ من الحرث أي من الزرع والثمار والأنعام نصيبا أي جزءا وقسما فقالوا هذا لله هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا وجعلوا لله شركاء وجزءا من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه

وله الحكمة التامة في ذلك فلا يسأل عما يفعل وهم يسئلون فذرهم وما يفترون أي فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسبحكم الله بينك وبينهم. 137
لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما فعلوه أي كان هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونا سئلت بأي ذنب قتلت وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الإملاق وهو الفقر أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم أسلم وقتادة وهذا كقوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به الآية وكقوله وإذا الموءودة السدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وأما ليردوهم فيهلكوهم وأما ليلبسوا عليهم دينهم أي فيخلطون عليهم دينهم ونحو ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم. وقال مجاهد: شركاؤهم شياطينهم يأمرؤنهم أن يندوا أولادهم خشية العيلة. وقال لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ووآد البنات خشية العار قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: وكذلك يقول تعالى: وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا

وكذبا منهم في إسنادهم ذلك إلي دين الله وشرعه فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم سيجزيهم بما كانوا يفترون أي عليه ويسندون إليه. 138
إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوها ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن نتجوا ولا إن عملوا شيئا افتراء عليه أي على الله أبو وائل: أتدري ما في قوله وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قلت لا قال: هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها. وقال مجاهد: كان من والسائبة والوصيلة والحام وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا ولدوها ولا إن نحروها. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال لي ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وقال السدي: أما الأنعام التي حرمت ظهورها فهي البحيرة كقوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وكقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ابن زيد بن أسلم حجر إنما احتجروها لآلهتهم وقال السدي لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم يقولون حرام أن يطعم إلا من شئنا وهذه الآية الكريمة زيد بن أسلم وغيرهما وقال قتادة وقالوا هذه أنعام وحرث حجر تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الحجر الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا. وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن قال

الكذب لا يفلحون متاع الآية إنه حكيم أي في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره عليم بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء. 139
أي قولهم الكذب في ذلك يعني كقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب. هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال هي السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة في قول الله سيجزئهم وصفهم لا يأكل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء. وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد في قوله وقالوا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء فهي الله عن ذلك. وكذا قال السدي وقال الشعبي: البحيرة العوفي عن ابن عباس وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكراهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا قال أبو إسحاق السبيعي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية قال اللبن وقال

من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم أي من هذه الأمة. 14
بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العري وهدانا

تفسير ابن كثير

فلما طعم النبي صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العري وكل حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم على طعام فانطلقا معه الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم كما قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون الآية وأقر بعضهم ههنا وهو يطعم ولا يطعم أي لا يأكل وفي والمعنى: لا أتخذ وليا إلا الله وحده لا شريك له فإنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وهو يطعم ولا يطعم أي وهو قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض كقوله قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون

عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبي عوانة واسمه الواضح بن عبد الله البشكري عن أبي بشر واسمه جعفر بن أبي وحشية عن إياس به. 140 أولادهم سفها بغير علم وحرمو ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهكذا رواه البخاري منفردا في كتاب مناقب قريش من صحيحه بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي على الله وافترائهم كقوله إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقال في الدنيا ففسدوا أولادهم بقتلهم وضيقتهم عليهم في أموالهم فحرمو أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة أما

تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا الآية وفي صحيح البخاري تعليقا كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة وهذا من هذا والله أعلم. 141 قال تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا أن يكون عاندا على الأكل أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم ثم اختار ابن جرير قول عطاء أنه نهى عن الإسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث فهو سرف وقال السدي في قوله ولا تسرفوا قال لا تعطوا أموالكم فتقعدها فقراء. وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب في قوله ولا تسرفوا قال لا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين رواه ابن جرير عنه وقال ابن جرير عن عطاء نهوا عن السرف في كل شيء وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله وقال ابن جرير نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلا له فقال لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى قيل معناه لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف وقال أبو العالية: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم تباروا فيه وأسرفوا فأنزل الله ولا تسرفوا عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. وقوله تعالى ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلأمون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد أي قوة وجلد وهمة قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون ولا يستننن فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم أي كالليل المدلهم سوداء محترقة فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم الثانية من الهجرة فآله أعلم وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة ن إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين جرير رحمه الله قلت: وفي تسمية هذا نسخا نظر لأنه قد كان شيئا واجبا في الأصل ثم إن فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته قالوا وكان هذا في السنة نسخه الله بالعشر أو نصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا وآتوا حقه يوم حصاده قال: ما سقط من السنبل رواه ابن مردويه وقال آخرون: هذا شيء كان واجبا ثم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال: كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته وفي حديث ابن لهيعة يعطي القبضة وعند الصرام يعطي القبضة ويتركهم فيتبعون آثار الصرام وقال الثوري عن حماد عن إبراهيم النخعي قال: يعطي مثل الضغث وقال ابن المبارك وقال مجاهد: إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال: يعطي من حضره يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة. أشعث عن محمد بن سيرين ونافع عن ابن عمر في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال: كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة رواه ابن مردويه. وروى عبد الله بن والضحاك وابن جريج هي الزكاة وقال الحسن البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسلم وقال آخرون هو حق آخر سوى الزكاة وقال الله عليه وسلم أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوي وقال طاوس وأبو الشعثاء وقتادة والحسن الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى لم يخرج مما حصد شيئا فقال الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله وقد روى يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب وقال العوفي عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده أنس بن مالك يقول وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة المفروضة. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده يعني الزكاة المفروضة وقوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال ابن جرير: قال بعضهم هي الزكاة المفروضة. حدثنا عمرو حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال: سمعت وقال ابن جريج: متشابهها وغير متشابه قال متشابه في المنظر وغير متشابه في المطعم وقال محمد بن كعب كلوا من ثمره إذا أثمر قال من رطبه وعنبه خرج في البر والجبال من الثمرات وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات ما لم يعرش من الكرم وكذا قال السدي

تفسير ابن كثير

جنات معروشات وغير معروشات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: معروشات مسموكات وفي رواية فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها هؤلاء المشركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزءوها فجعلوها منها حراما وحلالا فقال وهو الذي أنشأ يقول تعالى مبينا أنه الخالق

ليريهما سواتهما الآية وقال تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا والآيات في هذا كثيرة في القرآن. 142
عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ما رزقهم الله أي من الثمار والزروع افتراء على الله إنه لكم أي إن الشيطان أيها الناس لكم عدو مبين أي مبين ظاهر العداوة كما قال إن الشيطان لكم الله أي من الثمار والزروع والأنعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا تأكلون ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويربيكم آياته فأي آيات الله تنكرون وقوله تعالى كلوا مما رزقكم لبنا خالصا سائغا للشاربين إلى أن قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين وقال تعالى الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ولذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وقال تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لحمها وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا. وهذا الذي قال عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى أو لم يروا أننا خلقنا لهم مما فالصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه حمولة. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الحمولة ما تركبون والفرش ما تأكلون وتحلبون: شاة لا تحمل تأكلون فرشا لدنوه من الأرض وقال الربيع بن أنس والحسن والضاحك وقتادة وغيره: الحمولة الإبل والبقر والفرش الغنم. وقال السدي: أما الحمولة فالإبل وأما الفرش الأنعام حمولة وفرشا أما الحمولة فالإبل والخيول والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير قال: وأحسبه إنما سمي صحيح الإنسان ولم يخرجاه. وقال ابن عباس: الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الإبل وكذا قال مجاهد. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن الصغار منها كما قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله حمولة ما حمل عليه من الإبل وفرشا الصغار من الإبل رواه الحاكم وقال وقوله عز وجل ومن الأنعام حمولة وفرشا أي وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة وما هو فرش قيل المراد بالحمولة ما يحمل عليه من الإبل والفرش الأنثيين يعني هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعض وتحلون بعضا؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين يقول تعالى: كله حلال. 143
ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج قل الذكركين حرم أم الأنثيين يقول لم أحرم شيئا من ذلك أما اشتملت عليه أرحام صادقين أي أخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريره من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك وقال العوفي عن ابن عباس قوله اشتملت عليه أرحام الأنثيين رد عليهم في قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا الآية وقوله تعالى نبئوني بعلم إن كنتم أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلوا وركبوا وحمولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج الآية وقوله تعالى أما الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعز ذكره وأثناه وإلى إبل ذكورها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا. ثم بين أصناف هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك
هذه الآية عمرو بن لحي بن قمعة لأنه أول من غير دين الأنبياء وأول من سيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي كما ثبت ذلك في الصحيح. 144
ما حرموه من ذلك فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم أي لا أجد أظلم منه إن الله لا يهدي القوم الظالمين وأول من دخل في وقوله تعالى أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم

تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا كما جاء النهي عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء. 145
وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه فكيف تزعمون أتمم أنه حرام ومن أين حرمتوه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان فإن ربك غفور رحيم أي غفور له رحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به. وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد أي فمن اضطر إلى أكل شيء مما حرم الله في هذه الآية الكريمة سمعت أبا هريرة يقول: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال خبيث من الخبائث فقال ابن عمر: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كما قال ورواه الفزاري عن أبيه قال: كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقرأ عليه قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه الآية فقال شيخ عنده: من حديث الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه وقال سعيد بن منصور: حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عيسى بن نميلة أو لحم خنزير وإنكم لا تطعمونه إن تدبغوه فتنفثوه به فأرسلت فسلخت مسكها فاتخذت منه قرية حتى تخرقت عندها رواه أحمد ورواه البخاري والنسائي شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال الله قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة قال فلم لا أخذتم مسكها قالت نأخذ مسك محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك بن

تفسير ابن كثير

حرام وما سكت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه الآية وهذا لفظ ابن مردويه ورواه أبو داود منفرداً به عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقدراً فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو مستدركه: حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء عن أبو داود من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم في مستدركه مع أنه في صحيح البخاري كما رأيت وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في ذلك الخبر يعني ابن عباس وقرأ قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه الآية وكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان به وأخرجه الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر فقال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبي يكونان على القدر وقرأت هذه الآية صحيح غريب. وقال الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال: قلت لجابر بن عبد الله إنهم يزعمون أن رسول حدثنا المثني حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً والحمر والدم القدر يرى فيها الحمرة فقال إنما نهى الله عن الدم المسفوح وقال قتادة: حرم من الدماء ما كان مسفوحاً فأما اللحم خالطه الدم فلا بأس به وقال ابن جرير: لولا هذه الآية لتتبع الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود وقال حماد عن عمران بن جرير قال: سألت أبا مجلز عن الدم وما يتلطح من الذبيح من الرأس وعن نسخاً لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس أو دماً مسفوحاً يعني المهراق وقال عكرمة في قوله أو دماً مسفوحاً من التحريمات بعد هذا في سورة المائدة وفي الأحاديث الواردة رافعا لمفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمي هذا نسخاً والأكثر من المتأخرين لا يسمونه يطعمه أي أكل يأكله قيل معناه لا أجد شيئاً مما حرمت حراماً سوى هذه وقيل معناه لا أجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه فعلى هذا يكون ما ورد أمراً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يقول تعالى

وفي رواية حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وفي لفظ لأبي داود عن ابن عباس مرفوعاً إن الله إذا حرم أكل شيء حرم عليهم ثمنه. 146 عليه وعلى آله وسلم وهو مريض نعوذ فوجدناه نائماً قد غطى وجهه ببرد عدني فكشف عن وجهه وقال لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها حرم عليهم ثمنه ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء وقال الأعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم عن أسامة بن زيد قال: دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد مستقبلاً الحجر فنظر إلى السماء فضحك فقال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء ثمنه وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم أنبأنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد أنبأنا ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً فرفع بصره إلى السماء فقال لعن الله اليهود ثلاثاً إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهب حدثنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعداً خلف المقام البخاري ومسلم جميعاً عن عبدان عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري به. وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن إسحاق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها ورواه وعلى آله وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه ورواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حميد به وقال فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طائوس عن ابن عباس عن عمر به. وقال الليث: حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: قال عطاء بن أبي رباح باع خمرًا فقال: قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها أخرجاه من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرّمه على نفسه والله أعلم. وقال عبد الله بن عباس: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سمرة أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وقوله إنا لصادقون أي وإنا لعادلون فيما جزيئناهم به وقال ابن جرير: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد بغيهم أي هذا التضيق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أو أمرنا كما قال تعالى فيبظلم من الذي هادوا حرّمنا عليهم طبيبات ما اختلط بالعصعص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال ونحوه قاله السدي وقوله تعالى ذلك جزيئناهم وهي في كلام العرب تدعى المراضى وقوله تعالى أو ما اختلط بعظم يعني إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحلناه لهم وقال ابن جريج: شحم الألية والضحاك وقتادة وأبو مالك والسدي. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد: الحوايا المراضى التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها وهي بنات اللبن ظهورهما وما حملت الحوايا. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أو الحوايا وهي المبرع. وقال مجاهد: الحوايا المبرع والمربض وكذا قال سعيد بن جبير البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المراضى وفيها الأمعاء. قال ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت صالح: الألية مما حملت ظهورهما. وقوله تعالى أو الحوايا قال الإمام أبو جعفر بن جرير: الحوايا جمع واحداً حواياً. وحواية وحوية وهو ما تحوي من وكل شحم كان كذلك ليس في عظم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا ما حملت ظهورهما يعني ما علق بالظهر من الشحوم وقال السدي وأبو حرّمنا عليهم شحومهما قال السدي: يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول إنه حرّمه إسرائيل فنحن نحرمه. وكذا قال ابن زيد وقال قتادة: الثرب ولا خف النعامة ولا قائمة الوز فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعامة ولا الوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش وقوله تعالى ومن البقر والغنم

تفسير ابن كثير

شقاشقا؟ قال: كل ما لا ينفرج من قوائم البهائم قال: وما انفرج أكلته. قال: انفرج قوائم البهائم والعصافير قال فيهود تأكله قال ولم تنفرج قائمة البعير خفه الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع وقال ابن جريج عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقاشقا قلت للقاسم بن أبي بزة وحديثه ما قتادة في قوله وعلى الذين هادوا حرما كل ذي ظفر وكان يقال للبعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان وفي رواية البعير والنعامة وحرمة عليهم من البعير والنعامة وكذا قال مجاهد والسدي في رواية وقال سعيد بن جببر: هو الذي ليس منفرج الأصابع. وفي رواية عنه كل متفرق الأصابع ومنه الديك وقال البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والأوز والبط قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وعلى الذين هادوا حرما كل ذي ظفر وهو قال ابن جرير: يقول تعالى وحرما على اليهود كل ذي ظفر وهو

تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقال إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود والآيات في هذا كثيرة جدا. 147 وقال وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب وقال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم وقال خاتم النبيين وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة وإن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ربكم ذو رحمة واسعة وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ترهيب لهم في مخالفتهم الرسول يقول تعالى: فإن كذبك يا محمد مخالفة من المشركين واليهود ومن شابههم فقل

عبادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى فأخبرهم الله أنها لا تقرهم فقلوه ولو شاء الله ما أشركوا يقول تعالى لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين. 148 ادعيتهموه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولو شاء الله ما أشركنا وقال كذلك كذب الذين من قبلهم ثم قال ولو شاء الله ما أشركوا فإنهم قالوا أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه إن تتبعون إلا الظن أي الوهم والخيال والمراد بالظن ههنا الاعتقاد الفاسد وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله فيما بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام قل هل عندكم من علم أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه فتخرجوه لنا سواء قال الله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله لو شاء الله ما أشركنا ولا أبأونا ولا حرما من شيء كما في قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الآية وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهما الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك ولهذا قالوا هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرما فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك

ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله ولكن الحجة البالغة على عباده. 149 الله لجمعهم على الهدى وقال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم وإضلال من ضل فلو شاء لهداكم أجمعين فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضي عن المؤمنين ويبغض الكافرين كما قال تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد فله الحجة البالغة أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى وقوله تعالى قل فله الحجة البالغة فلو شاء

يعني يوم القيامة. 15

والحالة هذه كذبا وزورا ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي يشركون به ويجعلون له عديلا. 150 شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا أي هذا الذي حرمتهموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه فإن شهدوا فلا تشهد معهم أي لأنهم إنما يشهدون وقوله تعالى قل هلم شهداءكم أي أحضروا

خريفا رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وقوله ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون أي هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهي. 151 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما وعن أبي هريرة والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد جاء النهي والجزر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب فروى البخاري قتل نفسا بغير نفس فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام ولا تمنيت أن لي بديني بدلا منه بعد إذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلونني؟. رواه الإمام أحمد عفان أنه قال وهو محصور: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه أو زنى بعد إحصانه أو ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفي من الأرض وهذا لفظ النسائي. وعن أمير المؤمنين عثمان بن وروي أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال زان محصن يرجم لدينه المفارق للجماعة وفي لفظ لمسلم والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم وذكره قال الأعمش فحدث به إبراهيم فحدثني عن الأسود عن عائشة بمثله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك تبارك وتعالى عن النهي عنه تأكيدا وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ومر على شرط الترمذي فقد روي بهذا السند أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وهذا مما نص

تفسیر ابن کثیر

قال: قيل يا رسول الله إنا نغار قال والله إني لأغار والله أغير مني ومن غيرته نهى عن الفواحش رواه ابن مردويه ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة سعد؛ فوالله لأنأ أغير من سعد والله أغير مني من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن أخرجاه وقال كامل أبو العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة مولاة المغيرة قال: قال سعد بن عباد لو رأيت مع امرأتي رجلا لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرته عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال عبد الملك بن عمير عن وراد عن ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالى وذروا ظاهر الإثم وباطنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كقوله تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال نحن نرزقكم وإياهم لأنه الأهم وهنا والله أعلم وقوله تعالى في سورة الإسراء ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي لا تقتلوهم خوفا من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك نحن نرزقهم وإياكم فبدأ برزقهم للاهتمام التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون الآية وقوله تعالى من إملاق قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره: هو الفقر أي ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل. وقال خشية أن يطعم معك قلت ثم أي؟ قال أن تزاني حليلة جارك ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا ينددون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبد لما أوصى تعالى بالوالدين والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد فقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم من إملاق وذلك أنهم كانوا يقتلون أطع والدك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل ولكن في إسناديهما ضعف والله أعلم. وقوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم لزادني وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أو صاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم على وقتها قلت ثم أي؟ قل بر الوالدين قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله قال ابن مسعود: حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته الآية والآيات في هذا كثيرة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال الصلاة فأنبئكم بما كنتم تعملون فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم إحسانا وقرأ بعضهم ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا أي أحسنوا إليهم والله تعالى كثيرا ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال أن اشكر حاتم وقوله تعالى وبالوالدين إحسانا أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا أي أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين بن شريح عن عبادة بن الصامت قال: أو صانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال ألا تشركوا بالله شيئا وإن حرقتهم وقطعتهم وصلبتهم رواه ابن أبي حرقتهم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثني سيار بن عبد الرحمن عن يزيد بن قوذر عن سلمة بالله شيئا دخل الجنة والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو صلبتهم أو لك ولهذا شاهد في القرآن قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود من مات لا يشرك كان منك ولا أبالي ولو آتيتني بقراب الأرض خطيئة آتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئا وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك على ما در لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه عليه الصلاة والسلام قال في الثالثة وإن رغم أنف أبي ذر فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث وإن رغم أنف أبي ذر وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق وإن سرق وإن سرق الخمر وفي بعض الروايات أن قائل ذلك إنا هو أبو الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئا من أمتك دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق قلت الأعبدا أن لا ترى ولا تكلم أحدا ولا يزل شرابها مبردا وتقول العرب أمرتك أن لا تقوم وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول دل عليه السياق وتقديره وأوصاكم ألا تشركوا شيئا ولهذا قال في آخر الآية ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وكما قال الشاعر: حج وأوصى بسليمي عليكم أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا ولا ظنا بل وحيا منه وأمرنا من عنده ألا تشركوا به شيئا وكان في الكلام محذوفا عبدا غير الله وحرمو ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بأرائهم وتسويل الشياطين لهم قل لهم تعالوا أي هلموا واقبلوا أتَل ما حرم ربكم الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما والله أعلم. وأما تفسيرها فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين حديث الزهري عن أبي إدريس عن أبي عبادة بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا الحديث وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين فلا ينبغي أن ينسب إلى فأدرکه الله به في الدنيا كانت عقوبته ومن أخر إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وإنما اتفقا على على ثلاث ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتَل ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من الآيات فمن وفى فأجره على الله ومن انتقض منهمن شيئا من حديث يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يبأييني ولم يخرجاه قلت ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس به والله أعلم. وروى الحاكم أيضا في مسنده قال: سمعت ابن عباس يقول فى الأنعام آیات محکمات هن أم الكتاب ثم قرأ قل تعالوا أتَل ما حرم ربكم عليكم الآيات ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد

تفسير ابن كثير

حدثنا بكر بن محمد الصيرفي عن عروة حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك بن إسماعيل المهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً إلى قوله لعلكم تتقون وقال الحاكم في مستدركه: قال داود الأودي عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه لعلكم تذكرون أي تتعظون وتنتهون مما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذال وآخرون بتخفيفها. 152 بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله بكم وصاكم به لعلكم تذكرون يقول تعالى: هذا على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال وقوله وبعد الله أوفوا قال ابن جرير: يقول وبوصية الله التي أوصاكم ولو كان ذا قربى كقوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية وكذا التي تشبهها في سورة النساء يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال فقال من أوفي على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ بذلك وتأويل وسعها هذا مرسل غريب وقوله وإذا قلتم فاعدلوا ميمون بن مهران عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها اجتهد في أداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه. وقد روى ابن مردويه من حديث بقية عن ميسرة بن عبيد عن عمرو بن عليه وسلم إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة المكيال والميزان وقوله تبارك وتعالى لا تكلف نفساً إلا وسعها أي من ابن عباس موقوفاً قلت وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم والميزان إنكم وليتم أمراً هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم ثم قال لا نعرفه مرفوع إلا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث. وقد روي بإسناد صحيح عن الترمذي من حديث الحسين بن قيس أبي علي الرحبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان وفي كتاب الجامع لأبي عيسى العدل في الأخذ والإعطاء كما توعده على تركه في قوله تعالى ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن بيلغ ثلاثين سنة وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بعيد ههنا والله أعلم. وقوله تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط يأمر تعالى بإقامة بطعامهم وشرابهم بشرابهم رواه أبو داود وقوله تعالى حتى يبلغ أشده قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف يعني حتى يحتلم. وقال السدي: حتى ويفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم قال: فخلطوا طعامهم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وإن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فادركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه. 153 الله صلى الله عليه وسلم أيكم بيباعني على هؤلاء الآيات الثلاث ثم تلا قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال ومن وفي بهن حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عباد بن الصامت قال: قال رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال ابن أبي حاتم حسن غريب وقوله تعالى فاتبعوه ولا تتبعوا السبل إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى ولي الذين آمنوا حجر زاد النسائي وعمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به وقال الترمذي المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا وداع يدعو الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبي الصراط أعلم. وقد روي من حديث النواس بن سمعان نحوه قال الإمام أحمد حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد أبي عمران عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود تركنا محمد في أدناه وطرفه في الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش عن مسلم بن بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا مسعود ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مر الاختلاف إن كان مؤثراً وقد روي موقوفاً عليه قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان بن عثمان أن رجلاً قال لابن وخط عن يساره خطأ ووضع يده على الخط الأوسط وتلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من من طريقين عن أبي سعيد الكندي حدثنا أبو خالد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط عن يمينه خطاً تتقون ورواه أحمد وابن ماجه في كتاب السنة من سننه والبخاري عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن أبي خالد الأحمر به قلت ورواه الحافظ ابن مردويه الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم

تفسير ابن كثير

عن جابر قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا هكذا أمامه فقال هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذه سبل الذي قال الإمام أحمد وعبد بن حميد جميعا واللفظ لأحمد حدثنا عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبه أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجاهد عن الشعبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم وقال الحاكم: وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من غير وجه معتمد. يشير إلى الحديث الحماني عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر به فقد صححه الحاكم كما رأيت في الطريقين ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبي النجود عن زر وعن أبي أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود به مرفوعا وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به كذلك وقال صحيح ولم يخرجاه وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم من حديث حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود به وكذا رواه ابن جرير عن المثنى عن الحماني عن حماد بن زيد به ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق سلمة عن ابن مسعود مرفوعا به نحوه وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدود والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي وابن حبان من حديث ابن وهب أربعتهم عن بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه وهكذا رواه أبو جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وكذا رواه الحاكم عن الأصم عن أحمد رضي الله عنه قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما وخط عن يمينه وشماله ثم قال هذه السبل ليس منها وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا الأسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وفي قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله قال علي بن

لسان عربيا وقوله أول هذه السورة قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الآية. 154 فقال ثم آتينا موسى الكتاب وكثيرا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه عطف بمدح التوراة ورسولها الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم قلت وفي هذا نظر و ثم ههنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب ههنا كما قال الشاعر: قل قال ابن جرير ثم آتينا موسى الكتاب تقديره ثم قل يا محمد مخبرا عنا أنا آتينا موسى

يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين. 155 ورحمة فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه لعلهم بقاء ربه يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون فيه الدعوة إلى اتباع القرآن على ما أحسن إليه حكاه ابن جرير والبغوي ولا منافاة بينه وبين القول الأول وبه جمع ابن جرير كما بيناه والله الحمد وقوله تعالى وتفصيلا لكل شيء وهدى رفعا بتأويل على الذي هو أحسن ثم قال وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح وقيل معناه تماما على إحسان الله زيادة عليه وسلم خاتم الأنبياء والخليل عليهما السلام لأدلة أخرى. قال ابن جرير: وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرؤها تماما على الذي أحسن يعني أظهرنا فضله عليهم قلت كقوله تعالى قال يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي ولا يلزم اصطفاؤه على محمد صلى الله أحسنوا وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد تماما على الذي أحسن قال على المؤمنين والمحسنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوي المحسنون الأنبياء والمؤمنون. آتاك من حسن في المرسلين ونصرا كالذي نصروا وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين قال ابن جرير وذكر عبد الله بن مسعود أنه كان يقرؤها تماما على الذين موسى الكتاب تماما على إحسانه فكانه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا أي كخوضهم وقال ابن رواحة. وثبت الله ما الكتاب تماما على الذي أحسن يقول أحسن فيما أعطاه الله وقال قتادة من أحسن في الدنيا تتم له ذلك في الآخرة واختار ابن جرير أن تقديره ثم آتينا جاعلك للناس إماما وكقوله وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ثم آتينا موسى أي جزاء على إحسانه في العمل وقيامه بأوامرنا وطاعتنا كقوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وكقوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تمام كاملا جامعا لما يحتاج إليه في شريعته كقوله وكتبنا له في الألواح من كل شيء الآية. وقوله تعالى على الذي أحسن الجن أنهم قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق الآية وقوله تعالى تماما على الذي أحسن وتفصيلا أي قالوا لولا أوتي موسى قال تعالى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون وقال تعالى مخبرا عن وبعدها وهذا كتاب أنزلناه مبارك الآية. وقال تعالى مخبرا عن المشركين فلما جاءهم الحق من عندنا

وغير واحد وقوله وإن كنا عن دراستهم لغافلين أي وما كنا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك عما هم فيه. 156 رسولا فنتبع آياتك الآية. وقوله تعالى على طائفتين من قبلنا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدي وقاتدة تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني لينقطع عذرهم كقوله تعالى ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا قال ابن جرير معناه وهذا كتاب أنزلناه لنا

قال فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون. 157

تفسير ابن كثير

ولكن كذب وتولى وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتغال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدي أقوى وأظهر والله أعلم لأن الله يكون المراد فيما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب وقال في هذه الأمة الكريمة سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون وقد أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها كما تقدم في أول السورة وهم يبهون عنه ويأثرون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وقال تعالى الذين كفروا آيات الله أي صرف الناس وصدفهم عن ذلك قاله السدي وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة وصدف عنها أعرض عنها وقول السدي ههنا فيه قوة لأنه قال فمن ما فيه وقوله تعالى فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي لم ينتفع بما جاء به الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقتفون جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم الآية. وهكذا قال ههنا فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة يقول فقد جاءكم من الله على تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم أي وقطعنا تعللكم أن تقولوا لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكننا أهدى منهم فيما أوتوه كقوله وأقسموا بالله وقوله أو

لهم إذا جاءتهم ذكراهم وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا الآية. 158 وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لا اقتراب الساعة وظهور أشراتها كما قال فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراتها فأنى إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك وقوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون تهديد شديد للكافرين ووعيد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة وعليه يحمل قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح آمنت من قبل أي إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فإن كان مصلحا في عمله فهو بخير عظيم وإن لم يكن مصلحا فأحدث قالت: إذا خرج أول الآيات طرحت وحسبت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى فقوله تعالى لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ادعي أنه مرفوع فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأشبه بغير مرفوع والله أعلم وقال سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة رضي الله عنها وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ من المغرب مقرونين وإذا انتصفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه. وهو حديث غريب جدا بل منكر بل موضوع إن أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعا فذكر حديثا طويلا غريبا منكرا رفعه الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول يوم يأتي بعض آيات ربك الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها. حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحافظ من الآيات فقد مضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وخروج يأجوج ومأجوج. قال وكان يقول الآية التي تختتم بها الأعمال طلوع الستة والله أعلم. حديث آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ما ذكر تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل. هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الهجرة خصلتان إحداها تهجر السيئات والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة عن ابن السعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنقطع الهجرة مادام العدو يقاتل فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين قال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك فأما رفعه فمكرر والله أعلم حديث آخر عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبي سفيان ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا قال: فأول خطوة تضعها بأطاكيا فتأتي إبليس فتطمعه هذا حديث غريب جدا وسنده ضعيف ولعله من الزامتين أن أسجد لمن شئت قال فيجتمع إليه زبانيته فيقولون كلهم ما هذا التضرع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدا ينادي ويجهر إلهي مرني خالد بن حيان الرقي حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زريق الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد من حديث أبي حيان التيمي واسمه يحيى بن سعيد بن حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به. حديث آخر عنه قال الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى بن الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه الآية لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما لم تدرك المشرق قالت رب ما أبعد المشرق من لي بالناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعي فطلعت على في الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فأيتيها كانت قبل صاحبته فالأخرى على أثرها ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروجاً طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت في الآيات فقال لم يقل مروان شيئا حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى إلى مروان بالمدينة فسمعه وهو يحدث عن الآيات يقول إن أولها خروج الدجال قال فانصرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذي سمعوه من مروان آخر عن عبد الله بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثه من المسلمين في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها قال حينئذ لا ينفع نفسا إيمانها. هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة. حديث

تفسير ابن كثير

ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم من بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت حتى إذا صارت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام مردوية حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضرار بن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن زيد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: سمعت عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه. رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه من حديث طويل حديث آخر عن عبد الله بن أبي أوفى قال ابن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله فتح باباً قبل المغرب عرضه سبعون بن عباد عن فضال بن جبير عن أبي امامة صدي بن عجلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها. وفي حديث لا ينفع نفساً إيمانها قال طلوع الشمس من مغربها. ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن أبيه به وقال غريب. ورواه بعضهم ولم يرفعه وفي حديث طلوت الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي ليلى عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يأتي بعض آيات ربك هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم. حديث آخر عن أبي سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان رضي الله عنه وأرضاه قال الناس ولا يصبحون فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم. رواه ابن مردويه وليس يعملون قبلها والنجوم لا ترى قد غابت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون تبطل عليهم جنوبهم حتى يتناول عليهم الليل فيفزع أية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينتبه الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا آخر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال الثوري عن منصور عن ربيعي عن حذيفة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد به. وقال الترمذي حسن صحيح. حديث بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا. وهكذا حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان وأجوج ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم وخروج الدجال وثلاثة خسوف: خسف حذيفة بن أسد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة من قبل. حديث آخر عن حذيفة بن أسيد بن أبي شريحة الغفاري رضي الله عنه قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتدري أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ قلت لا أدري إقال إنها تنتهي يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة حديث آخر عن أبي ذر الغفاري في الصحيحين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه عن الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه لم بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد فإذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية ورواه ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة به. ورواه وكيع عن فضيل بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروي والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر ورواه هو أيضاً والترمذي من غير وجه عن فضيل بن غزوان به. ورواه إسحاق بن عبد الله القروي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ولكن أحمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وعنده والدخان. ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع وآله وسلم ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ورواه الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله تعالى عليه كلاهما عن عبد الرزاق به. وقد ورد هذا الحديث من طرق آخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الثاني فرواه عن إسحاق غير منسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل إسحاق بن نصر والله أعلم وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجند يسابوري الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي من طرق عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به. وأما الطريق ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قرأ هذه الآية. هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا إسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا به والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادقين عن سبيله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وذلك كائن يوم القيامة أو يأتي بعض آيات يقول تعالى متوعدا للكافرين

والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة الآية. ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى. 159

تفسير ابن كثير

قال الله تعالى لست منهم في شيء وقوله تعالى إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون كقوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتسمك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل براء منها كما شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك الآية. وفي الحديث نحن معاصر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد فهذا هو الصراط المستقيم وهو فيه وكانوا شيئا أي فرقا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإن الله تعالى قد برأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف رضي الله عنها إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال: هم أصحاب البدع. وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه والظاهر أن الآية عامة هم الخوارج وروى عنه مرفوعا ولا يصح وقال شعبة عن مجالد عن الشعبي عن شريح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة في الآية أنه قال نزلت في هذه الأمة وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله وكانوا شيعة قال الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة. لكن هذا إسناد لا يصح فإن عباد بن كثير متروك الحديث ولم يختلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فإنه رواه سفيان الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع وأهل منهم في شيء الآية وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقية بن الوليد كتب إلى عباد بن كثير حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فافترقوا فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله عليه إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست بالمشركين والضحاك والسدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس قوله إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك أن اليهود والنصارى قال مجاهد وقتادة

فقد رحمه يعني فقد رحمه الله وذلك هو الفوز المبين كقوله فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والفوز حصول الربح ونفي الخسارة. 16 من يصرف عنه أي العذاب يومئذ ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته لكنني لم أروه من وجه يثبت والأحاديث والآثار في هذا كثير جدا وفيما ذكر كفاية إن شاء الله وبه الثقة. 160 من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها من جاء بلا إلا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك. وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم أجمعين وقد ما به والترمذي وزاد: فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اليوم بعشرة أيام. ثم قال هذا حديث حسن. وقال ابن مسعود نذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله. رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والنسائي وابن صلى الله عليه وسلم الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام. وذلك لأن الله تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وعن أبي الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله يؤذ أحدا فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك لأن الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقال الحافظ أبو القاسم حضرها بلغوه فهو حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يتخط رقبة مسلم ولم القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل من حديث الركين بن الربيع عن أبيه عن بشير بن عميلة عن خريم بن فاتك به ببعضه والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة في سبيل الله عز وجل كانت بسبعمائة ضعف. ورواه الترمذي والنسائي كافرا وجبت له النار ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ومن عملها كتبت الدنيا والآخرة والأعمال موجبتان ومثل بمثل وعشرة أضعاف وسبعمائة ضعف فالموجبتان من مات مسلما مؤمنا لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات أربعة والأعمال ستة فالتاس موسع له في الدنيا والآخرة وموسع له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة وشقي في حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه فلان بن عميلة عن خريم بن فاتك الأسدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الناس سيئة فإن تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى إنما تركها من مخافتني هذا لفظ حديث مجاهد يعني ابن موسى وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة كتب الله له حسنة فإن عملها كتبت له عشرةا ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإن عملها كتبت عليه وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة قالا حدثنا إسحاق بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس عن جده أنس. قال: قال النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه. وقال الإمام أبو يعلى الموصلي حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا علي بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في أي من أجلي وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيرا ولا فعل شرا وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فإنما تركها من جرائي كتبت له عشرةا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة شيبان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها معاوية وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن الأعمش به ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا

تفسير ابن كثير

مثلها مغفرة ومن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت له به. وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك. ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان وتعالى إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرة إلى سبعمئة إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه تبارك الأخرى وهي قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عفان حدثنا جعفر وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية

بحنيقة سمحة أصل الحديث مخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري ولله الحمد والمنة. 161 عنه. قال عبد الرحمن عن أبيه قال: قال لي عروة إن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لتعلم يهود أن في ديننا فسحة إني أرسلت عن عائشة رضي الله عنها قالت: وضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذقني على منكبه لأنظر إلى زفن الحبشة حتى كنت التي مللت فانصرفت أي الأديان أحب إلى الله تعالى؟ قال الحنيفة السمحة وقال أحمد أيضا حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقال الإمام أحمد بن عصام حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة أنبأنا سلمة بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله الهمداني يحدث عن ابن أبيه قال كان رسول الله ولد آدم على الإطلاق وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياما عظيما وأكملت له إكمالا تاما لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وليس يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفة وقوله إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم أنعم به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف دينا قيما أي قائما ثابتا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين كقوله يقول تعالى أمرا نبيه صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين أن يخبر بما

الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد النحر بكشين وقال حين ذبحهما وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. 162 حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال: ضحى رسول صلاتي ونسكي النسك الذبح في الحج والعمرة. وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبيرة ونسكي قال ذبحي. وكذا قال السدي والضحاك وقال ابن أبي الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله إن في ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى فصل لربك وانحر أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون تعالى قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم وقوله

سيئها إلا أنت. تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد وقد رواه مسلم في صحيحه. 163 نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين - إلى آخر الآية - اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ربي وأنا عبدك ظلمت عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الأعوج وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات كما أن إخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى والأخوة الأعيان الأشقاء من الساعة ولهذا قال عليه السلام نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد فإن أولاد العلات هم الأخوة من أب واحد وأمهات شتى فالدين واحد وهو عبادة الله التي ينسخ بعضها بعضا إلى أن نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي لا تتسخ أبد الأبدان ولا تزال قائمة منصورا وأعلامها منشورة إلى قيام إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون فأخبر تعالى أنه بعث رسلا بالإسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة الكافرين وقال تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار الآية. وقال تعالى وإذا أوحيت وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين

تفسير ابن كثير

إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وقال يوسف على الله وأمرت أن أكون من المسلمين وقال تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا المسلمين قال قتادة أي من هذه الأمة وهو كما قال فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال وما إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقوله عز وجل وأنا أول

وما كنا نختلف فيه الدار الدنيا كقوله قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم. 164 مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون أي اعملوا علي مكانتكم إنا عاملون علي ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم الذين هم أنقص منهم منزلة بل رفعهم تعالي إلي منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضلهم ومنته ثم قال كل امرئ بما كسبت رهين أي من شر وقوله ثم إلى ربكم في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال بل في أصل الإيمان وما ألتناهم أي أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء كما قال في سورة الطور والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء أي ألحقنا بهم ذريتهم في المنزلة الرفيعة نفس بما كسبت رهينهم إلا أصحاب اليمين معناه كل نفس مرتبهة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين فإنه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة علي ذرياتهم وقرباتهم وقوله تعالي فلا يخاف ظلما ولا هضما قال علماء التفسير: أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا تهضم بأن ينقص من حسناته وقال تعالي كل خير وإن شرا فشر وأنه لا يحمل من خطيئة أحد علي أحد وهذا من عدله تعالي كما قال وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا ولا تزر وازرة وزر أخرى إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالي وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازي بأعمالها إن خيرا وتوكل عليه وقوله قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا وقوله رب المشرق والمغرب لا إله هو فاتخذة وكيفا وأشبه ذلك من الآيات وقوله تعالي ولا العبادة لله وحده لا شريك له وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرا في القرآن كقوله تعالي مرشدا لعبادة أن يقولوا له إياك نعبد وإياك نستعين وقوله فاعبده ويدير أمري أي لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر ففي هذه الآية الأمر بإخلاص التوكيل تضمنت التي قبلها إخلاص يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه أغير الله أبغي ربا أي أطلب ربا سواه وهو رب كل شيء يربيني ويحفظني ويكلؤني يقول تعالي قل

فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية من أن تصيبه. رواه مسلم. آخر تفسير سورة الأنعام ولله الحمد والمنة. 165 وعنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا بن جعفر عن العلاء وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي ورواه الترمذي عن قتيبة عن عبد العزيز الدراوردي عن العلاء به. وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر ثلاثتهم عن إسماعيل بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قُتِلَ أحد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بحسبه جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر وترك ما عنه نهى وزجر وصدقه فيما أخبر إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب. وقد قال الإمام أحمد حدثنا يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوه إلى بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهما لينجع في كل ربك لشديد العقاب وقوله نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة ليرحم العباد على ما فيهم. رواه ابن أبي حاتم وكثيرا ما يقرن الله تعالي في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن وترغيب أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله وإنه لغفور رحيم لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب. وقال محمد بن إسحاق فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء وقوله تعالي إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ترهيب صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم ليبلوكم فيما آتاكم أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتنحكنم به ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره وفي ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقوله تعالي بينكم في الأرزاق والأخلاق والمحاسن والمساوي والمناظر والأشكال والألوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالي نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا في الأرض خليفة وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات أي فاوت بعد سلف. قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالي ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وقوله تعالي ويجعلكم خلفاء الأرض وقوله إني جاعل يقول تعالي وهو الذي جعلكم خلائف الأرض أي جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وخلفا

له من بعده وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. 17 الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير كقوله تعالي ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل يقول تعالي مخبرا أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وإن يمسسك

تفسير ابن كثير

يديه وتحت قهره وحكمه وهو الحكيم أي في جميع أفعاله الخبير بمواضع الأشياء ومحالها فلا يعطي إلا من يستحق ولا يمنع إلا من يستحق. 18 له الجابرة وعنت له الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمته جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء واستكانت وتضاءلت بين ولهذا قال تعالى وهو القاهر فوق عباده أي هو الذي خضعت له الرقاب وذلت

أيها المشركون أي أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد كقوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون. 19 بن أنس حق على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو كالذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ينذر بالذي أنذر وقوله أنكم لتشهدون في قوله تعالى لأنذرکم به ومن بلغ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله وقال الربيع وكلمه. ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال: من بلغه القرآن فقد بلغه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله ومن بلغ من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم زاد أبو خالد القرآن لأنذرکم به ومن بلغ أي هو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا قال قل أي شيء أكبر شهادة أي من أعظم الأشياء شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم أي هو العالم بما جئتمكم به وما أنتم قائلون لي وأوحى إلي هذا

ثم

عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها وقوله تعالى ثم أنتم تمترون قال السدي وغيره: يعني تشكون في أمر الساعة. 2 يعني أجل موت الإنسان وهذا قول غريب ومعني قوله عنده أي لا يعلمه إلا هو كقوله إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو وكقوله يسألونك ما جرحتم بالنهار الآية وقال عطية عن ابن عباس ثم قضى أجلا يعني النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند البيقظة وأجل مسمى عنده قضى أجلا يعني مدة الدنيا وأجل مسمى عنده يعني عمر الإنسان إلى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد ثم قضى أجلا وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت وأجل مسمى عنده وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث هو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه ثم وقوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ثم قضى أجلا يعني الموت وأجل مسمى عنده يعني الآخرة وهكذا روي وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب

خسروا أنفسهم أي خسروا كل الخسارة فهم لا يؤمنون بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشرت به الأنبياء ونوهت به في قديم الزمان وحديثه. 20 عن المرسلين المتقدمين والأنبياء فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده الذين ثم قال تعالى مخبرا عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذي جنتهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنباء

ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته إنه لا يفلح الظالمون أي لا يفلح هذا ولا هذا لا المفتري ولا المكذب. 21 ثم قال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أي لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله يعبدونها قائلا لم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون كقوله تعالى في سورة القصص ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون. 22 يقول تعالى مخبرا عن المشركين يوم نحشرهم جميعا يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنناد التي كانوا

وفيه نظر فإن هذه الآية مكية والمنافقون إنما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة يوم بيعتهم الله جميعا فيحلفون له الآية. 23 الله حديثا فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه. وقال الضحاك عن ابن عباس: هذه في المنافقين ما كنا مشركين فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا تعالوا فلنجحد فيجحدون فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتُمون مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال يا ابن عباس سمعت الله يقول والله ربنا ما كنا مشركين قال: أما قوله والله ربنا سلف منهم الشرك بالله إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن ثم لم تكن فتنتهم بليتهم حين ابتلوا إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ابن جرير: والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذارا عما أي حجتهم. وقال عطاء الخراساني عنه أي معذرتهم. وكذا قال قتادة وقال ابن جريج عن ابن عباس أي قيلهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراساني وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم أي حجتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال الضحاك عن ابن عباس ثم لم تكن فتنتهم

حق هؤلاء انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون كقوله ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا الآية. 24 وكذا قال في

ويناظرونك في الحق بالباطل يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين أي ما هذا الذي جنت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم. 25 لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا إنصاف كقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم الآية وقوله تعالى حتى إذا جاءوك يجادلونك أي يحاجونك كفروا كمثل الذي ينعم بما لا يسمع إلا دعاء ونداء الآية. وقوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين

تفسير ابن كثير

تجزي عنهم شيئا لأن الله جعل على قلوبهم أكنة أي أغطية لئلا يفقهوا القرآن وفي آذانهم وقرا أي صما عن السماع النافع لهم كما قال تعالى ومثل الذين وقوله ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي يجبنون ليستمعوا قراءتك ولا وقوله ويأثرون عنه أي يتباعدون منه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون أي وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وباله إلا عليهم وهم لا يشعرون. 26 فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر رواه ابن أبي حاتم وقال محمد بن كعب القرظي وهم ينهاون عنه أي ينهاون الناس عن قتله وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن دينار وغيره أنها نزلت في أبي طالب. وقال سعيد بن أبي هلال: نزلت في عمومة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا عشرة ابن عباس يقول في قوله وهم ينهاون عنه قال: نزلت في أبي طالب كان ينهاي الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذي. وكذا قال القاسم بن مخيمرة ومجاهد والضحاك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير. والقول الثاني رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به. وقال محمد بن الحنفية: كان كفار قريش لا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم وينهاون عنه وكذا قال قتادة عنه أي ويبعدونهم عنه فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يدعون أحدا ينتفع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهم ينهاون عنه يردون وهم ينهاون عنه ويأثرون عنه في معنى ينهاون عنه قولان أحدهما أن المراد أنهم ينهاون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والانقياد للقرآن ويأثرون وقوله

ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين يتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين. 27 يذكر تعالى حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال فعند ذلك قالوا يا لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة وإنهم لكاذبون أي في قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. 28 مما شاهدوا من النار ولهذا قال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون أي في طلبهم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان ثم قال مخبرا عنهم أنهم فإنهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان بل خوفا من العذاب الذي عابنوه جزاء ما كانوا عليه من الكفر فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا العذاب فظهر لهم حينئذ غم ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق والله أعلم وأما معنى الإضراب في قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل في سورة مكية وهي العنكبوت فقال وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وعلى هذا فيكون إخبارا عن قول المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون من كلام طائفة من الكفار ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر الله وقوع النفاق أنفسهم ظلما وعلوا ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرهم الإيمان للناس ويبطنون الكفر ويكون هذا إخبارا عما يكون يوم القيامة عن موسى أنه قال لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر الآية وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه وجحدوا بها واستيقنتها على أنفسهم ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا وإن كانوا يظهرهم لأتباعهم خلافه كقوله مخبرا الكفر والتكذيب والمعاندة وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة كما قال قبله بيسير ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا قال الله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل أي بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من

من المؤمنين أي لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا أي ما هي إلا هذه الحياة الدنيا لا معاد بعدها ولهذا قال وما نحن بمبعوثين. 29 ثم قال مخبرا عنهم أنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة وإنهم لكاذبون أي في قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون تام ثم استأنف الخبر فقال وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وهذا اختيار ابن جرير وقوله ويعلم ما تكسبون أي جميع أعمالكم خيرها وشرها. 3 وفي الأرض تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله وهو الله في السموات وقف خبرا أو حالا. والقول الثاني أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهركم فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله في السموات القول كقوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض وعلى هذا فيكون قوله يعلم سركم وجهركم أي يعبد ويوحده ويقرر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا الجهمية الأولى القائلة تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض وقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم مختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول كما كنتم تظنون قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم مسه أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون. 30 ثم قال ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أي أوقفوا بين يديه قال أليس هذا بالحق أي أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل

وأنت اليوم تحملي قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون. 31 فيقول إن عملك كان دنسا قال له من أنت ؟ قال عملك قال فيكون معه في قبره فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا بالذات والشهوات دنسة حتى يدخل معه قبره فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحا قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا قال ما أذنت ثيابك قال أوزارهم على ظهورهم الآية وقال أسباط عن السدي أنه قال: ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح وعليه ثياب الله قبح وجهك وأنتن ريحك فيقول أنا عملك الخبيث هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه فطالما ركبتني في الدنيا هلم أركبك فهو قوله وهم يحملون

تفسير ابن كثير

عن أبي مرزوق قال: يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كأقبح صورة رأيته وأنتنه ريحا فيقول من أنت فيقول أو ما تعرفني فيقول لا والله إلا إن على ظهورهم ألا ساء ما يزرعون أي يحملون وقال قتادة يعملون وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة وعلى الأعمال وعلى الدار الآخرة أي في أمرها وقوله وهم يحملون أوزارهم من كذب بلفظه وعن خبيته إذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرط من العمل وما أسلف من قبح الفعل ولهذا قال حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة يقول تعالى مخبرا عن خسارة

وقوله وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو أي إنما غالبها كذلك وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون. 32

والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون آيات الله محمد صلى الله عليه وسلم. 33

من قريش غيبي وغيرك يستمع كلامنا؟ فقال أبو جهل ويحك والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه شيئا فيومئذ سمي الأخنس وكان اسمه أبي فالتقى الأخنس بأبي جهل فخلا به فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا اليوم وإن كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته قفوا حتى ألقى أبا الحكم فإن غلب محمد رجعتهم سالمين وإن غلب محمد فإن قومكم لم يصنعوا بكم يجحدون لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة: يا بني زهرة إن محمدا ابن أختكم فأنتم أحق من ذب عن ابن أخته فإنه إن كان نبيا لم تقاتلوه فقام عنه الأخنس وتركه. وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله قد نعم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال عليه في بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت الطريق فتلاوموا ثم تعاهدوا أن لا يعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضا فلما أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن من علم شباب قريش بهم لئلا يفتتنوا بمجيئهم فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنا أن صاحبيه لا يجيئان لما سبق من اليهود فلما أصبحوا جمعهم فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعهم الطريق فقال كل منهم للآخر ما جاء بك ؟ فذكر له ما جاء به ثم تعاهدوا أن لا يعودوا لما يخافون في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ولا يشعر أحد منهم بالآخر فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال أبو صالح وقتادة: يعلمون أنك رسول الله و يجحدون وذكر محمد بن إسحاق عن الزهري الله عليه وسلم لقي أبا جهل فصافحه قال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابي؟ فقال والله إني لأعلم إنه لنبي ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟ وتلا أبو يزيد يخرجاه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة حدثنا بشر بن المبرر الواسطي عن سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جهل لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون رواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي قال: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به بآيات الله يجحدون أي لا يهتمونك بالكذب في نفس الأمر ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أي ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقوله فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين إنه ليحزنك الذي يقولون أي قد أحطنا علما بتكذيبهم ولك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى في الآية الأخرى يقول تعالى مسلينا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه قد نعم

إن الله قوي عزيز وقوله ولقد جاءك من نبا المرسلين أي من خبرهم كيف نصرنا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلك فيهم أسوة وبهم قدوة. 34

والآخرة لعباده المؤمنين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ولهذا قال ولا مبدل لكلمات الله أي التي كتبها بالنصر في الدنيا عليه وسلم وتعزية له فيمن كذبه من قومه وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ووعد له بالنصر كما نصرنا وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعدما نالهم وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا هذه تسلية للنبي صلى الله

صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول. 35

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال إن رسول الله فتأتيهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كقوله تعالى نفقا في الأرض أو سلما في السماء قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: النفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد فيه ثم قال تعالى وإن كان كبر عليك إعراضهم أي إن كان شق عليك إعراضهم عنك فإن استطعت أن تبغني

بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب فشبهم الله بأموات الأجساد فقال والموتى بيعتهم الله ثم إليه يرجعون وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم. 36

تفسير ابن كثير

لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه كقوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقوله والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون يعني وقوله تعالى إنما يستجيب الذين يسمعون أي إنما يستجيب

وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويها وقال تعالى إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين. 37 تأخير ذلك لأنه لو أنزل وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة كما قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون أي هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضي يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أي خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعتنون كقولهم لن نؤمن لك من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقد روي هذا مرفوعا في حديث الصور. 38 في قوله إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون قال: يحشر الخلق كله يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ صلى الله عليه وسلم قال إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة وأبو يحيى البزار قالا: حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مزاحم عن بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رضي الله عنه أن النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقال عبدالله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثني عباس بن محمد انتطحنا؟ قالوا لا ندري لكن الله يدري وسيقضي بينهما رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثوري عن أبي ذر فذكره وزاد قال أبو ذر ولقد تركنا عن الأعمش عن ذكره عن أبي ذر قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انتطح عنزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون فيم صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟ قال لا قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما ورواه عبدالرزاق عن معمر لقوله وإذا الوحوش حشرت وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر أن رسول الله عباس قال: موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفي عنه. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد والضحاك مثله. والقول الثاني أن حشرها بعثها يوم القيامة عكرمة عن ابن عباس في قوله ثم إلى ربهم يحشرون قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة عن ابن تتابع مثل النظام إذا قطع سلكه. وقوله ثم إلى ربهم يحشرون قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله عز وجل ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمئة في البر وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك إلى العراق يسأل هل رأي من الجراد شيء أم لا؟ قال فأثاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثا ثم قال: سمعت عبدالله قال: قل الجراد في سنة من سني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل رابكا إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن أي مفتح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم وقد من جميعها من رزقه وتديره سواء كان برياً أو بحرياً كقوله وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين والإنس أمة والجن أمة وقال السدي إلا أمم أمثالكم أي خلق أمثالكم. وقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء أي الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا وقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم قال مجاهد: أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها. وقال قتادة الطير أمة

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ولهذا قال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء. 39 فهم لا يرجعون وكما قال تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لا يسمع أبكم وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر فكيف يهتدي مثل هذا وقوله والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات

أنهم كلما أتتهم آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فإنهم يعرضون عنها فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها. 40 يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين

الله تدعون إن كنتم صادقين أي لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على رفع ذلك سواه ولهذا قال إن كنتم صادقين أي في اتخاذكم آلهة معه. 40 عن خلقه بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء ولهذا قال قل رأيتمكم إن أتاكم عذاب الله أو أتكم الساعة أي أتاكم هذا أو هذا غير يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد المتصرف في خلقه بما يشاء وأنه لا معقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه

أي في وقت الضرورة لا تدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم كقوله وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه الآية. 41 بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون

بالأساء يعني الفقر والضيقة في العيش والضراء وهي الأمراض والأسقام والالام لعلمهم يتضرعون أي يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون. 42 وقوله ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم

تفسير ابن كثير

عن ابن عباس الملبس الآيس. وقال الحسن البصري من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له. 43 ولهذا قال حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الأموال والأولاد والأرزاق أخذناهم بغتة أي على غفلة فإذا هم ملبسون أي آيسون من كل خير قال الوالبي وراء ظهورهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم عيادا بالله من مكروه أي ما رقت ولا خشعت وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون أي من الشرك والمعاندة والمعاصي فلما نسوا ما ذكروا به أي أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه قال الله تعالى فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي فهلاً إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا ولكن قست قلوبهم

حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم ملبسون. كما قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ورواه أحمد وغيره. 44 الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف وإذا أراد الله بقوم اقتطاعاً فتح لهم أو فتح عليهم باب خيانة عقبة بن عامر به. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن إبراهيم بن أبي عبلة عن عبادة بن الصامت أن رسول أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم ملبسون ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن قال: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم غيلان حدثنا رشدين يعني ابن سعد أبا الحجاج المهري عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضاً. وقال مالك عن الزهري فتحنا عليهم أبواب كل شيء قال أرجاء الدنيا وسترها. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن ثم أخذوا رواه ابن أبي حاتم وقال قتادة: بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وجرتهم ونعمتهم فلا تغفروا بالله فإنه لا يغفر بالله إلا القوم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم ملبسون قال مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم قرأ

لا يوجد تفسير لهذه الآية 45

يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه. قال العوفي عن ابن عباس: يصدفون أي يعدلون. وقال مجاهد وقتادة: يعرضون. وقال السدي: يصدون. 46 الآيات أي نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال ثم هم يصدفون أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي وقوله من إله غير الله يأتيتكم به أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم لا يقدر على ذلك أحد سواه ولهذا قال انظر كيف نصر من منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال وختم على قلوبكم كما قال أمن يملك السمع والأبصار وقال واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه أخذ الله سمعكم وأبصاركم أي سلبكم إياها كما أعطاكموها كما قال تعالى هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والآية ويحتمل أن يكون هذا عبارة يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المكذبين المعاندين أرايتهم إن

بالشرك بالله وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الآية. 47 الله بغتة أي وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم أو جهرة أي ظاهراً عياناً هل يهلك إلا القوم الظالمون أي إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم وقوله تعالى قل أرايتكم إن أتاكم عذاب

لما يستقبلونه ولا هم يحزنون أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها الله وليهم فيما خلفوه وحافظهم فيما تركوه. 48 من كفر بالله النقمات والعقوبات ولهذا قال فمن آمن وأصلح أي فمن آمن قلبه بما جاءوا به وصلاح عمله باتباعه إياهم فلا خوف عليهم أي بالنسبة وقوله وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين أي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين

بما كانوا يفسقون أي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن أوامر الله وطاعته وارتكبوا من مناهيه ومحارمه وانتهاك حرمة. 49 ثم قال والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب

الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرانهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالاً وأولاداً واستعلاء في الأرض وعمارة لها. 5 على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وبال. ثم قال تعالى واعظا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال وهذا تهديد لهم ووعد شديد

إليه ومن ضل عنه فلم ينقذ له أفلا تتفكرون وهذه كقوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب. 50 به ولهذا قال إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه قل هل يستوي الأعمى والبصير أي هل يستوي من أتبع الحق وهدي ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه ولا أقول لكم إنني ملك أي ولا أدعي أنني ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إلي من الله عز وجل شرفني بذلك وأنعم علي وسلم قل لا أقول لكم عندي خزائن الله أي لست أملكها ولا أتصرف فيها ولا أعلم الغيب أي ولا أقول لكم إنني أعلم الغيب إنما ذاك من علم الله عز وجل يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه عليه

لا حاكم فيه إلا الله عز وجل لعلهم يتقون فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه. 51 يوم القيامة ليس لهم أي يومئذ من دونه ولي ولا شفيع أي لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم لعلهم يتقون أي أنذر هذا اليوم الذي

تفسير ابن كثير

أي وأنذر بهذا القرآن يا محمد الذين هم من خشية ربهم مشفقون الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أي وقوله وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع

والعشي رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدم بن شريح به. 52 قال كنا نستبق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش: تدني هؤلاء دوننا فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة بدهر وقال سفيان الثوري عن المقدم بن شريح عن أبيه قال: قال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود من يده ثم دعانا فأتيناه ورواه ابن جرير من حديث أسباط به وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعباء فإذا نحن جنناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا فاكذب لنا عليك كتابا قال فدعا صلى الله عليه وسلم حقروهم في نفر في أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي وكان قارئ الأزد عن أبي الكنود عن خباب في قول الله عز وجل لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة الآية وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن أبي سعيد الأزدى ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكذلك فتننا بعضهم ببعض إلى آخر وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد أرضيت هؤلاء من قومك ؟ هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء بأعلم بالشاكرين ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال: مر الملاء من قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده صهيب وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا: يا محمد أرضيت هؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم إلى قوله أليس الله قال الإمام أحمد: حدثنا أسباط هو ابن محمد حدثني أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال: مر الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عز وجل وليس علي من حسابهم من شيء كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين أي إن فعلت هذا والحالة هذه عليه السلام في جواب الذين قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون أي إنما حسابهم على الله وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء كقول نوح والحسن وقتادة المراد به الصلاة المكتوبة وهذا كقوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم أي أتقبل منكم وقوله يريدون وجهه أي يريدون بذلك العمل تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً وقوله يدعون ربهم أي يعبدونه ويسألونه بالغداة والعشي قال سعيد بن المسيب ومجاهد عنك بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات

بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا الآية فلما نزلت أقبل عمر رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر من مقالته. 53 ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبدالمطلب وأشباههم من الحلفاء فنزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء وكذلك فتننا أبي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود بن القارئ وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين قال: وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون من قولهم فأنزل أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب لو أن ابن حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم الآية قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وإن الله لمع المحسنين وفي الحديث الصحيح إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وقال ابن جرير: حدثنا القاسم فيوفقه ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ورئياً وقال في جوابهم حين قالوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين أي أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندباً قال الله تعالى في جواب ذلك وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً من بيننا ؟ أي ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير لو كان ما صاروا إليه خيراً ويعدنا كقولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه وكقوله تعالى وإذا تتلى عليهم فقال هم أتباع الرسل. والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ويعذبون من يقدر عليهم من الله عليهم بادي الرأي الآية وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل فقال له: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال: بل ضعفاؤهم. في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل كما قال قوم نوح لنوح وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بعض أي ابتلينا واختبرنا وامتنحنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه

تفسير ابن كثير

وقوله وكذلك فتننا بعضهم

ثم قال أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم وقد رواه الإمام أحمد من طريق كميل بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه. 54 شيء ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا تلك الرحمة إلى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع وقد روي هذا مرفوعا من وجه آخر وسيأتي كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله ورحمتي وسعت كل وبها يتبادلون وبها يتزاوون وبها تحن الناقة وبها تبح البقرة وبها تنغو الشاة وبها تتتابع الطير وبها تتتابع الحيتان في البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فيها يتراحمون وبها يتعاطفون سليمان عن أبي عثمان النهدي عن سليمان في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة قال: إنا نجد في التوراة عطفيتين إن الله خلق السموات والأرض وخلق مائة أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقاء الله وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن عاصم بن عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي وأنا رواه الليث وغيره عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وقد روى ابن مردويه من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة إن رحمتي غلبت غضبي أخرجه في الصحيحين وهكذا رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى عن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة وكذا عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأقلع وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل في المستقبل فإنه غفور رحيم قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله من عمل منكم سوءا بجهالة قال الدنيا كلها جهالة رواه ابن أبي حاتم ثم تاب من بعده وأصلح الرحمة أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا أنه من عمل منكم سوءا بجهالة قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم أي فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال كتب ربكم على نفسه فأنزل الله عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا الآية وقوله

المجرمين أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول وقرئ ولتستبين سبيل المجرمين أي ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين. 55 بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد كذلك فصل الآيات أي التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها ولتستبين سبيل يقول تعالى وكما بينا ما تقدم

لا يوجد تفسير لهذه الآية 56

لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال يقص الحق وهو خير الفاصلين أي وهو خير من فصل القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده. 57 ما عندي ما تستعجلون به أي من العذاب إن الحكم إلا لله أي إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم وقوله قل إني على بينة من ربي أي على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إلي وكذبتم به أي بالحق الذي جاءني من الله بهم بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين وهما جبال مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا فلماذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم. 58 والله أعلم أن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب يشرك به شيئا فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين فالجواب من يعبد الله لا يشرك به شيئا وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلاهم من لا لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم قومه لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبنني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ لو كان مرجع ذلك إلي لأوقع لكم ما تستحقونه من ذلك والله أعلم بالظالمين فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق وقوله قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم أي

من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله عز وجل إليه في كل يوم ملكا من عنده أن احتفظ بما عندك. 59 عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ما لو أنهم ظهروا يعني لكم لم تروا معهم نورا على كل زاوية مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية وما تسقط من ورقة إلا يعلمها إلى آخر الآية قال محمد بن إسحاق عن يحيى بن النضر عمرو بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خلق الله النون وهي الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق إذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني عن مالك بن سعيير به. ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي حذيفة حدثنا سفيان عن

تفسير ابن كثير

عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث قال: ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا وعليها ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها إذا رطبت ويوبسها ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري حدثنا مالك بن سعيبر حدثنا الأعمش تسقط من ورقة إلا يعلمها قال ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله ولا حبة في ظلمات الأرض الصدور. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان النمرى عن ابن عباس في قوله وما يعلمها أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي شيء ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وما أحسن ما قال الصرصري: فلا يخفي عليه الذر إما تراءى للنواظر أو توارى وقوله وما تسقط من ورقة إلا ثم قرأ إن الله عنده علم الساعة الآية. وقوله ويعلم ما في البر والبحر أي يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك أن جبريل حين تبدى له في صورة أعرابي فسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فيما قال له خمس لا يعلمهن إلا الله الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير وفي حديث عمر عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله إن وقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو قال البخاري: حدثنا عبدالعزيز بن

ما أصابهم فما أنتم بأعز على الله منهم والرسول الذي كذبتهموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعالجة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه. 6 جعلناهم أحاديث وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين أي جيلا آخر لنختبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل أي استدراجا وإملاء لهم فأهلكناهم بذنوبهم أي بخطاياهم وسيناتهم التي اجتمروها وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين أي فذهب الأولون كأمس الذاهب والسعة والجنود ولهذا قال وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أي شيئا بعد شيء وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم أي كثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض فقال ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أي من الأموال والأولاد والأعمار والجاه العريض

من الناس ثم إليه مرجعكم أي يوم القيامة ثم ينبئكم أي فيخبركم بما كنتم تعملون أي ويجزيكم على ذلك إن خيرا فخييرا وإن شرا فشرا. 60 ويرده إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلا رد إليه فذلك قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل. وقوله ليقضى أجل مسمى يعني به أجل كل واحد أي في المنام والأول أظهر وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من الأعمال فيه ثم يبعثكم فيه أي في النهار قاله مجاهد وقتادة والسدي وقال ابن جريج عن عبد الله بن كثير فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله أي في النهار كما قال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ولهذا قال تعالى ههنا وهو الذي يتوفاكم بالليل كما قال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وكما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا بالنهار أي ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم في حال سكونهم وحال حركتهم فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفايتين الصغرى ثم الكبرى فقال وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم ورافعك إلي وقال تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى يقول تعالى إنه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الأصغر كما قال تعالى إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك

حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الأبرار ففي عليين وإن كان من الفجار ففي سجين عياذا بالله من ذلك. 61 تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الأحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة وقوله وهم لا يفرطون أي في ذلك قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم وسيأتي عند قوله قول إلا لديه رقيب عتيد وقوله إذ يتلقى المتلقيان الآية وقوله حتى إذا جاء أحدكم الموت أي احتضر وحن أجله توفته رسلنا أي ملائكة موكلون ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وحفظة يحفظون عمله ويحصونه كقوله وإن عليكم لحافظين الآية وكقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ويرسل عليكم حفظة أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله له معقبات من بين يديه وقوله وهو القاهر فوق عباده أي وهو

يوم معلوم وقال وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا إلى قوله ولا يظلم ربك أحدا ولهذا قال مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين. 62 أن يكون المراد بقوله ثم ردوا يعني الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعده كما قال قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الثاني وهذا حديث غريب ويحتمل هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج

تفسیر ابن کثیر

محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل ثم ردوا يعني الملائكة إلى الله مولاهم الحق ونذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن وقوله ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق قال ابن جرير

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية أي جهرا وسرا لئن أنجانا أي من هذه الضائقة لنكونن من الشاكرين أي بعدها. 63 الآية. وقوله أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته إله مع الله تعالى عما يشركون وقال في هذه الآية الكريمة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين له كقوله وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه الآية. وقوله هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة منهم من ظلمات البر والبحر أي الحائرين الواقعين في المهامة البرية وفي اللجج البحرية إذا هاجت الرياح العاصفة فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك يقول تعالى ممتنا على عباده في إنجائه المضطرين

قال الله قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم أي بعد ذلك تشركون أي تدعون معه في حال الرافهية آلهة أخرى. 64

كيف نصرف الآيات لعلمهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. 65 بالسيف قالوا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله قال نعم فقال بعضهم لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون فنزلت انظر لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم الآية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض انظر كيف نصرف الآيات أي نبينها ونوضحها مرة ونفسرها لعلمهم يفقهون أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه. قال زيد بن أسلم كلها في النار إلا واحدة. وقوله تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلب بعضكم على بعض بالعذاب والقتل. وقوله تعالى الأهواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة يوم القيامة وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى وقوله أو يلبسكم شيعا يعني يجعلكم ملتبسين شيعة فرقاً متخالفين. قال الوالي عن ابن عباس يعني فستعلمون كيف نذير وفي الحديث ليكون في هذه الأمة كذب وخسف ومسح وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة قوله تعالى أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا وحقى ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمر بن هانئ نحو ذلك. قال ابن جرير: وهذا القول وإن كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوى وهو كما قال من تحت أرجلكم فخدم السوء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عذاب من فوقكم يعني أمراءكم أو من تحت أرجلكم يعني عبيدكم وسفلتكم يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم فأثمّة السوء أو بأس بعض ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث. قول ثان قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب سمعت خالد بن سليمان لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحداً أو من تحت أرجلكم لو خسف بكم الأرض أهللكم ولم يبق منكم أحداً أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بن مسعود يصيح وهو في المسجد أو على المنبر يقول ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم أن الله يقول قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال كان عبدالله والسدي وابن زيد وغير واحد في قوله عذاباً من فوقكم يعني الرجم أو من تحت أرجلكم يعني الخسف. وهذا هو اختيار ابن جرير ورواه ابن جرير قوله قل هو القادر على أن يبعث الآية. قال حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبو مالك ورواه أحمد عن وكيع عن أبي جعفر ورواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو الأشهب عن الحسن في اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان الرجم والخسف أبي بن كعب قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال فهي أربع خلال منها قال الخسف أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال سفيان يعني الرجم والخسف وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال أربع في هذه الأمة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم قال الرجم أو من تحت أرجلكم طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. أثر آخر قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه ورواه البزار من طريق عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. ورواه البزار من طريق عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي لا يلبسهم شيعا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني. ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلب على أمتي عدواً من غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاني وسألته أن قريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذئاب سمع أبا هريرة يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد العنقري به نحوه. طريق آخر وقال ابن مردوي حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو قبلهم فأعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى وسلم قال سألت ربي لأمتي أربع خصال فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة سألته أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم

تفسير ابن كثير

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم. حديث آخر قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزار حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى لا ترسل على أمتي عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيئا ولا تذق بعضهم بأس بعض قال فأتاه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أجاز أمتك أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض قال فقام النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم قال اللهم الوليد بن أبان حدثنا جعفر بن منير حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على السماء والغرق من الأرض وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والهرج طريق أخرى عن ابن عباس أيضا قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد حدثني أن يرفع عنهم اثنتين دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والغرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع الله عنهم الرجم من أبي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعاً فرفع الله عنهم اثنتين وأبى على أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا أبو الدرداء المروزي حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني يا رب لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم قال ذلك لك قلت يا رب لا تجعل بأسهم بينهم فمنعني هذه. حديث آخر قال الحافظ علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة فقلت يا رب لا تهلك أمتي جوعا فقال هذه لك قلت آخر قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا أبو حذيفة الثعلبي عن زياد بن علاقة عن جابر بن سمرة السوائي عن الأمم قبلهم فأعطانيها وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة. حديث واحدة سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثاً ومنعني هذه عشر أصابع. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا ليث هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني عن رجل قد سماه قال: قلت له أبوك سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال نعم سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدد أصابعي به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط على أمتي عدوا يستبيحها فأعطانيها وسألت أن لا يلبسكم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها إلى بعض إنه ينزل عليك قال لا ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يعذبكم بعذاب عذب يوما فأطال الجلوس حتى أوما بعضنا إلى بعض أن اسكتوا إنه ينزل عليه فلما فرغ قال له بعض القوم يا رسول الله لقد أطلت الجلوس حتى أوما بعضنا عليه وسلم وكان من أصحاب الشجرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود قال فجلس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه قال وكان أبوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بنحوه والله أعلم. حديث آخر قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي وميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفي قال ابن مردويه من حديث حماد بن زيد وعباد بن منصور وقتادة ثلاثهم عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ليس في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوي وقد رواه عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامه حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إني لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط ما زوي لي منها وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر وإني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامه وأن عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتي سيبلغ من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال: قال معمر أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن الأشعث الصنعاني بعضكم بأس بعض فمنعنيها قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يلبسكم شيئا ويذيق وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال قد كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل فيها ثلاثاً أعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن في تفسيره حدثني زياد بن عبد الله المزني حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صالح بن كيسان والترمذي في الفتن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري به وقال حسن صحيح. حديث آخر قال أبو جعفر بن جرير وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيئا فمنعنيها. ورواه النسائي من حديث شعيب بن أبي حمزة به. ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه بإسناديهما اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها صليت الليلة صلاة ما رأيته صليت مثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني قال وافيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة صلاحها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته فقلت يا رسول الله لقد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن أبيه خباب بن الأرت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال: قال الزهري حدثني عبد الله

تفسير ابن كثير

اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يبتلي أمتي بالسنين ففعل وسألته أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسألته أن لا يلبسهم شيئا فأبى علي. ورواه النسائي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر صلى سبعة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه عن أنس بن مالك أنه قال أبي عوانة عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه. حديث آخر قال الإمام أحمد بينهم فردها علي. ورواه ابن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن نمير وعلي بن محمد كلاهما عن أبي معاوية عن الأعمش به. ورواه ابن مردويه من حديث ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي غرقا فأعطاني وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم فلما قضى صلاته قلت يا رسول الله قد صليت صلاة طويلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني صليت صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله عز وجل صلى الله عليه وسلم فقيل لي خرج قبل قال فجعلت لا أمر بأحد إلا قال مر قبل حتى مررت فوجدته قائما يصلي قال فجئت حتى قمت خلفه فأطال الصلاة الإمام أحمد حدثنا عبيدة بن حميد حدثني سليمان بن الأعمش عن رجاء الأنصاري عن عبد الله بن شداد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم بغرق فأعطاني وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني. رواه ابن مردويه من حديث محمد بن إسحاق حديث آخر قال إني فقال حبستك يا حذيفة قلت الله ورسوله أعلم قال إني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلب علي أمتي عدوا من غيرهم بن عبد الرحمن أخبرني حذيفة بن اليمان قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرة بني معاوية قال فصلى ثمان ركعات فأطال فيهن ثم التفت الكتب الستة وإسناده جيد قوي ولله الحمد والمنة. حديث آخر قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن خصيف عن عبادة بن حنيف عن علي عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها قال صدقت فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة. ليس هو في شيء من في مسجدكم هذا؟ فقلت نعم فأشرت إلى ناحية منه فقال هل تدري ما الثلاث التي دعاهن فيه؟ فقلت نعم فقال أخبرني بهن فقلت دعا أن لا يظهر عليهم عن جابر بن عتيك أنه قال جاءنا عبد الله بن عمر في حرة بني معاوية قرية من قرى الأنصار فقال لي هل تدري أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به. حديث آخر قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك مسلم فرواه في كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن عبد الله بن نمير وعن محمد بن يحيى بن أبي عمرو عن مروان ربي ثلاثا سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها انفرد بإخراجه أقبلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فنادى ربه عز وجل طويلا ثم قال سألت به ثم قال هذا حديث غريب. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أو من تحت أرجلكم فقال أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد. وأخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم هو ابن سعد المقراني عن سعد بن أبي وقاص قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم لأعاده. ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة. أحدها قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو اليمان حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي مريم عن راشد أعوذ بالله من ذلك أو من تحت أرجلكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من ذلك أو يلبسكم شيئا قال هذا أيسر وإن استعاده بن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بن دينار به. طريق آخر قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مقدم بن داود حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله آدم بن أبي إياس ويحيى بن عبد الحميد وعاصم بن علي عن سفيان بن عيينة به ورواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة كلاهما عن عمرو ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع وسفيان بن وكيع كلهم عن سفيان بن عيينة به ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث عن عمرو بن دينار سمع جابرا عن النبي صلى الله عليه وسلم به. ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن أبي خيثمة عن سفيان بن عيينة به في التفسير عن قتيبة ومحمد بن النضر بن مساور ويحيى بن حبيب بن عدي أربعتهم عن حماد بن زيد به وقد رواه الحميدي في مسنده عن سفيان بن عيينة بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أهون أو أيسر. وهكذا رواه أيضا في كتاب التوحيد عن قتيبة عن حماد به ورواه النسائي أيضا عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم يخلطوا شيئا فرقا حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون يلبسكم يخلطكم من الالتباس يلبسوا الأحاديث الواردة في ذلك والآثار وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة. قال البخاري رحمه الله تعالى في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا عن مجاهد في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعفى عنهم ونذكر هنا عن جعفر بن سليمان عن الحسن في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال هذه للمشركين. وقال ابن أبي نجيح تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم بن إبراهيم حدثنا هارون الأعور إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أأنتم أن يعيدكم فيه إياكم كقوله في سورة سبحان ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا

تفسير ابن كثير

- على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم لما قال ثم أنتم تشركون عقبه بقوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً أي بعد إنجائه وقوله قل هو القادر
- فليؤمن ومن شاء فليكفر أي إنما علي البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة. 66
- قريشاً وهو الحق أي الذي ليس وراءه حق قل لست عليكم بوكيل أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله وقل الحق من ربكم فمن شاء يقول تعالى وكذب به أي بالقرآن الذي جنتهم به والهدى والبيان قومك يعني
- لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال ولتعلمن نبأه بعد حين وقال لكل أجل كتاب وهذا تهديد ووعد أكيد ولهذا قال بعده وسوف تعلمون. 67
- ولهذا قال لكل نبأ مستقر قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نبأ حقيقة أي
- فلا تتعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم الآية. أي إنكم إذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك فقد ساوَيْتموهم فيما هم فيه. 68
- فلا تتعد معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هي المشار إليها في قوله وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزاً بها رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبیر في قوله وإما ينسبك الشيطان قال إن نسبت فذكرت يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فإن جلس أحد معهم ناسياً فلا تتعد بعد الذكرى بعد التذكر مع القوم الظالمين ولهذا ورد في الحديث أي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب وإما ينسبك الشيطان والمراد بذلك كل فرد من أحاد الأمة أن لا يجلس مع المكذبين الذين وقوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي بالتكذيب والاستهزاء فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
- قوله يكون قوله ولكن ذكرى لهم لعلمهم يتقون أي ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حينئذ تذكيراً لهم عما هم فيه لعلمهم يتقون ذلك ولا يعودون إليه. 69
- فليس عليهم من حسابهم من شيء وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله إنكم إذا مثلهم قاله مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم. وعلى يتقون من حسابهم من شيء قال ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك أي إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم وقال آخرون بل معناه وإن جلسوا معهم من إثمهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن سعيد بن جبیر. قوله وما على الذين وقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أي إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدهم وتخلصوا
- فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وكقوله تعالى وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم. 7
- ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وهذا كما قال تعالى مخبراً عن مكابرتهم للحسوسات ولو فتحنا عليهم باباً من السماء يقول تعالى مخبراً عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم أي عاينوه
- فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً الآية. وكذا قال ههنا أولئك الذين أفسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. 70
- ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون وقوله وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أي ولو بذلت كل مبدول ما قبل منها كقوله إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار رهينة إلا أصحاب اليمين وقوله ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع أي لا قريب ولا أحد يشفع فيها كقوله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة تجزى وكل هذه الأقوال والعبارات متقاربة في المعنى وحاصلها الإسلام للهلة والحبس عن الخير والارتهاق عن درك المطلوب كقوله كل نفس بما كسبت
- عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي تسلم وقال الوالي عن ابن عباس تفتضح. وقال قتادة تحبس وقال مرة وابن زيد تؤاخذ. وقال الكلبي ولهذا قال وذكر به أي ذكر الناس بهذا القرآن وحذرهم نقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة وقوله تعالى أن تبسل نفس بما كسبت أي لئلا تبسل قال الضحاك يقول تعالى وذُر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا أي دعهم وأعرض عنهم وأملهم قليلاً فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم
- إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وقوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين أي نخلص له العبادة وحده لا شريك له. 71
- فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم ولو شاء الله لهداه ولرد به إلى الطريق ولهذا قال قل إن هدى الله هو الهدى كما قال ومن يهد الله فما له من مضل وقال أي في حال حيرته وضلاله وجهه المحجة وله أصحاب على المحجة سائرون فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى وتقدير الكلام أن يكون ضلالاً وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فإن السياق يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وهو منصوب على الحال جرير ثم قال وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه إلى الضلال ويزعمون أنه هدى قال: وهذا خلاف ظاهر الآية فإن الله أخبر أنهم يدعونه إلى الهدى فغير جائز أصحاب يدعونه إلى الهدى ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس إن الهدى هدى الله والضلال ما يدعوا إليه الجن. رواه ابن الشياطين في الأرض حيران له أصحاب هو الذي لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية وحاد عن الحق وضل عنه وله في الأرض حيران قال رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق وذلك مثل من يضل بعد أن هدى وقال العوفي عن ابن عباس قوله كالذي استهوته الأرض يهلك فيها عطشاً فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كالذي استهوته الشياطين في الأرض هم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها وهو يرى أنه في شيء فيصبح وقد رمت في هلكة وربما أكلته أو تلقبه في مضلة من من الغيلان يقول مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة وقوله كالذي استهوته الشياطين هلم إلى الطريق فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقبه إلى الهلكة وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق وهذه الداعية التي تدعو في البرية

تفسير ابن كثير

إليها والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل كمثّل رجل ضل عن طريق تائها إذ ناداه مناد يا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان تهوي إليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا الآية. هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو هو الذي يدعو إلى الطريق والطريق هو الإسلام. رواه ابن جرير وقال قتادة استهوت الشياطين في الأرض أضلته في الأرض يعني استهوته سيرته كقوله الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون انتنا فإننا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومحمد في الأرض يقول مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثّل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الله عز وجل قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا أي في الكفر بعد إذ هدانا الله فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين قال السدي قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فأنزل

وأن أقيموا الصلاة واتقوه أي وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال وهو الذي إليه تحشرون أي يوم القيامة. 72

بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فالحق أعلم. 73 إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة وأما سياقه فغريب جدا ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا فأكثر عليه وعمر بن عبد الله بن الخطاب ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء قلت وقد اختلف عليه في بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي الله عز وجل عنهم. ثم ذكر بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعظه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة تفرد به إسماعيل يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرا لله قط فيمكنون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا امح هذا الكتاب فيمحوه السيل فما يلي الشمس منها أخضر وما يلي الظل منها أصفر فينبئون كنبات الطرائث حتى يكونوا أمثال الذر مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبئون كما تنبت الحبة في حميل وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرا قط ولا يبقى أحد له شفاعا إلا شفّع حتى إن إبليس يتناول مما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له. ثم يقول بقيت من وجدتم في قلبه إيمانا ثلثي دينار ثم يقول ربع دينار ثم يقول قيراطا ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفّع فيقول الله أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيمانا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يشفع الله فيقول أخرجوا الله عليه وسلم فأقول يا رب شفّعني فيمن وقع في النار من أمتي فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يأذن الله في الشفاعا إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها قال رسول الله صلى شيء أحب إلي منك. وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقته أعمالهم فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة امرأة فيبينها هو عندها لا يملها ولا تملها ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها فيبينها هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدهم إلى السلك في قصبة الباقوت كبدها له امرأة وكبدها لها الله في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس وإستبرق ثم إنه يضع يده بين كتفها ومساحتهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشئ الله عز وجل واثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما لهم في دخول الجنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساحتكم من أهل الجنة بأزواجهم فإذا رفعت رأسي يقول الله وهو أعلم ما شأنك؟ فأقول يا رب وعدتني الشفاعا فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت فنظرت إلى ربي خررت ساجدا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعطه الله عليه وسلم فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن فأنتقل فأتى الجنة فأخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي فإذا دخلت الجنة ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد قال رسول الله صلى ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربته نجيبا وكلمه وأنزل عليه التوراة فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله اتخذه خليلا فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيؤتى ومكردس على وجهه في جهنم فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام دونه جسر دحش مزلّة فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياذ الخيل أو كجياذ الركاب أو كجياذ الرجال فجاج سالم وناج مخدوش البقر ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراي جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون أنه ربهم فيخرون للأذقان سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على صفاه ويجعل الله أصلاهم كصياصي ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بالهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بالهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم وهو الله الذي يأتيهم فيمكث

تفسير ابن كثير

إلى النار وهو الذي يقول لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله تعست ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول وهو أعلم لم قتلته؟ فيقول يا رب قتلته لتكون العزة لي فيقول وهو أعلم فيم قتلته؟ فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تمر به الملائكة إلى الجنة ثم يأتي كل من أول ما يقضي فيه الدماء ويأتي كل قتل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول القرن فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ثم يقضي الله بين العباد فكان كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون فيقضي الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجاء من ذات أو بها تكذبون شك أبو عاصم وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيميز الله الناس وتجتو الأُمم. يقول الله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول ألم أعهد إليكم يا بني بصوته فيقول يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم فأنصتوا إلي فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الأعلى الذي يميئ الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف تسييحهم يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميئ الخلائق ولا يموت سبحان قدوس فيحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسماوات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل في وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفياكم ربنا؟ فيقولون لا وهو أت ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ربنا؟ قالوا لا وهو أت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم شديدا فها لنا فينزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفياكم قال الله قد شفعتك أنا أتياكم أقضي بينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرجع فأقف مع الناس فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسا بعضدي ويرفعني فيقول يا محمد فأقول نعم يا رب فيقول الله عز وجل ما شأنك وهو أعلم فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقض بينهم عليه وسلم حتى يأتوني فأنتقل إلى الفحص فأخر ساجدا قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص؟ قال قدام العرش حتى يبعث الله إلي ملكا فيأخذ وكلمه قبل أن يأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرءون الأنبياء نبييا نبييا كلما جاءوا نبييا أبى عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه عسر حفاة عراة غلغا غرلا فتقفون موقفا واحدا مقداره سبعون عاما لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتعرقون يمشي السم في اللدغ ثم تنشق الأرض عنهم وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون سراعا إلى ربكم تنسلون مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم السماء والأرض فيقول وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما الكافرين ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقها في الصور ثم يأمر الله إسرأفيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين الله إسرأفيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا وأرواح الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحي حملة عرشي فيحيون ويأمر كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوما حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعا ثم يأمر ولا أمتا ثم يزرع الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها لنفسه لله الواحد القهار يقول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطنهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثا ثم هتف بصوته لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول خلقتك لما رأيت فمت فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخرها كما كان أولا طوى السماوات والأرض طي السجل يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله لئمت حملة العرش فتموت ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرأفيل ثم يأتي ملك الموت فيقول تحت عرشي فيموتان ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول بقيت أنت الحي أنا فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت فإني كتبت الموت على كل من كان إلا من شئت فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت

تفسير ابن كثير

الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات أهل السموات والأرض الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الذي يقول الله عز وجل يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه قال وهو من ذلك قال أبو هريرة يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ؟ قال أولئك الشهداء السماء فإذا هي كالمهل ثم انشقت السماء فانتشرت نجومها وانخسف شمسها وقمرها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأموات لا يعلمون بشيء التناد فيبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فأروا أمرا عظيما لم يروا مثله وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى تأت الأقطار فتأتيتها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى يوم الراجفة تتبعضها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح وهو الذي يقول يوم ترجف فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهي كقول الله وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتمرمر السحاب فتكون سرابا ثم ترتج والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ويأمره كيف هو؟ قال عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الصور؟ قال القرن قلت هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق المطولات قال حدثنا أحمد بن الحسن المقرئ الإيلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي الله بن عمرو قال: قال أعرابي يا رسول الله ما الصور؟ قال قرن ينفخ فيه. وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ. رواه مسلم في صحيحه وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد إسرافيل عليه السلام قال ابن جرير والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى بالصور هنا جمع صورة أي يوم ينفخ فيها فتحيا. قال ابن جرير كما يقال سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا وما أشبه ذلك واختلف المفسرون في قوله يوم ينفخ في الصور فقال بعضهم المراد ويوم يقول كن فبكون يوم ينفخ في الصور ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كن فيكون وقوله الحق وله الملك جملتان محلها الجر على أنهما صفتان لرب العالمين وقوله ويوم ينفخ في الصور يحتمل أن يكون بدلا من قوله إما على قوله خلق السموات والأرض أي وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بدء الخلق وإعادته وهذا مناسبو إما على إضمار فعل تقديره واذكر يوم يقول يوم القيامة الذي يقول الله كن فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب ويوم منصوب إما على العطف على قوله وانتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق أي بالعدل فهو خالقهما ومالكهما والمدير لهما ولمن فيهما وقوله ويوم يقول كن فيكون يعني أنك لا تخزني يوم يبعثون وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال يا إبراهيم انظر ما وراءك فإذا هو بذبح متلخخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار. 74 منه إن إبراهيم لأواه حليم وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر يا بني اليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم أي رب ألم تعدني وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا أبت إنني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب واضح لكل ذي عقل سليم. وقال تعالى واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا دون الله إنني أراك وقومك أي السالكين مسلكك في ضلال مبين أي تائهين لا يهتدون أين يسلكون بل في حيرة وجهل وأمركم في الجاهالة والضلال بين أن إبراهيم وعظ أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه فلم ينته كما قال وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة أي أتتأله لصنم تعبد من فإنه قول بعيد في اللغة فإن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله لأن له صدر الكلام. كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية والمقصود وعلى قول من جعله نعتا لا ينصرف أيضا كأحمر وأسود فأما من زعم أنه منصوب لكونه معمولا لقوله أتتخذ أصناما تقديره يا أبت أتتخذ آزر أصناما آلهة أتتخذ أصناما آلهة معناه يا آزر أتتخذ أصناما آلهة وقرأ الجمهور بالفتح إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان وهو أشبه القراء في أداء قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر فحكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني أنها كانا يقرآن وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر على نفسه قول النسابين أن اسمه تارخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم واختلف أبي يقرأ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر قال بلغني أنها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير والصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد

تفسير ابن كثير

وقال ابن جرير وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج ولم يسنده ولا حكاه عن أحد. وقد قال ابن أبي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان سمعت سرية إبراهيم. وهكذا قال غير واحد من علماء النسب أن اسمه تارخ وقال مجاهد والسدي آزر اسم صنم قلت كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم عباس في قوله وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر يعني بأزر الصنم وأبو إبراهيم اسمه تارخ وأمه اسمها شاني وامراته اسمها سارة وأم اسماعيل اسمها هاجر وهي آزر وإنما كان اسمه تارخ رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثنا أبي حدثنا أبو عاصم شبيب حدثنا عكرمة عن ابن قال الضحاك عن ابن عباس إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه

والأرض ليكون من الموقنين كقوله وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين وقيل: بل هي على بابها أي نريه ذلك ليكون عالما وموقنا. 75
أنامله بين ثدي فتجلى لي كل شيء وعرفت ذلك. وذكر الحديث. وقوله وليكون من الموقنين قيل الواو زائدة تقديره وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات بن جبل في حديث المنام أتاني ربي في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملائكة؟ فقلت لا أدري يا رب فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله إنك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانا ويحتمل أن قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فإنه تعالى جلى له الأمر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلي ولكن لا يصح إسنادهما والله أعلم. وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في الأرضون السبع فنظر إلى ما فيهن وزاد غيره فجعل ينظر إلى العباد على المعاصي ويدعو عليهم فقال الله له إني أرحم عبدي منك لعلمهم أن يتوبوا أو يرجعوا. عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم. قالوا واللفظ لمجاهد فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش وفرجت له وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب وأما ما حكاه ابن جرير وغيره لا إله غيره ولا رب سواه كقوله قل انظروا ماذا في السموات والأرض وقوله أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وقال أفلم يروا ما بين أيديهم وقوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض أي نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وأنه ليست باللواتي تقودها دياح ولا بالآفلات الزوائل ويقال أين أفلت عنا بمعنى أين غبت عنا: قال لا أحب الآفلين قال قتادة علم أن ربه دائم لا يزول. 76
أفل أي غاب قال محمد بن إسحاق بن يسار الأفول الذهاب وقال ابن جرير يقال أفل النجم بأفل وبأفل أفولا وأفلا إذا غاب ومنه قول ذي الرمة: مصابيح وقوله تعالى فلما جن عليه الليل أي تغشاه وستره رأى كوكبا أي نجما قال هذا ربي فلما

فلما رأى القمر بازغا أي طالعا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين. 77

ربي أي هذا المنير الطالع ربي هذا أكبر أي جرما من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة فلما أفلت أي غابت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. 78

فلما رأى الشمس بازغة قال هذا

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا قوله تعالى. 79
يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ناظرا في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجدة المستقيمة ألسنت بربكم قالوا بلى ومعناه على أحد القولين كقوله فطرت الله التي فطر الناس عليها كما سيأتي بيانه فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف في كتابه العزيز فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وقال تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم كل مولود يولد على الفطرة وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله إني خلقت عبادي حنفاء. وقال الله إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقال تعالى قل إنني هداني ربي التماثيل التي أنتم لها عاكفون الآيات وقال تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباة وهداه إلى صراط مستقيم وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرا في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقه ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ومسخرها ومقدرها الذي بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه كما قال تعالى إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض آلهة فكيدون بها جميعا ثم لا تنتظرون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين أي إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها الثلاثة التي هي أنور ما يقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع قال يا قوم إني بريء مما تشركون أي أنا بريء من عبادتهم ومواليتهم فإن كانت على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للإلهية ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام خلقها الله منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيب عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الأجرام المتحيرة وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين أولا صلوات

تفسير ابن كثير

ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة الأرضية التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته والسلام كان في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف والحق أن إبراهيم عليه الصلاة ونمرود بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامنذ فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب واختاره ابن جرير مستدلا بقوله لنن لم يهديني ربي الآية. وقال محمد بن إسحاق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر والأرض أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق حنيفا أي في حال كوني حنيفا أي مانلا عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال وما أنا من المشركين أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات

من الله العذاب. كما قال الله تعالى ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين وقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين الآية. 8 وقالوا لولا أنزل عليه ملك أي ليكون معه نذيرا قال الله تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون أي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم الله واشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بما صنعها الآية. 80 في كتابه حيث يقول قالوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد فيما بينته لكم أفلا تعجبون أن هذه الآلهة باطلة فتزجروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم استثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل وسع ربي كل شيء علما أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا يخفى عليه خافية أفلا تتذكرون أي الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا وأنا لا أخافها ولا أبايها فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون بل عاجلوني بذلك. وقوله تعالى إلا أن يشاء ربي شيئا ألفتت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا أي ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه يشبه من القول أنه قال أتحتاجوني في الله وقد هدان أي تجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظره

فأي الطائفتين أصوب الذي عبد من بيده الضر والنفع أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة لا شريك له. 81 لم يأذن به الله وقوله تعالى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان وقوله فأني الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون أي أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا قال ابن عباس وغير واحد من السلف أي حجة وهذا كقوله تعالى أم لهم شركاء لهم من الدين ما وقوله وكيف أخاف ما أشركتم أي كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله ولا تخافون

الفريقين أحق بالأمن الآية. وقد صدقه الله وحكم له بالأمن والهداية فقال الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. 82 قومه أي وجهنا حجته عليهم قال مجاهد وغيره يعني بذلك قوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأني ومنع فصر وظلم فاستغفر وظلم فغفر وسكت قال: فقالوا يا رسول الله ماله؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على بن يعلى الكوفي وكان نزل الري حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله بن سخرية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أعطي فشكر آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون؟ فإن هذا منهم. وفي لفظ قال هذا عمل قليلا وأجر كثيرا وروى ابن مردويه من حديث محمد وتلاذه وماله ليهتدي بهدي ويأخذ من قولي وما بلغني حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض أسمعتم بالذي عمل قليلا وأجر كثيرا؟ هذا منهم أسمعتم بالذين حوله فدخل خف بركه في بيت جردان فتردى الأعرابي فانكسرت عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده لأهتدي بهداك وآخذ من قولك وما بلغتك حتى مالي طعام إلا من خضر الأرض فأعرض علي فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل فازدحمنا قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ساره إذ عرض له أعرابي فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا ممن عمل قليلا وأجر كثيرا وحفظناه وكفناه وحملناه إلى القبر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على شفير القبر فقال ألدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا. ثم صلى الله عليه وسلم هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الآية ثم قال دونكم أخاكم فاحتملناه إلى الماء ففسلناه لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أما رأيتمَا إعراضي عن الرجل فأني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعا ثم قال رسول الله علي بالرجل فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعده فقالا: يا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال البيت قال قد أقررت. قال ثم إن بعيره دخلت يده في جحر جردان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقد أصبته قال يا رسول الله علمني ما الإيمان قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج فرددنا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أين أقبلت؟ قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال فأين تريد؟ قال أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

صلى الله عليه وسلم فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كأن هذا راكب إياكم يريد فانتهى إلينا الرجل فسلم صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم. وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قال رسول الله الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد نحو ذلك وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن شداد المسمعي يلبسوا إيمانهم بظلم قال بشرق قال وروي عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبي عبد الله عليه وسلم ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم إنما هو الشرك ولابن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعا قال ولم الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إن الشرك لظلم عظيم. رواه البخاري وفي لفظ قالوا أينما لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وحديثنا عمر بن تغلب النمري حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وأينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون إنما قال لابنه يا بني لا تشرك بالله إن حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب أينما لم يظلم نفسه؟ قال إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم إنما هو الشرك. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله عن عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قال أصحابه وأينما لم يظلم نفسه؟ فنزلت إن الشرك لظلم عظيم وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة. قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة قال قال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به والبراهين كما قال إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ولهذا قال ههنا إن ربك حكيم عليم. 83 في سورة يوسف وكلاهما قريب في المعنى وقوله إن ربك حكيم عليم أي حكيم في أقواله وأفعاله عليم أي بمن يهديه ومن يضلّه وإن قامت عليه الحجج ثم قال بعد ذلك كله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قرئ: بالإضافة وبلا إضافة كما

بن علي إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فسماه ابنا فدل على دخوله في الأبناء. وقال آخرون: هذا تجوز. 84 بنوهن أبناء الرجال الأجانب وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيه أيضا لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحسن دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر العربي: بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بلغ ويحيى وعيسى قال بلى. قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال صدقت. فلها إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم صلى الله عليه وآله وسلم تجده في كتاب الله وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس سورة الأنعام ومن ذريته داود وسليمان حتى عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له. قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا علي بن عباس وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى الملائكة بالسجود وذم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعمول معاملتهم ودخل معهم تغليباً وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور إلهما واحدا ونحن له مسلمون فإسماعيل عمه دخل في آبائه تغليباً وكما قال في قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فدخل إبليس في أمر الذرية تغليباً كما في قوله أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلى إبراهيم لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن آزر اللهم إلا أن يقال إنه دخل في ومن ذريته أي وهدينا من ذريته داود وسليمان الآية وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه وهو اختيار ابن جرير. وعوده آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبيتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقوله في هذه الآية الكريمة والكتاب الآية. وقال تعالى ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وقال تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية هم الباقيين فالناس كلهم من ذريته وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبيا إلا من ذريته كما قال تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صلبوه في السفينة جعل الله ذريته ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وقال ههنا ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا وقوله ونوحا هدينا من قبل أي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم عينه كما قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق والعقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض فعوضه بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق وأعظم في النعمة. وقال فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده فإن الفرح أهل البيت إنه حميد مجيد فبشروهما مع وجوده بنبوته وبأن له نسلا وعقبا كما قال تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين وهذا أكمل في البشارة

تفسير ابن كثير

باسحاق فتعجبت المرأة من ذلك وقالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أنعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن وأيس هو وامراته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فيشروهما

بن علي إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فسماه ابنا فدل على دخوله في الأبناء. وقال آخرون: هذا تجوز. 85 بنوهن أبناء الرجال الأجانب وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيه أيضا لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للحسن دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر العربي: بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بلغ ويحيى وعيسى قال بلى. قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال صدقت. فلماذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم صلى الله عليه وآله وسلم تجده في كتاب الله وقد فرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام ومن ذريته داود وسليمان حتى عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له. قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا علي بن عباس وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى بالسجود ودم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبا وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور. 86 واحدا ونحن له مسلمون فإسماعيل عمه دخل في آبائه تغليبا وكما قال في قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فدخل إبليس في أمر الملائكة تغليبا كما في قوله أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن أزر اللهم إلا أن يقال إنه دخل في الذرية وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه وهو اختيار ابن جرير. وعوده إلى إبراهيم وإخوانهم ذكر أصولهم وفروعهم وذوي طبقتهم وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم ولهذا قال واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. 87 وقوله ومن آبائهم وذرياتهم

أردنا أن نتخذ لهم آيات فاعلموا أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار. 88 الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع كقوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وكقوله لو الله وهديته إياهم ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملاسته كقوله تعالى ولقد أوحى إليك وإلى ثم قال تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق ليسوا بها بكافرين أي لا يجحدون منها شيئا ولا يردون منها حرفا واحدا يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه. 89 كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين وكتابين فقد وكلنا بها قوما آخرين أي المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة يعني أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أي إن يكفر بهذه النعم من للعباد بهم ولطفا منه بالخليفة فإن يكفر بها أي بالنبوة ويحتمل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأشياء الثلاثة الكتاب والحكم والنبوة وقوله هؤلاء وقوله تعالى أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة أي أنعمنا عليهم بذلك رحمة

رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور وللبسنا عليهم ما يلبسون أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون وقال الوالي عنه: ولشبهنا عليهم. 9 المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الآية قال الضحاك عن ابن عباس في الآية: يقول لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منه ليدعو بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى لقد من الله على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فمن رحمتي تعالى بخلقه ملكا أي لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون علي أي لو أنزلنا مع الرسول البشري

أي أجرة ولا أريد منكم شيئا إن هو إلا ذكرى للعالمين أي يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى ومن الغي إلى الرشاد ومن الكفر إلى الإيمان. 90 نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ممن أمر أن يقتدي بهم وقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا أي لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أجرا ويعقوب إلى قوله فبهدهم اقتده ثم قال هو منهم زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد وسهيل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس فقال أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني سليمان الأحول أن مجاهدا أخبره أنه سأل ابن عباس أفي ص سجد فقال نعم ثم تلا ووهبنا له إسحاق أي اقتد واتبع وإذا كان هذا أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه الذين هدى الله أي هم أهل الهدى لا غيرهم فبهدهم اقتده ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أولئك

نرهم في خوضهم يلعبون أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون أنهم العاقبة أم لعباد الله المتقين؟ 91

تفسير ابن كثير

الله وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها وقوله ثم وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى قل الله أي لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة كلمة ولا آباؤكم وقد قال قتادة: هؤلاء مشركو العرب وقال مجاهد هذه للمسلمين وقوله تعالى قل الله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي قل الله أنزله وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبا ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ظلم الشبهات وقوله تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا أي تجعلون جملتها قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون موسى وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من الناس أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سلبهم العام بآيات قضية جزئية موجبة من أنزل الكتاب الذي جاء به رسولا وقال ههنا وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قال الله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر كما قال أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وكقوله رجل منهم. وقيل في مالك بن الصيف قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء والأول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش إذ كذبوا رسله إليهم: قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير نزلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل نزلت في طائفة من اليهود. وقيل في فحاص يقول تعالى وما عظموا الله حق تعظيمه

بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن وهم على صلاتهم يحافظون أي يقومون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها. 92 صلى الله عليه وسلم يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة ولهذا قال والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به أي كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن والله بصير بالعباد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وذكر منهم وكان النبي تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال وقل للذين أتوا الكتاب والأمنين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ قال في الآية الأخرى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وقال لأنذركم به ومن بلغ وقال ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وقال يعني القرآن أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى يعني مكة ومن حولها من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم كما وقوله وهذا كتاب

الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثا مطولا جدا من طريق غريب عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا قاله أعلم. 93 آياته والانقياد لرسله وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت وهي مقررة عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق الآية. أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروح فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم أخرجوا أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم أخرجوا أنفسكم وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم أيديهم أي بالعذاب كقوله ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولهذا قال والملائكة باسطو أيديهم أي بالضرب لهم حتى أيديهم أي بالضرب كقوله لنن بسطت إلي يدك لتقتلني الآية. وقوله يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء الآية وقال الضحاك وأبو صالح باسطو أيأتا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا الآية قال الله تعالى ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت أي في سكراته وغمراته وكرباته والملائكة باسطو الكذاب ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله أي ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتره من القول كقوله تعالى وإذا تتلى عليهم له شركاء أو ولدا أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء قال عكرمة وقاتادة نزلت في مسيلة يقول تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل

يستجيبيو لهم الآية. وقال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا إلى قوله وذل عنهم ما كانوا يفترون والآيات في هذا كثيرة جدا. 94 بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار. ومالك من ناصرين وقال وقيل ادعوا شركاءكم فدعوه فلم عليهم وما هم بخارجين من النار وقال تعالى فإذا نفخ الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤنا منكم كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات أي لقد تقطع ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائل وذل عنكم أي ذهب عنكم ما كنتم تزعمون من رجاء الأصنام والأنداد كقوله تعالى إذ تبرا الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء أي في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرئ بالرفع أي شملكم وبالنصب أين شركائي الذين كنتم تزعمون وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصروكم أو ينتصرون ولهذا قال ههنا وما نرى معكم شفعاءكم ومعادهم إن كان ثم معاد فإذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب وانزاح الضلال وذل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل جلاله على رؤوس الخلائق. معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء تقرير لهم وتوبيخ على ما كانوا اخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم

تفسير ابن كثير

فلا يراه قدم شيئا وتلا هذه الآية ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية رواه ابن أبي حاتم وقوله وما نرى يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذخ فيقول الله عز وجل أين ما جمعت؟ فقول يا رب جمعته وتركته أوفر ما كان فيقول له يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك؟ ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس وقال الحسن البصري وراء ظهوركم أي من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم. وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة أي كما بدأناكم أعدناكم وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث وقوله وتركتم ما خولناكم وقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة أي يقال لهم يوم معادهم هذا كما قال وعرضوا

تعالى ذلكم الله أي فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له فأنى تؤفكون أي كيف تصرفون عن الحق وتعطلون عنه إلى الباطل فتعبدون معه غيره. 95 فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها. ثم قال معطوف على فائق الحب والنوى ثم فسرته ثم عطف عليه قوله ومخرج الميت من الحي وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى الميت كقوله وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون إلى قوله ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقوله ومخرج الميت من الحي ولهذا فسر قوله فائق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي أي يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجمادى تعالى أنه فائق الحب والنوى أي يشقه في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الجبوب والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى يخبر

العليم ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيهن في أول سورة حم السجدة قال وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم. 96 يختم الكلام بالعزة والعلم كما ذكر في هذه الآية وكما في قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وقوله ذلك تقدير العزيز العليم أي الجميع جار بتقدير العزيز الذي الليل والنهار طولا وقصرا كما قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل الآية. وكما قال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل والشمس والقمر حسبانا أي يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف لامراته وقد عاتبته في كثرة سهره: إن الله جعل الليل سكنا إلا لصهيب إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه. رواه ابن أبي حاتم. وقوله والضحي والليل إذا سجدى وقال والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وقال والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها وقال صهيب الرومي رضي الله عنه المختلفة الدالة على كمال عظمتهم وسلطانهم فذكر أنه فائق الإصباح وقابل ذلك بقوله وجعل الليل سكنا أي ساجيا مظلما لتسكن فيه الأشياء كما قال ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ويجيئ النهار بضيائه وإشراقه كقوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة والظلام كما قال في أول السورة وجعل الظلمات والنور أي فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ويستنير الأفق ويضمحل الظلام وقوله فائق الإصباح وجعل الليل سكنا أي خالق الضياء

ويتهدى بها في ظلمات البر والبحر وقوله قد فصلنا الآيات أي قد بينها ووضحناها لقوم يعلمون أي يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل. 97 ظلمات البر والبحر قال بعض السلف من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه. أن الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في

مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الأول أظهر والله أعلم وقوله تعالى قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون أي يفهمون ويعنون كلام الله ومعناه. 98 حيث يموت وقال سعيد بن جبيرة فمستقر في الأرحام وعلى ظهر الأرض وحيث يموت وقال الحسن البصري المستقر الذي قد مات فاستقر به عمله وعن ابن أي في الأرحام قالوا أو أكثرهم ومستودع أي في الأصلاب وعن ابن مسعود وطائفة عكسه وعن ابن مسعود أيضا وطائفة فمستقر في الدنيا ومستودع عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وقيس بن أبي حازم ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وعطاء الخراساني وغيرهم فمستقر الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله فمستقر ومستودع اختلفوا في معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن يقول تعالى وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام قال يا أيها الناس اتقوا ربكم

إن في ذلكم أيها الناس لآيات أي دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يؤمنون أي يصدقون به ويتبعون رسله. 99 الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل الآية. ولهذا قال ههنا خالقه من العدم إلى الوجود بعد أن كان حطبا صار عنبا ورطبا وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى وفي تعالى انظروا إلى ثمره إذا أنثر وبينه أي نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي وقتادة وغيرهم أي فكروا في قدرة الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال قتادة وغيره متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا وقوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وقوله تعالى

تفسير ابن كثير

أي ونخرج منه جنات من أعناب وهذا النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده في قوله تعالى وأدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمرأ قال وتميم يقولون قنيان بالياء قال وهي جمع قنو كما أن صنوان جمع صنو وقوله تعالى وجنات من أعناب الدانية فصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض. رواه ابن جرير قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قنوان وقيس يقول قنوان قال امرؤ القيس: فأدت أعاليه طلعتها قنوان أي جمع قنو وهي عذوق الرطب دانية أي قريبة من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قنوان دانية يعني بالقنوان زرعاً وشجراً أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والتمر ولهذا قال تعالى نخرج منه حبا متراكبا أي يركب بعضه بعض كالسنابل ونحوها ومن النخل من مباركا ورزقا للعباد وإحياء وغيثا للخلائق رحمة من الله بخلقه فأخرجنا به نبات كل شيء كقوله وجعلنا من الماء كل شيء فأخرجنا منه خضرا أي وقوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء أي بقدر

سورة 7

الناس فيه قال ابن جرير حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس المص أنا الله أفصل. 1 سورة الأعراف. قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف مدائن وصحائف وبصائر جمع مدينة وصحيفة وبصيرة من مدن وصحف وأبصر فإن الباء فيها زائدة ولهذا تجمع على فعائل وتهمز لذلك والله أعلم. 10 على الباء فنقلت إلى العين فصارت معيشة فلما جمعت رجعت الحركة إلى الباء لزوال الاستتقال فقليل معاش ووزنه مفاعل لأن الباء أصلية في الكلمة بخلاف بن هرمز الأعرج فإنه همزها والصواب الذي عليه الأكثر بلا همز لأن معاش جمع معيشة من عاش يعيش عيشا ومعيشة أصلها معيشة فاستثقلت الكسرة وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك كقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار وقد قرأ الجميع معاش بلا همز إلا عبد الرحمن وأباح لهم منافعتها وسخر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها وجعل لهم فيها معاش أي مكاسب وأسبابا يكسبون بها ويتجرون فيها ويتسببون أنواع الأسباب يقول تعالى ممتنا على عبيده فيما مكن لهم من أنه جعل الأرض قرارا وجعل فيها رواسي وأنهارا وجعل لهم فيها منازل وبيوتا يستهزئون إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نعمه بأعدائه وحصول نعمه لأولياته ولهذا عقب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين. 100 يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به تعالى فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان تعالی وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلنا فكيف كان نكير وقال تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير وقال ولا أفندتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقال تعالى بعد ذكره إهلاك عاد فأصبحوا من أحد أو تسمع لهم ركزا أي هل ترى لهم شخصا أو تسمع لهم صوتا وقال تعالى أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وقال أو لم تكونوا أفسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية وقال تعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهي وقال تعالى أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكريا قلت وهكذا قال تعالى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا على ربهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يقول أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ونطبع على بذنوبهم. وكذا قال مجاهد وغيره وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها يقول تعالى أو لم يتبين للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين قبلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أو لم يتبين لهم أن لو نشاء أصبناهم يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية ولهذا قال هنا كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين. 101 قبل الباء سببية أي فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم حكاة ابن عطية رحمه الله وهو متجه حسن كقوله وما رسولا وقال تعالى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من يا محمد من أنبأها أي من أخبارها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات أي الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث وإنجائه المؤمنين وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بين لهم الحق بالحجج على أسنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين قال تعالى تلك القرى نقص عليك أي لما قص تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما كان من إهلاك الكافرين

قبل قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فأمنوا كرها وقال مجاهد في قوله فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هذا كقوله ولو ردوا لعادوا الآية. 102 ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن أنس واختاره ابن جرير وقال السدي فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق أي فما كانوا

تفسير ابن كثير

أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت إلى غير ذلك من الآيات وقد قيل في تفسير قوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ما روى أبو جعفر الرازي أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقوله تعالى واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى في كتابه العزيز وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي الصحيحين وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي الفطر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك كما جبلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم أي لاكثر الأمم الماضية من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد الذي أخذه هو ما وما وجدنا لاكثرهم

بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه وأشفي لقلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به. 103 وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله أي انظر يا محمد كيف فعلنا أي بحججنا ودلائلنا البينة إلى فرعون وهو ملك مصر في زمن موسى وملئه أي قومه فظلموا بها أي جحدوا وكفروا بها ظلما منهم وعنادا كقوله تعالى بعثنا من بعدهم أي الرسل المتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين موسى بآياتنا يقول تعالى ثم

فرعون وقومه من قبط مصر فقال تعالى وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربهم ومليكهم. 104 يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجامة إياه بالحجة وإظهاره الآيات البينات بحضرة

أي أطلقهم من أسرك وقهرك ودعهم وعبادة ربك وربهم فإنهم من سلالة نبي كريم إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن. 105 أعلم من جلالة وعظيم شأنه قد جنتكم بيينة من ربكم أي بحجة قاطعة من الله أعطانيها دليلا على صدقي فيما جنتكم به فأرسل معي بني إسرائيل معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق وقرأ آخرون من أهل المدينة حقيق على بمعنى واجب وحق على ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق لما الله إلا الحق أي جدير بذلك وحري به قالوا والباء وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجاء على حال حسنة وبحال حسنة وقال بعض المفسرين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق فقال بعضهم معناه حقيق بأن لا أقول على

من الصادقين أي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت ولا بمطيعك فيما طلبت فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها إن كنت صادقا فيما ادعيت. 106 قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت

بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت. رواه ابن جرير والإمام أحمد في كتابه الزهد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم. 107 موسى الذي رد فقال فرعون خذوه فبادر موسى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين فحملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا وقال وهب بن منبه لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون أعرفك قال نعم قال ألم نربك فينا وليدا قال فرد إليه منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فعدت عصا وروي هي ثعبان مبين الثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والآخر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها زعر فرعون أنها قاصدة إليه أقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل وقال قتادة: تحولت حية عظيمة مثل المدينة. وقال السدي في قوله فإذا الأصبع بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال فآلقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاخرة فاهها مسرعة إلى فرعون فلما رآها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ثعبان مبين الحية الذكر وكذا قال السدي والضحاك وفي حديث الفتون من رواية يزيد بن هارون بن الآية وقال ابن عباس في حديث الفتون من غير سوء يعني من غير برص ثم أعادها إلى كفه فعدت إلى لونها الأول وكذا قال مجاهد وغير واحد. 108 أي أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلأأ من غير برص ولا مرض كما قال تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قوله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين

تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته وظهور كذبه وإفترائه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم. 109 إليه روعه واستقر على سرير مملكته بعد ذلك قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم فوافقوه وقالوا كمقالته وتشاوروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف أي قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعد ما رجع

من طين الآية. فإن المراد منه آدم المخلوق من السلاله وذريته مخلوقون من نطفة وصح هذا لأن المراد من خلقنا الإنسان الجنس لا معينا والله أعلم. 11 الذين كانوا في زمن موسى ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء وهذا بخلاف قوله ولقد خلقنا الإنسان من سلاله كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى والمراد بالآباء آبائهم أي خلقنا آدم ثم صورنا الذرية وهذا فيه نظر لأنه قال بعده ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فدل على أن المراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر

تفسير ابن كثير

عن بعض السلف أيضا أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية. وقال الربيع بن أنس والسدي وقتادة والضحاك في هذه الآية ولقد خلقناكم ثم صورناكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء. رواه الحاكم. وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ونقل ابن جرير الذين قررناه هو اختيار ابن جرير أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام. وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن منهل بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بالسجود له تعظيما لشأن الله تعالى وجلاله فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين وقد تقدم الكلام على إبليس في أول سورة البقرة. وهذا ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشرا سويا ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا وهذا كقوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته على شرف أبيهم آدم وبيين لهم عداوة عدوهم إبليس وما هو منطو عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه فقال تعالى ولقد خلقناكم يبنه تعالى بني آدم في هذا المقام

تعالى ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون فلما تشاوروا في شأنه وانتصروا بما فيه اتفق رأيهم على ما حكاها الله تعالى عنهم. 110 إخراجهم إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه كما قال

وأوهم من أوهم منهم أن ما جاء موسى به عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلماذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات. 111 الأقاليم ومدائن ملكك حاشرين أي من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا واعتقد من اعتقد منهم قال ابن عباس أرجه أخره وقال قتادة احبسه وأرسل أي ابعث في المدائن أي في

موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيدهم ثم أتى وقال تعالى ههنا. 112 أخبر تعالى عن فرعون حيث قال أجتئنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك

موسى ليثيبينهم وليعطينهم عطاء جزيلا فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده فلما توثقوا من فرعون لعنه الله. 113 يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام إن غلبوا

موسى ليثيبينهم وليعطينهم عطاء جزيلا فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده فلما توثقوا من فرعون لعنه الله. 114 يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام إن غلبوا

من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين أي قبلك كما قال الآية الأخرى وإما أن نكون أول من ألقى. 115 وهذه مبارزة

سبعين ألف ساحر فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى ولهذا قال تعالى وجاءوا بسحر عظيم. 116 يقول فرقوهم أي من الفرق وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليه عن هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن أبي برة قال جمع فرعون

الوادي يركب بعضها بعضا وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس رجل منهم إلا ومعه حبل وعصا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصي فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت وفرعون في مجلسه مع أشرف أهل مملكته ثم قال السحرة يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيتهم فكان أول تسعى وقال محمد بن إسحاق صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى عليه السلام معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع الساحر حيث أتى قال سفيان بن عيينة: حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قال فأقبلت يخيّل إليه من سحرهم أنها إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الناس واسترهبوهم أي خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال كما قال تعالى فإذا جبالهم وعصيتهم يخيّل ومحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار منهم لمجيئه فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى فلما ألقوا سحروا أعين قال لهم موسى عليه السلام ألقوا أي أنتم أولا قيل الحكمة في هذا والله أعلم ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه فإذا فرغوا من بهرجهم

عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع جبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. 117 ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك فألقى محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت جبالهم ولا من خشبهم إلا التفتته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرخوا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وقال بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره

عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع جبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. 118 ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك فألقى

تفسير ابن كثير

محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرخوا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وقال بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره

عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. 119 ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك فألقى محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرخوا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وقال بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره

بن مالك حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس إسناد صحيح أيضا. 12 ابن شاذب عن مطر الوراق عن الحسن في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين. قال قاس إبليس وهو أول من قاس إنسانه صحيح وقال حدثني عمر وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح وخلقت الحور العين من الزعفران وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن خلق الله الملائكة من نور العرش وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم. قلت لنعيم بن حماد أين سمعت هذا من عبد الرزاق؟ قال باليمن إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم. هكذا رواه مسلم وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا والانتقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة ولهذا خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والإستكانه الرحمة أي أوبس من الرحمة فأخطأ قبجه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضا فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت والطين خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وقاس قياسا فاسدا في مقابلة نص قوله تعالى فقعهوا له ساجدين فشذ من بين الملائكة لترك السجود فلماذا أبلس من ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر للعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم وهو أن الله تعالى منه من العذر الذي هو أكبر من الذنب كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول يعني لعنه الله وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له؟ مضمن معنى فعل آخر تقديره ما أخرجك وألزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ونحو هذا. وهذا القول قوي حسن والله أعلم وقول إبليس لعنه الله أنا خير للنبي على ما النافية لتأكيد النفي قالوا وكذا هنا ما منعك أن لا تسجد مع تقدم قوله لم يكن من الساجدين حكاهما ابن جرير وردهما واختار أن منعك قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك لا هنا زائدة وقال بعضهم زيدت لتأكيد الجحد كقول الشاعر: ما إن رأيت ولا سمعت بمثله. فأدخل إن وهي قال بعض النحاة في توجيهه

عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. 120 ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك فألقى محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرخوا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وقال بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره

عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. 121 ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك فألقى محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرخوا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وقال بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره

عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. 122 ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك فألقى

تفسير ابن كثير

محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرجوا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وقال بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره

أي تجتمعوا أنتم وهو وتكون لكم دولة وصولة وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم فسوف تعلمون أي ما أصنع بكم. 123
لأتين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليهما قالوا فلماذا قال ما قال وقوله لتخرجوا منها أهلها لمكر مكروته في المدينة قال التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى أرايتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق قال الساحر الأعلى من أجهل خلق الله وأضلهم وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى إن هذا وفرعون يعلم ذلك وإنما قال هذا تسترا وتديسا على رعا دولته وجهلهم كما قال تعالى فاستخف قومه فأطاعوه فإن قوما صدقوه في قوله أنا ربكم ولهذا قد كانوا من أحرص الناس على ذلك وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون. وموسى عليه السلام لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ممن اختار هو والملا من قومه وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون إلى الله وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به فعند ذلك أرسل فرعون كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك كقوله في الآية الأخرى إنه لكبيركم الذي علمكم السحر وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل بموسى عليه السلام وما أظهره للناس من كيد ومكره في قوله إن هذا لمكر مكروته في المدينة لتخرجوا منها أهلها أي إن غلبته لكم في يومكم هذا إنما يخبر تعالى عما توعده به فرعون لعنه الله السحرة لما آمنوا

وقال في الآية الأخرى في جذوع النخل أي على الجذوع قال ابن عباس: وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون. 124
فسر هذا الوعيد بقوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يعني يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس ولأصلبكنم أجمعين

أشد من عذابك ونكاله على ما تدعوننا إليه اليوم وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك فلنصبر اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله. 125
قول السحرة إنا إلى ربنا منقلبون أي قد تحققنا أنا إليه راجعون وعذابه

في أول النهار سحرة فصاروا في آخره شهداء بررة قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة وابن جريج كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء. 126
السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأت مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى فكانوا أي متابعين لنبيك موسى عليه السلام وقالوا لفرعون فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أي عمنا بالصبر على دينك والثبات عليه وتوفنا مسلمين

وهكذا عومل في صنيعه أيضا لما أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد. أعزهم الله وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده. 127
ونستحي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذرا من وجوده فكان خلاف ما أراد وضد ما قصده فرعون عباس كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم السامري عجلا جسدا له خوار. فأجابهم فرعون فيما سأله بقوله سنقتل أبناءهم لفرعون إله يعبد في السر. وقال في رواية أخرى كان له حنانة في عنقه معلقة يسجد لها. وقال السدي في قوله تعالى ويذكر وألهتك فيما زعم ابن وقرأ بعضهم لإلهتك أي عبادتك وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الأولى قال بعضهم: كان لفرعون إله يعبد قال الحسن البصري كان ذلك أبي بن كعب وقد تركوك أن يعبدوك وألهتك حكاه ابن جرير وقال آخرون هي عاطفة أي أندعهم يصنعون في الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى ترك ألهتك هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا ويذكر وألهتك قال بعضهم الواو هاهنا حالية أي أئذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك؟ وقرأ ليفسدوا في الأرض أي يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك. يا لله العجب صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه عليه فرعون وملاؤه وما أضمره لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة وقال الملا من قوم فرعون أي لفرعون أئذر موسى وقومه أي أندعهم يخبر تعالى عما تمالأ

لقومه استعينوا بالله واصبروا ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. 128
لما صمم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل قال موسى

وما يصيرون إليه في ثاني الحال عسى ربكم أن يهلك عدوكم الآية وهذا تحضيض لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم. 129
قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ومن بعد ذلك فقال منبها لهم على حالهم الحاضر قالوا أؤذينا من

إنك من الصاغرين أي الدليلين الحقيرين معاملة له بنقيض قصده ومكافأة لمراده بضده فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النظرة إلى يوم الدين. 13
فما يكون لك أن تتكبر فيها قال كثير من المفسرين الضمير عائد إلى الجنة ويحتمل أن يكون عائدا إلى المنزل التي هو فيها في الملكوت الأعلى فأخرج

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخاطبا لإبليس بأمر قدرتي كوني فاهبط منها أي بسبب عصيانك لأمرى وخروجك عن طاعتي

ونقص من الثمرات قال مجاهد وهو دون ذلك وقال أبو إسحاق عن رجاء بن حيوة كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة لعلهم يذكرون. 130

يقول تعالى ولقد أخذنا آل فرعون أي اختبرناهم وامتحانهم وابتليناهم بالسنين وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع

عند الله يقول مصائبهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال ابن جريج عن ابن عباس قال ألا إنما طائرهم عند الله أي من قبل الله. 131

جذب وقحط يطيطروا بموسى ومن معه أي هذا بسببهم وما جاءوا به ألا إنما طائرهم عند الله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ألا إنما طائرهم

فإذا جاءتهم الحسنة أي من الخصب والرزق قالوا لنا هذه أي هذا لنا بما نستحقه وإن تصبهم سيئة أي

تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين يقولون أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. 132

هذا إخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قولهم مهما

فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركد لا يقدر على أن يحرقوا ولا أن يعملوا شيئا حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك. 133

إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات فأخذه بالسنين وأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات.

وقتادة وغير واحد من علماء السلف أنه أخبر بذلك وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلوبا ثم أبى

عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. وقد روي نحو هذا عن ابن عباس والسدي

لنا شراب فقال: إنه قد سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا فأتوه وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف

يؤمنوا وأرسل الله عليهم الدم فكانوا ما استقوا من الأنهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا إلى فرعون فقالوا إنا قد ابتلينا بالدم وليس

إلى ذقنه في الضفادع ومهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فلم

هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع فقال لفرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس

ثلاثه أقدرة فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل فبينما

وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي فلم يرد منها إلا

يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فداوسوا

قبل ذلك من الزروع والثمار والكلاء فقالوا هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلاء فلما رأوا أثره في الكلاء عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا

ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فأثبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته

موسى فرعون عليه السلام قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئا خافوا أن يكون عذابا فقالوا لموسى

القردان فوق القممقامة وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن حميد الرازي حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: لما أتى

أبنائهم وسلاسلأ أجدا وبابا موصدا قال وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الحمان واحدها حمانة وهي صغار

بن أسلم القمل البراغيث وقال ابن جرير القمل جمع واحدها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكلها الإبل فيما بلغني وهي التي عنها الأعشى بقوله: قوم يعالج قملا

أنه الدبا وهو الجراد الصغار الذي لا أجنة له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير: القمل دواب سود صغار. وقال عبدالرحمن بن زيد

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وباء مع السيف ولا لحاء مع الجراد حديث غريب وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الحنطة وعنه

بن أبي داود حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا عبدالرحمن بن قيس حدثنا سلم بن سالم حدثنا أبو المغيرة الجوزجاني محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال: قال

عند قوله إلا أمم أمثالكم حديث عمر رضي الله عنه أن الله خلق ألف أمة من ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأن أولها هلاك الجراد وقال أبو بكر

زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت قال من حقق ذلك إن السمك إذا باض في ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدا للشمس أنه يفسد كله جرادا طيارا. وقدمنا

وأرزاقتنا إنك سميع الدعاء فقال جابر: يا رسول الله أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال إنما هو نثرة حوت في البحر قال هشام: أخبرني

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دعا على الجراد قال اللهم أهلك كبارهم واقتل صغارهم وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواههم عن معايشنا

وروي ابن ماجه عن هرون الحماني عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن علاثة وعن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر

عليه وسلم في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربه بالعصي ونحن محرمون فسلأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا بأس بصيد البحر

عند قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة حديث حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله

سبعة جبابرة رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحها جناح نسر. ورجلاها رجل جمل. وذنبها ذنب حية. وبطنها بطن عقرب. وقدمنا

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد حدثنا أحمد بن عبدالرحيم أخبرنا وكيع عن الأعمش أنبأنا عامر قال: سئل شريح القاضي عن الجراد فقال قبح الله فيها خلقة

الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل ما فيها الدنيا باطل ما فيها الدنيا باطل ما فيها. وروى الحافظ أبو الفرج المعافي بن زكريا الحريري:

الأوزاعي يقول: خرجت إلى الصحراء فإذا أنا برجل من جراد في السماء فإذا برجل راكب على جرادة منها وهو شاك في الحديد وكلما قال بيده هكذا مال

عليهم الطوفان والجراد قال كانت تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب وروي ابن عساكر من حديث علي بن زيد الخرائطي عن محمد بن كثير: سمعت

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم غريب جدا. وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى فأرسلنا

تفسير ابن كثير

داود: حدثنا أبو بقي هشام بن عبد الملك المزني حدثنا بقية بن الوليد حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي زهير النميري ربه عز وجل أن يطعمها لحما لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياخ وقال نمير الشياخ الصوت وقال أبو بكر بن أبي عن يحيى بن يزيد القعني حدثني أبي عن صدي بن عجلان عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت أنس بن مالك يقول: كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يتهادين الجراد على الأطباق وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا داود بن رشيد حدثنا بقية بن الوليد الجراد فقال ليت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين نأكله وروى ابن ماجه: حدثنا أحمد بن منيع عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال سمع غريب لم أكتبه إلا من هذا الوجه وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهي ويحبه فروى عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر سئل عن ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها أما الجراد فرجز وعذاب. وأما الكلوتان فلقرهيهما من البول وأما الضب فقال أتخوف أن يكون مسخا ثم قال العدوي حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الجراد لأنه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب وأذن فيه وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد من حديث أبي سعيد الحسن بن علي التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجراد فقال أكثر جنود الله لا أكله ولا أحرمه وإنما تركه عليه السلام بن عبدالعزيز عن أبي تمام الأيلي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وروى أبو داود عن محمد بن الفرغ عن محمد بن زبرقان الأهوازي عن سليمان عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان. الحوت والجراد والكبد والطحال ورواه أبو القاسم البغوي عن داود بن رشيد عن سويد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد وروى الشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن وهب نائمون وأما الجراد فمعروف مشهور وهو مأكل لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الجراد فقال: غزونا مع ابن مردويه من حديث يحيى بن يمان به وهو حديث غريب وقال ابن عباس في رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك حدثنا المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت وكذا رواه أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال وقال ابن جرير: حدثنا ابن هشام الرافعي حدثنا يحيى بن يمان الطوفان اختلّفوا في معناه فعن ابن عباس في رواية كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم وعن ابن عباس في رواية قال الله تعالى فأرسلنا عليهم

جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه. 134
فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركد لا يقدرّون على أن يحرقوا ولا أن يعملوا شيئا حتى جهدوا

شيء يعلمه من الماء وجعل نقيقهن التسبيح وروي من طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه: وقال زيد بن أسلم: يعني بالدم الرعاف. رواه ابن أبي حاتم. 135
بن عمرو قال: لا تقتلوا الضفادع فإنها لما أرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار يطلب بذلك مرضات الله فأبدلهن الله من هذا أبرد نهر ولا يغترفون من إناء إلا عاد دما عبيطا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور المروزي أنا النضر أنا إسرائيل أنا جابر بن يزيد عن عكرمة عن عبيد الله ذلك قالوا له مثل ما قالوا فسأل ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه فلما جهدهم فضر به بها فأنثال عليهم قملًا حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كتيب حتى يضربه بعصاه فمضى إلى كتيب أهيل عظيم عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومسكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم كشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله

إسرائيل معه ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم ففرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها. 136
أنهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم وهو البحر الذي فرق له موسى فجاوزه وبني يخبر تعالى

فرعون وقومه أي وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون قال ابن عباس ومجاهد يعرشون بينون. 137
في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقوله ودمرنا ما كان يصنع يعني الشام وقوله وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا قال مجاهد وابن جرير وهي قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين وعن الحسن البصري وقتادة في قوله مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون أخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون وهم بنو إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ذلك فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل. 138

تفسير ابن كثير

بعض المفسرين كانوا من الكنعانيين وقيل كانوا من لخم. قال ابن جرير: وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا فأتوا أي فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم. قال يخبر تعالى عما قاله جهلة

إنكم تركبون سنن من قبلكم أوردته ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعا. 139 وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدره ويعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدره فقلت يا نبي الله: اجعل لنا ذات أنواط كما للكهفار ذات أنواط قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: إنكم صلى الله عليه وآله وسلم إلى حنين قال: وكان للكهفار سدره يعكفون عندها ومعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدره خضراء عظيمة قال تفسير هذه الآية من حديث محمد بن إسحاق وعقيل ومعمر كلهم عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله إن هؤلاء متبر ما هم فيه أي هالك وباطل ما كانوا يعملون وروى الإمام أبو جعفر بن جرير في

من المنظرين أجابه تعالى إلى ما سأله لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمنع ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. 14 قال أنظرنني إلى يوم يبعثون قال إنك

فيه من الهوان والذلة وما صاروا إليه من العزة والاشتفاء من عدوهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره وقد تقدم تفسيرها في البقرة. 140 يذكرهم موسى عليه السلام نعم الله عليهم من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا

فيه من الهوان والذلة وما صاروا إليه من العزة والاشتفاء من عدوهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره وقد تقدم تفسيرها في البقرة. 141 يذكرهم موسى عليه السلام نعم الله عليهم من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا

وعدم الإفساد. هذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء. 142 تعالى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن الآية فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون ووصاه الإصلاح وسلم كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب إلى الطور كما قال وروي عن ابن عباس وغيره فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكمل الله الدين لمحمد صلى الله عليه وأربعين وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة والعشر عشر ذي الحجة قاله مجاهد ومسروق وابن جريج. تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة قال المفسرون فصامها موسى عليه السلام وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل العشرة يقول تعالى ممثنا على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفصيل شرعهم فذكر

صحته نظر ولا تخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى منتهاه والله أعلم. 143 قال ولا يبعد على هذا أن يختص نبيا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى انتهى ما قاله وكأنه صحح هذا الحديث وفي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ثم الطور وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه الشفاء بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق: حدثنا قتادة حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب لفصل القضاء وتجلي للخلائق الملك الديان كما صعق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى ولهذا قال عليه السلام: فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يصعقون يوم القيامة الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى وقيل قبل أن يعلم بذلك وقيل نهى أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بمجرد الرأي والتشهي والله أعلم وقوله فإن الناس أعلم. والكلام في قوله عليه السلام لا تخيروني على موسى كالكلاب على قوله لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى قيل من باب التواضع الله أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار وهذا هو أصح وأصرح والله أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى ممسك بجانب العرش فلا أدري فغضب المسلم على اليهودي فلطمه فأثنى اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترف بذلك فقال قال: استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمد على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين أحمد في مسنده: حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وعبدالرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني الأنصاري المدني عن أبيه عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري به. وأما حديث أبي هريرة فقال الإمام الطور وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ومسلم في أحاديث الأنبياء من صحيحه وأبو داود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو

تفسير ابن كثير

من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الله إني مررت باليهودي فسمعتة يقول والذي اصطفى موسى على البشر قال وعلى محمد؟ قال فقلت وعلى محمد وأخذتني غصبة فلطمته قال لا تخبروني الله عليه وسلم قد لطم وجهه وقال: يا محمد إن رجلا من أصحابك من الأنصار لطم وجهي قال ادعوه فدعوه قال لم لطمت وجهه؟ قال: يا رسول فقال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم وقوله وخر موسى صعقا فيه أبو سعيد وأبن هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه ههنا وهذا قول حسن له اتجاه وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ههنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحاق بن يسار وكأنه تلقاه من الإسرائيليات وأنا أول المؤمنين أنه لا يراك أحد وكذا قال أبو العالية قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة ثبت إليك قال مجاهد أن أسألك الرؤية وأنا أول المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد من بني إسرائيل واختاره ابن جرير وفي رواية أخرى عن ابن عباس قرينة تدل على الغشي وهي قوله فلما أفاق والإقامة لا تكون إلا عن غشي قال سبكان تنزيها وتعظيما وإجلالا أن يراه أحد من الدنيا إلا مات وقوله في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فإن هناك قرينة تدل على الموت كما أن هنا بن مردويه والمعروف أن الصعق هو الغشي ههنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وإن كان ذلك صحيحا في اللغة كقوله تعالى ونفخ وقال عكرمة: جعله دكا قال نظر الله إلى الجبل فصار صحرا ترابا وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه تراني فإنه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر إلى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا. حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكاك وقال بعضهم جعله دكا أي فتنة وقال مجاهد في قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف لموسى على الطور دك وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف. وقال الربيع بن أنس فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وذلك أن الجبل الهيثم بن خازجة حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة بن رويم قال: كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صماء ملساء فلما تجلى الله بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حراء وثبير وثور وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي البلج حدثنا عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شبيب حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكتاني حدثنا عبدالعزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجدل بن أيوب جعله دكا انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة وجاء في بعض الأخبار أنه ساخ في الأرض فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة رواه ابن مردويه. سفيان الثوري: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه. وقال سنيد عن حجاج بن محمد الأعور عن أبي بكر الهذلي فلما تجلى ربه للجبل قال ما تجلى منه إلا قدر الخنصر جعله دكا قال ترابا وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه رواه ابن جرير. وقال قتادة: وخر موسى صعقا قال ميتا. وقال ولا يصح أيضا رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى فلما تجلى ربه للجبل بن مردويه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه وأسنده ابن مردويه من طريق ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا فيه وقد رواه داود بن المحبر عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعا وهذا ليس بشيء لأن داود بن المحبر كذاب رواه الحافظان أبو القاسم الطبراني وأبو بكر الحسن بن محمد بن علي الخلال عن محمد بن علي بن سويد عن أبي القاسم البغوي عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة إلا من حديث حماد. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة به وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه أبو محمد الوراق عن معاذ بن معاذ به وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما تريد إليه؟ وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم أنه أخرج طرف الخنصر. قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما العنبري حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فلما تجلى ربه للجبل قال: قال هكذا يعني فضرب صدر حميد وقال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول أنس وأنا أكتمه؟ وهذا رواه الإمام أحمد في مسنده: حدثنا أبو المثنى معاذ بن معاذ عليه وسلم فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ووضع الإبهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل قال حميد لثابت يقول هكذا فرفع ثابت يده سلمة عن ثابت عن ليث عن أنس كما قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هكذا بأصبعه ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل هكذا وقع في هذه الرواية حماد بن ثم قال حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن ليث عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما تجلى ربه للجبل أشار بأصبعه فجعله دكا وأرانا أبو إسماعيل بأصبعه السبابة هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم موسى صعقا قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: حدثنا أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الأعمش عن رجل عن أنس أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولهذا قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وقد تقدم ذلك في الأنعام وفي الكتب المتقدمة كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل إنها لنفي التأييد في الدنيا جمعا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة وقيل إن

تفسير ابن كثير

الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنورها عند قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وقوله تعالى إخبارا عن الكفار العلماء لأنها موضوعة لنفي التأييد فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الأقوال لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى لميقات الله تعالى وحصل له التسليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني وقد أشكل حرف لن ههنا على كثير من يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء

الرحمن عليه السلام ولهذا قال الله تعالى له فخذ ما آتيتك أي من الكلام والمناجاة وكن من الشاكرين أي على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به. 144 والمرسلين الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة وأتباعه أكثر من أتباع الأنبياء كلهم وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل ثم موسى بن عمران كليم على عالمي زمانه برسالاته وكلامه ولا شك أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ولهذا اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه

قوم فرعون والأول أولى والله أعلم لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم. 145 لمن عصاه وخالف أمره نقل معنى ذلك عن مجاهد والحسن البصري وقيل معناه سأريكم دار الفاسقين أي من أهل الشام وأعطيتكم إياها وقيل منازل قال ابن جرير: وإنما قال سأوريكم دار الفاسقين كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غدا إلى ما يصير إليه حال من خالف أمري على وجه التهديد والوعيد أن يأخذ بقوة أي بعزم على الطاعة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال سفيان بن عيينة ثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: أمر موسى عليه السلام فخذها بقوة أي بعزم على الطاعة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال سفيان بن عيينة ثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: أمر موسى عليه السلام بصائر للناس وقيل الألواح أعطيتها موسى قبل التوراة فالله أعلم وعلى كل تقدير فكانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منها والله أعلم وقوله وأحكاما مفصلة مبينة للحلال والحرام وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قيل كانت الألواح من جوهر وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ

سبيلا ثم علل مصيرهم إلى هذه الحال بقوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا أي كذبت بها قلوبهم وكانوا عنها غافلين أي لا يعلمون شيئا مما فيها. 146 وقوله وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا أي وإن ظهر لهم سبيل الرشدا لا يسلكوها وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه هذا والله أعلم وقوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى إن الذين حقت عليه كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم قال ابن جرير: وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة. قلت: ليس هذا بلازم لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في ذل الجهل أبدا. وقال سفيان بن عيينة في قوله سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي أول مرة وقال تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال بعض السلف لا ينال العلم حبي ولا مستكبر وقال آخر: من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون على الناس بغير حق أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به يقول تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب حبط عمله وقوله هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون أي إنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها إن خيرا فخير وإن شرا فشر وكما تدين تدان. 147 قوله والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم أي من فعل منهم ذلك واستمر عليه إلى الممات

الجهل والضلال كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم. 148 عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه أن عبدوا معه عجلا جسدا له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقال في هذه الآية الكريمة ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذوهم كالبقر على قولين والله أعلم ويقال إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتنوا به وقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي قال الله تعالى أفلا يرون ألا يرجع من بعدك وأضلهم السامري وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحما ودما له خوار أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات الله تعالى فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى إخبارا عن نفسه الكريمة قال فإننا قد فتنا قومك فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصام فصام عجلا جسدا له خوار والخوار صوت البقر وكان يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم

ترحمنا بالتاء المثناة من فوق ربنا منادى ويغفر لنا نكون من الخاسرين أي من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله عز وجل. 149 قوله ولما سقط في أيديهم أي ندموا على ما فعلوا ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا وقرأ بعضهم لئن لم

من المنظرين أجابه تعالى إلى ما سأل لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمنع ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. 15 قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك

براءة ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. 150 القوم الظالمين أي لا تسوقني سياهم وتجعلني معهم وإنما قال ابن أم ليكون أرق وأنجع عنده وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام

تفسير ابن كثير

خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي وقال ها هنا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع قد قصر في نهيهم قال في الآية الأخرى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة وقوله وأخذ برأس أخيه يجره إليه خوفا أن يكون وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء زمره. وقيل من ياقوت وقيل من برد. وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث ليس الخبر كالمعاينة ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبا على قومه أعجلتم أمر ربكم يقول استعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدر من الله تعالى وقوله وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قيل: كانت الألواح من تعالى وهو غضبان أسف قال أبو الدرداء أشد الغضب قال بئسما خلفتموني من بعدي يقول بئس ما صنعت في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتكم وقوله يخبر تعالى أن موسى عليه السلام رجع إلى قومه من مناجاة ربه

الله عليه وسلم يرحم الله موسى ليس المعايين كالمخبر أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رأيهم ألقى الألواح. 151 وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا عفان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى عند ذلك قال موسى رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين

ذليل ثم نبه تعالى عباده وأرشداهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق ولهذا عقب هذه القصة. 152 عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية وكذلك نجزي المفتريين فقال هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة. وقال سفيان بن عيينة كل صاحب بدعة متصلة من قلبه على كتفيه كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين. وهكذا روى أيوب السختياني الرحيم وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلة وصغاراً في الحياة الدنيا وقوله وكذلك نجزي المفتريين نائلة لكل من افتري بدعة فإن ذل البدعة ومخالفة الرشد لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضاً كما تقدم في سورة البقرة فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى

الآية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم فتنالها عبد الله عشر مرات فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها. 153 بن إبراهيم ثنا أبان ثنا قتادة عن عذرة عن الحسن العرنى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه وآمنوا إن ربك أي يا محمد يا رسول التوبة ونبى الرحمة من بعدها أي من بعد تلك الفعلة لغفور رحيم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مسلم قوله والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها

هم المشفوعون والشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد. 154 أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال رب إني أجد في الألواح أمة تركت فتأكلها السباع والطير وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيروهم قال رب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله نارا فأكلتها وإن ردت عليه رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون فصول الضلالة حتى يقاثلون الأعداء فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال نظرا حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها وكان من قبلهم يقرءون كتابهم للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد: قال رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون أي آخرون في الخلق سابقون لربهم يرهبون ضمن الرهبة معنى الخضوع ولهذا عداها باللام. وقال قتادة في قوله تعالى أخذ الألواح قال رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت هذا. وأما الدليل الواضح على أنها تكسرت حين ألقاها وهي من جوهر الجنة فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها بعدما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة للذين هم فوجد فيها هدى ورحمة وأما التفصيل فذهب وزعموا أن راضاها لم يزل موجودا في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية والله أعلم بصحة لله وغضبا له وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون يقول كثير من المفسرين إنها لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ولهذا قال بعض السلف يقول تعالى ولما سكنت عن موسى الغضب أي غضبه على قومه أخذ الألواح أي التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة

وترك المؤاخاة بالذنب والرحمة إذا قرنت مع الغفر يراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل وأنت خير الغافرين أن لا يغفر الذنوب إلا أنت. 155 معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فالملك كله لك والحكم كله لك لك الخلق والأمر وقوله أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين الغفر هو الستر ولا معنى له غير ذلك يقول إن الأمر إلا أمرك وإن الحكم إلا لك فما شئت كان تضل من تشاء وتهدي من تشاء ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا وقوله إن هي إلا فتنتك أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية وربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف ومجاهد وابن جرير أنهم أخذتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا قومهم في عبادتهم العجل ولا نهوهم ويتوجه هذا القول بقول موسى أنه هلكنا بما فعل السفهاء منا أنبياء كلهم هذا أثر غريب جدا وعمارة بن عبيد هذا لا أعرفه وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن رجل من بني سلول عن علي فذكره وقال ابن عباس وقاتلة

تفسير ابن كثير

وقال يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال فأحياهم الله وجعلهم يا هارون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكن توفاني الله قالوا يا موسى لن تعصى بعد اليوم فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى عليه السلام يرجع يميناً وشمالاً خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاختراروا من شئتكم قال فاختراروا سبعين رجلاً قال فذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلاً فلما انتهوا إليه قالوا جبل فقام هارون على سرير فتوفاه الله عز وجل فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له أين هارون قال توفاه الله عز وجل قالوا أنت قتلتته حسدتنا على سفيان الثوري حدثني أبو إسحاق عن عمارة بن عبيد السلولي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انطلق موسى وهارون وشبر وشبير فانطلقوا إلى سفح فماتوا جميعاً فقام موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرِبَ دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا وقعوا سجوداً سمعوه وهو يكلم يأمره وينهاه يفعل ولا تفعل فلما فرغ من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلم الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا إلا بإذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه أهلك خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي وقال محمد بن إسحاق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير وقال انطلقوا إلى الله موسى حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلمته فأرناهم فأخذتهم الصاعقة فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد إليه من عبادة العجل ووعدهم موعداً واختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينيه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي الآية. وقال السدي إن الله أمر موسى أن يأتيه في ثلاثين من بني إسرائيل يعتذرون من قومه سبعين رجلاً فاختر سبعين رجلاً فبرزهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا الله قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحدًا قبلنا ولا تعطه أحدًا بعدنا ففكره الله ذلك قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية كان الله أمره أن يختار

قوله ويؤتون الزكاة قيل زكاة النفوس وقيل الأموال ويحتمل أن تكون عامة لهما فإن الآية مكية والذين هم بآياتنا يؤمنون أي يصدقون. 156
وقوله للذين يتقون أي ساجعها للمتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يتقون أي الشرك والعظائم من الذنوب هذا لا أعرفه وقوله فسأكنبها للذين يتقون الآية. يعني فسأوجب حصول رحمتي منة مني وإحساناً إليهم كما قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتناول لها إبليس رجاء أن تصيبه. هذا حديث غريب جداً وسعد بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الأحق في معيشتته والذي نفسي بيده حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة منها جزء واحد بين الخلق به يتراحم الناس والوحش والطير. ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأعمش به وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني الوجه وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله مائة رحمة فقسم لله مائة رحمة عنده تسعة وتسعون وجعل عندكم واحدة تتراحمون بها بين الجن والإنس وبين الخلق فإذا كان يوم القيامة ضمها إليه تفرد به أحمد من هذا صلى الله عليه وسلم به وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بإخراجه مسلم فرواه من حديث سليمان هو ابن طرخان وداود بن أبي هند كلاهما عن أبي عثمان واسمه عبد الرحمن بن مل عن سلمان هو الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله عز وجل مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة. تفرد أحمد وأبو داود عن علي بن نصر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وقال أحمد أيضاً حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنها وإنسها وبهائمها وأخر عنده تسعا وتسعين رحمة أتقولون هو أضل أم بعيره؟ رواه ولا تشرك في رحمتنا أحدًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقولون هذا أضل أم بعيره ألم تسمعون ما قال؟ قالوا بلى قال لقد حظرت رحمة الواسعة ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى راحلته فأطلق عقالها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارحمني ومحمداً عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي عبد الله الجشمي حدثنا جندب هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم علقها الآية عظيمة الشمول والعموم كقوله تعالى إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً. وقال الإمام أحمد حدثنا ورحمتي وسعت كل شيء أي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ولي الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو وقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء لأنهم قالوا إنا هدنا إليك جابر بن يزيد الجعفي ضعيف. يقول تعالى مجيباً لنفسه في قوله إن هي إلا فتنتك الآية. قال عذابي أصيب به من أشاء والسدي وقتادة وغير واحد وهو كذلك لغة وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال إنما سميت اليهود تفسير الحسنة في سورة البقرة إنا هدنا إليك أي تنبأ ورجعنا وأنبأ إليك قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد وأبو العالية والضحاك وإبراهيم التيمي الفصل الأول من الدعاء دفع لمحدور وهذا لتحصيل المقصود واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة أي أوجب لنا وأثبت لنا فيهما حسنة وقد تقدم واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة

تفسير ابن كثير

عظموه ووقروه وقوله واتبعوا النور الذي أنزل معه أي القرآن والوحي الذي جاء به مبلغا إلى الناس أولئك هم المفلحون أي في الدنيا والآخرة. 157
على القوم الكافرين. وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه قد فعلت قد فعلت وقوله فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه أي
إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا
ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل وقال رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ولهذا قال أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا ربنا لا تؤاخذنا
كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي
بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا. وقال صاحب أبو بزة الأسلمي إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت تيسيره وقد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية السمحة وقال صلى الله عليه وسلم لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن
إلى ما استخبتته وفيه كلام طويل أيضا وقوله ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي أنه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق
بها من ذهب من العلماء إلا أن المرجع في حل المأكَل التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها إلى ما استطابته العرب في حال رفاهيتها وكذا في جانب التحريم
فهو خبيث ضار في البدن والدين وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتقيح العقليين وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضع له وكذا احتج
يستحلونه من المحرمات من المأكَل التي حرّمها الله تعالى. قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من المأكَل فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ما حرّمه
والوسائل والحام ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم ويحرم عليهم الخبائث قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلحم الخنزير والربا وما كانوا
فظنوا به الذي هو أهداه وأنهاه وأتقاه وقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب
ابن سعيد عن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: إذا حدثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا
علي رضي الله عنه قال: إذا سمعتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فظنوا به الذي هو أهدى والذي هو أهنى والذي هو أتقى ثم رواه عن يحيى عن
أحمد رضي الله عنه بإسناد جيد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن
أنه منكم قريب فأننا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأننا أبعدكم منه. رواه الإمام
أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون
وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر هو العقدي عبد الملك بن عمرو حدثنا سليمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد عن
وحده لا شريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
بن مسعود إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فاذعوا سمعكم فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته
الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في الكتب المتقدمة. وهكذا كانت حاله عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر كما قال عبد الله
أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيوف مسلولة والدم مهراق وقوله تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذه صفة
أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا قال كيف تجد الذي بعده قال أجده صدا حديد قال فوضع عمر يده على رأسه وقال يا دفراه يا دفراه قال يا
قال نعم قال كيف تجدني قال أجده قرن فرجع عمر الدرة وقال قرن مه قال قرن حديد أمير شديد قال فكيف تجد الذي بعدي قال أجده خليفة صالحا غير
الجريري أخبرهم عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر هل تجدني في الكتاب
لا نبي بعده وهذا الخليفة بعده وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه وقال أبو داود حدثنا عمر بن حفص أبو عمرو الضرير حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن إياس
الله عليه وسلم وإذا رجل أخذ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم قلت من هذا الرجل القابض على عقبه قال إنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي فإنه
النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا فقال فيم أنتم فأخبرناه فذهب بنا إلى منزله فساعة ما دخلت نظرت إلى صورة النبي صلى
بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب فقال هل عندكم رجل نبيا قلت نعم قال هل تعرف صورته إذا رأيته قلت نعم فأدخلني بيتا فيه صور فلم أر صورة
أم عثمان بنت سعيد وهي جدتي عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال: خرجت تاجرا إلى الشام فلما كنت
القاسم الطبراني حدثنا موسى بن هارون حدثنا محمد بن إدريس بن وراق بن الحميدي حدثنا محمد بن عمر بن إبراهيم من ولد جبير بن مطعم قال حدثني
بن عمرو ثم قال ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا والله أعلم وقال الحافظ أبو
بن علي فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله
فما اختلف حرفا إلا أن كعبا قال بلغته قال قلوبا غلوفيا وأذانا صموميا وأعينا عموميا. وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال
غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوبا غلفا وأذانا صما وأعينا عميا. قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك
إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدني ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا
فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله
الكبير أبو بكر البهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة فذكره وإسناده لا بأس به. وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا عثمان بن عمر حدثنا
لو أراد الله به خيرا لفعل ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم وهكذا أورده الحافظ
حتى أموت ثم أجازنا فأحسن جازتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا وما أجازنا قال فبكي أبو بكر وقال مسكين

تفسير ابن كثير

مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال ثم قال أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وإني كنت عبدا لأشركم ملكه لأننا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله فقال إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأُنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند الوجه فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام قلنا من أين لك هذه الصور لأننا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام سليمان بن داود عليهما السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا شاب شديد سواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الأيتين طويل الرجلين راكب فرسا فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا داود منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة كصورة آدم كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب إلى الحمرة قال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا إسماعيل جد نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم فتح بابا آخر فاستخرج هذا؟ قلنا لا قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه ألقى الأنف حسن القامة يعلو وجهه هذا؟ قلنا لا قال هذا إسحاق عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفته خال فقال هل تعرفون لوط عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة ألقى خفيف العارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون بن عمران عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا قلنا لا قال هذا موسى عليه السلام وإلى جنبه صورة تشبهه إلا أنه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبل فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا هرون سوداء فإذا فيها صورة أدماء سحماء وإذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الأسنان متقلص الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا؟ نعم إنه لهو كأنك تنظر إليه فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال أما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة عليه وسلم فقال أتعرفون هذا؟ قلنا نعم هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وبكينا قال والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال والله إنه لهو قلنا أبيض اللحية كأنه يبتسم فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا إبراهيم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فإذا فيه صورة بيضاء وإذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد الناس شعرا ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر كشعر القطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال هل عظيم الأيتين لم أر مثل طول عنقه وإذا ليست له لحية وإذا له ضفيران أحسن ما خلق الله فقال أتعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام وإذا هو أكثر الربة العظيمة مذهبة فيها بيوت صفار عليها أبواب ففتح بيتا وقفلا فاستخرج حريرة سوداء فنشرناها فإذا فيها صورة حمراء وإذا فيها رجل ضخم العينين صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه فقال قوموا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقمنا ثلاثا فأرسل إلينا ليلا فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأعدناه ثم دعا بشيء كهينة خرجت من نصف ملكي قلنا لم؟ قال لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأنها تكون من حيل الناس ثم سألنا عما أراد فأخبرناه ثم قال كيف الغرفة أكلما قلموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم قلنا لا ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك قال لوددت أنكم كلما قاتم انتفض كل شيء عليكم وإني قد فما أعظم كلامكم؟ قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها قال فهذه الكلمة التي قلموها حيث انتفضت التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها قال كيف تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا السلام عليك قال فكيف تحيون ملككم؟ قلنا بها قال فكيف يرد عليكم؟ قلنا بها قال فدنوننا منه فضحك فقال ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم؟ وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك بدينكم وأرسل إلينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقة من الروم وكل شيء في مجلسه أحمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة وهو ينظر إلينا فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر فإله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح. قال فأرسل إلينا ليس لكم أن تجهروا علينا لا ندخل إلا عليها فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فأمرهم أن ندخل على رواحنا فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأنخنا في أصلها رسولا إلى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال قلنا والله محمد صلى الله عليه وسلم قال لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل فكيف صومكم؟ فأخبرناه فملى وجهه سوادا فقال قوموا وبعث معنا فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا ومجلسك هذا والله لناخذنه منك ولناخذن ملك الملك الأعظم إن شاء الله أخبرنا بذلك نبينا فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلهم هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام فإذا عليه ثياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك؟ الغساني فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له فأرسل إلينا برسوله نكلمه فقلنا والله لا نكلم رسولا وإنما بعثنا إلى الملك فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول العاص الأموي قال بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام فخرجنا حتى قدمنا القوطة يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبلة بن الأيهم حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا عبدالعزيز بن مسلم بن إدريس حدثنا عبد الله بن إدريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن ثم تولى كفه والصلاة عليه هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس وقال الحاكم صاحب المستدرک أخبرنا محمد بن عبد الله بن إسحاق البغوي لا فقال ابنه إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال أقيموا اليهودي عن أخيك كاجمل الفتیان وأحسنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه هكذا أي الرجل فلأسمعن منه قال فتلقتني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهما حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت

تفسير ابن كثير

عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا بشروا أمهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم. كما روى الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن الجريري الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وهذه صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الأنبياء وكلماته أي يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه واتبعوه أي اسلكوا طريقه واقتفوا أثره لعلكم تهتدون أي الصراط المستقيم. 158 والإيمان به النبي الأمي أي الذي وعدتم به وبشركم به في الكتب المتقدمة فإنه مبعوث بذلك في كتبهم ولهذا قال النبي الأمي وقوله الذي يؤمن بالله شيء وربه ومليكه الذي بيده الملك والإحياء والإماتة وله الحكم وقوله فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي أخبرهم أنه رسول الله إليهم ثم أمرهم باتباعه وقوله الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت صفة الله تعالى في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي أرسلني هو خالق كل فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا إسناده صحيح ولم أرهم خرجوه والله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر بسند جيد أيضا وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضا من حديث جابر بن عبد الله مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة وإني قد اختبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا وهذا أيضا صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب أصحاب النار. تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار. وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس وهو سليم بن جببر عن أبي هريرة عن يؤمن بي لم يدخل الجنة. وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال: قال رسول الله والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن صلى الله عليه وسلم قال: من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم قد سأل فأخبرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله. إسناده جيد قوي أيضا ولم يخرجوه وقال أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم والخامسة هي ما هي قيل لي سل فإن كل نبي ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ مني رعبا وأحلت لي الغنائم أكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فقال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهم أحد قبلي أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ونصرت على العدو بالرعب أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى انصرف إليهم فهي لمن لا يشرك بالله شيئا إسناده جيد ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهاد عن عمرو بن شعيب عن والأسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخبرتها لأمتي يوم القيامة عن مقسم عن ابن عباس مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخرا: بعثت إلى الناس كافة الأحمر الله إليكم جميعا فقلت كذبت وقال أبو بكر صدقت انفرد به البخاري. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي زياد وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لأننا كنت أظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر قال أبو الدرداء فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم هذا فقد غامر أي غاضب وحاقد قال وندم عمر على ما كان منه فأقبل بكر عمر فأنصرف عنه عمر مغضبا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر بن عبيد الله حدثني أبو إدريس الخولاني قال سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاوراة فأغضب أبو الله في تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زيد حدثني كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم قال البخاري رحمه الأحزاب فالنار موعده وقال تعالى وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والآيات في هذا كثيرة وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ وقال تعالى ومن يكفر به من وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي إني رسول الله إليكم جميعا أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد يا أيها الناس

ونصفا وقال ابن عيينة عن صدقة أبي الهذيل عن السدي ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد. 159 بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ووعد الآخرة عيسى ابن مريم قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة لهم نفقا في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله وقلنا من أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله

تفسير ابن كثير

في تفسيرها خبرا عجيبا فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال بلغني من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا. وقد ذكر ابن جريج يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا الآية. وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به الآية. وقال تعالى إن الذين أوتوا العلم الله سريع الحساب وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك وقال تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن تعالى مخبرا عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعبدون به كما قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يقول

الجنة وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة. 16 تقاتل فتقل فتتكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كالفارس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال: صلى الله عليه وسلم يقول إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم قال قعد له بن القاسم حدثنا أبو عقيل يعني الثقفي عبد الله بن عقيل حدثنا موسى بن المسيب أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي الفاكه قال: سمعت رسول الله محمد بن سوفة عن عون بن عبد الله يعني طريق مكة قال ابن جريج الصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك. قلت لما روى الإمام أحمد حدثنا هاشم إضللك إياي وقال بعض النحاة الباء هنا قسمية كأنه يقول فبأغوانك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم. قال مجاهد صراطك المستقيم يعني الحق. وقال الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على صراطك المستقيم أي طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لنلا يعبدوك ولا يوحذك بسبب في المعاندة والتمرد فقال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي كما أغويتني قال ابن عباس كما أضللتني وقال غيره كما أهلكتني لأقعدن لعبادك يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس إلى يوم يبعثون واستوثق إبليس بذلك أخذ

الإبل وملأ أسقيتهم ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر. فهذا هو الأكمل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم. 160 معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فملؤا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشريوا وسقوا القيظ والحر الشديد والجدد لم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع أن ذلك كان سهلا على النبي ولكن لما أجهدهم الجوع سألوهم في تكثير طعامهم فجمعوا ما صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته منها عام تبوك في ذلك له فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق العادات ومن ههنا متبين فضيلة أصحاب محمد وإرشاد وامتنان وقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا كما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا هزة كما انتفض السلواة من بلل القطر وقال الكسائي: السلوى واحدة وجمعه سلاوى نقله كله القرطبي وقوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم أمر بإباحة يسمونه مفرج قالوا والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضا كما يقال سمانى للمفرد والجمع وويلي كذلك وقال الخليل واحده سلواة وأنشد: وإني لتعروني لذكراك قال الشاعر: شربت على سلواة ماء مزنة فلا وجديد العيش يامي ما أسلو واسم ذلك الماء السلوان وقال بعضهم السلوان دواء يشفي الحزين فيسلو والأطباء عين سلوان وقال الجوهري: السلوى العسل واستشهد ببيت الهذلي أيضا والسلواة بالضم خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا دعوى الإجماع لا يصح لأن المؤرخ أحد علماء اللغة والتفسير قال إنه العسل واستدل ببيت الهذلي هذا وذكر أنه كذلك في لغة كنانة لأنه يسلي به ومنه غلط الهذلي في قوله إنه العسل وأنشد في ذلك مستشهدا: وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألد من السلوى إذا ما أشورها قال فظن أن السلوى عسلا قال القرطبي: والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا قال: ابن عطية السلوى طير بإجماع المفسرين وقد قاله السدي وقال: سنيذ عن حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن قال ابن جريج: فكان الرجل إذا أخذ من المن عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وروي عن وهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما ثوب فذلك قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى وقوله وإذا ستسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا سبط من عين فقالوا هذا الشراب فأين الظل؟ فظل عليهم الغمام فقالوا هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان ولا يتخرق لهم فإن كان سميئا ذبحه وإلا أرسله فإذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عين فشرب كل لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجر الزنجبيل والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير السمانى مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبأوا للغد فتنن اللحم وخنز الخبر وقال السدي لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام كيف وقال: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحما فقال الله لأطعمهم من أقل لحم يعلم في الأرض فأرسل عليهم ريح فأذرت عند مساكنهم السلوى وهو لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه وقال: وهب بن منبه: السلوى طير سمين مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت وفي رواية عن وهب منها قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تغذى فسد ولم يبق عنده حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عبادة السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك. وقال قتادة: السلوى كان من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب وكان الرجل يذبح

تفسير ابن كثير

عن جهضم عن ابن عباس قال السلوى هو السمانى وكذا قال: مجاهد والشعبي والضحاك والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى وعن عكرمة أما وعن ناس من الصحابة السلوى طائر يشبه السمانى وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قوة بن خالد ابن عباس السلوى طائر يشبه بالسمانى كانوا يأكلون منه. وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود الكذب وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من رواية سعيد بن زيد رضي الله عنه. وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن شهر بن حوشب ويحتمل عندي أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها وقد سمعته من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم فإن الأسانيد إليه جيدة وهو لا يعتمد عن عبد الجليل بن عطية عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين فقد اختلف كما ترى فيه على أعلم: وروى عن شهر عن ابن عباس كما رواه النسائي أيضا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد عن عبد الله بن عون الخراز عن أبي عبيدة الحداد والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا والله الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار فقال بعضهم نحسبه الكمأة فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين إبراهيم حدثنا حمدون بن أحمد حدثنا جويرية بن أشرس حدثنا حماد عن شعيب بن الحجاب عن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تداروا في عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن عبيد الله بن موسى وقد روى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه كما قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن الربيع عن ابن مردويه رواه أيضا عن عبد الله بن إسحاق عن الحسن بن سلام عن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش به وكذا رواه النسائي خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كمآت فقال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور عن الحسن حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأعمش عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي سعيد الخدري قال: مردويه عن أحمد بن عثمان عن عباس الدوري عن لاحق بن صواب عن عمار بن رزيق عن الأعمش كابين ماجه وقال: ابن مردويه أيضا حدثنا أحمد بن عثمان جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ورواه ابن عن الأعمش عن أبي بشر عن شهر عنهما به وقد روي أعني النسائي من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة كلاهما عن الأعمش عن عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ثم رواه أيضا ابن ماجه من طرق شفاء من السم وقال النسائي في الوليمة أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب بن حوشب عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي وماؤها شفاء للعين وروى عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال الإمام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن جعفر بن إياس عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون الكمأة وبعضهم يقول جدري الأرض فقال الكمأة من المن لم يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب بن عبد الصمد عن مطر الوراق عن شهر بقصة العجوة عند النسائي وبالقصتين عند ابن ماجه وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فإنه عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن شهر بن حوشب بقصة الكمأة فقط. وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشار عن أبي عبد الصمد بن عبدالعزيز قد رواه النسائي عن محمد بن بشار به وعنه عن غندر عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة به وعن محمد بن بشار عن قالوا الكمأة جدري الأرض فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم وهذا الحديث الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن هذا السلمي الواسطي يكنى بأبي محمد وقيل أبو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها. ثم قال بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عن أبي هريرة فقال: حدثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد ولا من حديث سعيد بن عامر عنه وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر كذا قال وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريق آخر شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين تفرد بإخراجه الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن محمد بن عمرو بن عيلان قالوا: حدثنا سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وفيها به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحسن العربي عن عمرو بن حريث به وقال: الترمذي حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومحمود الحديث رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك وهو ابن عمير به وأخرجه الجماعة في كتبهم إلا أبا داود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عمير حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وهذا كان طعاما وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا وإن ركب مع غيره صار نوع آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري من فسر بالشراب والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كذا فالمن المشهور أن أكل وحده ذا بهجة مزمورا فالناطف هو السائل والحليب المزمور الصافي منه والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فمنهم من فسر بالطعام ومنهم أمية بن أبي الصلت حيث قال: فرأى الله أنهم بمضيق لا بذى مزرع ولا مثمورا فسناها عليهم غاديات ويرى مزنيهم خلایا وخورا عسلا ناطقا وماء فراتا وحليبا

تفسير ابن كثير

حدثنا إسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قال: عسلكم هذا جزء من سبعين جزءا من المن وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه العسل وقع في شعر ثم يشربونه. وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشتته ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية وقال: الربيع بن أنس المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه الزنجبيل وقال: قتادة كان المن ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس شيء أنزله الله عليهم مثل الظل شبه الرب الغليظ وقال: السدي قالوا يا موسى كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كان المن ينزل عليهم على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا. وقال مجاهد المن صمغة وقال: عكرمة المن وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر. قال ابن عباس وكان معهم في التيه: وقوله تعالى وأنزلنا عليكم المن اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو؟ عباس وظللنا عليكم الغمام قال غمام أبرد من هذا وأطيب منه وأبهى منظرا كما قال سنيدي في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: قال ابن يربيد والله أعلم أنه ليس من زي هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرا كما قال سنيدي في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: قال ابن الله فيه يوم القيامة ولم يكن إلا لهم. وهكذا رواه ابن جرير عن المثني بن إبراهيم عن أبي حذيفة وكذا رواه الثوري وغيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكأنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وظللنا عليكم الغمام قال ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي وقال الحسن وقاتدة وظللنا عليكم الغمام كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال: ابن جرير قال: آخرون وهو غمام أبرد من هذا وأطيب. حديث الفتون قال: ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر والربيع بن أنس وأبي مجلز والضحاك والسدي نحو قول ابن عباس غمامة سمي بذلك لأنه يغمر السماء أي يوارئها ويستترها وهو السحاب الأبيض ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في فناسب ذكر الانفجار ههنا والله أعلم. لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم فقال وظللنا عليكم الغمام وهو جمع منها وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وأخبر هنا بقوله فانبجست منه اثنتا عشرة عينا وهو أول الانفجار وأخبر ههنا بما آل إليه الحال آخرا وهو الانفجار الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: قال ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار منه اثنتي عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين وقال الضحاك: قال ابن عباس لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهارا وقال قلت لجويبر كيف علم كل أناس مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فينضح فيببس فقالوا إن فقد موسى هذا الحجر عطشنا فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر ولا يمسه بالعصا لعلهم يقرون والله أعلم وقال يحيى بن النضر: الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فقال: له جبريل ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته قال الزمخشري محتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد أي اضرب الشيء وكان يحمل على حمار قال وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة حجر فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربوه موسى بعصاه وقال: الزمخشري عليه السلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فإذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء وقال: عثمان ابن عطاء الخراساني عن أبيه كان لبني إسرائيل جرير وابن أبي حاتم وهو حديث الفتون الطويل. وقال: عطية العوفي وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور يحمل على ثور فإذا نزلوا منزلا وضعوه فضربه موسى كل سبط عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي وابن رضي الله عنه وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى عليه السلام فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كد وعبدوا الذي سخر لكم ذلك ولا تعثوا في الأرض مفسدين ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوا. وقد بسطه المفسرون في كلامهم كما قال: ابن عباس الماء لكم منه من ثنتي عشرة عينا كل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء الذي أنبعثه لكم بلا سعي منكم ولا تعالى واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم وتفجيرني يقول

رضي الله عنه لما دخل إيوان كسرى صلى فيه ثماني ركعات والصحيح أنه يفصل بين كل ركعتي بتسليم وقيل يصليها كلها بتسليم واحد والله أعلم. 161 صلاة الضحى وقال: آخرون بل هي صلاة الفتح فاستحبوا للإمام وللأمير إذا فتح بلدا أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبي وقاص العليا وإنه لخاضع لربه حتى أن عثونه ليمس مورك رحله شكرا لله على ذلك ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى وقال: بعضهم هذه ونعي إليه روحه الكريمة أيضا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر كما روي أنه كان يوم الفتح فتح مكة داخلا إليها من الثنية وفسره ابن عباس بأنه نعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله فيها وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فسرّه بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى إذا جاء نصر الله

تفسير ابن كثير

وسنزيد المحسنين وقال هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضعفنا لكم الحسنات وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عباس إلى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى وقولوا حطة فكتب إليه أن أقروا بالذنوب وقال: الحسن وقتادة أي احطط عنا خطايانا نغفر لكم خطاياكم أنس نحوه وقال الضحاك عن ابن عباس وقولوا حطة قال قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم وقال عكرمة قولوا لا إله إلا الله وقال الأوزاعي. كتب ابن قال الثوري عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقولوا حطة قال مغفرة استغفروا وروى عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن عن أبي الكنود عن عبدالله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم خلاف ما أمروا وقوله تعالى وقولوا حطة وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القبلة وقال خفيف قال عكرمة قال: ابن عباس فدخلوا على شق وقال السدي عن أبي سعيد الأزدي الخفيف: قال عكرمة قال ابن عباس كان الباب قبل القبلة وقال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك هو باب الحطة من باب إيلياء ببيت المقدس البصري أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعده الرازي وحكى عن بعضهم أن المراد ههنا في السجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته وقال قال ركعا من باب صغير رواه الحاكم من حديث سفيان به ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد فدخلوا من قبل استاهم وقال الحسن محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله وادخلوا الباب سجدا وإنقاذهم من التيه والضلال قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس إنه كان يقول في قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا أي ركعا وقال ابن جرير: حدثنا قليلا حتى أمكن الفتح ولما فتحوها أقروا أن يدخلوا الباب باب البلد سجدا أي شكر الله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم عليهم أن بيت المقدس وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ وهذا بعيد لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحا وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الأول حاكيا عن موسى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا الآية. وقال: آخرون هي أريحا ويحكى عن ابن عباس وعبدالرحمن بن زيد كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص على ذلك السدي والربيع بن أنس وقتادة وأبو مسلم الأصفهاني وغير واحد وقد قال الله تعالى إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ولهذا نكلهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من برد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم يقول تعالى لئنما لهم على

وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد ابن المنكر وسالم بن أبي النضر عن عامر بن سعد بنحوه. 162 قال: أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم حديث حبيب بن أبي ثابت إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها الحديث قال ابن جرير أخبرني يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين من سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد يعني ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا: قال رسول العالية الرجز الغضب وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما البرد وقال سعيد بن جبيرة هو الطاعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن الضحاك عن ابن عباس كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب وهكذا روى عن مجاهد وأبي مالك والسدي والحسن وقتادة أنه العذاب وقال أبو والمعانة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته. ولهذا قال فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وقال من قبل استاهم رافعي رؤسهم وأمروا أن يقولوا حطة أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزؤا فقالوا حنطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على استاهم قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وهكذا روى عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس ويحيى بن رافع. عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن عباس في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا قال ركعا من باب صغير فدخلوا من قبل استاهم وقالوا حنطة فذلك هطا سمعنا أزية مزبا فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وقال الثوري حنطة حبة حمراء فيها شعيرة فأنزل الله فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وقال أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود أنه قال إنهم قالوا قول الله تعالى فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وقال الثوري عن السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن ابن مسعود وقولوا حطة فقالوا من الناس قال: اليهود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا قال: ركعا وقولوا حطة أي مغفرة فدخلوا على أستاذهم وجعلوا يقولون حنطة حمراء فيها شعيرة فذلك الباب الذي قال الله لبي إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وقال: سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء سيقول السفهاء صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل بن المنذر القزاز حدثنا محمد بن إسماعيل ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سرتنا مع رسول الله عن هشام بمثله هكذا رواه منفردا به في كتاب الحروف مختصرا وقال: ابن مردويه حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا أحمد بن محمد الله عليه وسلم قال الله لبي إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن مسافر حدثنا ابن أبي فديك وحدثنا سليمان بن داود حدثنا عبدالله بن وهب حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى

تفسير ابن كثير

وسلم قال دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدا يزحفون على استاهم وهم يقولون حنطة في شعيرة وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح محمد بن إسحاق كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعن لا أتهم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله رواه البخاري عن إسحاق بن نصر ومسلم عن محمد بن رافع والترمذي عن عبدالرحمن بن حميد كلهم عن عبدالرزاق به وقال الترمذي حسن صحيح وقال لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على استاهم فقالوا حبة في شعرة وهذا حديث صحيح تعالى حطة قال فبدلوا وقالوا حبة وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله في شعرة ورواه النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن عبدالرحمن به موقوفا وعن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك ببعضه مسندا في قوله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاهم فبدلوا وقالوا حبة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قال: البخاري حدثني محمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة وقوله تعالى

إسناد جيد فإن أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقات ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرا. 163 محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل وهذا وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله حدثنا أحمد بن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده كذلك نبلوهم نختبرهم بما كانوا يفسقون ابن عباس أي ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس ظاهرة من كل مكان قال ابن جرير وقوله ويوم لا تأتيتهم لا تأتيتهم كذلك نبلوهم أي نختبرهم وعينونا وقوله إذ يعدون في السبت أي يعتدون فيه ومخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك إذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا قال الضحاك عن وقتادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القارئ سمعنا أنها أيلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن زيد هي قرية يقال لها معتتا بين مدين عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي أيلة وهي على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نعمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيايلهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي هو بسط لقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت الآية. يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه واسألهم أي واسأل هؤلاء اليهود هذا السياق

والنهي عن المنكر ولعلمهم يتقون يقولون ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم. 164 إلى ربكم قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف مهلككم أو معذبهم عذابا شديدا أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيككم إياهم؟ قالت لهم المنكرة معذرة السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة لم تعظون قوما الله يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطيات

كثيرة ومعناه في قول مجاهد الشديد وفي رواية أليم وقال قتادة موجه والكل متقارب والله أعلم وقوله خاسئين أي ذليلين حقييرين مهانين. 165 بهذا لأنه تبين حالهم بعد ذلك والله أعلم وقوله تعالى وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبئس فيه قراءات وثلت أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكيتين أولى من القول أعمالهم ولعلمهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا إلى قوله قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا أثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ذلك في الأسواق ففعل علانية قال: فقالت طائفة للذين ينهونهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم فقالوا نسخت في الساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاهم منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعا فمكتوا ما شاء الله أن يكتوا كذلك ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فخزم أنفه ثم ضرب له وتدا أنه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ما فيه مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة. القول الثاني أن الساكيتين كانوا من الهالكين قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عليهم فإذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به وقد قدما في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرية من المسخ ما أصابهم فغدا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا فقال لهم لو شئتم صنعتكم كما صنع فقالوا له وما صنعت؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ريش يغلقونها عليهم فأصابهم جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجدوا رائحة فجاءوا فسلأوه حوتا منها في الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسلأوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فإنه

تفسير ابن كثير

ويوم لا يسبّتون لا تأتيهم قال كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان المساء ذهب فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر فاتخذ لذلك رجل خيطا ووتدا فربط وكذا روى مجاهد عنه وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبدالعزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى تأتيهم حيتانهم يوم سبّتهم شرعا نقول فيها قال: قلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم قال فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين ذكروا به أنجبنا الذين ينهاون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها ولا أنسابها من القردة فجعلت القردة يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم نهكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال أي عباد الله قردة والله تعادى تعاوى لها أذنان قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرّفت القردة أنسابها من الإنس ولا تعرف الإنس نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلما وأعلوا سور أن لا يصابوا ولا يهلكوا وإن لم ينتهوا فمعدرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الأيمنون فقد فعلتم يا أعداء الله والله لأناتينكم الليلة في مدينتكم والله ما وقال الأيسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الأيمنون معدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون أي ينتهون إن ينتهوا فهو أحب إلينا بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الأيمنون ويلكم الله نهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيّتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها في سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرّون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم سبّتهم شرعا بيضاء سمانا كأنها الماخض ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك؟ قال فقال هؤلاء الورقات قال وإذا هو في سورة الأعراف قال تعرف أيلة؟ قلت نعم قال فإنه كان بها حي من اليهود حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي وإذا المصحف في حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت قال ما أدري أنجا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة وقال عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وروى العوفي عن ابن عباس عنه قريبا من هذا وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية وكل قد كانوا ينهاون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معدرة إلى ربكم وأهلك الله أهل معصيته تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الأخرى فقالوا معدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبّتهم؟ فلم يزدادوا إلا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النّهاة يوم سبّتهم شرعا في ساحل البحر فإذا مضى يوم السبت لم يقدرّوا عليها فمضى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبّتهم فنهتهم الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبّتهم وكانت الحيتان تأتيهم ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإن قالت أمة منهم لم تعظون قوما بئيس فنص على نجات الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيما فيذموا قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة أنجبنا الذين ينهاون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا أي ارتكبوا المعصية بعذاب كثيرة ومعناه في قول مجاهد الشديد وفي رواية أليم وقال قتادة موجه والكل متقارب والله أعلم وقوله خاسئين أي ذليلين حقيرين مهانين. 166 بهذا لأنه تبين حالهم بعد ذلك والله أعلم وقوله تعالى وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبئيس فيه قراءات وثلاث أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجات الساكتين أولى من القول أعمالهم ولعلمهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا إلى قوله قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا أثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ذلك في الأسواق ففعل علانية قال: فقالت طائفة للذين ينهاونهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معدرة إلى ربكم فقالوا نسخط في الساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاهم منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذهب فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فخزم أنفه ثم ضرب له وتدا أنه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ما فيه مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة. القول الثاني أن الساكتين كانوا من الهالكين قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عليهم فإذا هم قردة فجعل القردة يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به وقد قدما في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرية من المسخ ما أصابهم فغدا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا فقال لهم لو شئتم صنعتكم كما أصنع فقالوا له وما صنعت؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربح يغلقونها عليهم فأصابهم جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجدوا رائحة فجاءوا فسألوه حوتا منها في الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجددهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فإنه ويوم لا يسبّتون لا تأتيهم قال كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان المساء ذهب فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر فاتخذ لذلك رجل خيطا ووتدا فربط وكذا روى مجاهد عنه وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبدالعزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى تأتيهم حيتانهم يوم سبّتهم شرعا

تفسير ابن كثير

نقول فيها قال: قلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم قال فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين ذكروا به أنجين الذين يهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها ولا أنسابها من القردة فجعلت القردة يأتبها نسيها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم نهكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال أي عباد الله قردة والله تعادى تعاوى لها أذنان قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولا تعرف الإنس نراكم تصبحون حتى يصحبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلما وأعلوا سور أن لا يصابوا ولا يهلكوا وإن لم ينتهوا فمعدرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الأيمنون فقد فعلتم يا أعداء الله والله لناثينكم الليلة في مدينتكم والله ما وقال الأيسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الأيمنون معدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون أي ينتهون إن ينتهوا فهو أحب إلينا بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الأيمنون ويلكم الله نهكم أن تتعرضوا لعقوبة الله غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيته فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها في سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدر عليهم حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيتهم يوم سبتهم شرعا بيضاء سمانا كأنها الماخض ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك؟ قال فقال هؤلاء الورقات قال وإذا هو في سورة الأعراف قال تعرف أيلة؟ قلت نعم قال فإنه كان بها حي من اليهود حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي وإذا المصحف في حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت قال ما أدري أنجا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة وقال عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وروى العوفي عن ابن عباس عنه قريبا من هذا وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن ابن عباس في الآية وكل قد كانوا يهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معدرة إلى ربكم وأهلك الله أهل معصيته تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الأخرى فقالوا معدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرماها الله عليكم يوم سبتكم؟ فلم يزدادوا إلا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاء يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر فإذا مضى يوم السبت لم يقدر عليها فمضى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيتهم ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإن قالت أمة منهم لم تعظون قوما بئس فنص على نجات الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيما فيذموا قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة أنجين الذين يهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا أي ارتكبوا المعصية بعذاب إليه وأنان وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف. 167 المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان وقوله إن ربك لسريع العقاب أي لمن عصاه وخالف شرعه وإنه لغفور رحيم أي لمن تاب عن معصية عن عبدالكريم الجزري عن سعيد بن المسيب قال يستحب أن تبعت الأنباط في الجزية قلت: ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصارا للدجال فيقتلهم يسومهم سوء العذاب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه إلى يوم القيامة وكذا قال سعيد بن جبير وابن جريج والسدي وقتادة وقال عبدالرزاق يؤدون الخراج والجزية. قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال هي المسكنة وأخذ الجزية منهم وقال علي بن أبي طلحة عنه هي الجزية والذي والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فكانوا تحت قهره وذمته إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكنشانيين عليهم أي على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأمر الله وشرعه واحتياهم على المحارم ويقال تأذن تفعل من الأذان أي أعلم قاله مجاهد وقال غيره أمر وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ولهذا أتبع باللام في قوله ليعتثن ذلك كنا طرائق فددا وبلوناهم أي اختبرناهم بالحسنات والسيئات أي بالرخاء والشدة والرغبة والرغبة والعافية والبلاء لعلهم يرجعون. 168 الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيها منهم الصالحون ومنهم دون ذلك أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول الجن وأنا منا الصالحون ومنا دون يذكر تعالى أنه فرقهم في الأرض أمما أي طوائف وفرقا كما قال وقتلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا عما هم فيه من السفه والتبذير ثم أتى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما هو مكتوب فيه. 169 عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه أفلا تعقلون يقول أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم يعودون فيها ولا يتوبون منها وقوله تعالى والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون يرغبهم في جليل ثوابه ويحذرهم من وبيل عقابه أي وثوابي وما وقال ابن جريج قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق قال فيما يتمنون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون ولا يكتفون كقوله وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون الآية ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق الآية. يقول تعالى منكرا عليهم في صنيعهم هذا مع ما أخذ عليهم الميثاق ليبين الحق للناس

تفسير ابن كثير

من بني إسرائيل فيما صنع فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فبرئتشي يقول وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذه قال الله تعالى العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول سيغفر لي فتطعن عليه البقية الآخرون من بعدهم خلف إلى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض مثله يأخذه لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاتهم شيء عن ذلك كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يبالون حالاً كان أو حراماً وقال السدي فخلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة الآية. قال يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا تمنوا على الله أمانى وغرة يغترون بها وإن يأتهم عرض مثله يأخذه وقال قتادة في الآية إي والله لخلف سوء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلمهم أورثهم الله وعهد إليهم وقال الله تعالى في آية أخرى فخلف تعالى يأخذون عرض هذا الأدنى قال لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه حالاً كان أو حراماً ويتمنون المغفرة ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض يأتهم عرض مثله يأخذه وكما قال سعيد بن جبيرة يعملون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويعترفون لله فإن عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله هذا الأدنى أي يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ويسرفون أنفسهم ويعدون بها للتوبة وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه ولهذا قال ولهذا الذين فيهم الصالح والطالح خلف آخر لا خير فيهم وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك يأخذون عرض قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى الآية. يقول تعالى فخلف من بعد ذلك الجيل

قال وكيع من تحتي يعني الخسف. ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة مسلم به وقال الحاكم صحيح الإسناد. 17 ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي. عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جرير بن أبي سليمان بن جبيرة بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله صلى الله وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي تفرد به البزار وحسنه وقال الإمام بن مطعم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي ابن عباس وحدثنا عمر بن الخطاب يعني السجستاني حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يونس بن خباب عن ابن جبيرة كلها كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا نصر بن علي حدثنا عمرو بن مجمع عن يونس بن خباب عن ابن جبيرة بن مطعم يعني نافع بن جبيرة عن إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ. ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته إنما هو ظن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان شمائلهم ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا تجد أكثرهم شاكرين قال موحدان وقول إبليس هذا فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن وقال مجاهد من بين أيديهم وعن إيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر أن يحول بينك وبين رحمة الله. وكذا روى عن إبراهيم النخعي والحكم بن عبيدة والسدي وابن جريج إلا أنهم قالوا من بين أيديهم الدنيا ومن خلفهم الآخرة حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع بن أبي عروبة عن قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن إيمانهم من قبل عباس أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن إيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم وقال سعيد أرغبهم في دنياهم وعن إيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي. وقال ابن أبي طلحة في رواية العوفي كلاهما عن ابن قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم لآتينهم من بين أيديهم أشككهم في آخرتهم ومن خلفهم قال تعالى والذين يمسكون بالكتاب أي اعتصموا به واقتدوا بأوامره وتركوا زواجره وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين. 170

يهودي على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه أي حول كما قال تعالى فيسنگضون إليك رؤسهم والله أعلم. 171 السجدة التي رفعت بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه فكدلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون هذه ألا ترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل. قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجدا نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوه مرارا فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم؟ قالوا أنشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى الملائكة فوق رؤسهم رواه النسائي بطوله وقال سنيذ بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أتقبلونه بما فيه فإن فيه بعدما سكت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقرؤا بها حتى نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة قال رفعته ورفعنا فوقهم الطور وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح رفعناه وهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رفعته الملائكة فوق رؤسهم وهو قوله

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وإذ نتقنا الجبل فوقهم يقول

من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال أن تقولوا أي لنلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا أي التوحيد غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبؤنا الآية. 172
فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به كاف في وجوده أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله وآتاكم من كل ما سألتموه قالوا ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى وإنه على ذلك لشهيد كما بلى أي أوجدتهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله قالوا شهدنا على أنفسنا الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى ما كان الذي جعلكم خلانف الأرض وقال ويجعلكم خلفاء الأرض وقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ثم قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ولم يقل من آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهره ذرياتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى وهو كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال عبدالله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفي حديث توافق هذه الأحاديث اكتفينا بإيرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها وبالله المستعان. فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقات نذير من النذر الأولى ومن ذلك قال وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية رواه عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن والنوبة فهو الذي يقول تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية وهو الذي يقول فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله الآية ومن ذلك قال هذا الصورة ودون ذلك فقال: يا رب لو سويت بين عبادك؟ قال إني أحببت أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة عليكم كتبتي قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن أباهم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا وإني سأرسل إليكم رسلا لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية قال فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا غافلين ثم ردهم في صلب آدم رواه ابن مردويه. أثر آخر قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى وإذ ألست بربكم؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك وسعديك قال ألست بربكم؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال آخر روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ليسروا لعمل أهل الجنة وأهل النار ليسروا لعمل أهل النار رواه ابن جرير وابن مردويه عن طريق عنه. حديث القضاء؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أقاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء عبدالرحمن بن قتادة النضري عن أبيه عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبدأ الأعمال أم قد قضي نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم. حديث آخر قال قال ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم إلى أن ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث فنسبت ذريته وخطى آدم فخطت ذريته ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم قال أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين وجعل بين عيني كل إنسان منهم وببصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وببص ما بين عينيه صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة الموصولات والله أعلم. حديث آخر قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيرا من المرفوعات ومقطع كثيرا من جمعهم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولهما أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمدا لما قال: كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فذكره. وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن

تفسير ابن كثير

عن بقية عن عمر بن جعثم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى عبد الحميد بن جعفر وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن أنس به. قال الترمذي: وهذا حديث حسن ومسلم قتيبة والترمذي في تفسيرهما عن إسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عباد وسعيد بن الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهكذا رواه أبو داود عن القعني والنسائي عن فقيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به قال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله قالوا بلى الآية فقال عمر بن الخطاب: سمعت صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال الإمام أحمد: حدثنا روح هو ابن عباد حدثنا مالك وحدثنا إسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو. وكذا رواه ابن جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم. حديث آخر أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه وقال ابن عدي: حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست قال ابن جرير: حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس والله أعلم. حديث آخر حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن منه كل نسمة من خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم. قال: حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج ابني في لحد فبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومستول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسأل ابنك من يسأله إياه قال يسأل أيضا: حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال: فقال يا جابر إذا أنت وضعت جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهينة الذر وهو في أنى من الماء وقال بن أبي ثابت وعلي بن بزيمة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم وقال ابن عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فوقه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبيرة عن أبيه به وكذا رواه عطاء بن السائب وحبیب جرير بن حازم عن كلثوم بن جبيرة به وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبيرة هكذا قال. وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبيرة جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن إلى قوله المبطلون وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فشرها بين يديه ثم كلهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا عن كلثوم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأبیت إلا أن تشرك بي أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم لو كان لك ما على الأرض من شيء أكننت مفتديا به قال: فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربههم قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال: حدثني الأسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك وقد وردت أحاديث آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقد رواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري به وأخرجه النسائي في سننه من حديث تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه وإذا أخذ ربك من بني فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا يونس بن الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وفي رواية على هذه الملة فأبواها يهودانها وينصرانها ويمجسانها كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن

تفسير ابن كثير

الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم

من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال أن تقولوا أي لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا أي التوحيد غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا الآية. 173
فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به كاف في وجوده أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله وآتاكم من كل ما سألتموه قالوا ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى وإنه على ذلك لشهيد كما بلى أي أوجدتهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله قالوا شهدنا على أنفسنا الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى ما كان الذي جعلكم خلائف الأرض وقال ويجعلكم خلفاء الأرض وقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ثم قال وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهرهم ولم يقل من ظهره ذرياتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى وهو كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال عبدالله بن عمرو وقد بينا أنهم موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفي حديث توافق هذه الأحاديث اكتفينا بإيرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها وبالله المستعان. فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقات نذير من النذر الأولى ومن ذلك قال وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية رواه عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن النبوته فهو الذي يقول تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية وهو الذي يقول فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله الآية ومن ذلك قال هذا الصورة ودون ذلك فقال: يا رب لو سويت بين عبادك؟ قال إني أحببت أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة عليكم كتبتي قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن أباهم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا وإني سأرسل إليكم رسلا لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى الآية قال فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا غافلين ثم ردهم في صلب آدم رواه ابن مردويه. أثر آخر قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى وإذا ألسنت بربكم؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك وسعديك قال ألسنت بربكم؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال آخر روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار رواه ابن جرير وابن مردويه عن طريق عنه. حديث القضاء؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء عبدالرحمن بن قتادة النضري عن أبيه عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبدأ الأعمال أم قد قضي نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم. حديث آخر قال قال ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم إلى أن ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث فنسبت ذريته وخطى آدم فخطت ذريته ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم قال أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين وجعل بين عيني كل إنسان منهم وببصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وببص ما بين عينيه صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة الموصولات والله أعلم. حديث آخر قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيرا من المرفوعات ومقطع كثيرا من

تفسير ابن كثير

جعثم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولهما أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمدا لما قال: كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فذكره. وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن عن بقية عن عمر بن جعثم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفي عبد الحميد بن جعفر وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن أنس به. قال الترمذي: وهذا حديث حسن ومسلم قتيبة والترمذي في تفسيرهما عن إسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عباد وسعيد بن الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهكذا رواه أبو داود عن القعني والنسائي عن ففيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به قال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله قالوا بلى الآية فقال عمر بن الخطاب: سمعت صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال الإمام أحمد: حدثنا روح هو ابن عباد حدثنا مالك وحدنا إسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو. وكذا رواه ابن جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم. حديث آخر أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه وقال ابن عدي: حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست قال ابن جرير: حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس والله أعلم. حديث آخر حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن منه كل نسمة من خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم. قال: حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج ابني في لحد فبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومسئول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسأل ابنك من يسأله إياه قال يسأل أيضا: حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال: فقال يا جابر إذا أنت وضعت جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبيعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى من الماء وقال بن أبي ثابت وعلي بن بزيمة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم وقال ابن عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فوقه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبيرة عن أبيه به وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب جرير بن حازم عن كلثوم بن جبيرة به وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبيرة هكذا قال. وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبيرة جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن إلى قوله المبطلون وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا عن كلثوم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأبيت إلا أن تشرك بي أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به قال: فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة رأيت في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربههم قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال: حدثني الأسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك وقد وردت أحاديث آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقد رواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري به وأخرجه النسائي في سننه من حديث تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه وإذ أخذ ربك من بني فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا يونس بن الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن

تفسير ابن كثير

حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم

من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال أن تقولوا أي لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا أي التوحيد غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا الآية. 174
فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها في الإشراف فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به كاف في وجوده أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله وآتاكم من كل ما سألتموه قالوا ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى وإنه على ذلك لشهيد كما بلى أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالوا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله قالوا شهدنا على أنفسنا الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى ما كان الذي جعلكم خلائف الأرض وقال ويجعلكم خلفاء الأرض وقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ثم قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ولم يقل من آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهره ذرياتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى وهو كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال عبدالله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفي حديث توافق هذه الأحاديث اكتفينا بإبرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها وبالله المستعان. فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقات نذير من النذر الأولى ومن ذلك قال وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية رواه عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن النبوته فهو الذي يقول تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية وهو الذي يقول فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله الآية ومن ذلك قال هذا الصورة ودون ذلك فقال: يا رب لو سويت بين عبادك؟ قال إني أحببت أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة عليكم كتبي قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن أباهم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا وإني سأرسل إليكم رسلا لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية قال فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا غافلين ثم ردهم في صلب آدم رواه ابن مردويه. أثر آخر قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى وإذ ألست بربكم؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك وسعديك قال ألست بربكم؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال آخر روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار رواه ابن جرير وابن مردويه عن طريق عنه. حديث القضاء؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء عبدالرحمن بن قتادة النضري عن أبيه عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبدأ الأعمال أم قد قضي نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم. حديث آخر قال قال ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم إلى أن ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث فنسبت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم قال أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين وجعل بين عيني كل إنسان منهم وببصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وببص ما بين عينيه صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة

تفسير ابن كثير

الموصلات والله أعلم. حديث آخر قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيرا من المرفوعات ومقطع كثيرا من جعثم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولهما أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمدا لما قال: كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فذكره. وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن عن بقية عن عمر بن جعثم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفي عبد الحميد بن جعفر وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن أنس به. قال الترمذي: وهذا حديث حسن ومسلم قتيبة والترمذي في تفسيرهما عن إسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عباد وسعيد بن الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهكذا رواه أبو داود عن القعني والنسائي عن فقيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به قال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله قالوا بلى الآية فقال عمر بن الخطاب: سمعت صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال الإمام أحمد: حدثنا روح هو ابن عباد حدثنا مالك وحدثنا إسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو. وكذا رواه ابن جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم. حديث آخر أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه وقال ابن عدي: حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست قال ابن جرير: حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس والله أعلم. حديث آخر حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن منه كل نسمة من خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم. قال: حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج ابني في لحد فبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومستول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسأل ابنك من يسأله إياه قال يسأل أيضا: حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال: فقال يا جابر إذا أنت وضعت جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبيعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أدنى من الماء وقال بن أبي ثابت وعلي بن بزيمة عن سعيد بن جببر عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم وقال ابن عن سعيد بن جببر عن ابن عباس فوقه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووکیع عن ربيعة بن كلثوم عن جببر عن أبيه به وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب جرير بن حازم عن كلثوم بن جببر به وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جببر هكذا قال. وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جببر جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن إلى قوله المبتلون وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلما قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا عن كلثوم بن جببر عن سعيد بن جببر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأبیت إلا أن تشرك بي أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم لو كان لك ما على الأرض من شيء أكننت مفتديا به قال: فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربههم قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال: حدثني الأسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك وقد وردت أحاديث آدم من ظهورهم ذريتهم الآية وقد رواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري به وأخرجه النسائي في سننه من حديث تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه وإذ أخذ ربك من بني فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة

تفسير ابن كثير

سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا يونس بن الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت يخبئ تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم

هذا إسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشيء سوى الإرجاء وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما. 175 شاء الله أنسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك قال: قلت يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال بل الرامي الله عنه حدثه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رثيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما قال: حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب الجلي في هذا المسجد أن حذيفة يعني بن اليمان رضي ولهذا قال فكان من الغاوين أي من الهالكين الحائرين البائسين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث لعظمهم فكان ينكح أتنا له وهو الذي قال الله تعالى فأنسلخ منها وقوله تعالى فأتبعه الشيطان أي استحوذ عليه وعلى أمره فهم ما أمره امتثل وأطاعه لهم لا ترهبوا بني إسرائيل فإني إذا خرجتم تقاتلونهم ادعوا عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام فكان عالما يعلم الاسم الأعظم المكتوم فكفر لعنه الله وأتى الجبارين وقال لما انقضت الأربعون سنة التي قال الله فإنها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع بن نون نبيا فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله أمره أن ومن معه ذهب دنياي وآخرتي فلم يزلوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى فأنسلخ منها فأتبعه الشيطان الآية وقال السدي وقومه فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه قال إني إن دعوت الله أن يرد موسى منها حكاها ابن جرير عن بعضهم ولا يصح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم يعني بالجبارين ومن معه أتاه يعني بلعم بنو عمه بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف كان مجاب الدعوة ولا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال كان قد أوتي النبوة فأنسلخ ابن مسعود وغيره من السلف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الأكبر وقال عبدالرحمن وذهبت الدعوات الثلاث وتسمى البسوس غريب وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل كما قال فجاء بنوها فقالوا ليس بنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة يعبرنا الناس بها فادع الله أن يردنا إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت الله فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت شيئا آخر فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كلبة فذهبت دعوتان فيهن وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها واحدة قال فلك واحدة فما الذي تريدين؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا سفيان عن أبي سعيد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فأنسلخ منها قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فإن له أشعارا ربانية وحكما وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي نمر حدثنا به ولم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمروءة بليغة قبحه الله. وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ممن المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه فإنه أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع بن أبي الصلت وقد روي من غير وجه عنه وهو صحيح إليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع بن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبدالله بن عمرو في قوله واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا الآية. قال هو صاحبكم أمية قال مجاهد وعكرمة وقال ابن جرير: حدثني الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا إسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعام وقالت ثقيف هو أمية الله فأقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام. وقال سفيان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وكذا فتركها وقال مالك بن دينار كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوهم إلى وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو رجل من أهل اليمن يقال له بلعم أتاه الله آياته شعبة وغير واحد عن منصور به. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صيفي بن الراهب. قال قتادة وقال كعب: كان رجلا من أهل البلقاء مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فأنسلخ منها الآية قال هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه قال عبدالرزاق عن سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن

كما أخبرتهم أنبياءهم بذلك وأمرتهم به ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد أحل الله به ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة. 176 من عداهم من الأعراب وجعل بأيديهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرتهم وموازرتهم في ذلك الزمان كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ولهذا قال لعلهم يتفكرون أي فيحذروا أن يكونوا مثله فإن الله قد أعطاهم علما وميزهم على

تفسير ابن كثير

عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الإيمان أتباع عبده ورسوله وسلم فاقصص القصص لعلهم أي لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله الوجيب فعبّر عن هذا بهذا نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره وقوله تعالى فاقصص القصص لعلهم يتفكرون يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ونحو ذلك وقيل معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير هو يلهث في الحالين فكذا هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه كما قال تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون استغفر ظاهر وقيل معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيته في حالتيه إن حملت عليه وإن تركته في معناه فعلى سياق ابن إسحق عن سالم عن أبي النضر أن بلعاما اندلع لسانه على صدره فتشبيهه بالكلب في لهيته في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك نأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها إلى قوله لعلهم يتفكرون وقوله تعالى فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث اختلف المفسرون فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها الرقبة والذراع واللقى والبكر من كل أموالهم وأنفسها لأنه كان بكر أبيه العيزار ففي بلعام بن باعوراء أنزل الله وأتل عليهم زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفا والمقلل لهم يقول عشرون ألفا في ساعة من النهار فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد إلى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب كلها ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة العيزار بن هارون صاحب أمر موسى وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يحوس فيهم فأخبر الخير فأخذ حريته وكانت من حديد لا تقربها قال أجل هي حرام عليك قال فوالله لا أطيعك في هذا فدخل بها قوته فوقع عليها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني إسرائيل وكان فنحاص بن سبط بني شمعون بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام فلما رآها أعجبته فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال إني أظنك ستقول هذا حرام عليك ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبتي ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم رأس جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى المعسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتهموهم هذا شيء قد غلب الله عليه قال: واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة فسأمر لكم وأحتال لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه أئدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أملك حين فعل بها ذلك فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ تذهب إلى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟ فلم ينزع عنها فضربها فخلى الله سبيلها ربضت به فنزل عنها فضربها حتى إذا أزلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى إذا أزلقها أذن لها فكلمتها حجة عليه فقالت ويحك ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل وهو جبل حسان فلما سار عليها غير كثير فادع الله عليهم قال ويلكم نبي الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ قالوا له ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفقونه له هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وإنا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وقال محمد بن إسحق بن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه فقالوا ابن عساكر: وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم فانسلخ من دينه له ذكر في القرآن. ثم أورد من قصته نحو ما ذكرنا ههنا أورده عن وهب وغيره والله أعلم. بلعم بن باعوراء ويقال ابن أبر ويقال ابن باعور بن شهتوم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن آزر وكان يسكن قرية من قرى البلقاء. قال الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها إلى قوله لعلهم يتفكرون قال فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره قلت هو بلعام ويقال يضربها ولا تتقدم وقامت عليه فقالت علام تضربني؟ أما ترى هذا الذي بين يديك؟ فإذا الشيطان بين يديه قال فنزل وسجد له قال الله تعالى وأتل عليهم نبأ وسلط الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا. قال أبو المعتمر فحدثني سيار أن بلعاما ركب حمارة له حتى أتى المعلولي أو قال طريقا من المعلولي جعل مكنيه قال وبأيتيها رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما قال وأيده الله بقوة فانتظمهما جميعا ورفعهما على رمحه فرأهما الناس أو كما حدث قال إسرائيل فأرادها على نفسها فقالت ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى فقال إن منزلتي كذا وكذا وإن من حالي كذا وكذا فأرسلت إلى أبيها تستأمره قال فقال لها للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لا تمكني نفسك إلا من موسى قال ووقعوا في الزنا قال فأتاها رأس سبط من أسباط بني الزنا هلوكا ورجوت أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء تستقبلهم فأنهم قوم مسافرون فعسى أن يزونا فيهلكوا قال ففعلوا فأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان ما يجري على لسانى إلا هكذا ولو دعوت عليه أيضا ما استجيب لي ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم إن الله يبغض الزنا وإنهم إن وقعوا في على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحو من ذلك إن شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا قال فلم يأمره بشيء فقال قد وامرت فلم يأمرني بشيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولى قال فأخذ يدعو عليهم فإذا دعا عليهم جرى نبينهم قال فقال لقومه إني قد أمرت ربي في الدعاء عليهم وإني قد نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أوامر ربي فأمر فأتوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أوامر ربي أو حتى أوامر قال فأمر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم كان رجلا يقال له بلعام وكان مجاب الدعوة قال وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا

تفسير ابن كثير

وكان من قصة هذا الرجل ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فحدث عن سيار أنه من قنطرة بانياس فسجدت الحمار لله وسجد بلعام للشيطان وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من أولي البصائر والنهي. وقال أبو الراهويه في قوله تعالى ولكنه أخلد إلى الأرض قال تراءى له الشيطان على علوة لرفعناه بها أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها ولكنه أخلد إلى الأرض أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على وقوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه يقول تعالى ولو شئنا

ظلمهم الله ولكن هم ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن اتباع الهدى وطاعة المولى إلى الركون إلى دار البلى والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى. 177 في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه وقوله وأنفسهم كانوا يظلمون أي ما لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار شبيها بالكلب وبئس المثل مثله وهذا ثبت قوله ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول تعالى ساء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ساء مثلهم أن شبهوا بالكلاب التي

فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد وأهل السنن وغيرهم. 178 حديث ابن مسعود: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل يضل يقول تعالى من هداه الله فإنه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا جاء في

من مثله من الملائكة في معاده ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ولهذا قال تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون. 179 تفعل ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف ولا تفقه ما يقول ولهذا قال في هؤلاء بل هم أضل أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبس بها وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ولأنها ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته الذين لا يسمعون الحق ولا يعون ولا يبصرون الهدى كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يقيتها من ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون وقوله تعالى أولئك كالأنعام أي هؤلاء قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون وقال فإنه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال بكم عمي فهم لا يرجعون هذا في حق المنافقين وقال في حق الكافرين صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولم يكونوا صما ولا بكما ولا عميا إلا عن الهدى كما قال تعالى وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله الآية وقال تعالى صم لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية كما وأصحاب الشمال قال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي والأحاديث في هذا كثيرة ومسألة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها وقوله تعالى الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ثم يبعث من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك يا عائشة صحيح مسلم أيضا من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: دعي النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء. وفي الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله يقول تعالى ولقد ذرأنا لجهنم أي خلقنا وجعلنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس أي هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون فإنه تعالى لما أراد أن يخلق عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيفا. 18

تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين كقوله قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب مقيتا وقال السدي مقيتا مطرودا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال مجاهد منفيا مطرودا وقال الربيع بن أنس مذعوما منفيا والمدحور المصغر. وقوله تعالى لمن وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس أخرج منها مذعوما مدحورا قال مقيتا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صغيرا والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم. قال والمدحور المقصي وهو المبعد المطرود وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما تعرف المذعوم والمذموم إلا واحدا مدحورا قال ابن جرير أما المذعوم فهو المعيب والذام غير مشدد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو مذعوم ويتركون الهمز فيقول ذمته أذيمه ذيما وذاما أكد تعالى عليه اللعنة والطرود والإبعاد والنفي عن محل الملأ الأعلى بقوله أخرج منها مذعوما

التكذيب وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر. 180 يلحدون في أسمائه قال اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز وقال قتادة: يلحدون: يشركون في أسمائه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد ابن عباس في قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسمائه الله وقال ابن جريج عن مجاهد وذروا الذين

تفسير ابن كثير

بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الأحوذ في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فالله أعلم وقال العوفي عن رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله وذكر الفقيه الإمام أبو به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا فقيل يا ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن العلم أنهم قالوا ذلك أي أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي والله أعلم ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل من طريق آخر عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسرده الأسماء كنحو مما تقدم بزيادة ونقصان والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان به وقد رواه ابن ماجه في سننه المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه الأحد الفرد الصمد القادر المقدر المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب فذكر بسنه مثله وزاد بعد قوله يحب الوتر: هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عنه ورواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد به وأخرجه الترمذي في جامعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعا وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر أخرجاه في الصحيحين من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي رواية وهم بالشام. 181 ينزل عيسى ابن مريم متى ما نزل وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين الربيع بن أنس في قوله تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمتي قوما على الحق حتى كان يقول إذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال أبو جعفر الرازي عن جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية قال سعيد عن قتادة في تفسير هذه الآية بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى وممن خلقنا أي بعض الأمم قائمة بالحق قولا وعملا يهدون بالحق يقولونه ويدعون إليه وبه يعدلون يعملون ويقضون وقد به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. 182 لا يعلمون ومعناه أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يفتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء. كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا يقول تعالى والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث

قال تعالى وأملي لهم أي وسأملهم لهم أي أطول لهم ما هم فيه إن كيدي متين أي قوي شديد. 183

قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت إلى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تعالى أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين. 184 ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذًا فخذًا يا بني فلان يا بني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال ثم تتفكروا في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله أنه جنون أم لا فإنكم إذا فعلتم ذلك بان لكم وظهر أنه رسول الله حقا وصدقا وقال قتادة بن دعامة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد يقول إنما أطلب منكم أن تقوموا قياما خالصا لله ليس فيه تعصب ولا عناد مثني وفرادي أي مجتمعين ومتفرقين يعقل به ويعي به كما قال تعالى وما صاحبكم بمجنون وقال تعالى قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثني وفرادي ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة أي ليس به جنون بل هو رسول الله حقا دعا إلى حق إن هو إلا نذير مبين أي ظاهر لمن كان له لب وقلب يقول تعالى أو لم يتفكروا هؤلاء المكذبون بآياتنا ما بصاحبهم

على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب علي بن زيد بن جدعان له منكرات. ثم قال تعالى: 185 قال هؤلاء أكلة الربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت إلى أسفل مني فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال هؤلاء الشياطين يحومون السماء السابعة فنظرت فوقي فإذا أنا برعد وبرق وصواعق وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت من هؤلاء يا جبريل؟ حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي كذا فلما انتهينا إلى

تفسير ابن كثير

بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل؟ وقد روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث كلهم عن يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في أي كتابه يصدقون إن لم يصدقوا ويخلعوا الأنداد والأوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فبأي حديث بعده يؤمنون به ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيهه ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته يقول تعالى: أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه في السماوات والأرض وفيما خلق من شيء فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وكما قال تعالى قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. 186

يقول تعالى من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد ولو نظر لنفسه فيما نظر قاله لا يجزي عنه شيئا ومن السبابة والتي تليها ومع هذا كله قد أمره الله أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. 187

تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين إصبعيه إسناده جيد قوي فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفي والحاشر الذي يذكر من شأن الساعة حتى نزلت يسألونك عن الساعة أيان مرساها الآية ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خالد به وهذا لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال وكيع: حدثنا ابن أبي خالد عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يديها فتنة وهرجا قالوا يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال بل لسان الحيشة القتل قال ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال علمها عند ربي عز وجل لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها إن بين دعائه فأخبر بما أعلمه الله تعالى به. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا عبد الله بن زياد بن لقيط قال: سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال: سئل على أشراتها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفذا لأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة بن حوشب بسنده نحوه فهؤلاء أكابر أولى العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلا أو نهارا ورواه ابن ماجه عن بNDAR عن يزيد بن هارون عن العوام يقذفهم في البحر. قال الإمام أحمد: قال يزيد بن هارون ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم ثم رجع إلى حديث هشيم قال: ففيما عهد إلي ربي عز وجل فيشكونهم فأدعو الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم أي تنتن قال فينزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال: ثم يرجع الناس إلي إذا رأني حتى إن الشجر والحجر يقول يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله عز وجل ثم لا يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد إلى ربي عز وجل أن الدجال خارج قال ومعني قضيبان فإذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله عز وجل أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى: أما وجبتها فلا يعلم عفاة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى فتذكروا أمر الساعة قال فردوا مثله قال ابن عمر: وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انخراط ذلك القرن وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم أنبأنا العوام عن جبلة بن سحيم عن موثر بن عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على ظهر الأرض اليوم من نفس منقوسة تأتي عليها مائة سنة رواه مسلم. وفي الصحيحين عن ابن عمر الله عنها وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر تسألوني الساعة؟ فذكر الحديث وفي آخره فمر غلام للمغيرة بن شعبة وذكره وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي ورواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن رجلا من أهل البادية قال يا رسول الله متى حدثنا قتادة عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أترابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة فقال إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة قال أنس: ذلك الغلام من أترابي وقال حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال متى الساعة؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ثم نظر إلى غلام بين يديه من أز دشنوءة تقوم الساعة انفراد به مسلم وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا سعيد بن أبي هلال المصري عن أنس بن مالك رضي عن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يعيش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى بذلك موتهم الذي يفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة ثم قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت الله صلى الله عليه وسلم سأله عن الساعة متى الساعة فيقول إلى أحدث إنسان منهم فيقول إن يعيش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم يعني في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا حدثنا أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدتهم إلى ما هو الأهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته ولهذا قال مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المرء مع من أحب وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقين ففيه أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الله عليه وسلم المرء مع من أحب فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة

تفسير ابن كثير

الله صلى الله عليه وسلم ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكن أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الأعرابي وناداه بصوت جهوري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاؤم على نحو من صوته قال يا محمد متى الساعة؟ فقال له رسول عرفته فيها إلا صورته هذه وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ولما سأله ذلك من هذا السائل يسأله يصدقه ثم لما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم وفي رواية قال وما أتاني في صورة إلا الساعة فبين له أشراف الساعة ثم قال في خمس لا يعلمهن إلا الله وقرأ هذه الآية وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب صدقت ولهذا عجب الصحابة من السائل أي لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة الآية وفي رواية فسأله عن أشراف صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ثم عن الإيمان. ثم عن الإحسان. ثم قال فمتى الساعة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها بأعلم ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ليعلم الناس أمر دينهم فجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس السائل المسترشد وسأله خلقه وقرأ إن الله عنده علم الساعة الآية وهذا القول أرجح في المقام من الأول والله أعلم ولهذا قال قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون الله وقال معمر عن بعضهم أنك حفي عنها كأنك عالم بها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنك حفي عنها كأنك عالم بها وقد أخفي الله علمها على استحقيت عنها السؤال حتى علمت وقتها وكذا قال الضحاك عن ابن عباس يسألونك أنك حفي عنها يقول كأنك عالم بها لست تعلمها قل إنما علمها عند عنها وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي وهذا قول والصحيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره يسألونك أنك حفي عنها قال مقربا ولا رسولا وقال قتادة: قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم إن بيننا وبينك قرابة فأمر إنا متى الساعة فقال الله عز وجل يسألونك أنك حفي الناس النبي صلى الله عليه وسلم الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم فأوحى الله إليه إنما علمها عنده استأثر به فلم يطلع الله عليها ملكا في معناه فقبل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس يسألونك أنك حفي عنها يقول كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم. وقوله يسألونك أنك حفي عنها اختلف المفسرون حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به قال تقوم الساعة والرجل يحلب لقمته فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة ولتقوم الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب كسبت في إيمانها خيرا ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان أن أنبأنا شعيب أن أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته إلا بغتة قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته ملك مقرب ولا نبي مرسل لا تأتيكم إلا بغتة يبغتهم قيامها تأتيهم على غفلة. وقال قتادة في قوله تعالى لا تأتيكم إلا بغتة قضى الله أنها لا تأتيكم مجيئها على أهل السماوات والأرض والله أعلم. وقال السدي ثقلت في السماوات والأرض يقول خفيت في السماوات والأرض فلا يعلم قيامها حين تقوم واختار ابن جرير رحمه الله أن المراد ثقل علم وقتها على أهل السماوات والأرض كما قال قتادة وهو كما قاله كقوله لا تأتيكم إلا بغتة ولا ينفي ذلك ثقل ابن جريج ثقلت في السماوات والأرض قال إذا جاء انشقت السماء. وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قاله الله عز وجل فذلك ثقلها يقول كبرت عليهم وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله ثقلت في السماوات والأرض قال ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة وقال في السماوات والأرض قال ثقل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون. قال معمر قال الحسن: إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض جليلة أمرها ومتى يكون على التحديد لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ولهذا قال ثقلت في السماوات والأرض قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ثقلت ربي لا يجليها لوقتها إلا هو أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم وقوله أبا نمرساها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منتهى أي متى محطها وأبان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة قل إنما علمها عند صادقين وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد من اليهود والأول أشبه لأن الآية مكية وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها وتكذيبا بوجودها كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم يقول تعالى يسألونك عن الساعة كما قال تعالى يسألك الناس عن الساعة قيل نزلت في قريش وقيل في نفر

أخبر أنه إنما هو نذير وبشير أي نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات كما قال تعالى فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتقين وتنذر به قوما لدا. 188 الغلاء من الرخص فاستعددت له من الرخص. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وما مسني سوء قال لاجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته ثم ما أربح فيه شيئا إلا رحبت فيه ولا يصيبني الفقر. وقال ابن جرير وقال آخرون: معنى ذلك لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدة من المخصة ولوقت والله أعلم. والأحسن في هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير أي من المال وفي رواية لعلمت إذا اشترت شيئا إذا عمل عملا أثبته فجميع عمله كان على منوال واحد كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك لعمل عملا صالحا وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال مثله ابن جريج وفيه نظر لأن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ديمة وفي رواية كان الغيب لاستكثرت من الخير قال عبدالرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال لو كنت أعلم متى أموت

تفسير ابن كثير

الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الآية وقوله ولو كنت أعلم أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم

وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان إنكما إن لم تسمياهما بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول فسميا ولدهما عبدالحارث. 189

لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فأتاهما الشيطان فقال هل تدریان ما يولد لكما؟ أم هل تدریان ما يكون أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين الآية وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى قوله فمرت به شكت حملت أم لا؟ فلما أثقلت دعوا الله ربهما به لعاش قال فولدت له رجلا فسماه عبدالحارث ففيه أنزل الله يقول هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى قوله جعلنا له شركاء فيما آتاهما إلى آخر

تلد لآدم عليه السلام أولادا فيعبدوهم لله ويسميههم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم. فأما الآثار فقال محمد بن إسحق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهو دوا ونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير قال: قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني جعلنا له شركاء فيما آتاهما وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن عن عمرو عن الحسن جعلنا له شركاء فيما آتاهما قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر الثالث أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبد الله بن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال: سمى آدم ابنه عبدالحارث. مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فآله أعلم. الثاني أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير: حدثنا أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه أحدها أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به ولكن رواه ابن به مرفوعا وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعا: قلت وشاذ هو هلال وشاذ لقبه والغرض ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ابن جرير عن محمد بن بشار عن بشار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حواء طاف بها إبليس وكان لا يعي بشيء لها ولد فقال سميه عبدالحارث فإنه يعي بشيء فسمته عبدالحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره وهكذا رواه الثقة. قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون يذكر المفسرون ههنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثم نتبع ذلك بيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه بهيمة وكذلك قال أبو البخترى وأبو مالك: أشفقا أن لا يكون إنسانا. وقال الحسن البصري لئن آتيتنا غلاما لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلنا له أي صارت ذات ثقل بحملها وقال السدي: كبر الولد في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا أي بشرا سويا. كما قال الضحاك عن ابن عباس أشفقا أن يكون فمرت به استبان حملها وقال ابن جرير: معناه استمرت بالماء قامت به وقعدت وقال العوفي عن ابن عباس: استمرت به فشكت أحملت أم لا فلما أثقلت ميمون بن مهران عن أبيه استخفته وقال أيوب: سألت الحسن عن قوله فمرت به قال: لو كنت رجلا عربيا لعرفت ما هي إنما هي فاستمرت به وقال قتادة تجد المرأة له ألما إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة وقوله فمرت به قال مجاهد استمرت بحمله وروي عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه وقال بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيدته إلى التفرقة بين المرء وزوجه فلما تغشاها أي وطئها حملت حملا خفيفا وذلك أول الحمل لا إليها أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة فلا ألفة بين روحين أعظم مما أتقاكم وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الآية وقال في هذه الآية الكريمة وجعل منها زوجها ليسكن خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما. كما قال تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله

بنيه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه

يذكر تعالى أنه أباح لآدم ولزوجه حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة. 19

وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمي بها وإنما هذا استطراد من شخص المصباح إلى جنسها ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم. 190

أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية ومعلوم أن المصباح هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله فتعالى الله عما يشركون ثم قال فذكر آدم وحواء هو القسم الثاني أو الثالث فيه نظر فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وهذا الأثر فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا ومنها ما هو مسكوت عنه

تفسير ابن كثير

الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاءها فقال إن تطيعني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة فبيهما فأطاعا. وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل عباس عن أبي بن كعب قال: لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها أتطيعيني ويسلم لك ولدك: سميه عبدالحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب تعالى جعلاً له شركاء فيما آتاهما رواه ابن أبي حاتم. وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية فعلت لتفعلن أو لأفعلن يخوفهما فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركما حب الولد فسمياه عبدالحارث فذلك قوله بطنك فيشققه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما فسمياه عبدالحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت يعني الثاني فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما ليسكن إليها فلما تغشاها آدم حملت أتاها إبليس لعنه الله فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إبل فيخرج من بن جبير عن ابن عباس في قوله فلما آتاهما صالحا جعلاً له شركاء فيما آتاهما قال: قال الله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فذلك قول الله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلاً له شركاء فيما آتاهما الآية وقال عبد الله بن المبارك عن شرك عن خصيف عن سعيد

يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى لا يخلق شيئا وهم يخلقون أي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل أتعبدون ما تحتون الآية. 191 أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل لو سلبتهم الذبابة شيئا من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا إنقاذه منها فمن هذه صفته وحاله كيف الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز أخبر تعالى وهم يخلقون أي أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئا ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون ولا تبصر ولا تنتصر لعابديها بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال أيشركون ما لا يخلق شيئا هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهي مخلوقة لله مربية مصنوعة لا تملك شيئا من الأمر ولا تضر لو كنت إلها مستدن لم تك والكلب جميعا في قرن ثم أسلم فحسن إسلامه وقتل يوم أحد شهيدا رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه. 192 حتى أخذه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلباه في حبل في بئر هناك فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل وقال: تالله ويلطخانه بالعدرة فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيئه ويضع عنده سيفا ويقول له انتصر ثم يعودان لمثل ذلك ويعود إلى صنيعة أيضا للأرامل ليعتبر قومهما بذلك ويرتنوا لأنفسهم فكان لعمر بن الجموح وكان سيده في قومه صنم يعبد ويطيئه فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه عنهما وكانا شابيين قد أسلما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبا فراغ عليهم ضربا باليمين وقال تعالى فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضي الله يعني ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة كما أخبر تعالى عنه في قوله قال تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا أي لعابديهم ولا أنفسهم ينصرون

أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها وسواء لديها من دعاها ومن دحها كما قال إبراهيم يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا. 193 وقوله وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم الآية يعني

ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أي مخلوقات مثلهم. 194

وتبصر وتبتطش وتلك لا تفعل شيئا من ذلك وقوله قل أدعوا شركاءكم الآية أي استنصروا بها علي فلا تؤخروني طرفة عين واجهدوا جهدكم. 195 بل الأناس أكمل منها لأنها تسمع

خلقني فهو يهدين الآيات وكقوله لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون. 196 دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وكقول الخليل أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأبائكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من وهو نصيري وعليه متكلي وإليه ألبأ وهو وليي في الدنيا والآخرة وهو ولي كل صالح بعدي وهذا كما قال هود عليه السلام لما قال له قومه إن نقول إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين أي الله حسبي وكافيني

تدعون من دونه إلى آخر الآية مؤكدا لما تقدم إلا أنه بصيغة الخطاب وذاك بصيغة الغيبة ولهذا قال لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون. 197 قوله والذين

ينظرون إليك فعب عنها بضمير من يعقل وقال السدي: المراد بهذا المشركون وروي عن مجاهد نحوه والأول أولى وهو اختيار ابن جرير وقاله قتادة. 198 إنما قال ينظرون إليك أي يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة وهي جماد ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لأنها على صور مصورة كالإنسان وتراهم الهدى لا يسمعون وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون كقوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعون دعاؤكم الآية وقوله وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

قوله وإن تدعوهم إلى

ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم أي هذه الوصية. 199 هي أحسن السيئة نحن أعلم بما تصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وقال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يحرجه وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلعل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى ادفع بالتى في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوي الجاه لين وقال بعض العلماء: الناس رجلان فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما عليه وسلم ودله عليها وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسيكه في بيتين فيهما جناس فقال: خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين ولن وهو للمسلمين حرب وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال هذه أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات وبالإعراض عن الجاهلين وذلك وإن كان أمراً لنبيه صلى الله العرف المعروف نص عليه عروة بن الزبير والسدي وقاتدة وابن جرير وغير واحد وحكى ابن جرير أنه يقال أوليته معروفًا وعارفًا كل ذلك بمعنى المعروف قال إن هذا منهي عنه فقالوا: نحن أعلم بهذا منك إنما يكره الجلجل الكبير فأما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال وأعرض عن الجاهلين وقول البخاري يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن عبد الله بن نافع أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على غير لأهل الشام وفيها جرس فقال: الجاهلين وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل انفرد بإخراجه البخاري وقال ابن أبي حاتم: حدثنا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعينة فأذن له عمر فدخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً فقال لعينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من القاسم أبو عبد الرحمن فيهما ضعف وقال البخاري قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين العرف المعروف حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن علي بن يزيد وشيخه رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال يا عتبة صل من قطعك ابن مردويه وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا شعبة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة الباهلي عن عتبة بن عامر وهذا مرسل على كل حال وقد روي له شواهد من وجوه أخر وقد روي مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أسندهما وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وقد رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي يزيد القراطيسي كتابة عن أصعب بن الفرج عن سفيان عن أبي عن الشعبي نحوه عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل؟ قال إن الله أمرك أن تغفو عمن ظلمك الأقوال وبشهاد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عينة عن أبي قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير: خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لاأخذنه منهم ما صحبتهم وهذا أشهر خذ العفو من أخلاق الناس وفي رواية لغيره عن هشام عن أبيه عن ابن عمر وفي رواية عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها قالت مثل ذلك والله أعلم وفي رواية العفو من أخلاق الناس وفي رواية قال خذ ما عفي لك من أخلاقهم وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال: إنما أنزل في قوله تعالى خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وقال هشام بن عروة عن أبيه أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أسلم في قوله خذ العفو أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم واختار هذا القول ابن جرير وقال غير واحد عن مجاهد قاله السدي وقال الضحاك عن ابن عباس خذ العفو أنفق الفضل وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس خذ العفو قال الفضل وقال عبد الرحمن بن زيد بن خذ العفو يعني خذ ما عفي لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذها وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله

تتخرج به في إبلاغه والإنذار به فاصبر كما صبرا أولوا العزم من الرسل ولهذا قال لتنذر به أي أنزلناه إليك لتنذر به الكافرين وذكرى للمؤمنين. 2 قال سعيد بن جبير كتاب أنزل إليك أي هذا كتاب أنزل إليك أي من ربك فلا يكن في صدرك حرج منه قال مجاهد وقاتدة والسدي شك منه وقيل لا الأرض رواسي أن تميد بكم أي لئلا تميد بكم. وكان ابن عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن إلا أن تكونا ملكين بكسر اللام وقرأه الجمهور بفتحها. 20 لكما ذلكما كقوله قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى أي لئلا تكونا ملكين كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا وألقى في واللباس الحسن وقال كذبا وافتراء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أي لئلا تكونا ملكين أو خالدين ههنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل عند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ما هما فيه من النعمة

مما أحاذره لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره وقد قدمنا أحاديث الاستعاذة في أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا. 200 والعياذ اللاتجاء والاستناد والاستجارة من الشر وأما الملاذ ففي طلب الخير كما قال الحسن بن هانئ في شعره: يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به

تفسير ابن كثير

الرجيم فقليل له فقال ما بي من جنون وأصل النزغ الفساد إما بالغضب أو غيره قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم وسلم فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمرغ غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم قلت وقد تقدم في أول الاستعاذة حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي صلى الله عليه وغير ذلك من أمور خلقه. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال يا رب كيف بالغضب؟ فأُنزل الله إنه سميع عليم لجهل الجاهل عليك والاستعاذة به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفي عليه منه شيء عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان من الشيطان نزغ وإما يغضبك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته فاستعذ بالله يقول فاستجبر بالله من نزغه شيطان الجان فإنه لا يكفه عنك الإحسان وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك قال ابن جرير في تفسير قوله وإما ينزغنك هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى ولهذا قال فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من إنه سميع عليم فهذه الآيات الثلاث في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة لا رابع لهن فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف بالتالي وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم وقال في هذه السورة الكريمة أيضا وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله

ابن كثير: المد الزيادة يعني يزيدونهم في الغي يعني الجهل والسفه ثم لا يقصرون قيل معناه إن الشياطين تمد الإنس لا تقصر في أعمالهم بذلك. 201 الشياطين وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم يمدونهم في الغي أي تساعدهم الشياطين على المعاصي وتسهلها عليهم وتحسنها لهم. وقال يا عمر قد أعطانيهما ربي عز وجل في الجنة مرتين. وقوله تعالى وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين من الإنس كقوله إن المبذرين كانوا إخوان عمر فعزى فيه أباه وكان قد دفن ليلا فذهب فضلى على قبره بمن معه ثم ناداه عمر فقال يا فتى ولمن خاف مقام ربه جنتان فأجابته الفتى من داخل القبر: كاد يدخل معها المنزل فذكر هذه الآية إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فخر مغشيا عليه ثم أفاق فأعادها فمات فجاء يخرجاه وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه أن شابا كان يتعبد في المسجد فهو يته امرأة فدعته إلى نفسها فما زالت به حتى الجنة فقالت: بل أصبر ولي الجنة ولكن ادع الله أن لا أتكشف فدعا لها فكانت لا تتكشف وأخرجته الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ولم غير واحد من أهل السنن وعندهم قالت: يا رسول الله إني أصرع وأتكشف فادع الله أن يشفيني فقال إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت صبرت ولك فقالت يا رسول الله ادع الله أن يشفيني فقال إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك فقالت: بل أصبر ولا حساب علي ورواه أبو بكر بن مردويه ههنا حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبها طيف ثوبه ووعدته ووعدته فتابوا وأتابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب فإذا هم مبصرون أي قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه وقد أورد الحافظ ذلك بالغضب ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ومنهم من فسره بالهم بالذنب ومنهم من فسره بإصابة الذنب وقوله تذكروا أي عقاب الله وجزيل زجر أنهم إذا مسهم أي أصابهم طيف وقرأ الآخرون طائف وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان فقليل بمعنى واحد وقيل بينهما فرق ومنهم من فسر يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه

لا تفتقر فيه ولا تبطل عنه كما قال تعالى ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا قال ابن عباس وغيره تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا. 202 يقول لا يسأمون وكذا قال السدي وغيره إن الشياطين يمدون أولياءهم من الإنس ولا تسأم من إمدادهم في الشر لأن ذلك طبيعة لهم وسجية لا يقصرون عنهم وقيل معناه كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس ثم لا يقصرون عن ابن عباس في قوله صلى الله عليه وسلم وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون الآية قال لا الإنس يقصرون عما يعملون ولا الشياطين تمسك قال علي بن أبي طلحة

أرشدتهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيانات فقال هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون. 203 تعالى في شيء وإنما أتبع ما أمرني به فأمثله ما يوحى إلي فإن بعث آية قبلتها وإن منعها لم أسأله ابتداء إياها إلا أن يأذن لي في ذلك فإنه حكيم عليم ثم صلى الله عليه وسلم ألا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى تراها وتؤمن بها قال الله تعالى له قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي أي أنا لا أتقدم إليه ومعنى قوله تعالى وإذا لم تأتهم بآية أي معجزة وخارق كقوله تعالى إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين يقولون للرسول ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس لولا اجتبيتها يقول تلقيتها من الله تعالى وقال الضحاك لولا اجتبيتها يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء في قوله وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قال لولا اقتضيتها قالوا تخرجها عن نفسك وكذا قال قتادة والسدي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم واختاره عن ابن عباس في قوله تعالى قالوا لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها وقال مرة أخرى: لولا أحدثها فأنشأتها. وقال ابن جرير عن عبدالله بن كثير عن مجاهد قال علي بن أبي طلحة

وسلم قال من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة تفرد به الإمام أحمد رحمه الله تعالى. 204 فأنصت له. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئا قال السكوت وقال مبارك بن فضالة عن الحسن إذا جلست إلى القرآن أن المراد من ذلك الإنصات في الصلاة وفي الخطبة كما جاء في الأحاديث من الأمر بالإنصات خلف الإمام وحال الخطبة وقال عبدالرزاق عن الثوري عن ليث

تفسير ابن كثير

قوله وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الإمام من الصلاة وهذا اختيار ابن جرير هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الذكر وقال ابن المبارك عن بقية سمعت ثابت بن عجلان يقول: سمعت سعيد بن جبير يقول في أنه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة وكذا روى ابن جريج عن عطاء مثله وقال النخعي وقتادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بذلك في الصلاة وقال شعبة عن منصور سمعت إبراهيم بن أبي حمزة يحدث عن مجاهد وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم وكذا قال سفيان الثوري عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد في قوله وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة. وكذا رواه غير واحد حديثهما قال فأعدت فنظرا إلي وأقبلا على حديثهما قال فأعدت الثالثة قال فنظرا إلي فقالا: إنما ذلك في الصلاة وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا بن كريب قال: رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص يقص فقلت ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعد؟ قال فنظرا إلي ثم أقبلا على في الصلاة المفروضة وكذا روى عن عبد الله بن المغفل. وقال ابن جرير: حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا بشر بن المفضل حدثنا الجراري عن طلحة بن عبيد الله خلف الإمام في السرية والجهرية أيضا والله أعلم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قوله وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا يعني عن جابر موقوفا وهذا أصح وهذه المسألة مبسطة في غير هذا الموضع وقد أفرد لها الإمام أبو عبد الله البخاري مصنفا على حدة واختار وجوب القراءة ورد في الحديث من كان له إمام فقراءته قراءة له وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعا وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان الإمام وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل: لا يجب على المأموم قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية بما وهو أحد قول الشافعية وهو القديم كذهب مالك ورواية عن أحمد بن حنبل لما ذكرناه من الأدلة المتقدمة وقال في الجديد يقرأ الفاتحة فقط في سكتات وأنصتوا له لعلكم ترحمون قلت: هذا مذهب طائفة من العلماء أن المأموم لا يجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الإمام لا الفاتحة ولا غيرها ولكنهم يقرؤون فيما لا يجهر به سرا في أنفسهم ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية فإن الله تعالى قال وإذا قرئ القرآن فاستمعوا أبو حاتم الرازي وقال عبد الله بن المبارك عن يونس عن الزهري قال: لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به الإمام تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي هذا حديث حسن وصححه فيها بالقراءة فقال أهل قرأ أحد منكم معي أنفا؟ قال رجل نعم يا رسول الله قال إني أقول ما لي أنزع القرآن قال فانتبهى الناس عن القراءة مع رسول وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث الزهري عن أبي أكتمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئا قرأه فنزلت وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال: أما أن لكم أن تفهموا أما أن لكم أن تعقلوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله قال وحدثني أبو السائب حدثنا حفص عن أشعث ترحمون وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال: صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقرؤون مع الإمام فلما أنصرف بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال ابن مسعود: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة فجاء القرآن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له والآية الأخرى أمروا بالإنصات قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر السنن من حديث أبي هريرة أيضا وصححه مسلم بن الحجاج أيضا ولم يخرج في كتابه وقال إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال: أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا وكذا رواه أهل في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاما له واحتراما لا كما كان يتعمده كفار قريش المشركون عليه بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والاصال لئلا يكونوا من الغافلين ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون. 205 المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سرا أو جهرًا فهذا الذي قاله لم يتابعا جرير وقبلة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة وهذا بعيد مناف للإنصات للمأمور به ثم إن فلا يسمعهم وليتخذ سبيلا بين الجهر والإسرار وكذا قال في هذه الآية الكريمة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقد زعم ابن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به فأمره الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فإن بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن الذي تدعونه سميع عز وجل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهرًا بليغا ولهذا لما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أقریب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله أصيل كما أن الإيمان جمع يمين وأما قوله تضرعا وخيفة أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهرًا ولهذا قال ودون الجهر من القول وهكذا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء وهذه الآية مكية وقال ههنا بالغدو وهو أول النهار والاصال جمع يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيرا كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله فسبح بحمد ربك

تفسير ابن كثير

في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدها في سجدة القرآن آخر تفسير سورة الأعراف ولله الحمد والمنة. 206
الملائكة عند ربها يتمون الصفوف الأول فالأول ويتراصون في الصف وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع وقد ورد
ذكرهم بهذا ليقبضهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل كما جاء في الحديث ألا تصفون كما تصف
قال إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وإنما

المؤمن بالله وقال قتادة في الآية حلف بالله إنني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعان أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له. 21
الطرفين كما قال خالد بن زهير بن عم أبي ذؤيب. وقاسمهم بالله جهدا لأنتم ألد من السلوى إذ ما نشوزها أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعها وقد يخدع
وقاسمهما أي حلف لهما بالله إنني لكما لمن الناصحين فإني من قبلكما ههنا وأعلم بهذا المكان وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد

نهيته عنها قال: حواء أمرتني قال: فإني قد أعقبته أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها قال فرنت عند ذلك حواء فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك. 22
حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي
واستغفرت قال: إذا أدخلت الجنة وأما إبليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فأعطى كل واحد منهما الذي سأله وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين
عورة هذا فلما أكل من الشجرة بدت لهما سواتهما. رواه ابن جرير بسند صحيح إليه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال: قال آدم أي رب أرايت إن تبت
من ورق الجنة قال كهينة الثوب وقال وهب بن منبه في قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه
المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفا يخرصان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين صحيح إليه وقال مجاهد جعل يخرصان عليهما
ثم سقى حتى إذا بلغ حصده داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ. وقال الثوري عن ابن أبي ليلى عن
ثم لا تنال العيش إلا كذا قال فأهبط من الجنة وكانا يأكلان منها رغدا فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعه الحديد وأمر بالحرق فحرق وزرع
بلى رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله عز وجل وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض
من الجنة فناده الله يا آدم أمني تفر؟ قال لا ولكنني استحييتك يا رب قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال:
سواتهما أظفارهما وطفا يخرصان عليهما من ورق الجنة ورق التين يلزقان بعضه إلى بعض فانطلق آدم عليه السلام موليا في الجنة فعلق برأسه شجرة
عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكل منها بدت لهما سواتهما وكان الذي وارى عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا والموقوف أصح إسنادا وقال عبد الرزاق: أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك أنبأنا الحسن بن عمار عن المنهال بن
فقلت: إني غير مرسلتك فناده ربه عز وجل يا آدم أمني تفر قال يا رب إني أستحييتك. وقد رواه ابن جرير وابن مردويه عن طريق الحسن بن أبي بن كعب
فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها أرسليني
قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن بن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس

قال الضحاک بن مزاحم في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. 23

بها القلم وأحصاها القدر وسطرت في الكتاب الأول وقال ابن عباس مستقر القبور وعنه قال مستقر فوق الأرض وتحتها رواهما ابن أبي حاتم. 24
الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين أي قرار وأعمار مضرورية إلى أجل معلومة قد جرى
منهم ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات والله أعلم بصحتها ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها
في سورة طه قال اهبطا منها جميعا الآية. وحواء تبع لآدم والحية إن كان ذكرها صحيحا فهي تبع لإبليس وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل
قيل المراد بالخطاب في اهبطوا آدم وحواء وإبليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والله أعلم. والعمدة في العداوة آدم وإبليس ولهذا قال تعالى
لبنی آدم مدة الحياة الدنيا فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويجازي كلا بعمله. 25
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى يخبر تعالى أنه جعل الأرض دارا

قوله

الحمام يوم الجمعة على المنبر وأما المرفوع منه فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهدا من وجه آخر حيث قال حدثنا. 26
روى الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري في كتاب الأدب من طرق صحيحة عن الحسن البصري أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح
ثم قرأ هذه الآية وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله قال السميت الحسن. هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف وقد
فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية إن خيرا فخير وإن شرا فشر.
الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص فوهي محلول الزر وسمعتهم يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر
المثني حدثنا إسحاق بن الحجاج حدثني إسحاق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه على منبر رسول
الرحمن بن زيد بن أسلم ولباس التقوى يتقي الله فيواري عورته فذاك لباس التقوى وكلها متقاربة ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال حدثني
العوفي عن ابن عباس العمل الصالح قال الديال بن عمرو عن ابن عباس هو السميت الحسن في الوجه وعن عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال عبد

تفسیر ابن کثیر

في معناه فقال عكرمة يقال هو ما يلبسه المتقوم يوم القيامة رواه ابن أبي حاتم وقال زيد بن علي والسدي وقائدة وابن جريج ولباس التقوى الإيمان وقال الإمام أحمد وقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير قرأ بعضهم ولباس التقوى بالنصب وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وذلك خير خبره واختلف المفسرون هذا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكسوة الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتى . رواه حين لبسه الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتى فقيل هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثنا مختار بن نافع التمار عن أبي مطر أنه رأى عليا رضي الله عنه أتى غلاما حدثا فاشتري منه قميصا بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين يقول وثقه يحيى بن معين وغيره وشيخه أبو العلاء الشامي لا يعرف إلا بهذا الحديث ولكن لم يخرججه أحد والله أعلم وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبيد فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتا. رواه الترمذي وابن ماجه من رواية يزيد بن هارون عن أصبغ هو ابن زيد الجهني وقد الله عليه وسلم من استجد ثوبا فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتى وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الخلق جديدا فلما بلغ ترقوته قال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتى وأتجمل به في حياتي ثم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال: قال رسول الله صلى والنعيم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرياش الجمال وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أصبغ عن أبي العلاء الشامي قال لبس أبو أمامة ثوبا وحكاه البخاري عنه الرياش المال. وهكذا قال مجاهد وعروة بن الزبير والسدي والضحاك وغير واحد وقال العوفي عن ابن عباس الريش اللباس والعيش من الضروريات والريش من التكملات والزيادات قال ابن جرير الرياش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش فاللباس ستر العورات وهي السماوات والرياش ما يتجمل به ظاهرا فالأول

بعد ما كانت مستورة عنه وما هذا إلا عن عداوة أكيدة وهذا كقوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا. 27 مبينا لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سعيه في إخراجه من الجنة التي هي دار النعيم إلى دار التعب والعناء والتسبب في هتك عورته يحذر تعالى بنى آدم من إبليس وقبيله

أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك أتقولون على الله ما لا تعلمون أي أتسندون إلي الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته. 28
ذلك فقال وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فقال تعالى ردا عليهم قل أي يا محمد لمن ادعى ذلك إن الله لا يأمر بالفحشاء
عراة بالليل وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع فأنكر الله عليهم
وربما كانت امرأة فتطوف عريانة فتجعل على فرجها شيئا ليستتره بعض الستر فتقول. اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله وأكثر ما كان النساء يطفن
ثيابهم ومن أعاره أحمسي ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جليد طاف فيه ثم يليقه فلا يتملكه أحد ومن لم يجد ثوبا جديدا ولا أعاره أحمسي ثوبا طاف عريانا
ما عدا قريشا لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها وكانت قريش وهم الحمس يطوفون في
أو الشيء وتقول. اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فأنزل الله وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية. قلت كانت العرب
قال مجاهد كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة

29 هدى وفي الصحيحين فأما من كان منكم من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة. 29 وفي الحديث كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها. وقدر الله نافذ في بريقه فإنه هو الذي قدر فهدى و الذي أعطى كل شيء خلقه ثم لا إله غيره كما أخذ عليهم الميثاق بذلك وجعله في غرائزهم وفطرهم ومع هذا قدر أن منهم شقيا ومنهم سعيدا هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن الحديث ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بأنه مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وفي صحيح من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها وما جاء في الصحيحين مسلم وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به ولفظه يبعث كل عبد على ما مات عليه وعن ابن عباس مثله قلت ويتأيد بحديث ابن مسعود قلت ولا بد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تبعث كل نفس على ما كانت عليه. وهذا الحديث رواه بالخواتيم هذا قطعة من حديث البخاري من حديث أبي غسان محمد بن مطرف المدني في قصة قرمان يوم أحد وقال ابن جرير حدثني ابن بشار حدثنا عبد عليه وسلم إن العبد ليعمل فيما يرى الناس يعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنه ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة وإنما الأعمال بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وقال أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا قلت كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال ابتعدوا عليه وقال السدي كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول كما بدأكم تعودون كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال

تفسير ابن كثير

أهل السعادة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدئ خلقه عليه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملوا بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما تكونون وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى كما بدأكم تعودون من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ خلقه وإن عمل بأعمال كافرا وقال أبو العالية كما بدأكم تعودون ردوا إلى علمه فيهم وقال سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون كما كتب عليكم تكونون وفي رواية كما كنتم عليه شعبة وفي حديث البخاري أيضا من حديث الثوري به. وقال ورقاء بن إياس أبو يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال شينا ثم ذهبوا ثم يعيدهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما بدأكم أولا كذلك يعيدكم آخرا واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأيده بما رواه من حديث يحيى بن محمد بعد موتكم. وقال الحسن البصري كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء وقال قتادة كما بدأكم تعودون قال بدأ فخلقهم ولم يكونوا وقوله تعالى كما بدأكم تعودون إلى قوله الضلالة اختلف في معنى قوله كما بدأكم تعودون فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كما بدأكم تعودون به من الشرائع وبالإخلاص له في عبادته فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركبتين أن يكون صوابا موافقا للشرعية وأن يكون خالصا من الشرك. مسجد وادعوه مخلصين له الدين أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله وما جاءوا قوله تعالى قل أمر ربي بالقسط أي بالعدل والاستقامة وأقيموا وجوهكم عند كل

الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله الآية. وقوله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون. 3 تتبعوا من دونه أولياء أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره قليلا ما تذكرون كقوله وما أكثر قال تعالى مخاطبا للعالم اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أي اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه ولا لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه مهتد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله تعالى بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية. 30 الدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيها لأنه قال تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ثم علل ذلك فقال إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله قال ابن جرير وهذا من أبيين حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحل بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به. 31 ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ففي الطعام والشراب وقال ابن جرير وقوله إنه لا يحب المسرفين يقول الله تعالى إن الله لا يحب المعتدين رزقهم الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولا تسرفوا يقول ولا تأكلوا حراما ذلك الإسراف وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلوا واشربوا عليهم الدود ما أقاموا في الموسم فقال الله تعالى لهم كلوا واشربوا الآية. يقول لا تسرفوا في التحريم وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت. ورواه الدارقطني في الأفراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية وقال السدي كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا بقية عن يوسف بن أبي كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لنفسه ورواه النسائي والترمذي من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذي حسن وفي نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان فاعلا لا محالة فثلت لطفاه وثلث لشربه وثلث وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا سليمان بن سليم الكلبى حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت المقدم بن معديكرب الكندي قال: سمعت رسول وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده. ورواه النسائي أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة إسناده صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال وكلوا واشربوا الآية. قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال البخاري قال ابن عباس: كل ما شئت والبس وأطيب وكفنوا فيها موتاكم وروى الطبراني بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين أن تميم الداري اشترى رداء بألف وكان يصلي فيه وقوله تعالى والإمام أحمد أيضا وأهل السنن بإسناد جيد عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بثياب البياض فالبسوها فإنها أظهر هذا حديث جيد الإسناد رجاله على شرط مسلم ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم به وقال الترمذي حسن صحيح رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وإن خير أحوالكم الأثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر. اللباس البياض كما قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال: قال الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك ومن أفضل الحافظ ابن مردويه من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعا أنها نزلت في الصلاة في النعال ولكن في صحته نظر والله أعلم ولهذه وسعيد بن جبير وقاتدة والسدي والضحاك ومالك عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها أنها نزلت في طوائف المشركين بالبيت عراة وقد روى والزينة اللباس وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وهكذا قال مجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي

تفسير ابن كثير

زينتكم عند كل مسجد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية. قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فقال الله تعالى خذوا بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير واللفظ له من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف

عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده فأمروا بالثياب. 32 قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير بالله وعنده في الحياة الدنيا وإن شركهم فيها الكفار حبا في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد من الكفار فإن الجنة محرمة على الكافرين قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بأرائهم الفاسدة وابتداعهم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده الآية أي هي مخلوقة لمن آمن يقول تعالى ردا على من حرم شيئا من المأكّل أو المشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله

تقولوا على الله ما لا تعلمون من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولدا ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان الآية. 33 بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي إلى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي تجعلوا له شركاء في عبادته وأن البغي أن تبغي على الناس بغير الحق وقال مجاهد الإثم المعاصي كلها وأخبر أن الباغي بغيه على نفسه وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بن مسعود وتقدم الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الأنعام وقوله والإثم والبغي بغير الحق قال السدي أما الإثم فالمعصية ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن شقيق عن أبي وائل عن عبد الله قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش يقول تعالى ولكل أمة أي قرن وجيل أجل فإذا جاء أجلهم أي ميقاتهم المقدر لهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. 34

سيبعث إليهم رسلا يقصون عليهم آياته وبشر وحذر فقال فمن اتقى وأصلح أي ترك المحرمات وفعل الطاعات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. 35 أنذر تعالى بني آدم أنه

كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أي كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي ماكتون فيها مكتئا مخلدا. 36 والذين

أنتم فيه قالوا ضلوا عنا أي ذهبوا عنا فلا نرجوا نفعهم ولا خيرهم وشهدوا على أنفسهم أي أقروا واعترفوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين. 37 عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله ادعوهم يخلصوكم مما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا الآية. وقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم الآية. يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفرعهم الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وهو قوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ونظير المعنى في هذه الآية. كقوله إن الذين يفترون على الله جرير وقال محمد بن كعب القرظي أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمله ورزقه وعمره وكذا قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا نصيبهم من الأعمال من عمل خيرا جزى به ومن عمل شرا جزى به وقال مجاهد ما وعدوا به من خير وشر وكذا قال قتادة والضحاك وغير واحد واختاره ابن المفسرون في معناه فقال العوفي عن ابن عباس ينالهم ما كتب عليهم وكتب لمن كذب على الله أن وجهه مسود وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أي لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المنزل أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف يقول فمن

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الآية. وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم. 38 وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب الآية. وقوله قال لكل ضعف أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلا بحسبه كقوله هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي أضعف عليهم العقوبة كما قال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وهم المتبوعون لأنهم أشد جرما من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيشكوههم الأتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل فيقولون ربنا وما هم بخارجين من النار وقوله حتى إذا ادركوا فيها جميعا أي اجتمعوا فيها كلهم قالت أخراهم لأولاهم أي أخراهم دخولوا وهم الأتباع لأولادهم اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم في أمم أي مع أمم وقوله كلما دخلت أمة لعنت أختها كما قال الخليل عليه السلام ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الآية وقوله تعالى إذ تبرا الذين وعلى صفاتكم قد خلت من قبلكم أي من الأمم السالفة الكافرة من الجن والإنس في النار يحتمل أن يكون بدلا من قوله في أمم ويحتمل أن يكون يقول تعالى مخبرا عما يقوله لهؤلاء المشركين به المفتريين عليه المكذبين بآياته ادخلوا في أمم أي من أمثالكم إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون. 39

تفسير ابن كثير

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار حال محشرهم في قوله ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين للأتباع فما كان لكم علينا من فضل قال السدي فقد ضللتكم كما ضللنا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في وقالت أولاهم لأخراهم أي قال المتبوعون

يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم. 4 كما قال أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون وقال أفأمن الذين مكروا السيئات أن هم قائلون أي فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته بياتا أي ليلا أو هم قائلون من القيلولة وهي الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت غفلة وهو مشيد وقال تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين وقوله فجاءها بأسنا بياتا أو برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون وكقوله فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر يقول الله تعالى وكم من قرية أهلكناها أي بمخالفة رسلنا وتكذيبهم فأعقبهم ذلك خزي في الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى ولقد استهزئ

الميم يعني الحبل الغليظ في خرق الإبرة وهذا اختيار سعيد بن جبير وفي رواية أنه قرأ حتى يلج الجمل يعني قلوس السفن وهي الحبال الغلاظ. 40 وكذا روى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يلج الجمل في سم الخياط بضم الجيم وتشديد بأنه البعير قال ابن مسعود هو الجمل ابن الناقة وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري حتى يدخل البعير في خرق الإبرة وكذا قال أبو العالية والضحاك لأعمالهم ولا لأرواحهم وهذا فيه جمع بين القولين والله أعلم وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط. هكذا قرأه الجمهور وفسروه ارجعي ذميمة فإنه لم يفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر وقد قال ابن جريج في قوله لا تفتح لهم أبواب السماء لا تفتح فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولان فلان فيقال فلان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد ويمهد له فرش من النار وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من حديث محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب من النار ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم وفي آخره ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فذكر نحوه وفيه حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك من السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله الریح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضييق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط الله وغضب الله قال فتفرق في الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها طيبها ويفسح له في قبره مد البصر قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما عمك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعة من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء

تفسير ابن كثير

على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه السقاء فبأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال استعيزوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وفي يده به وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء الآية. هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو الروح الخبيثة فيقولون فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء فيصعدون بها فلا تمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه عن ابن عباس وقاله السدي وغير واحد ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن المنهال هو ابن عمرو عن زاذان ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه الثوري عن ليث عن عطاء عن ابن عباس وقيل المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء رواه الضحاك قوله لا تفتح لهم أبواب السماء قيل المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء قاله مجاهد وسعيد بن جبير

كعب القرظي لهم من جهنم مهاد قال الفرش ومن فوقهم غواش قال اللحف وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي وكذلك نجزي الظالمين. 41

قوله لهم من جهنم مهاد قال محمد بن

كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا. 42 الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتصر لهم مظالم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل أي من حسد وبغض كما جاء في صحيح البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الصالحات بجوارحهم ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله واستكبروا عنها نبه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل لأنه تعالى قال لا تكلف نفسا إلا وسعها لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وعملوا

الله عليه وسلم أنه قال واعلموا أن أحذكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل. 43 كنتم تعملون أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم. وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني لفيكون له حسرة. ولهذا لما أورشوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا أن تلکم الجنة أورشتموها بما الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني لفيكون له شكر الحسن يقول قال علي: فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل. وروى النسائي وابن مردويه واللفظ له من حديث أبي بكر بن عياش عن وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل رواه ابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن إسرائيل قال سمعت قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقال قتادة قال علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبدا وقد روى أبو إسحاق عن عاصم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحوه من هذا كما سيأتي في إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من إحداها فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت قال السدي في قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار الآية إن أهل الجنة إذا سيقوا

منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا. وقوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أي أعلم معلم ونادى مناد أن لعنة الله على الظالمين أي مستقرة عليهم. 44 وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا وقال عمر يا رسول الله تخاطب قوما قد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول قرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتلى القليب يوم بدر فنادى يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة وسمى رؤسهم هل يقولون لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون وكذلك نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين أي ينكر عليه مقاتلته التي يقولها في الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال وكذلك تقرعهم الملائكة تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما ربنا حقا أن ههنا مفسرة للقول المحذوف وقد للتحقيق أي قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم كما أخبر يخبر تعالى بما يخاطب به أهل النار على وجه التقرير والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم أن قد وجدنا ما وعدنا

لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلماذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل لأنهم لا يخافون حسابا عليه ولا عقابا فهم شر الناس أقوالا وأعمالا. 45 أن يكون السبيل معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد وهم بالآخرة كافرون أي وهم ببقاء الله في الدار الآخرة كافرون أي جاحدون مكذبون بذلك

تفسير ابن كثير

وصفهم بقوله الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أي يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ويبغون هذه الآية لم يدخلوها وهم يطمعون قال والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها بهم وقال قتادة قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع. 46

أن يدخلوها وهم داخلوها إن شاء الله وكذا قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال معمر عن الحسن إنه تلا الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوزوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون عباس قال يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الضحاك عنه وقال العوفي عن ابن عباس أنزلهم الله تلك المنزل ليعرفوا في تهرعوا من فزع الآخرة وخلق يطلعون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل ملائكة وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن إليه وكذا قول مجاهد إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضا والله أعلم وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولا منها أنهم شهدوا أنهم صلحاء صحيح إلى أبي مجلز لاحق بن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فيقال حين يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. وهذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا فقهاء علماء. وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله تعالى وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال بشران عن علي بن محمد المصري عن يوسف بن يزيد عن الوليد بن موسى به وقال سفيان الثوري عن خفيف عن مجاهد قال أصحاب الأعراف قوم صالحون في الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فسألناه وما الأعراف فقال حائط الجنة تجري فيها الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار رواه البيهقي عن ابن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيتهم فقال على الأعراف وليسوا وهذا مرسل حسن وقيل هم أولاد الزنا حكاه القرطبي وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شيبه بن عثمان عن عروة بن رويم عن العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم. عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال هم آخر من يفصل بينهم من أبي ثابت عن مجاهد وعن عبد الله بن الحارث من قوله وهذا أصح والله أعلم وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال سعيد بن داود حدثني جرير شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة. وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن المغيرة عن جرير به وقد رواه سفيان الثوري عن حبيب بن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيائهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم قصب الذهب مكلل بالؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلت ألوانهم أتى بهم الرحمن ابن عباس قال: الأعراف السور الذي بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف بذلك المكان حتى إذا بدأ الله أن يعافيتهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافته أحاده عشراته رواه ابن جرير وقال أيضا حدثني ابن وكيع حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال: فقال ابن مسعود إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم يقول هلك من غلبت فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها الحسنات فإنهم يعطون نورا يمشون به بين أيديهم وبأيامانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة الجنة نادوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين تعوزوا بالله من منازلهم قال فأما أصحاب بمثقال حبة ويرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فمن ثقلت موازينه ألايتين ثم قال الميزان يخف لكم. وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: قال سعيد بن جببر وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإني قد غفرت شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة فإذا أرسل إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما إن حتى يقضي الله فيهم وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال: قال الشعبي أصحاب الأعراف قال: فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار قال فوقفوا هنالك على السور المرفوعة وقصارها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر. وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به وكذا رواه ابن ماجه مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس والله أعلم بصحة هذه الأخبار الأعراف قال هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله. ورواه ابن مردويه وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر حدثنا يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن أبيه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استوت حسناته وسيئاته وعن أصحاب الأعراف فقال إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل الله.

تفسير ابن كثير

وهم يطمعون. وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال: سئل بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استوت حسناته وسيئاته فقال أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسماعيل حدثنا عبد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان بن عبد السلام حدثنا شيخ لنا يقال له أبو عباد عن عبد الله حسناتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر الأعراف أعرافا لأن أصحابه يعرفون الناس واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حبس عليه من أهل الذنوب بين الجنة والنار وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير وقال السدي إنما سمي الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الأعراف سور كعرف الديك وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه الأعراف جمع: تل بين الجنة والنار قيل لعرف الديك عرفا لارتفاعه. حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول الأعراف هو الشيء المشرف. وقال الأعراف وقال مجاهد الأعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب قال ابن جرير والأعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفا وإنما العذاب وهو الأعراف الذي قال الله تعالى فيه وعلى الأعراف رجال ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى وبينهما حجاب هو السور وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة قال ابن جرير وهو السور الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبه أن بين الجنة والنار حجابا وهو

زيد بن أسلم في قوله وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فأروا وجوههم مسودة وأعينهم مزقة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. 47 يذهب بها إلى النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. وقال عكرمة تجدد وجوههم للنار فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. وقال السدي وإذا مروا بهم يعني بأصحاب الأعراف بزمرة قوله وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قال الضحاك عن ابن

عنكم جمعكم أي كثرتكم وما كنتم تستكبرون أي لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال. 48 يقول الله تعالى إخبارا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم ما أغنى

فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة. 49 فأتى بهم الجنة فاستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان حافته قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحبساؤه الياقوت فيفتسلون منه رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي أقول ربي أمتي فيقول هم لك فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطني بذلك المقام وهو المقام المحمود السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي ثم أمتي على ربي عز وجل ثم أخر ساجدا فيقال لي ارفع الله عليه وسلم فيأتوني فأضرب بيدي على صدري ثم أقول أنا لها ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش فأتني ربي عز وجل فيفتح لي من الثناء ما لم يسمع يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيري؟ قال فيقولون لا فيقول أنا حجيح نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن انتوا محمدا صلى ولكن انتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيري فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم من أحد اتخذ الله خليلا هل تعلمون أن أحدا أحرقه قومه بالنار في الله غيري؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن انتوا ابني لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن انتوا ابني إبراهيم فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري؟ فيقولون الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا يا آدم أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكاثفت أعمالهم فقصرتهم بهم حسناتهم عن عنكم جمعكم الآية. قال فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار قال الله لأهل التكبر والأموال أهؤلاء الذين الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قالوا ما أغنى أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أصحاب الأعراف ادخلوا

قوم حتى يعذروا من أنفسهم قال: قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال فقرأ هذه الآية فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين. 5 حدثنا بذلك ابن حميد حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال: قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هلك جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم وأنهم حقيقون بهذا كقوله تعالى وكما قصصنا من قرية كانت ظالمة إلى قوله خامدين قال ابن قوله فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين أي

فيرسل إليك بمنقود من الجنة لعله أن يشفيك به فجاءه الرسول وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر إن الله حرهما على الكافرين. 50

تفسير ابن كثير

رزقكم الله. وقال أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال لما مرض أبو طالب قالوا له لو أرسلت إلى ابن أخيك هذا أفضل؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة الماء ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أو سئل أي الصدقة وروى من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله سواء وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إن الله حرهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها قال جبير في هذه الآية قال ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفرض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون إن الله حرهما على الكافرين. علينا من الماء أو مما رزقكم الله يعني الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم وقال الثوري عن عثمان الثقفي عن سعيد بن يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك قال السدي ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا أكرمكم؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتريع؟ فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساكم كما نسيتمني. 51 نتركهم في النار وقال السدي نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك؟ ألم لقاء يومهم هذا قال نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا وقال مجاهد فنسيتهما وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فاليوم ننساكم كما ننساو شيء ولا ينساه كما قال تعالى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله نسوا الله فنسيهم وقال كذلك أتتكم آياتنا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للآخرة وقوله فاليوم ننساكم كما ننساو لقاء يومهم هذا أي يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهوا ولعبا واغترارهم بالدنيا

أخبر بما صاروا إليه من الخسارة في الآخرة ذكر أنه قد أراح عليهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. 52 أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الآية. ولقد جنناهم بكتاب الآية. وهذا الذي قاله فيه نظر فإنه قد طال الفصل ولا دليل عليه وإنما الأمر أنه لما فصلت الآية وقوله فصلناه على علم للعالمين أي على علم منا بما فصلناه به كقوله أنزله بعلمه قال ابن جرير وهذه الآية مردودة علي قوله كتاب يقول تعالى مخبرا عن إعداده إلى المشركين بإرسال الرسل إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول وأنه كتاب مفصل مبين كقوله كتاب أحكمت آياته ثم فيها وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا ينقذونهم مما هم فيه. 53 قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون كما قال ههنا قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون أي خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فنعمل غير الذي كنا نعمل كقوله ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من به وتناسوه في الدار الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أي في خلاصنا مما صرنا إليه مما نحن فيه أو نرد إلى الدار الدنيا أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ وقوله يوم يأتي تأويله أي يوم القيامة قاله ابن عباس يقول الذين نسوه من قبل أي تركوا العمل به من العذاب والنكال والجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد وقال مالك: ثوابه وقال الربيع لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب حتى يدخل قال هل ينظرون إلا تأويله أي ما وعدوا

الدعاء المأثور عن أبي الدرداء وروي مرفوعا اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله. 54 فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وفي عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له صحبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه السماء بروجا الآية. قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا إسحاق حدثنا هشام أبو عبد الرحمن حدثنا بقة بن الوليد حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري الجميع تحت قهره وتسخيريه ومشيتته ولهذا قال منها ألا له الخلق والأمر أي له الملك والتصرف تبارك الله رب العالمين كقوله تبارك الذي جعل في بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال يطلبه حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أي القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فقوله ولا الليل سابق النهار أي لا يفوته بوقت يتأخر عنه وعكسه كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون يطلبه حيثما أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا أي سريعا لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء وهذا به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفي عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى وقوله تعالى يغشي الليل النهار البخاري قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثل شيء وهو السميع البصير بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا والله أعلم. وأما قوله تعالى ثم استوى على العرش فللناس من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير

تفسير ابن كثير

وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل . فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو القطع فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا حجاج حدثنا بن جريج أخبرني المتبادر إلى الأذهان أو كل يوم كالف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس فأما يوم السبت فلم يخبر تعالى أنه خالق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن والستة أيام هي الأحد

إسماعيل عن حماد بن سلمة عن سعيد بن إياس الحريري عن أبي نعامة واسمه قيس بن عباية الحنفي البصري وهو إسناده حسن لا بأس به والله أعلم. 55
الله عليه وسلم يقول يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور. وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان به وأخرجه أبو داود عن موسى بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وعذبه من النار فإني سمعت رسول الله صلى مخراق عن أبي نعامة عن مولى لسعد عن سعد فذكره والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نعامة أن عبد الله تقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ورواه أبو داود من حديث شعبة عن زياد بن يقول إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي لفظ يعتدون في الطهور والدعاء وقرأ هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا الآية وإن بحسبك أن ونحو من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شر كثير وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بن مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن مخراق سمعت أبا نعامة عن مولى لسعد أن سعدا سمع ابنا له يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها في قوله إنه لا يحب المعتدين في الدعاء ولا في غيره وقال أبو مجلز إنه لا يحب المعتدين لا يسأل منازل الأنبياء وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن نادى ربه نداء خفيا وقال ابن جريج يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والإستكانة ثم روي عن عطاء الخراساني عن ابن عباس يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال إذ وما يشعرون به ولقد أدرنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار قلوبكم وصحة اليقين وحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مرأاة وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال إن كان الرجل وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تضرعا وخفية قال السر وقال ابن جرير تضرعا تذلا واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن لذي تدعون سميع قريب الحديث فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية قيل معناه تذلا واستكانة كقوله واذكر ربك في نفسك الآية. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس رشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم

إلى الله فهذا قال قريب من المحسنين وقال مطر الوراق استنجزوا موعود الله بطاعته فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين رواه ابن أبي حاتم. 56
زواجه كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الآية. وقال قريب ولم يقل قريبة لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب أو لأنها مضافة وبيل العقاب وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال إن رحمة الله قريب من المحسنين أي إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون ذلك كان أضر ما يكون على العباد فهي تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه فقال وادعوه خوفا وطمعا أي خوفا مما عنده من ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد قوله تعالى

قبورها كما ينبت الحب في الأرض وهذا المعنى كثير في القرآن يضرب الله مثلا ليوم القيامة بإحياء الأرض بعد موتها ولهذا قال لعلمكم تذكرن. 57
بعد موتها كذلك نحى الأجساد بعد صيرورتها رميما يوم القيامة ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يوما فتنبت منه الأجساد في مجدبة لا نبات فيها كقوله وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآية. ولهذا قال فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى أي كما أحيينا هذه الأرض وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقلا وقوله سقناه لبلد ميت أي إلى أرض ميتة إذا أقلت سحابا ثقلا أي حملت الرياح سحابا ثقلا أي من كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة كما قال زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله. رحمته وهو الولي الحميد وقال فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وقوله حتى قرأ بشرا كقوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وقوله بين يدي رحمته أي بين يدي المطر كما قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر يشاء قادر نبه تعالى على أنه الرزاق وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال وهو الذي يرسل الرياح بشرا أي منتشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ومنهم من لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض وأنه المتصرف الحاكم المدير المسخر وأرشد إلى دعائه لأنه على ما

الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به. رواه مسلم والنسائي من طرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة به. 58

تفسير ابن كثير

فنفخ الله بها الناس فشريوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء البخاري حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن ابن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل خبث لا يخرج إلا نكدا قال مجاهد وغيره كالسباح ونحوها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وقال قوله والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه أي والأرض الطيبة يخرج نباتها سريريا حسنا كقوله وأنبتنا نباتا حسنا والذي

له فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي من عذاب يوم القيامة إذا لقيتهم الله وأنتم مشركون به. 59 أولئك الصالحين ودا وسواها ويغوث ويعوق ونسرا فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة رسوله نوحا فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك صور أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجسادا على تلك الصور فلما تآدى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء على الإسلام قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ما عبدت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل. وقال يزيد الرقاشي إنما سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام. هكذا نسب محمد بن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب قال محمد بن إسحاق ولم يلق نبي من قومه إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام فيما يزعمون وهو أول من خط بالقلم ابن برد بن وما يتعلق بذلك وما يتصل به وفرغ منه شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأول فالأول فابتدأ بذكر نوح عليه السلام فإنه أول رسول بعثه الله لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة

. قال الليث وحدثني ابن طاوس مثله ثم قرأ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة. 60 الله عليه وسلم كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله والمرأة تسأل عن بيت زوجها والعبد يسأل عن مال سيده محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد الكندي حدثنا المحاربي عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فيسأل الله الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ رسالاته قوله فلنسألن الذين أرسل إليهم الآية. كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل

إن هؤلاء لضالون وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم إلى غير ذلك من الآيات. 60 ضلال مبين أي في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا آباءنا عليها. وهكذا حال الفجار إنما يرون الأبرار في ضلالة كقوله وإذا رأيهم قالوا قال الملأ من قومه أي الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم إنا لنراك في

قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أي ما أنا ضال ولكن أنا رسول من رب العالمين رب كل شيء ومليكه. 61

عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها عليهم ويقول اللهم اشهد اللهم اشهد. 62 هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا أيها الناس إنكم مسئولون أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغا فصيحاً ناصحاً عالماً بالله لا يدركهم أحد من خلق الله في هذا فإن هذا ليس يعجب أن يوحي الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفا وإحسانا إليكم لينذركم ولتنتقوا نعمة الله ولا تشركوا به ولعلكم ترحمون. 63 يقول تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه أو عجبتم الآية. أي لا تعجبوا من

ابن عباس إنه نجا مع نوح في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم وكان لسانه عربيا. رواه ابن أبي حاتم وروى متصلا من وجه آخر عن ابن عباس. 64 والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما عذب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز وقال ابن وهب بلغني عن فيها للمتقين والظفر والغلب لهم كما أهلك قوم نوح بالفرق ونجى نوحا وأصحابه المؤمنين وقال مالك عن زيد بن أسلم كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل من أعدائه وأنجى رسوله والمؤمنين وأهلك أعداءهم من الكافرين كقوله إنا لننصر رسلنا الآية. وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة أن العاقبة نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقوله إنهم كانوا قوما عمين أي عن الحق لا يبصرونه ولا يهتدون له فبين تعالى في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه فأنجيناهم والذين معه في الفلك أي السفينة كما قال: فأنجيناهم وأصحاب السفينة وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا كما قال مما خطيئناهم أغرقوا فأدخلوا قال الله تعالى فكذبوه أي تمادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم إلا قليل كما نص عليه في موضع آخر

شدد خلقهم شدد على قلوبهم وكانوا من أشد الأمم تكذيبا للحق ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته وتقواه. 65 كانت باليمن فإن هودا عليه السلام دفن هناك وقد كان من أشرف قومه نسبا لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ولكن كان قومه كما رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود عليه السلام رواه ابن جرير وهذا فيه فائدة أن مساكنهم هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت؟ هل رأيته؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنتعته نعت

تفسير ابن كثير

وهو جبال الرمل قال محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن وائلة سمعت عليا يقول لرجل من حضرموت: في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون. وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف البر كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى فأما عاد فاستكبروا إسحاق هم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قلت هؤلاء هم عاد الأولى الذين ذكرهم الله وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلي العمدة في يقول تعالى وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحا كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا قال محمد بن

إلى ترك عبادة الأصنام والإقبال على عبادة الله وحده كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة إلى إله واحد فقالوا أجعل الآلهة إلهًا واحدًا الآية. 66 قال الملأ الذين كفروا من قومه والملأ هم الجمهور والسادة والقادة منهم إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين أي في ضلالة حيث تدعونا يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أي ليست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه. 67 قال

أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والأمانة. 68

كقوله في قصة طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم واذكروا آلاء الله أي نعمه ومنته عليكم لعلكم تفلحون والآلاء جمع أل وقيل ألى. 69 نوح الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته لما خالفوه وكذبوه وزادكم في الخلق بسطة أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقائه بل احمدا الله على ذاكم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي واذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم أي لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا شيء بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. 7 يعني أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقيق لأنه تعالى الشهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن قال ابن عباس في قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلّم بما كانوا يعملون وما كنا غائبين السماء أو أثنتا بعذاب أليم وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أنهم كانوا يعبدون أصناما فصنم يقال له صمد وآخر يقال له صمود وآخر يقال له الهنا. 70 على هود عليه السلام قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده الآية. كقول الكفار من قريش وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من يخبّر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم

الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا ولهذا قال ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إنني معكم من المنتظرين. وهذا تهديد ووعد من الرسول لقومه. 71 وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآبائكم أي أحتاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآبائكم آلهة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل عليه السلام قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي قد وجب عليكم بمقاتلتكم هذه من ربكم رجس قيل هو مقلوب من رجز وعن ابن عباس معناه سخط قال هود

البكري فذكره ورواه أيضا عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث بن حسان البكري فذكره ولم أر في النسخة أبا وائل والله أعلم. 72 طريقه رواه ابن ماجه أيضا عن أبي وائل عن الحارث بن حسان البكري به. ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب به ووقع عنده عن الحارث بن يزيد الإمام أحمد في المسند ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به نحوه ورواه النسائي حديث سلام بن أبي المنذر عن عاصم وهو ابن بهدلة ومن من الرّيح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال أبو وائل وصدق قال وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدا لهم قالوا لا تكن كوافد عاد هكذا رواه فمرت به سحابات سود فنودي منها فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رمادا رمدا لا تبقي من عاد أحدا قال فما بلغني أنه بعث الله عليهم لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال اللهم إنك تعلم أنني لم أجد إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه. اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت إن عادا قحطوا فبعثوا وافدا لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال مثل ما قال الأول: معزى حملت حتفها حملة هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد قال لي وما وافد عاد؟ وهو الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله قالى أين يضطر مضطرك قال قلت: إن مثلي تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتنى أن أحملها إليك وها هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الناس؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلس قال فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت وسلمت فقال هل بينكم وبين إليه قال فحملتها فأثيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق وإذا بلال متقلد سيفا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما شأن الله عليه وسلم فمررت بالربذة فإذا بعجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة هل أنت مبلغني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني القصة بطولها وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة وقد قال الله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ.

تفسير ابن كثير

المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلد الأنفس وإنها لتمر على عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وذكر تمام عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي ومن معه من عاد يقال لها مميم فلما بينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقوا قالوا ما رأيت يا مميم؟ قالت ريحا فيها شبه النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله يقول بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ندمر كل شيء أي تهلك كل شيء مرت به فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقرة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا قال وبنو الودية بطن من عاد مقيمون بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقي من أنسأهم وذرايرهم عاد الآخرة قال وساق الله السحابة السوداء هذه السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمدا لا تبقي من عاد أحدا لا والدا يترك ولا ولدا إلا جعلته همدا إلا بني الودية المهندا فدعا داعيهم وهو قيل بن عنز فأنشأه الله سحابات ثلاثا بيضاء وسوداء وحمرأ ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك أو لقومك من هذا السحاب فقال: اخترت نهاركم وليكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له فنهضوا إلى الحرم ودعوا لقومهم ولا الغلاما وقد كانت نسأهم بخير فقد أمست نسأهم غيامي وإن الوحش تأتيتهم جهارا ولا تخشى لعادي سهامما وأنتم ههنا فيما اشتيتهم يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصحبنا غماما فيسقي أرض عاد إن عادا قد أمسوا لا يبينون الكلاما من العطش الشديد وليس نرجو به الشيخ الكبير فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين أن تغنياهم به فقال: ألا عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان: قينتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا إليه في شهر إذ ذاك رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت له أم من قوم عاد واسمها جلهدة ابنة الخبيري قال فبعثت عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا إلى الحرم ليستسقوا لهم الفرج فيه إنما يطلبونه بحرم ومكان بيته وكان معروفا عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم إسحاق فلما أبوا إلا الكفر به أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان وطلبوا من الله تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم قال محمد بن بيبنة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي بجنون قال إني أشهد الله وأشهدوا أي بريء مما نفع كلمهم هود فقال أنبون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون قالوا يا هود ما جئتنا أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتمون إيمانهم فلما عتت عاد على الله وكذبوا نبيه وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير عليه السلام وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موصفا فأمرهم أن يوحدا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من وحضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله فبعث الله إليهم هودا ثم تنكسه على أم رأسه فتتلغ رأسه حتى تبينه من بين جثته ولهذا قال كأنهم أعجاز نخل خاوية وقال محمد بن إسحاق كانوا يسكنون باليمن بين عمان القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية لما تمردوا وعتوا أهلهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم كما قال في الآية الأخرى وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن آخر من القرآن بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ما قوله فأنجيناه والذين معه

ولا كيف يأتيتهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 73 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه فعقروه مع أمه فالله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغا واحدة تحذر سقبا ثم طعن في لبتنا فنحرها وانطلق سقبا وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعتهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مخرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم

تفسير ابن كثير

يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابه إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما يقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملاؤون ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبئهم أن الماء قسمة بينهم وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بنرها يوما بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصبه من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح فينا عزيزا محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش أشرف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن خليفة بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنبها بين جنبيهما كما سألو فعد ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لن أجابهم الله قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألو صالحا أن يأتيهم بأية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عيونها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم معمر بن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعذبكم بعدا بكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتي رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون السعدي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قيل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء

ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 74 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع

تفسير ابن كثير

وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففقدوه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاء واحدة تحذر سقبيها ثم طعن في لبتها فنحراها وانطلق سقبيها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاوعتهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مخرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مخرج بن المحيا فأجابه إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه ففقدوها فدمدم عليهم ربههم بذنبهم فسواها وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملأون ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبيهم أن الماء قسمة بينهم وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذؤابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بنرها يوما بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصابة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح فينا عزيزا محلا بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش أشرف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهم وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن خليفة بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيها بين جنيها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرة تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لن أجابه الله قد جاءتك حجة من الله على صدق ما جئتكم به وكانوا هم الذين سألوها صالحا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عيونها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أخدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ففعلوا عن أمر ربهم ففقدوها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما ففقدوها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينيئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأدى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان

تفسير ابن كثير

على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها تمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت تمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت تمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب تمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء

ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 75 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عيادا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجيبا قبل قومهم وأصبح تمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففقروه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاء واحدة تحذر سقبيها ثم طعن في لبتها فنحراها وانطلق سقبيها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعتهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من تمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من تمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء تمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتينا تمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذبيهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملأون ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذؤابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصبة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز تمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح فينا عزيزا محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف تمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني تمود يقال له مهوش أشرف تمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهم وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن خليفة بن تلك الصخرة ثم انصدت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيها بين جنيها كما سألو فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم وموآثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرة تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والموآثيق لئن أجابهم الله قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألو صالحا أن يأتيهم بأية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم

تفسير ابن كثير

لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينيبكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجيين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرفت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 76 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه فعقروه مع أمه فالله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منبعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغبة واحدة تحذر سقياها ثم طعن في لبثها فنحراها وانطلق سقياها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعوهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهران فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهران بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها نؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتيناه ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في

تفسير ابن كثير

كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملأون ما شاء من أوعيتهم وأوانيتهم كما قال في الآية الأخرى ونبيهم أن الماء قسمة بينهم وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصابة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح فينا عزيزا محلا بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش أشرف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن خليفة بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنبها بين جنبتيها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لئن أجابهم الله قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألوها أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم ففعلوها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما ففعلوها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينيئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 77 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجيبا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففعلوه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغا واحدة تحذر سقبا ثم طعن في لبتها فنحراها وانطلق سقبا وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها

تفسير ابن كثير

على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها فطاعوهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملاؤون ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذؤابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصبه من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح فينا عزيزا محلا بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش أشرف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهم وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن خليفة بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيها بين جنيها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم وموآثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والموآثيق لئن أجابهم الله قد جاءتك حجة من الله على صدق ما جئتك به وكانوا هم الذين سألوها صالحا أن يأتيهم بأية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت وقوله قد جاءتك بينة من ربك هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم معمر بن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم يبنئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبا بعبادكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبدالصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء

تفسير ابن كثير

هذا الحديث. وإنما يكون من كلام عبدالله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم. 78 وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث قال يحيى بن معين ولم أسمع أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية. قلت وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن ابن إسحاق به قال شيخنا أبو الحجاج المزي وهو حديث حسن عزيز. قلت تفرد بوصله بجير بن أبي بجير هذا فيه وأية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن. وهكذا رواه أبو داود عن يحيى بن معين فمررنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو تقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبدالله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأله يقول حين خرجنا معه إلى الطائف الغصن. وقال عبدالرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو تقيف هذا مرسل من هذا الوجه وقد روى متصلاً من وجه آخر كما قال محمد بن إسحاق عن الله فمعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيا فهم فبحثوا عنه فاستخرجوا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم القصة حديث جابر بن عبدالله في ذلك وذكرنا أن أبا رغال هذا هو والد تقيف الذين كانوا يسكنون الطائف قال عبدالرزاق عن معمر أخبرني إسماعيل بن أمية رغال كان لما وقعت النقرة بقومه مقيماً إذ ذاك في الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل جاءه حجر من السماء فقتله وقد تقدم في أول استسقتهم من الماء فلما شربت ماتت قال علماء التفسير ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه رضي الله عنهم إلا أن رجلاً يقال له أبو العداوة لصالح عليه السلام فلما رأت ما رأت من العذاب أطلقت رجلاها فقامت تسعى كاسرع شيء فأتت حياً من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ثم لا أرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير لا ذكر ولا أنثى قالوا إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال لها الذريعة وكانت كافرة شديدة فأصبحوا في دارهم جائمين أي صرعى

السلام على بكرات خطمهن الليف أزهرهم العباء وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرج له أحد منهم. 79 قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال هذا وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح عليهما أمته كان يذهب فيقيم في الحرم حرم مكة والله أعلم وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا زبعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس لكم أي فلم تنتفعوا بذلك لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحاً ولهذا قال ولكن لا تحبون الناصحين وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلك وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم. وهكذا صالح عليه السلام قال لقومه لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون. وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتكموني وصدقني الناس وأخرجتموني فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً. فقال له عمر يا رسول الله ما تكلم من أقوام قد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما أنتم بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القلب قلب بدر فجعل يقول يا أبا جهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا شيبه بن ربيعة يا فلان بن تقيفاً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثاً ثم أمر بإحلاته فشدت عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإبانهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم هذا تقرّب من صالح

الميزان أثقل من أحد وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم. 80 قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتعجبون من دقة ساقيه والذي نفسي بيده لهما في رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى إنك لا تظلم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات وثقلت البطاقة الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع اللون طيب الريح فيقول من أنت؟ فيقول أنا عمك الصالح وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق وقيل يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في شاب شاحب اللون فيقول من أنت فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظلمات نهارك. وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر فيأتي المؤمن شاب حسن أن البقرة وآل عمران يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف. ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وإنه يأتي صاحبه في صورة يوم القيامة قيل الأعمال لأن كانت أعراضاً إلا أن الله تعالى يقبلها يوم القيامة أجساماً قال البغوي يروى نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. فصل والذي يوضع في الميزان موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأما هاهنا وما أدراك ما ههنا نار حامية. وقال تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين وقال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً وقال تعالى فأما من ثقلت والوزن أي للأعمال يوم القيامة الحق أي لا يظلم تعالى أحداً كقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من يقول تعالى

عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً ولهذا قال لهم لوط عليه السلام أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. 80

تفسير ابن كثير

قوله ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق لولا أن الله وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله قال عمرو بن دينار في إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام. وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم يقول تعالى و لقد أرسلنا لوطا أو تقديره و اذكر لوطا إذ قال لقومه ولوط هو ابن هارون بن آزر وهو ابن

إرادة وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهن ببعض أيضا. 81 إلى نساؤهم فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد أي لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا منهن إلى الرجال وهذا إسراف منكم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الأخرى قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين فأرشدهم إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي عدلتن عن النساء وما خلق لكم ربيكم

أناس يتطهرون قال قتادة: عابوهم بغير عيب. وقال مجاهد: إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء. وروى مثله عن ابن عباس أيضا. 82 أي ما أجابوا لوطا لا أن هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم فأخرجه الله تعالى سالما وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين وقوله تعالى إنهم أنها لم تخرج من البلد ولا أعلمها لوط بل بقيت معهم ولهذا قال ههنا إلا امرأته كانت من الغابرين أي الباقيات وقيل من الهالكين وهو تفسير باللازم. 83 أمر لوط عليه السلام ليسري بأهله أمر أن لا يعلمها ولا يخرجها من البلد ومنهم من يقول بل اتبعتهم فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم والأظهر غير بيت من المسلمين إلا امرأته فإنها لم تؤمن به بل كانت على دين قومها تمالئهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم ولهذا لما يقول تعالى فأنجينا لوطا وأهله ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط كما قال تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها

العلماء إلا قولاً شاذاً لبعض السلف. وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة. 84 فإن كان محصنا رجم وإن لم يكن محصنا جلد مائه جلدة وهو القول الآخر للشافعي وأما إتيان النساء في الأدبار فهو اللوطية الصغرى وهو حرام بإجماع عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقال آخرون هو كالزاني أو غير محصن وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله والحجة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الدراوردي عن عمرو بن أبي عمر عن ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللانط يلقي من شاقق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجم سواء كان محصنا الظالمين ببيعده ولهذا قال فانظر كيف كان عاقبة المجرمين أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة من يجترئ على معاصي الله عز وجل ويكذب رسله. وقد قوله وأمطرنا عليهم مطرا مفسر بقوله وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من

وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد نسأل الله العافية منه ثم قال تعالى إخبارا عن شعيب الذي يقال له خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته. 85 الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليسا كما قال تعالى ويل للمطففين إلى قوله لرب العالمين أي قد أقام الله الحجج والبيانات على صدق ما جئتمكم به ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم أي لا يخونوا وهم أصحاب الأيكة كما سنذكره إن شاء الله وبه الثقة قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هذه دعوة الرسل كلهم قد جاءكم بينة من ربكم مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال محمد بن إسحاق: هم من سلالة مدين بن إبراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون. قلت

كيف كان عاقبة المفسدين أي من الأمم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله. 86 سبيل الله عوجا مائلة واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم أي كنتم مستضعفين لقلنتكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك وانظروا ليتبعوه والأول أظهر لأنه قال بكل صراط وهو الطريق وهذا الثاني هو قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا أي وتودون أن تكون أموالهم. قال السدي وغيره: كانوا عشارين وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي تتوعدون المؤمنين الاتيين إلي شعيب ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم

علي فاصبروا أي انتظروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم أي يفصل وهو خير الحاكمين فإنه سيجعل العاقبة للمتقين والدمار على الكافرين. 87 قوله وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذين أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا أي قد اختلفتم

تدعونا إليه فإننا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه فقد أعظمتا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أندادا وهذا تنفير منه من اتباعهم. 88 معهم فيما هم فيه وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة وقوله أو لو كنا كارهين يقول أو أنتم فاعلون ذلك ولو كنا كارهين ما من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيبا ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي عن القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول هذا خبر

افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي احكم بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم وأنت خير الفاتحين أي خير الحاكمين فإنك العادل الذي لا يجور أبدا. 89

تفسير ابن كثير

إلا أن يشاء الله ربنا وهذا رد إلى الله مستقيم فإنه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل شيء علما على الله توكلنا أي في أمورنا ما نأتي منها وما نذر ربنا وما يكون لنا أن نعود فيها

الميزان أثقل من أحد وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم. 9
قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتعجبون من دقة ساقيه والذي نفسي بيده لهما في رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى إنك لا تظلم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات وثقلت البطاقة الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع اللون طيب الريح فيقول من أنت؟ فيقول أنا عمك الصالح وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق وقيل يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في شاب شاحب اللون فيقول من أنت فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظلمات نهارك. وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر فيأتي المؤمن شاب حسن أن البقرة وآل عمران يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف. ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وإنه يأتي صاحبه في صورة يوم القيامة قيل الأعمال لأن كانت أعراضا إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما قال البغوي يروى نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. فصل والذي يوضع في الميزان موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمة هಾಯية وما أدراك ما هية نار حامية. وقال تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين وقال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقال تعالى فأما من ثقلت والوزن أي للأعمال يوم القيامة الحق أي لا يظلم تعالى أحدا كقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من يقول تعالى

وتمردهم وعدوهم وما هم فيه من الضلال وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ولهذا أقسموا وقالوا لن اتبعنم شعبي إنكم إذا لخاسرون. 90
يخبر تعالى عن شدة كفرهم

صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام فأصبحوا في دارهم جاثمين. 91
أنه أصابهم عذاب يوم الظلة وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ثم جاءتهم فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة فأسقط علينا كسفا من السماء الآية فأخبر والمناسبة هناك والله أعلم أنهم لما تهكموا به في قولهم أصلاتك تأمرك الآية. فجاءت الصيحة فأسكتتهم وقال تعالى إخبارا عنهم في سورة الشعراء كما أخبر عنهم في سورة هود فقال ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين قوله فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين أخبر تعالى هنا أنهم أخذتهم الرجفة وذلك كما أرجفوا شعيبا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء لما أصابتهم النقرة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها ثم قال تعالى مقابلا لقيلم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين. 92
قال تعالى كأن لم يغنوا فيها أي كأنهم

رسالات ربي ونصحت لكم أي قد أدبت إليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتم به فلهذا قال فكيف آسى على قوم كافرين. 93
أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقرة والنكال وقال مقرعا لهم وموبخا يا قوم لقد أبلغتكم في كشف ما نزل بهم. وتقدير الكلام أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا فما فعلوا شيئا من الذي أراد منهم فقلب عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه. 94
ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام والضراء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك لعلمهم بضرعون أي يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى يقول تعالى مخبرا عما اختبر به الأمم الماضية الذين أرسل إليهم الأنبياء بالبأساء والضراء يعني بالبأساء

أي أخذناهم بالعقوبة بغتة أي على بغتة وعدم شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر. 95
من ذنوبه والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيم يربطه أهله ولا فيم أرسلوه أو كما قال ولهذا عقب هذه الصفة بقوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون أصابته سراء شكر فكان خيرا له فالمؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء ولهذا جاء في الحديث لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيا الله على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين عجا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن الزمان والدهر وإنما هو الدهر تارات وتارات بل لم يتفطنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون وينيبوا إلى الله فما نجح فيهم لا هذا ولا هذا ولا انتهبوا بهذا ولا بهذا قالوا قد مسنا من البأساء والضراء ثم بعده من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم أموالهم وأولادهم يقال عفا الشيء إذا كثر وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون يقول تعالى ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية ومن فقر إلى غنى ليشكروا على ذلك فما فعلوا وقوله حتى عفوا أي كثروا وكثرت قال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة

تفسير ابن كثير

ونبات الأرض قال تعالى ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم. 96
أي أمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه واتبوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض أي قطر السماء إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعنهم إلى حين وقال تعالى ما أرسلنا في قرية من نذير الآية وقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعنهم إلى حين أي ما أمنت قرية بتمامها إلا قوم يونس فإنهم آمنوا وذلك بعد ما عاينوا العذاب كما قال تعالى وأرسلناه يخبر تعالى عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل كقوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم من مخالفة أوامره والتجروء على زواجه أفامن أهل القرى أي الكافرة أن يأتيهم بأسنا أي عذابنا ونكالنا ببائنا أي ليلا وهم نائمون . 97
قال تعالى مخوفا ومحذرا
أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي في حال شغلهم وغفلتهم. 98
مكر الله إلا القوم الخاسرون ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن. 99
أفأمنوا مكر الله أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذهم إياهم في حال سهوهم وغفلتهم فلا يأمن

سورة 8

بيد أخيك فادخلا الجنة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة. 1
قال هذا لمن أعطى ثمنه قال يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال أنت تملكه قال ماذا يا رب؟ قال تعفو عن أخيك قال يا رب فإني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بصرك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ. لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟
عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم فقال الله تعالى للطالب: أرفع أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال: رب فليحمل عني أوزاري قال: ففاضت إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأي أنت وأمي؟ فقال: رجلا من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى فقال بن موسى حدثنا عبدالله بن بكير حدثنا عباد بن شيبه الجبلي عن سعيد بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات بينكم أي لا تستبوا. ولنذكر ههنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده فإنه قال: حدثنا مجاهد أمره الله من العدل والإنصاف وقال ابن عباس هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد وقال السدي فاتقوا الله وأصلحوا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه وأطيعوا الله ورسوله أي في قسمه بينكم على ما أراه الله فإنه إنما يقسمه كما السيرة بيانا شافيا ولله الحمد والمنة. وقوله تعالى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أي واتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا كلامه وهو قوله: إن غنائم بدر لم تخمس نظر ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارفيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر وقد بينت ذلك في كتاب سرية أو جيشا فقال لهم قبل اللقاء من غنم شيئا فهو له بعد الخمس فهو لهم على شرط الإمام لأنهم على ذلك غزوا وبه رضا. أنتهى كلامه. وفيما تقدم من نقل من بإزائه من المسلمين نفل منه اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يكن ذلك لم ينفل. والوجه الثالث من النفل إذا بعث الإمام غير الذي كان لهم وذلك من خمس النبي صلى الله عليه وسلم فإن له خمس الخمس من كل غنيمة فينبغي للإمام أن يجتهد فإذا كثر العدو واشتدت شوكتهم اختلاف. قال الربيع: قال الشافعي الأنفال أن لا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب. قال أبو عبيد: والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه نفل منه على قدر ما يرى. والرابعة في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء وهو أن يعطي الأدلاء ورعاة الماشية والسواق لها وفي كل ذلك للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث بعد الخمس والثالثة في النفل من الخمس نفسه وهو أن تحاز الغنيمة كلها ثم تخمس فإذا صار الخمس في يدي الإمام لا خمس فيه وذلك السلب. والثانية النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب فتأتي بالغنائم فيكون بهم على قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو وفي النفل الذي ينقله الإمام سنن أربع لكل واحدة منهم موضع غير موضع الأخرى فإحداهن في النفل لأحد قبلي وذكر تمام الحديث ثم قال أبو عبيد: ولهذا سمي ما جعل الإمام للمقاتلة نفلا وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي فذكر الحديث إلى أن قال وأحلت لي الغنائم ولم تحل الله به تطولا منه عليهم بعد أن كانت المغانم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله تعالى هذه الأمة فهذا أصل النفل قلت شاهد هذا ما في الصحيحين عن الأنفال في كلام العرب كل إحسان فعله فاعل تفضلا من غير أن يجب ذلك عليه فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خصهم بل هي محكمة قال أبو عبيد وفي ذلك آثار والأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة ومعنى بعد ذلك آية الخمس فنسخت الأولى قلت هكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس سواء وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن زيد ليست منسوخة يقول الله تعالى يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد ثم نزلت الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها: أما الأنفال فهي الغنائم وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الأنفال الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسیر ابن کثیر

قال: ونزل القرآن وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة إلى آخر الآية وقال الإمام أبو عبيد الله القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الأموال ولا جبن عن العدو وإنما قمنا هذا المقام محافظة عليك مخافة أن يأتوك من ورائك فتشاجروا ونزل القرآن يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول صلى الله عليه وسلم أنت وعدتنا فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إنك لو أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء وإنه لم يمنعا من هذا زهادة في الأجر قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلًا فله كذا وكذا ومن أتي بأسير فله كذا وكذا فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال يا رسول الله فأنزله الله تعالى يسألونك عن الأنفال إلى قوله وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين وقال الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما كانت المغانم جاءت يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فإننا كنا رداء لكم لو انكشفتم لفنتم إلينا. فتنازعوا أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع في ذلك شبان القوم الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه واللفظ له وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن عبد الرحمن بن الحارث به نحوه قال الترمذي هذا حديث صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن الحارث وقال صلى الله عليه وسلم إذا غار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الأنفال ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله يستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه وأحدت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو عن أبي سلامة عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو معاوية بن عمر أخبرنا أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى فيه أخلاقنا فانتزع الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول عن سواء. عن عبد الرحمن بن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال: سألت عباد بن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين أختلفنا في النفل وساءت الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياه ورواه ابن جرير من وجه آخر. سبب آخر في نزول الآية وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سلمة عن ابن إسحق في أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته في النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا يسأله فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فسأله رسول سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول: أصبت سيف ابن عاذ يوم بدر وكان السيف يدعى بالمرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما الخمر والميسر وآية الوصية وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة به وقال محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال: وسلم ضعه من حيث أخذته فنزلت هذه الآية يسألونك عن الأنفال الآية وتام الحديث في نزول ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقوله تعالى إنما في أربع آيات أصبت سيفًا يوم بدر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه فقال ضعه من حيث أخذته مرتين ثم عاودته فقال النبي صلى الله عليه به وقال الترمذي حسن صحيح وهكذا رواه أبو داود الطيالسي أخبرنا شعبة أخبرنا سماك بن حرب قال: سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال: نزلت وهب لي فهو لك قال وأنزل الله هذه الآية يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ورواه أبو داود الترمذي والنسائي من طرق عن أبي بكر بن عياش عسى أن يعطي هذا السيف من لا يبلي بلاني قال فإذا رجل يدعوني من ورائي قال قلت قد أنزل الله في شيئا؟ قال كنت سألتني السيف وليس هو لي وإنه قد مالك قال: قلت يا رسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهب لي هذا السيف فقال إن هذا السيف لا لك ولا لي ضعه قال فوضعتة ثم رجعت فقلت الله عليه وسلم اذهب فخذ سلبك وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن في القبض قال فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي قال فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يوم بدر وقتل أخي عمير قتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطرحه سبب نزول الآية وهو ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو إسحق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص قال: ما ينقله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش. وقد صرح بذلك الشعبي. واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم. ويشهد لذلك ما ورد في هي أنفال السرايا. حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا علي بن صالح بن حيي قال: بلغني في قوله تعالى يسألونك عن الأنفال قال السرايا ومعنى هذا فهو نفل للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع به ما يشاء وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال. قال ابن جرير وقال آخرون: عن عطاء بن أبي رباح في الآية يسألونك عن الأنفال قال يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متاع ابن مسعود ومسروق لا نفل يوم الزحف إنما النفل قبل التقاء الصفوف رواه ابن أبي حاتم عنهما وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان أعلم. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: إنهم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة من الأخماس فنزل يسألونك عن الأنفال وقال ابن عباس أنه فسر النفل بما ينقله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل والله مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب حتى سالت الدماء على عقبه أو على رجله فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك. وهذا إسناد صحيح إلى فقال ابن عباس: كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم عاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟

تفسير ابن كثير

ولا أنهاك ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلا زاجرا أمرا محللا محرما. قال القاسم: فسلط على ابن عباس رجل فسأله عن الأنفال الخطاب. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال: قال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال لا أمرك الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن يسأل ابن عباس عن الأنفال فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الفرس من النفل والسلب من النفل. ثم عاد لمسأله فقال ابن عباس ذلك أيضا. ثم قال الرجل: خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال: سمعت رجلا بن حيان وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد أنها المغانم وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: الأنفال الغنائم قال فيها لبيد: إن تقوى ربنا الغنائم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لأحد منها شيء وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال نزلت في بدر أما ما علقه عن ابن عباس فذلك رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: الأنفال والله أعلم. قال البخاري: قال ابن عباس الأنفال المغانم حدثنا محمد بن عبدالرحيم حدثنا سعيد بن سليمان أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير سورة الأنفال: وهي مدنية آياتها سبعون وست آيات كلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. حكيم: فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى. 10 من بعيد ورجموه حتى دفنوه ولهذا قال تعالى إن الله عزيز أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة كقوله تعالى إنا لننصر رسلنا والذين أشد إهانة له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه وإنما غسلوه بالماء قذفا قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان فقتل أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى لصدور المؤمنين كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ولهذا كان الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر وقتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة للكافرين وأشفى بيوم الظلة فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار واستمر الحكم في بقية التي تعم تلك الأمم المكذبة كما أهلك قوم نوح بالطوفان وعادا الأولى بالدبور وتمود بالصيحة وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل وقوم شعيب الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فهذه حكم شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بدون ذلك ولهذا قال وما النصر إلا من عند الله كما قال تعالى فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله أي وقوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى الآية. أي وما جعل الله بعث

وطهارته وليربط على قلوبكم أي بالصبر والإقدام على مجادلة الأعداء وهو شجاعة الباطن ويثبت به الأقدام وهو شجاعة الظاهر والله أعلم. 11 خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة فهذا زينة الظاهر وسقاهم ربهم شرابا طهورا أي مطهرا لما كان من غل أو حسد أو تباغض وهو زينة الباطن وهو تطهير الظاهر ويذهب عنكم رجز الشيطان أي من وسوسة أو خاطر سيء وهو تطهير الباطن كما قال تعالى في حق أهل الجنة عاليهم ثياب سندس تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرص على القتال. وقوله ليظهركم به أي من حدث أصغر أو أكبر حدثنا إسرائيل حدثنا أبو إسحق عن جارية عن علي رضي الله عنه قال: أصابنا من الليل طش من المطر يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا المطر قبل النعاس فأطفأ بالمطر الغبار وتلبدت به الأرض وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم وقال ابن جرير: حدثنا هارون بن إسحق حدثنا مصعب بن المقدم الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لبد لهم الأرض ولم يمنهم من المسير وأصاب قريشا ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه وقال مجاهد: أنزل الله عليهم الإمام محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي رحمه الله حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: بعث الله السماء وكان الوادي دهسا فأصاب رسول الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام فقال هل تعرف هذا؟ فنظر إليه فقال: ما كل الملائكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان. وأحسن ما في هذا ما رواه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الملك: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر فالتفت رسول الله صلى لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل كذلك وفي مغازي الأموي أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس للحرب والمكيدة فقال يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغور ما وراءه من القلب ونستقي الحياض فيكون الحباب بن المنذر فقال: يا رسول الله هذا المنزل الذي نزلته منزلة أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟ فقال بل منزل نزلته زيد بن أسلم أنه طش أصابهم يوم بدر. والمعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك أي أول ماء وجده فتقدم إليه فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام. ونحو ذلك روى عن قتادة والضحاك والسدي وقد روى عن سعيد بن المسيب والشعبي والزهري وعبدالرحمن بن وملوا الأسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله في ذلك طهورا وثبت به الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله المطر عليها عليه فأصاب المؤمنين الظما فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاطوا ذلك في صدورهم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي فشرب المؤمنون

تفسير ابن كثير

خمسمائة مجنبة. وكذا قال العوفي عن ابن عباس: إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة مجنبة وميكائيل في الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجس الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى وأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على عليكم من السماء ماء قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: نزل النبي صلى الله عليه وسلم حين سار إلى بدر والمشركون بينهم وبين الماء رملة دعة مبتسما فقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثنياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله وينزل صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ بنصر الله وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم وكما قال تعالى فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله جدا وأما الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر وهي دالة على وقوع ذلك أيضا وكأن ذلك كائن للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال قتادة: النعاس في الرأس والنوم في القلب قلت أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ويبيكي حتى أصبح. وقال سفيان الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: النعاس شعبة عن أبي إسحق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى السيف من يدي مرارا يسقط وأخذه ويسقط وأخذه ولقد نظرت إليهم يميذون وهم تحت الحجف. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا ابن مهدي عن ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ناعسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم أنفسهم الآية. قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ولقد سقط أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانا أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى يذكرهم الله تعالى بما

واضربوا منهم كل بنان الآية. فقتل أبو جهل لعنه الله في تسعة وستين رجلا وأسر عقبة بن أبي معيط فقتل صبرا فوفى ذلك سبعين يعني قتيلا. 12 في دينكم ورغبتهم عن اللات والعزى فأوحى الله إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق كله عليكم وقال العوفي عن ابن عباس فذكر قصة بدر إلى أن قال: فقال أبو جهل لا تقتلوهم قتلا ولكن خذوهم أخذا حتى تعرفوهم الذي صنعوا من طعنهم في رواية أخرى كل مفصل وقال الأوزاعي في قوله تعالى واضربوا منهم كل بنان قال اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار فإذا أخذته حرم ذلك منهم كل بنان يعني بالبنان الأطراف وكذا قال الضحاك وابن جرير وقال السدي البنان الأطراف ويقال كل مفصل وقال عكرمة وعطية العوفي والضحاك وأرجلهم والبنان جمع بنانة كما قال الشاعر: ألا ليتني قطعت مني بنانة ولاقيته في البيت يقظان حاذرا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واضربوا مثل سمة النار قد أحرق به وقوله واضربوا منهم كل بنان قال ابن جرير معناه واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان وهم كانوا أعق وأظلما فيبتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاد آخره لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر كما الهام قلت وفي مغازي الأموي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول يفلق هاما فيقول أبو بكر: من رجال أعزة علينا قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لم أبعث لأعذب بعداذ الله إنما بعثت لضرب الرقاب وشد الوثاق واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وفلق المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق وقال وكعب عن المسعودي عن القاسم قال: فقليل معناه اضربوا الرءوس قاله عكرمة وقيل معناه أي على الأعناق وهي الرقاب قاله الضحاك وعطية العوفي ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد كل بنان أي اضربوا الهام ففلقوها واحتزوا الرقاب فقطعوها وقطعوا الأطراف منهم وهي أيديهم وأرجلهم وقد اختلف المفسرون في معنى فوق الأعناق وقوا أنفسهم على أعدائهم عن أمري لكم بذلك سألقي الرعب والذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم حكاة ابن جرير وهذا لفظه بحروفه وقوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أي ثبتوا أنتم المؤمنين الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون والله لن حملوا علينا لننكشفن فيحدث المؤمنين يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن إسحق: وأزروهم وقال غيره: قاتلوا معهم وقيل كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن آمنوا وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه وقوله إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين

ورسوله فإن الله شديد العقاب أي هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه لا يفوته شيء ولا يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه. 13 الله ورسوله أي خالفوهما فساروا في شق وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق ومأخوذ أيضا من شق العصا وهو جعلها فرقتين ومن يشاقق الله قال تعالى ذلك بأنهم شاقوا

ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار هذا خطاب للكفار أي ذوقوا هذا العذاب والنعاب في الدنيا واعلموا أيضا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة. 14

بالنار لمن فعل ذلك يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا أي تقاربتم منهم ودنوتهم إليهم فلا تولوهم الأدبار أي تفروا وتتركوا أصحابكم. 15

بدر وإن كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير والله أعلم، 16
 نضرة عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية ومن يولهم يومئذ دبره إنما أنزلت في أهل بدر وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل
 ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وفي سنن أبي داود والنسائي ومستدرک الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند عن أبي
 بعد ذلك بسبع سنين قال ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافري
 فقد باء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إلى قوله ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين
 أيضا عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار قال ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة
 بن فضالة عن الحسن في قوله ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس عليه وقال ابن المبارك
 يفيئون إليها إلا عصابتهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ولهذا قال عبدالله بن المبارك عن مبارك
 سعيد وأبي نضرة ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبيرة والحسن البصري وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم وحجتهم في هذا أنه لم تكن عصابة لها شوكة
 خاصة لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره وقيل المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمر وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي
 لزيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم عنه سواه وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حراما على الصحابة لأنه كان فرض عين عليهم وقيل على الأنصار
 رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل به وأخرجه الترمذي عن البخاري عن موسى بن إسماعيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قلت ولا يعرف
 أبي يحدث عن جدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف. وهكذا
 موسى بن إسماعيل حدثنا حفص بن عمر السني حدثني عمرو بن مرة قال سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت
 ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وهذا أيضا حديث غريب جدا وقال الطبراني أيضا حدثنا العباس بن مقاتل الأسفاطي حدثنا
 بن يحيى بن حمزة حدثنا إسحق بن إبراهيم أبو النضر حدثنا يزيد بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث عن ثوبان مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا
 الله أنا أبايك فبايعته عليهن كلهن هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد
 إلا غنيمة وعشر زودهن رسل أهلي وحمولتهم فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذا؟ قلت يا رسول
 فوالله لا أطيقهما: الجهاد فإنهم زعموا أن من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت والصدقة فوالله مالي
 عبده ورسوله وأن أقيم الصلاة وأن أؤدي الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم شهر رمضان وأن أجاهد في سبيل الله. فقلت يا رسول الله أما انتنن
 سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية وهو بشير بن معبد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبأبعه فاشتراط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
 وبئس المصير. وقال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبدالله بن عمر الرقي عن زيد بن أبي أنيسة حدثنا جبلة بن سحيم عن أبي المثنى العبدى
 الغافلات المؤمنات وله شواهد من وجوه أخر ولهذا قال تعالى فقد باء أي رجع بغضب من الله ومأواه أي مصيره ومنقلبه يوم ميعاده جهنم
 قيل يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
 وكبيرة من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات
 أو متحيزا إلى فئة المتحيز: الفار إلى النبي وأصحابه وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب فإنه حرام
 صلي الله عليه وسلم فقلت إن الله يقول إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الآية فقال: إنما أنزلت هذه الآية في يوم بدر لا قبلها ولا بعدها وقال الضحاك في قوله
 خالد بن سليمان الحضرمي حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت: إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ولا ندري من الفئة؟ إمامنا أو عسكرنا! فقال: إن الفئة رسول الله
 بن عمير عن عمر: أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية فإنما كانت يوم بدر وأنا فئة لكل مسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبدالله المصري حدثنا
 عن عمر وفي رواية أبي عثمان النهدي عن عمر قال لما قتل أبو عبيدة قال عمر أيها الناس أنا فنتكم وقال مجاهد قال عمر أنا فئة كل مسلم وقال عبدالملك
 الله عنه في أبي عبيدة لما قتل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية المجوس فقال عمر: لو تحيز إلي لكنت له فئة هكذا رواه محمد بن سيرين
 وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية أو متحيزا إلى فئة قال أهل العلم معنى قوله العكارون أي العرافون وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي
 من طرق عن يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زياد. ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به وزاد في آخره
 القوم؟ قلنا: نحن الفرارون. فقال لا بل أنتم العكارون أنا فنتكم وأنا فئة المسلمين قال فأتيناه حتى قبلنا يده وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه
 لو دخلنا المدينة ثم بتنا ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من
 في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا
 في هذه الرخصة قال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت
 إلى فئة أي فر من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل
 ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك نص عليه سعيد بن جبيرة والسدي وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها أو متحيزا
 أي يفر بين يدي قرنه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه

تفسير ابن كثير

وهكذا فسره ابن جرير أيضا وفي الحديث وكل بلاء حسن أبلانا وقوله إن الله سميع عليم أي سميع الدعاء عليم بمن يستحق النصر والغلب. 17 المؤمنين منه بلاء حسنا أي ليعرف المؤمنين نعمته عليهم من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته تتناوله بعمومها لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم. وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله وليلي وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضا جدا ولعلهما أرادا أن الآية نزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبي بن خلف بالحربة وهو في لأمته فخدشه في ترقوته فجعل يتدأ عن فرسه مرارا حتى كانت وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم والله أعلم. والثاني روى ابن جرير أيضا والحاكم في مستدركه بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهري أنهما وإسناده جيد إلى عبدالرحمن بن جبير بن نفيير ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة الله عليه وسلم الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأنزل الله عز وجل وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وهذا غريب الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخيبر دعا بقوس فأتى بقوس طويلة وقال جيتوني بقوس غيرها فجاءوه بقوس كبدا فرمى النبي صلى آخرا غريبان جدا. أحدهما قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبدالرحمن بن جبير أن رسول سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا. غريب من هذا الوجه وههنا قولان بن عمران حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن ربيعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر صلى الله عليه وسلم يوم بدر وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا أحمد بن منصور حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبدالعزيز بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فانهزموا وقد روى في هذه القصة عن عروة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصبات فرمى بحصبات ميمنة القوم وحصبات في ميسرة القوم وحصبات هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وما رميت إذ رميت تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شامت الوجوه فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم وكانت رمى وقال أبو معشر المدني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قال: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ثم ردهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يوم بدر أعطني حصبا من الأرض فناوله حصبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين وقال السدي قال الله عليه وسلم يديه يعني يوم بدر فقال يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبدا فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم قال تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رفع رسول الله صلى الوجوه ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصاة إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا أيضا في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعوته وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال شامت والعدد وإنما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس الأمانة وقلة عددهم أي بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة الآية وقال تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ما صدر منهم من خير لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم ولهذا قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع

أخرى مع ما حصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل مصغر أمرهم وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار ولله الحمد والمنة. 18 وقوله ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين هذه بشارة

أي ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا فإن من كان الله معه فلا غالب له إن الله مع المؤمنين وهم الحزب النبوي والجناب المصطفوي. 19 أي إلى الاستفتاح نعد أي إلى الفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم والنصر له وتظفيره على أعدائه والأول أقوى ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وإن تعودوا نعد كقوله وإن عدتم عدنا معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الواقعة. وقال السدي وإن تعودوا كان هذا هو الحق من عندك الآية وقوله وإن تنتهوا أي عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله فهو خير لكم أي في الدنيا والآخرة وقوله تعالى فقد جاءكم الفتح يقول قد نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هو قوله تعالى إخبارا عنهم إذ قالوا اللهم إن حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله إن تستفتحوا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة ويزيد بن رومان وغير واحد وقال السدي كان المشركون الغداة. فكان المستفتح وأخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهري به وكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهري به وقال يعني ابن هارون أخبرنا محمد بن إسحق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرفه فأحنه

تفسير ابن كثير

كان أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة. وكان استفتاحا منه فنزلت إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح إلى آخر الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتكم كما قال محمد بن إسحق وغيره عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيبر أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينما يقول تعالى للكفار إن تستفتحوا أي تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم

لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبيرة التوكل على الله جماع الإيمان. 20 ربهم يتوكلون أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد كما بينا ذلك مستقصى في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة وعلى فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقد استدلل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة ذلك فإن الدعاء يذهب ذلك وقوله وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا كقوله وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الرجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند يريد أن يظلم أو قال يهيم بمعضية فيقال له اتق الله فيجل قلبه وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء في قوله الهوى فإن الجنة هي المأوى ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال: هو الرجل ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون وكقوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه ففعل أو امره وترك زواجه كقوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم يقول زادتهم تصديقا وعلى ربه يتوكلون يقول لا يرجون غيره وقال مجاهد وجلت قلوبهم فرقت أي فرغت وخافت وكذا قال السدي وغير واحد أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف الله المؤمنين فقال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله تعالى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال: المنافقون

به المعاندين له ولهذا قال ولا تولوا عنه أي تتركوا طاعته وامتنال أو امره وترك زواجه وأنتم تسمعون أي بعد ما علمتم ما دعاكم إليه. 20

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين

قيل المراد المشركون وأختاره ابن جرير وقال ابن إسحق هم المنافقون فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك. 21

محمد بن إسحق هم المنافقون. قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح. 22 كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون وقيل المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بني عبدالدار من قريش. روي عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير. وقال خلّقوا للعبادة فكفروا ولهذا شبههم بالأنعام في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء الآية وقال في الآية الأخرى أولئك الله الصم أي عن سماع الحق البكم عن فهمه ولهذا قال الذين لا يعقلون فهؤلاء شر البرية لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهؤلاء ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخلقة فقال: إن شر الدواب عند

و لكن لا خير فيهم فلم يفهمهم لأنه يعلم أنه لو أسمعهم أي أفهمهم لتولوا عن ذلك قصدا وعنادا بعد فهمهم ذلك وهم معرضون عنه. 23

ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لهم فهما فقال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم أي لأفهمهم وتقدير الكلام

وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك انفراد بإخراجه مسلم عن البخاري فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري به. 24 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء. ثم قال رسول الله صلى الله عليه عليه حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبدالرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبدالرحمن الحبلي أنه سمع عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال بلى قلولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحبيتنني. الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب قالت: فقلت يا القلوب ثبت قلبي على دينك قالت: فقلت يا رسول الله أو إن القلوب لتقلب؟ قال نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا عبدالحميد حدثني شهر سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم مقلب ابن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن أن عائشة قالت: دعوات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بها يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت ويرفعه. وهكذا رواه النسائي وابن ماجه من حديث عبدالرحمن بن يزيد بن جابر فذكر مثله. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا حماد رب العالمين إذا شاء أن يقيمهم أقامه وإذا شاء أن يزيغهم أزاعه وكان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال والميزان بيد الرحمن يخفضه يقول سمعت النّوّاس بن سميّان الكلابي رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن يخرجوه. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت ابن جابر يقول: حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني

تفسير ابن كثير

صلى الله عليه وسلم كان يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعا وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم آخر وقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال رضي الله عنه أن النبي وهكذا روى عن غير واحد عن الأعمش ورواه بعضهم عنه عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي سفيان عن أنس أصح. حديث عن هناد بن السري عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير عن الأعمش واسمه سليمان بن مهران عن أبي سفيان واسمه طلحة بن نافع عن أنس ثم قال حسن. الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها. وهكذا رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه أبي سفيان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال فقلنا يا رسول إليه من حبل الوريد. وقد وردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يناسب هذه الآية وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن بين المرء وقلبه أي حتى يتركه لا يعقل وقال السدي يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه. وقال قتادة هو كقوله ونحن أقرب إسناده والموقوف أصح وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي وفي رواية عن مجاهد في قوله يحول وبين الكفر وبين الإيمان رواه الحاكم في مستدركه موقوفا وقال صحيح ولم يخرجاه ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا ولا يصح لضعف الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم وقوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين المؤمن عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد لما يحييكم قال هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة وقال السدي لما يحييكم ففي الإسلام إحيائهم بعد موتهم بالكفر وقال محمد بن إسحق المثاني. هذا لفظه بحروفه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طريقه في أول تفسير الفاتحة. وقال مجاهد في قوله لما يحييكم قال للحق وقال قتادة عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم سمع أبا سعيد رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقال الحمد لله رب العالمين هي السبع لما يحييكم ثم قال لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له. وقال معاذ: حدثنا شعبة صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آتته حتى صليت ثم أتيت فقال ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم حدثنا روح حدثنا شعبة. عن خبيب بن عبد الرحمن قال: سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت أصلي فمر بي النبي قال البخاري استجبوا أجيئوا لما يحييكم لما يصلحكم. حدثني إسحق

صلى الله عليه وسلم إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه فقلت وفيهم أهل طاعة الله؟ قال نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله. 25 عن علي بن محمد عن وكيع به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد عن منذر عن الحسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلى به النبي الله بعقاب. ثم رواه أيضا عن وكيع عن إسرائيل وعن عبدالرزاق عن معمر وعن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبي إسحق السبيعي به وأخرجه ابن ماجه عن عبيد الله بن جرير عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروه إلا عنهم العقاب. ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الأحوص عن أبي إسحق به. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا إسحق يحدث جرير عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يعملون بالمعاصي وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيره إلا عنهم الله بعقاب أو أصابهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبي إسحق عن المنذر بن ظهرت المعاصي في أمتي عنهم الله بعداب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون؟ قال بلى قالت فكيف يصنع أولئك؟ قال يصيبهم خليفة عن لبث عن علقمة بن مرثد عن المعمر بن سويد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا في الفتن من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش عن عامر بن شراحيل الشعبي به. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا خلف بن من فوقنا فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا. انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم فرواه في الشركة والشهادات والترمذي وشروها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأذوهم فقالوا لو خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقيننا منه ولم نؤذ يخطب يقول وأوما بأصبعيه إلى أذنه يقول: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمداهن فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها يستجاب لهم. حديث آخر قال الإمام أحمد أيضا: حدثنا يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضي الله عنه قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتكم الله جميعا بعداب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا دفعت إلى حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا وإني لأسمعها من أحكم في المقعد عليكم قوما ثم تدعونه فلا يستجيب لكم. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالله بن نمير قال حدثنا زر بن حبيب الجهني حدثني أبو الرقاد قال: خرجت مع مولاي عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم. ورواه عن أبي سعيد عن إسماعيل بن جعفر وقال أو ليعثن الله بن أبي عمر عن عبدالله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم والله أعلم. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي حدثنا إسماعيل يعني ابن جعفر أخبرني عمرو العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة فيه رجل منهم ولم بن عدي الكندي يقول: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يعني عدي بن عميرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل لا يعذب

تفسير ابن كثير

ومن أخص ما يذكر ههنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا أحمد بن الحجاج أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أنبأنا سيف بن أبي سليمان سمعت عدي معهم هو الصحيح ويدل عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف إنما أموالكم وأولادكم فتنة فأياكم أستعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن رواه ابن جرير والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب خاصة هي أيضا لكم وكذا قال الضحاك ويزيد بن أبي حبيب وغير واحد وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة إن الله تعالى يقول أن لا يقرؤا المنكر بين ظهرائهم فيعلمهم الله بالعذاب وهذا تفسير حسن جدا ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وقال في رواية له عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين الزبير بن العوام وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى واتقوا فتنة لا زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب. وقد روي من غير وجه عن قال نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان سمعت الزبير يقول: لقد قرأت هذه الآية الله صلى الله عليه وسلم وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة وكذا رواه حميد عن الحسن عن الزبير رضي الله عنه وقال داود بن أبي هند عن الحسن في هذه الآية عبدالعزيز حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن. قال: قال الزبير لقد خوفنا يعني قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ونحن مع رسول مطرفا روي عن الزبير غير هذا الحديث وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم عن الحسن عن الزبير نحو هذا وقد روى ابن جرير حدثني الحارث حدثنا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لم تكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت وقد رواه البزار من حديث مطرف عن الزبير وقال: لا نعرف قتل ثم جئتم تطلبون دمه؟ فقال الزبير رضي الله عنه: إنا قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم واتقوا أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد بن سعيد حدثنا غيلان بن جرير عن مطرف قال: قلنا للزبير يا أبا عبد الله ما جاء بكم! ضيعتم الخليفة الذي تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختبارا ومحنة يعم بها المسيء وغيره لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمها لم تدفع وترفع كما قال الإمام يحذر

وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله. 26 النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلة من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشد منزلا منهم حتى جاء الله بالإسلام فمكّن به في البلاد ووسع به في الرزق قال كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأوجه بطونا وأعراه جلودا وأبينه ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى في في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض قوتهم فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة فأوهم إليها وقبض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره وواسوا بأموالهم وبذلوا مهجهم حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم فكثرهم ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين ينه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم حيث كانوا قليلين

من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال عبدالرحمن بن زيد نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون. 27 ثم تخالفوه في السر إلى غيره فإن ذلك هلاك لأماناتكم وخيانة لأنفسكم. وقال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم. وقال أيضا كانوا يسمعون سنته وارتكاب معصيته. وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الآية أي لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم أماناتكم الأمانة الأعمال التي اتتمن الله عليها العباد يعني الفريضة يقول لا تخونوا لا تنقضوها وقال في رواية لا تخونوا الله والرسول يقول بترك اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء. والخيانة تتم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وتخونوا يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قلت والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم حاطبا فأقر بما صنع وفيها فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله: ألا أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؟ فقال دعه فإنه قد شهد بدرا وما أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عام الفتح فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في أثر الكتاب فاسترجعه واستحضر الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم الآية هذا حديث غريب جدا وفي سنده وسياقه نظر. وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة الله صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتبوا فكتب رجل من المنافقين إليه إن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل فحدثني قال حدثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا فقال رسول تخونوا الله والرسول الآية. وقال ابن جرير أيضا حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شابة بن سوار حدثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء بن أبي رباح بن الحارث الطائفي حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه يا أيها الذين آمنوا لا يا رسول الله: إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة فقال يجزيك الثلث أن تصدق به. وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا يونس توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحلها منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله فقال يموت أو يتوب الله عليه وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشيا عليه من الجهد حتى أنزل الله

تفسير ابن كثير

وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا حتى بن أبي قتادة والزهري أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه قال عبد الرزاق

كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين. 28 كان أن يلقي في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه. بل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدم على الأولاد والأموال والنفوس الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن يقول الله تعالى يا ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء وفي الصحيح عن رسول الأولاد فإنه قد يوجد منهم عدو وأكثرهم لا يغني عنك شيئا والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة. وفي الأثر يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية وقوله وأن الله عنده أجر عظيم أي ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقال وقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة أي اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها

الجزيل كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم. 29 الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعاده يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها وغفرها سترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله فضلا بين الحق والباطل وهذا التفسير من ابن إسحق أعم مما تقدم وهو يستلزم ذلك كله فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجه وفق لمعرفة الحق من واحد فرقانا مخرجا زاد مجاهد في الدنيا والآخرة وفي رواية عن ابن عباس فرقانا نجاة وفي رواية عنه نصرا وقال محمد بن إسحق فرقانا أي قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير

لخلقه. قال قتادة في قوله ومما رزقناهم ينفقون فأنفقوا مما رزقكم الله فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم أو شكت أن تفارقها. 3 وسلم هذا إقامتها والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعبادة من واجب ومستحب. والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم مقاتل بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة: إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال وقوله الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم وهذه

محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم. 30 في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابهم نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابهم فمكث فيه ثلاث ليال وقال محمد بن إسحق عن وسلم فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا؟ قال لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون النبي صلى الله عليه عليه يريدون النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات علي رضي الله عنه الجريري عن مقسم مولى ابن عباس أخبره ابن عباس في قوله وإذ يمكر بك الآية قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق إلا قتل يوم بدر كافرا ثم قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شامت الوجوه. فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته يا بنية اثنتي بوضوء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا فطأطأوا رءوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم الملاء من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك فقال بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا بنية؟ قالت يا أبت ومالي لا أبكي وهؤلاء الحافظ أبو بكر البيهقي: روي عن عكرمة ما يؤكد هذا وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد على رءوسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ يس والقرآن الحكيم إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون وقال يبيت على فراشه ويستجي ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابهم وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرهما وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن ومقسم وغير واحد نحو ذلك وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافا إلا قليلا وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروى عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة الذي اجتمعوا عليه من الرأي وعن السدي نحو هذا السياق وأنزل الله في إرادتهم إخراجهم قوله تعالى وإن كادوا ليستفزونك والله خير الماكرين وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أم يقولون شاعر تربص به ريب المنون فكان

تفسير ابن كثير

وأُنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي القول ما قال الفتى لا أرى غيره قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقيمون على حرب قريش كلها فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه قال: بعد لا أرى غيره قالوا وما هو؟ قال تأخذون من كل قبيلة غلاما شابا وسطا نهذا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا قال: فقال أبو جهل لعنه الله: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم. قالوا صدق الشيخ فانظروا في غير هذا. قال قائل منهم الشعراء زهير والناطقة إنما هو كأحدهم قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يواتبكم في أمركم بأمره فقال قائل منهم أحبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من قالوا له من أنت؟ قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم أجمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي: قالوا أجل ادخل فدخل معهم فقال انظروا في عن باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفرا من قريش من أشرف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه والدليل على صحة ما قلنا ما روى الإمام محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: وحدثني الكلبي الهجرة وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنتوا منه واجترعوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه في هذا غريب جدا بل منكر لأن هذه الآية مدنية ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الإنتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة به خيرا قال أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي قال فنزلت وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية. وذكر أبي طالب الله عليه وسلم ما ياتمرك قومك؟ قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني فقال من أخبرك بهذا؟ قال ربي قال نعم الرب ربك استوص به خيرا قال أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي وقال أبو جعفر ابن جرير حدثني محمد بن إسماعيل المصري ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له عمه أبو طالب: هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال: يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني. فقال: من أخبرك بهذا؟ وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقتادة ليثبتوك ليقيدوك وقال عطاء وابن زيد: ليحبسوك وقال السدي الإثبات هو الحبس والوثاق وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء وهو مجمع الأقوال قال ابن عباس ومجاهد

فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما أي لمن تاب إليه وأناب فإنه يتقبل منه ويصفح عنه. 31 أسطورة أي كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى وقالوا أساطير الأولين اكتتبها سألتني في هؤلاء التنتى لو هبتهم له يعني الأسارى لأنه كان قد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف ومعنى أساطير الأولين وهو جمع بن عدي بدل طعيمة وهو غلط لأن المطعم بن عدي لم يكن حيا يوم بدر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لو كان المطعم بن عدي حيا ثم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين. وكذا رواه هشيم عن أبي بشر جعفر بن أبي دحية عن سعيد بن جبير أنه قال المطعم يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد هذا الذي أردت قال وفيه أنزلت هذه الآية وإذا تتلى عليهم وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبه بن أبي معيط الله صلى الله عليه وسلم أن تضرب رقبته صبرا بين يديه ففعل ذلك ولله الحمد وكان الذي أسره المقداد بن الأسود رضي الله عنه كما قال ابن جرير حدثنا جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول بالله أينما أحسن قصصا أنا أو محمد؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى أمر رسول رستم واسفنديار ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس بن الحارث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم. فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا وإنما هذا القول منهم يغرون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم وقد قيل إن القائل لذلك هو النضر وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تتلى عليهم أنهم يقولون قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذا منهم قول بلا فعل وإلا فقد تحدوا غير يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم

قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية. قال: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها فعاد الله بعائده ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها. 32 عن أبيه قال: رأيت عمرو بن العاص واقفا يوم أحد على فرس وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فاحسف بي وبفرسي. وقال قتادة في قوله وإذ

تفسير ابن كثير

كتاب الله عز وجل وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث حدثنا أبو غسان حدثنا أبو نميلة حدثنا الحسين عن ابن بريدة يوم الحساب وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قال عطاء ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من واقع للكافرين ليس له دافع وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والسدي إنه النضر بن الحارث زاد عطاء فقال الله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال هو النضر بن الحارث بن كعدة قال: فأنزل الله سأل سائل بعذاب بن عبد الوهاب قاله الحاكم أبو أحمد والحاكم أبو عبد الله النيسابوري والله أعلم. وقال الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله وإذ قالوا كان الله معذبهم وهم يستغفرون رواه البخاري عن أحمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به وأحمد هذا هو أحمد بن النضر جهل بن هشام قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال شعبة عن عبد الحميد صاحب الزياتي عن أنس بن مالك قال أبو له دافع من الله ذي المعارج وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة كما قال قوم شعيب له فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين وقال هؤلاء أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ولكن استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب وتقديم العقوبة كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم وهذا مما عيى به وكان الأولى لهم أن يقولوا اللهم إن كان وقوله وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر

معاوية بن سعد التجيبي عن حدثه عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل. 33 لا أزال أغفر لهم ما استغفروني. ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا راشد هو ابن سعد حدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الله على أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة. ويشهد حدثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبي موسى الأشعري نحوه من هذا وكذا روى عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقرئ وقال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال أبو صالح عبد الغفار حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عدي حدثه هذا الحديث عن مجاهد عن ابن عباس هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم فأمان قبضه الله إليه وأمان بقي فيكم قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا النضر بن عدي قال: قال ابن عباس إن الله جعل في بهذا أهل مكة وروى عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي وسعيد بن جبيرة والسدي نحو ذلك وقال الضحاك وأبو مالك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان وهو الاستغفار يستغفرون يعني يصلون يعني لا يعلمون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله ليعذب قوما وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية. فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فأنزل الله وما كان الله معذبهم إلى قوله ولكن أكثرهم جرير حدثني الحارث حدثني العزيز حدثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال: قالت قريش لبعض محمد أكرمه الله من بيننا اللهم وأنت فيهم الآية. قال ابن عباس كان فيهم أمانان النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار. وقال ابن عليه وسلم قد قد ويقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله وما كان الله ليعذبهم بن عمار عن أبي زميل سماك الحنفي عن ابن عباس قال كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك. فيقول النبي صلى الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا عكرمة وقوله

رضي الله عنهم. وقال مجاهد هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام وما كانوا يعاملونه به. 34 قال هذا صحيح ولم يخرجاه وقال عروة والسدي ومحمد بن إسحق في قوله تعالى إن أولياؤه إلا المتقون قال هم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل فيكم من غيركم؟ فقالوا فينا ابن أختنا وفينا حليفنا وفينا مولانا فقال حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أوليائي منكم المتقون ثم حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن عبد الله بن خيثم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا قال كل تقى وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولياؤه إلا المتقون. وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا إسحق بن الحسن نعيم بن حماد حدثنا نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياؤه؟ عند الله الآية. وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية: حدثنا سليمان بن أحمد هو الطبراني حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصري حدثنا الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر

تفسیر ابن کثیر

أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام كانوا أوليائه إن أوليائه إلا المتقون أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى ما كان للمشركين أي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة فيه والطواف به ولهذا قال وما عن المسجد الحرام وقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أوليائه إن أوليائه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم أستثنى أهل الشرك فقال وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون والضر وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نميلة يحيى بن واضح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن ابن وهب يستغفرون فنسختها الآية التي تليها وما لهم ألا يعذبهم الله إلى قوله فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقاتلوا بمكة فأصابهم فيها الجوع بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قال: قال في الأنفال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم الآية ناسخة لقوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد ثنا يحيى وما كانوا أوليائه قال فأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وروى عن ابن عباس وأبي مالك والضحاك وغير واحد نحو هذا وقد قيل إن هذه البقية من المسلمين الذين بقوا فيها مستضعفين يعني بمكة يستغفرون فلما خرجوا أنزل الله وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وكان أولئك منهم عذاباً أليماً. قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزى قال قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فأنزل الله محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا لوقع بهم البأس الذي لا يرد ولكن دفع عنهم بسبب أولئك كما قال تعالى في يوم الحديبية الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ وغيرهما لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون لما عذبوا واختاره ابن جرير فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم وأسر سراتهم وأرشدتهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد وقال قتادة والسدي يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع

حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب أهل الإقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة. 35
بما كنتم تكفرون قال الضحاك وابن جريج ومحمد بن إسحق هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي واختاره ابن جرير ولم يحك غيره وقال ابن أبي
وقال الزهري يستهزئون بالمؤمنين وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وتصدية قال صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل. قوله فذوقوا العذاب
بسندة عنه وقال عكرمة: كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته
ابن عمر وأمال خده وصفق بيديه وعن ابن عمر أيضا أنه قال إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون رواه ابن أبي حاتم في تفسيره
عن ابن عمر في قوله وما كان صلاتهم عند البيت إلى مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصديق قال قرّة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر
بن عبد الرحمن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وحجر بن عنبس وابن أبزى نحو هذا وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرّة عن عطية
والمكاء الصفير والتصديق التصفيق. وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة
بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفر وتصفق
الحجاز وتصدية قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو خالد سليمان بن خالد حدثنا يونس بن محمد المؤدّب حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الله الأشعري حدثنا جعفر
بن زيد بن أسلم: هو الصغير وزاد مجاهد وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم وقال السدي المكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء ويكون بأرض
بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن كعب القرظي وحجر بن عنبس ونبيب بن شريط وقتادة وعبد الرحمن
فقال وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال عبد الله

في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين وتكون اللام معللة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله أي إنما أقدرناهم علي ذلك. 36
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقال في الآية الأخرى يومئذ يصعدون وقال تعالى وامتاذا اليوم أيها المجرمون ويحتمل أن يكون هذا التمييز
السدي يميز المؤمن من الكافر وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة كقوله ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم الآية وقوله
لبيم الله الخبيث من الطيب قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله لبيم الله الخبيث من الطيب فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء وقال
منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ولهذا قال فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون وقوله تعالى
دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ومن قتل
أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم تجد شيئا لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر
بدر وعلى كل تقدير فهي عامة وإن كان سبب نزولها خاصا فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق فسيفعلون ذلك ثم تذهب
بن عيينة وقتادة والسدي وابن أبزى أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أحد لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك: نزلت في أهل
كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل إن الذين كفروا ينفقون أموالهم إلى قوله هم الخاسرون وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير والحكم

تفسير ابن كثير

قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمدا قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففعلوا قال ففهم وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدركم فكلما أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبدالله بن أبي ربيعة قال محمد بن إسحق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة

قال تعالى في السحاب ثم يجعله ركاما أي متراكما متراكبا فيجعل في جهنم أولئك هم الخاسرون أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. 37 إنفاق الأموال وبذلها في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه أي يجمعه كله وهو جمع الشيء بعضه على بعض كما الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونظيرتها في براءة أيضا فمعنى الآية على هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم وأقدرناهم على تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب الآية. وقال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا يوم التقى الجمعان فبأذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الآية. وقال ليميز الله الخبيث من الطيب أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين أو يعصيه بالنكول عن ذلك كقوله وما أصابكم

والعقوبة. قال مجاهد في قوله فقد مضت سنة الأولين أي في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم. وقال السدي ومحمد بن إسحق أي يوم بدر. 38 يعودوا أي يستمروا على ما هم فيه فقد مضت سنة الأولين أي فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعالجهم بالعذاب الإسلام أخذ بالأول والآخر. وفي الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها وقوله وإن حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة يغفر لهم ما قد سلف أي من كفرهم وذنوبهم. وخطاياهم كما جاء في الصحيح من يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قل للذين كفروا إن ينتهوا أي عما

قال هلا شققت عن قلبي؟ وجعل يقول ويكرر عليه من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ قال أسامة حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ. 39 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فقال يا رسول الله إنما قالها تعودا عدوانا إلا على الظالمين وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال لا إله إلا الله فضربه فقتله فذكر ذلك الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم الآية. وفي الآية الأخرى إخوانكم في الدين وقال وقتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عز وجل. وقوله فإن انتهوا أي بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم فإن الله بما يعملون بصير كقوله فإن تابوا وأقاموا عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله عز وجل؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل. وفيهما عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين كله لله لا يكون مع دينكم كفر ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أن يقال لا إله إلا الله وقال محمد بن إسحق ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ويكون وقوله ويكون الدين كله لله قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال يخلص التوحيد لله وقال الحسن وقتادة وابن جريح ويكون الدين كله لله ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم. وقال محمد بن إسحق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لا تكون فتنة حتى لا يفتن مسلم عن دينه. وقال الضحاك عن ابن عباس وقتلوه حتى لا تكون فتنة يعني لا يكون شرك وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع عن أنس والسدي الله أبدا فقال رجل ألم يقل الله وقتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فقالا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله. رواه ابن مردويه التيمي عن أبيه قال: قال ذو البطين يعني أسامة بن زيد لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا. فقال سعد بن مالك وأنا والله لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا لله وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله رواهما ابن مردويه. وقال أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم لم تكن فتنة وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله. وكذا رواه حماد بن سلمة فقال ابن عمر قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله للخصمي قال كنت عند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال إن الله يقول وقتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله وكذا روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أيوب بن عبدالله يمنعك أن تخرج؟ قال يمنعني أن الله حرم علي دم أخي المسلم. قالوا أولم يقل الله وقتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله قال قد قاتلنا حتى عن ابن عمر أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك. هذا كله سياق البخاري رحمه الله تعالى وقال عبيد الله عن نافع حدثه قال حدثني سعيد بن جبيرة قال: خرج علينا أو إلينا ابن عمر رضي الله عنهما فقال: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا بيان أن ابن وبرة لا يوافقهما فيما يريد قال: فما قولكم في علي وعثمان؟ قال ابن عمر أما قولي في علي وعثمان أما عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو الله عنه وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يوثقوه ومتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة فلما رأى أنه

تفسير ابن كثير

التي يقول الله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا إلى آخر الآية قال: فإن الله تعالى يقول وقتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عمر قد فعلنا على عهد طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية. فما يمنعك أن لا تقتاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية بن يحيى حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمر عن بكير عن نافع عن ابن عمر أن رجلا جاء فقال: يا أبا عبد الرحمن ألا تصنع ما ذكر الله في كتابه وإن وقوله تعالى وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله قال البخاري حدثنا الحسن بن عبدالعزيز حدثنا عبد الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما تراءون الكوكب الغابر في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء. 4 نفسي بيده لرجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث ابن أبي عطية عن أبي سعيد قال: قال أهل عليين ليبراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق من آفاق السماء. قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم فقال بلى والذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد ولهذا جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يعملون. ومغفرة أي يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات. وقال الضحاك في قوله لهم درجات عند ربهم أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذي شاعر حقا وفي القوم شعراء. وقوله لهم درجات عند ربهم أي منازل ومقامات ودرجات في الجنات كما قال تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما مرة في قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك فلان سيد حقا وفي القوم سادة. وفلان تاجر حقا وفي القوم تجار. وفلان إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها فقال: يا حارث عرفت فالزم ثلاثا. وقال عمرو بن أصبحت مؤمنا حقا قال انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات نهارى وكأني أنظر سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف أصبحت يا حارث؟ قال: وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن وقوله أولئك هم المؤمنون حقا أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان.

بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير أنه كتب إلى الوليد يعني ابن عبد الملك بن مروان بهذا فذكر مثله وهذا صحيح إلى عروة رحمه الله. 40 هو. وهي التي أنزل الله عز وجل فيها وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ثم رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج بالعقبة وأعطوه عهودهم ومواثيقهم على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيبا رءوس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه الفتنة الآخرة فكانت فتنتان فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم في الخروج إليها وفتنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت قريش ذلك تأمروا على أن يفتنوه ويشتدوا فأخذوهم فحرسوا على أن يفتنوه فأصابهم جهد شديد فكانت فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرُونَ وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير وفشا الإسلام بالمدينة وطفق أهل المدينة يأتون منهم تحدث باسترخائهم عنهم فبلغ من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استرخى عن كان منهم بمكة وأنهم لا يفتنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلازل فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل من أشرفهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت الفتنة الأولى هي التي أخرجت من خرج من عامتهم لما قهرها بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم إنه فشا الإسلام فيها ودخل فيه رجال متجرا لقريش يتجرون فيها وكانت مساكن لتجارهم يجدون فيها رفاغا من الرزق وأما ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم فذهب إليها الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة الله من أبنائهم وإخوانهم فكانت فتنة شديدة الزلازل فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه إلا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين إليه وكانوا يسمعون له حتى إذا ذكر طواغيهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من وعرفنا وجهه في الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا وبعثنا عليها وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله به من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدها منه أول ما دعاهم حول ولا قوة إلا بالله كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبي ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا عروة: سلام عليك إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وسأخبرك به ولا حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أبان العطار حدثنا هشام بن عروة عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه النصير أي وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم وسيدكم وناصركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير. وقال محمد بن جرير وقوله وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم

والسير وقال يزيد بن أبي حبيب إمام أهل الديار المصرية في زمانه: كان يوم بدر يوم الاثنين ولم يتابع على هذا وقول الجمهور مقدم عليه والله أعلم. 41 بن حبيب عن علي قال: كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشر مضت من شهر رمضان وهو الصحيح عند أهل المغازي

تفسير ابن كثير

السلمي قال: قال الحسن بن علي كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسيعة عشرة من رمضان إسناده جيد قوى ورواه ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن عبد الله عنه وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفي عن أبي عبد الرحمن القدر: تحروها لأحدى عشرة يبقين فإن في صبيحتها يوم بدر. وقال على شرطهما وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضا من حديث جعفر بن برقان عن رجل وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال في ليلة عشرة مضت من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم بدر وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير في قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل والعوفي عن ابن عباس: يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل ورواه الحاكم. وكذا قال مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبد الله والضحاك إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل بدير ويسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه قال علي بن أبي حيان وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان أي في القسمة وقوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ينبه تعالى على نعمته وإحسانه من صحيحه فقال باب أداء الخمس من الإيمان ثم أورد حديث ابن عباس هذا وقد بسطنا الكلام عليه في شرح البخاري ولله الحمد والمنة وقال مقاتل بن وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا الخمس من المغنم. الحديث بطوله فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان وقد بوب البخاري على ذلك في كتاب الإيمان وسلم قال لهم وأمركم بأربع وأنهاكم عن أربع. أمركم بالإيمان بالله ثم قال هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بالله واليوم الآخر وما أنزلنا على رسوله. ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس في حديث وفد عبد القيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان. وقوله إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا أي امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم إن كنتم تؤمنون السبيل هو المسافر أو المريد للسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة وليس له ما ينفقه في سفره ذلك وسيأتي تفسير ذلك في آية الصدقات من سورة براءة واختلف العلماء هل يختص بالأيام الفقراء أو يعم الأغنياء والفقراء؟ على قولين والمساكين هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنهم وابن هذا حديث حسن الإسناد وإبراهيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم وقال يحيى بن معين يأتي بمناكير والله أعلم وقوله واليتامى أي أيتام المسلمين حنش عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبتم لكم عن غسالة الأيدي لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم. من أفراد أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني وفيه ضعف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن مهدي المصيصي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن والنسائي من حديث سعيد المقبري عن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذوي القربى فذكره إلى قوله فأبى ذلك علينا قومنا والزيادة ذوي القربى فكتب إليه ابن عباس كنا نقول: إنا هم فأبى علينا ذلك قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربي وهذا الحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذي بل هم قريش كلها حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال: كتب نجدة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن وفي رواية عنه قال هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة ثم روى عن علي بن الحسن نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون وبنو المطلب قال ابن جرير وقال آخرون هم بنو هاشم ثم روى عن خفيف عن مجاهد قال: علم الله أن في بني هاشم فقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة وبنو المطلب شيء واحد. رواه مسلم وفي بعض روايات هذا الحديث إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام. وهذا قول جمهور العلماء أنهم بنو هاشم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال إنما بنو هاشم ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل وقال جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل مشيت أنا وعثمان بن عفان يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عاجل غير آجل بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بني خلف قيضا بنا والعياطل ونحن الصميم من الرسول ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم لشدة قربهم ولهذا يقول في أثناء قصيدته: جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر الله صلى الله عليه وسلم وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل وإن كانوا بني عمهم فلم يوافقوهم علي ذلك بل حاربوهم وناذبوهم وماتوا بطون قريش على حرب معهم في الشعب غضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحماية له مسلمهم طاعة لله ولرسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول العلماء رحمهم الله وأما سهم ذوي القربى فإنه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام ودخلوا أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لإبراهيم ما كان علي فيه؟ قال: كان أشدهم فيه. وهذا قول طائفة كثيرة من رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال الأعمش عن إبراهيم كان عليه وآله وسلم تسليما للخليفة من بعده وقال آخرون لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم وقال آخرون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع كلام الله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم بن مسلم سألت الحسن بن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى عن قول الله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول فقال هذا مفتاح فقالوا: هو لنا فقلت لعلي فإن الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقالا يتامانا ومساكينا وقال سفيان الثوري وأبو نعيم وأبو أسامة عن قيس كما رواه ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا عبدالغفار حدثنا المنهال بن عمرو سألت عبد الله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس وسلم وسهم ذوي القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل قال ابن جرير وذلك قول جماعة من أهل العراق وقيل إن الخمس جميعه لذوي القربى

تفسير ابن كثير

وقال آخرون بل هو مردود على بقية الأصناف ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختاره ابن جرير وقال آخرون بل سهم النبي صلى الله عليه وآله فقال قائلون يكون لمن يلي الأمر من بعده روي هذا عن أبي بكر وعلي وقتادة وجماعة. وجاء فيه حديث مرفوع وقال آخرون يصرف في مصالح المسلمين الله وهذا قول مالك وأكثر السلف وهو أصح الأقوال. فإذا ثبت هذا وعلم فقد اختلف أيضا في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس ماذا يصنع به من بعده الله وسلامه عليه وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفيء وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله فقلنا من كتب هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرير هذا وثبوتها ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات وأن محمدا رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أديم فقرأناها فإذا فيها من محمد رسول الله إلى بني زهير بن قيس إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت صفية من الصفي رواه أبو داود في سننه وروى أيضا بإسناده والنسائي أيضا عن وعامر الشعبي وتبعهما على ذلك أكثر العلماء. وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم داود والنسائي وقد كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغنائم شيء يصطفيه لنفسه عبد أو أمة أو فرس أو سيف أو نحو ذلك كما نص عليه محمد بن سيرين صلى بهم إلى بغير من المغنم فلما سلم أخذ وبرة من هذا البعير ثم قال ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم. رواه أبو عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحوه في قصة الخمس والنهي عن الغلول. وعن عمرو بن عبسة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن عظيم ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ولكن روى الإمام أحمد أيضا وأبو داود والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في الله لومة لائم وأقيموا حدود الله في السفر والحضر وجاهدوا في الله فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله به من الهم والغم. هذا حديث فأدوا الخيط والمخييط وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فإن الغلول عار ونار على أصحابه في الدنيا والآخرة وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ولا تبالوا قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتناول وبرة بين أنملتيه فقال إن هذه من غنائمكم وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم الخمس والخمس مردود عليكم صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس فقال عبادة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم في غزوة إلى بغير من المغنم فلما سلم وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندي رضي الله عنهم فتذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو الدرداء لعبادة يا عبادة كلمات رسول الله عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبي سلام الأعرج عن المقدم بن معديكرب الكندي أنه جلس مع عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وآله وسلم يتصرف في الخمس الذي جعله الله بما شاء ويرده في أمته كيف شاء ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا إسحق بن بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال خمس الله والرسول واحد يحمل منه ويصنع فيه ما شاء يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أعم وأشمل وهو المعلم عن عبد الله بن بريدة في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول قال الذي لله فلنبيه والذي للرسول لأزواجه وقال عبد الملك وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الخمس شيئا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر المنقري حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن حسين منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس فربح لله وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقراة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه ثم اختلف قائلو هذا القول فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كانت الغنيمة تخمس على خمسة أخماس فأربعة أحق به من أخيك المسلم. وقال ابن جرير: حدثنا عمران بن موسى حدثنا عبد الوارث حدثنا أبان عن الحسن قال أوصى الحسن بالخمس من ماله وقال ألا الله ما تقول في الغنيمة؟ فقال لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش قلت فما أحد أولى به من أحد؟ قال لا ولا سهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بوادي القرى وهو يعرض فرسا فقلت: يا رسول والحسن البصري والشعبي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن بريدة وقتادة ومغيرة وغير واحد أن سهم الله ورسوله واحد ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ لله ما في السموات وما في الأرض فجعل سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واحدا وهكذا قال إبراهيم النخعي والحسن بن محمد بن الحنفية سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول فأن لله خمسة مفتاح كلام آخرون ذكر الله ههنا استفتاح كلام للتبرك وسهم لرسوله عليه السلام قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل. وقال الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيخمسها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدا ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله اختلف المفسرون ههنا فقال بعضهم لله نصيب من الخمس يجعل في الكعبة قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية الرياحي: قال كان رسول الله صلى حتى الخيط والمخييط قال الله تعالى ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقوله فإن لله خمسة وللرسول لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس إذا رآه الإمام والله أعلم. فقله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة لتخميس كل قليل وكثير ولا يرتاب فمن يفرق بين معنى الفيء والغنيمة يقول تلك نزلت في أموال الفيء وهذه في الغنائم ومن يجعل أمر الغنائم والفيء راجعا إلى رأى الإمام يقول بعيد لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر وتلك نزلت في بني النضير ولا خلاف بين علماء السير والمغازي قاطبة أن بني النضير بعد بدر وهذا أمر لا يشك فيه القرى فله وللرسول ولذي القربى الآية. قال فنسخت آية الأنفال تلك وجعلت الغنائم أربعة أخماس للمجاهدين وخمسا منها لهؤلاء المذكورين وهذا الذي قاله العلماء من يطلق الفيء على ما تطلق عليه الغنيمة وبالعكس أيضا ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر ما أفاء الله على رسوله من أهل

تفسير ابن كثير

كالأموال التي يصلحون عليها أو يتوفون عنها ولا وارث لهم والجزية والخراج ونحو ذلك هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من علماء السلف والخلف ومن لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة بإحلال الغنائم. والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك يبين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصا

والإفك وقوله وإن الله لسميع أي لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به عليهم أي بكم وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين. 42 قال الله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقالت عائشة في قصة الأفك فهلك في من هلك أي قال فيها ما قال من البهتان من استمر فيه على بصيرة من أمره إنه مبطل لقيام الحجة عليه ويحيى من حي أي يؤمن من آمن عن بينة أي حجة وبصيرة والإيمان هو حياة القلوب ويرفع كلمة الحق على الباطل ليصير الأمر ظاهرا والحجة قاطعة والبراهين ساطعة ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة فحينئذ يهلك من هلك أي يستمر في الكفر والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جيد. وبسط ذلك أنه تعالى يقول إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد لينصرمكم عليهم رسول الله أنهم الغداة وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال محمد بن إسحق أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب فبني له عريش فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ما معهما غيرهما. قال ابن إسحق وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت ورأها رسول أقوام ما نحن بأشد لك حبا منهم لو علموا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ويؤازرونك وينصرونك. فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به إليك ركايبك ونلقى عدونا فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحن وإن تكن الأخرى فتجلس على ركايبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا فقد والله تخلف عنك أبي بكر بن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما التقى الناس يوم بدر يا رسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه وننيخ الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى وحديثي عبد الله بن بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميرة بن خلف ونبية ومنبه ابن الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول أشرف قريش؟ قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخثري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي كم ينحرون كل يوم؟ قال يوما تسعا ويوما عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما فمن فيهم من الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم؟ قال كثير قال ما عدتهم؟ قال ما ندري قال عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم وقال إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش قالاهم وراء هذا بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أزلقوهما قالوا نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهما لمن أنتم؟ فيقولان نحن سقاة لقريش وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يتجسسون له الخبر فأصابوا سقاة لقريش غلاما لبني سعيد بن العاص وغلاما لبني الحجاج فأتوا ولا بنو عدي. قال محمد بن إسحق وحديثي يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا من بدر علي بن أبي طالب فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدا. فقال الأخنس بن شريق: يا معشر بني زهرة إن الله قد أنجى أموالكم ونجى صاحبكم فارجعوا فرجعت بنو زهرة فلم يشهدوها بدرا. وكانت بدر سوقا من أسواق العرب. فنقيم بها ثلاثا فنطعم بها الطعام ونحرق بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فانطلق بها ف ساحل حتى إذا رأى أنه قد أحرز غيره إلى قريش فقال: إن الله قد نجى غيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نأتي شن لهما ثم انطلقا فجاء أبو سفيان إلى مناخ بعيريهما فأخذ من أبعارهما ففته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علانف يثرب ثم رجع سريعا فضرب وجه غيره حذر فتقدم أمام غيره وقال لمجدي بن عمرو هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره؟ فقال لا والله إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل فاستقيا من عمرو وقال صدقت فسمع بذلك بسبس وعدي فجلسا على بعيريهما حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد الماء فسمعا جاريتين يختصمان تقول إحداهما لصاحبتها اقضييني حقي وتقول الأخرى إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأقضيك حقل فخلص بينهما مجدي بن بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنين يلتصمان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى إذا وردا بدرا فأناخا بعيريهما إلى تل من البطحاء فاستقيا في شن لهما من الناس بعضهم لبعض وقال محمد بن إسحق في السيرة: ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ذلك حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا بدرا ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء حتى التقى السقاة ونهد جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثني بن علي عن ابن عون عن عمير بن إسحق قال: أقبل أبو سفيان في الركب من غير ملاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه وفي حديث كعب بن مالك قال إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله لاختلقتهم في الميعاد قال محمد بن إسحق وحديثي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذه الآية قال ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم ناحية مكة والركب أي العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة أسفل منكم أي مما يلي سيف البحر ولو تواعدتم أي أنتم والمشركون إلى مكان إذ أنتم بالعدوة الدنيا أي إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة وهم أي المشركون نزول بالعدوة القصوى أي البعيدة من المدينة إلى يقول تعالى مخبرا عن يوم الفرقان

تفسير ابن كثير

سلم أي من ذلك بأن أراكم قليلا إنه عليم بذات الصدور أي بما تجننه الضمائر وتنطوي عليه الأحشاء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. 43 غريب وقد صرح بالنام ههنا فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه وقوله ولو أراكم كثيرا لفشتم أي لجبنتم عنهم واختلقتم فيما بينكم ولكن الله أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو قتبية عن سهل السراج عن الحسن في قوله إذ يريكم الله في منامك قليلا قال بعينك وهذا القول صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تنبيها لهم وكذا قال ابن إسحق وغير واحد وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها وقد روى ابن قال مجاهد أراهم الله إياه في منامه قليلا وأخبر النبي

رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلا منهما حق وصدق ولله الحمد والمنة. 44 مردفين بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفه كما قال تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر وقلله في عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة أبيه في قوله تعالى ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته عكرمة وإذ يريكموهم إذ التقيتم الآية. قال حضض بعضهم على بعض إسناد صحيح وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير. عن رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقوله ويقللكم في أعينهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن رضي الله عنه قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين؟ قال لا بل هم مائة حتى أخذنا رجلا منهم فسلأناه فقال كنا ألفا. أيضا من لطفه تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين فيجرءوهم عليهم ويطمعهم فيهم قال أبو إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود وقوله وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا وهذا

على مبارزتهم فلا يفروا ولا يנקلوا ولا يجنبوا وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم. 45 يخطر بيننا وقد نهلت فينا المثقفة السمر وقال عنتر: ولقد ذكرتكم والرماح نواهل مني وببيض الهند تقطر من دمي فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال فقال يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون قال الشاعر: ذكرتكم والخطي عبد الله بن عباس عن يزيد بن فوذر عن كعب الأحبار قال ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة في القتال الإنصات وذكر الله عند الزحف ثم تلا هذه الآية قلت يجهرون بالذكر؟ قال نعم وقال أيضا قرأ على يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيف. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء: قال وجب الذي يذكركم وهو مناجز قرنه أي لا يشغله ذلك الحال عن ذكره ودعائي واستعائتي. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في هذه الآية قال افترض الله قال إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنابة. وفي الحديث الآخر المرفوع يقول الله تعالى إن عبيد كل عبيد إبراهيم بن هاشم البغوي حدثنا أمية بن بسطام حدثنا معتمر بن سليمان حدثنا ثابت بن زيد عن رجل عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا وانصرنا عليهم وقال عبدالرزاق عن سفيان الثوري عن عبدالرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وسلم انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم الشجاعة عند مواجهة الأعداء فقال يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا تعليم من الله لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق

الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين وحشرنا في زمريهم إنه كريم وهاب. 46 والترك والصقالية والبربر والحبوش وأصناف السودان والقطب وطوائف بني آدم. قهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان وامتد على وآله وسلم وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدة اليسيرة مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والإثمار بما أمرهم الله ورسوله به وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم ولا يكون لأحد ممن بعدهم فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وتذهب ربحكم أي قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال واصبروا إن الله مع الصابرين وقد كان للصحابه رضي الله عنهم في باب الشجاعة الله ورسوله في حالهم ذلك فما أمرهم الله تعالى به انتمروا. وما نهاهم عنه انزجروا ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم أمرهم أن يطيعوا

بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط. 47 من ديارهم بطرا ورئاء الناس قالوا هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر. وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى أي عالم بما جاءوا به وله ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء لهم. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي في قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا أجمع لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام وركموا في أطواء بدر مهانين أذلاء صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي ولهذا قال والله بما يعملون محيط نجا فارجعوا فقال لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونحرق الجزر ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدا فانعكس ذلك عليه

تفسير ابن كثير

لهم عن التشبه بالمشركون في خروجهم من ديارهم بطرا أي دفعا للحق ورتاء الناس وهو المفاخرة والتكبر عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له إن العير قد يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره ناهيا

الذنوب إلا ما رأى يوم بدر. قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزغ الملائكة. وهذا مرسل من هذا الوجه. 48
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى إبليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيط من يوم عرفة وذلك مما يرى من نزول الرحمة والعفو عن السحر وهو من باب البهت والافتراء ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة. وقال مالك بن أنس عن إبراهيم بن أبي علي عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن أخذوا وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لما أسلموا إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها وكفوله إنه لكبيركم الذي علمكم خذلان سراقته إياكم فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه. ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه في الحبال فلا تقتلوهم وخذوهم فلما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقته وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول لا يهولنكم إليهم أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشر فإنهم ليسوا بشيء والله معكم فكروا عليهم بصره يقول: لو كنت معكم الآن ببدر ومعني بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن بعض بني ساعدة قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما كف إلا أن دعوتكم فاستجبتكم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم منك إني أخاف الله رب العالمين وقوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك قلت يعني بعبادته لمن أطاعه قوله تعالى كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء ما لا ترون إني أخاف الله وكذب عدو الله. والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له حتى إذا التقى بن كعب القرظي وغيرهم رحمهم الله وقال قتادة وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة فقال إني أرى وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون وصدق عدو الله. وقال إني أخاف الله والله شديد العقاب وهكذا روى عن السدي والضحاك والحسن البصري ومحمد فقال أين سراقته؟ أين وميل عدو الله فذهب قال فأوردتهم ثم أسلمهم قال ونظر عدو الله إلى جنود الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين فنكص على عقبيه يروونه في كل منزل في صورة سراقته بن مالك لا ينكرونه حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذي رآه حين نكص الحارث بن هشام أو عمير بن وهب مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة فقال أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا قال محمد بن إسحق فذكر لي أنهم كانوا رومان عن عروة بن الزبير قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم إبليس في صوة سراقته بن يا رب موعدك الذي وعدتني. وفي الطبراني عن رفاعه بن رافع قريب من هذا السياق وأبسط منه ذكرناه في السيرة وقال محمد بن إسحق حدثني يزيد بن الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقته لما سمع من كلامه فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق إبليس لا يرى حتى سقط في البحر ورفع ثوبه وقال يدبر المشركون ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون فتشبت به من الملائكة ميمنة الناس وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس وإسرافيل في جند آخر ألف وإبليس قد تصور في صورة سراقته بن مالك بن جعشم المدلجي عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال لما تواقف الناس أغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم كشف عنه فبشر الناس بجبريل في جند على هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا فقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب. وقال محمد بن عمر الواقدي أخبر عمر بن عتبة جعشم فلما حضر القتال ورأى الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم فتشبت به الحارث بن هشام فنخر في وجهه فخر صعقا فقبل له ويلك يا سراقته العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقال محمد بن إسحق حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن إبليس خرج مع قريش في صورة سراقته بن مالك بن يده في يد رجل من المشركون انتزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقته أتزعم أنك لنا جار فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركون فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه وكانت رايته في صورة رجل من مدلج في صورة سراقته بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركون لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف الناس على عقبيه قال رجع مدبرا وقال إني أرى ما لا ترون الآية. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركون وألقى في قلوب المشركون أن أحدا لن يغلبكم وإني جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة نكص كبير تلك الناحية وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا قال ابن جريج قال ابن عباس في هذه الآية لما كان يوم ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال إني جار لكم وذلك أنه تبدى لهم في صورة سراقته بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم الآية حسن لهم لعنه الله ما جاءوا له وما هموا به وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس وقوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان

إليه فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان حكيم في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها فينصر من يستحق النصر ويخذل من هو أهل لذلك. 49
المشركون يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم وقوله ومن يتوكل على الله أي يعتمد على جنبه فإن الله عزيز أي لا يضام من التجأ عن الحسن في هذه الآية. قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم هم قوم كانوا أقروا بالإسلام وهم بمكة فخرجوا مع

تفسير ابن كثير

قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم وكذا قال محمد بن إسحق بن يسار سواء. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر مع قريش من مكة وهم على الارتياح فحبسهم ارتياحهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمة بن الأسود بن المطلب وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم. وقال مجاهد في قوله عز وجل إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فئة من قريش قيس مرض هم قوم كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وقال عامر الشعبي كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال: والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا. وقال ابن جريج في قوله إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم وقال قتادة: رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم فظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين وقوله إذ يقول المنافقون

فأنزل الله: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. 5 النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء العدو وقال له سعد بن عباد ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس أن يتهيئوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الإيمان أموالنا ما شئت فنزل القرآن على قول سعد: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون الآيات وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من معك ولا تكون كالذين قالوا لموسى فاذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون ولكن أذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون ولعلك أن تكون خرجت سعد بن معاذ يا رسول الله إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ولئن سرت حتى تأتي برك الغمام من ذي يمن لنسيرن يا رسول الله بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا قال: ثم خطب الناس فقال: كيف ترون؟ فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال: كيف ترون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: كيف ترون؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أبي حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه. وروى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال عظيم قال فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون وذكر تمام الحديث. ورواه ابن كما قال قوم موسى لموسى: فاذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون قال فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكن أردنا العير ثم قال: ما ترون في قتال القوم؟ فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو إذا لا نقول لك يا رسول الله نخرج قبل هذه العير لعل الله أن يغنمناها؟ فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا: ما ترون في قتال القوم إنهم قد أخبروا بخروجكم؟ عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة: وإني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين قال الحافظ أبو بيانه والغرض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروج النفيير أوحى الله إليه يبعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفيير ورغب كثير من المسلمين وجمع الله بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والفرقة بين الحق والباطل كما سيأتي نذيرا إلى أهل مكة فنهضوا في قريب من ألف مقنع ما بين التسعمائة إلى الألف وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر فنجا وجاء النفيير فوردوا ماء بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه فبعث ضمضم بن عمرو أبي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فيها أموال جزیلة لقريش فاستنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من خف منهم فخرج في عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له. قلت: رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج من المدينة طالبا لعير إياه فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين يجادلونك في الحق بعدما تبين وقال بعضهم يسألونك بعدما تبين لهم. ثم روى عن مجاهد نحوه أنه قال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه وفتح كما قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. النفيير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز غيرهم فكان عاقبة كراحتكم للقتال بأن قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدا وهدي ونصرا رسوله صلى الله عليه وسلم فقسما على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم ثم روى عن عكرمة نحو هذا ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما أنكم لما اختلفتم في المغامات وتشاحتم فيها فانتزعها الله منكم وجعلها إلى قسمه وقسم السبب الجالب لهذه الكاف في قوله كما أخرجك ربك فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم طاعتهم لله ورسوله قال الإمام أبو جعفر الطبري. اختلف المفسرون في

تفسير ابن كثير

من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق. 50

إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقول: أخرجني أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وحميم وظل من يحموم فتفرق في بدنه فيستخرجونها ربههم إذ استصعبت أنفسهم وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهرا وذلك إذا بشروهم بالعذاب والغضب من الله كما في حديث البراء أن ملك الموت في سورة الأنعام قوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم أي باسطوا أيديهم بالضرب فيهم بأمر كافر ولهذا لم يخصه تعالى بأهل بدر بل قال تعالى ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وفي سورة القتال مثلها وتقدم الله: إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك قال ذلك ضرب الملائكة. رواه ابن جرير وهو مرسل وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل مسلم عن سعيد بن جبير يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستأههم ولكن الله يكنى وكذا قال عمر مولى عفرة. وعن الحسن البصري قال: قال رجل يا رسول الله الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم يوم بدر وقال وكيع عن سفيان الثوري عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد وعن شعبة عن يعلى بن جوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدركتهم الملائكة يضربون أدبارهم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله إذ يتوفى وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق قال ابن جريج قال ابن عباس إذا أقبل المشركون يقول تعالى ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا منكرا إذ يضربون وجوههم

بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. ولهذا قال تعالى. 51

عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته الله ليس بظلام للعبيد أي لا يظلم أحدا من خلقه بل هو الحكم العدل الذي لا يجوز تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغني الحميد ولهذا جاء في الحديث الصحيح وقوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم أي هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا جازاكم الله بها هذا الجزاء وأن

الله فأخذهم الله بذنوبهم أي بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر إن الله قوي شديد العقاب أي لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب. 52

فعل الأمم المكذبة قبلهم ففعلنا بهم ما هو دأبنا أي عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسول الكافرين بآيات من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب يقول تعالى فعل هؤلاء من المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما قوله تعالى: كدأب آل فرعون والذين

إلا بسبب ذنب ارتكبه كقوله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال. 53

يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد

تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين. 54

وقوله كدأب آل فرعون أي كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنوبهم وسلهم

أخبر تعالى أن شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون. 55

الذين كلما عاهدوا عهدا نقضوه وكلما أكدوه بالآيمان نكثوه وهم لا يتقون أي لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام. 56

من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم ويصيروا لهم عبرة لعلمهم يذكرون وقال السدي يقول لعلمهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك. 57

بهم من خلفهم أي نكل بهم. قاله ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي وعطاء الخراساني وابن عيينة ومعناه غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليخاف فإما تتقفنهم في الحرب أي تغلبهم وتظفر بهم في حرب فشر

صاغرون وإن أبيتم نابدناكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله. 58

صلى الله عليه وسلم يدعوهم فقال إنما كنت رجلا منكم فهداني الله عز وجل للإسلام فإن أسلمتم فلکم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم عطاء بن السائب عن أبي البخترى عن سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة به. وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري حدثنا إسرائيل عن قال فبلغ ذلك معاوية فرجع فإذا بالشيخ عمرو بن عبسة رضي الله عنه وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وفاء لا غدرا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء بن عامر قال: كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر الله أكبر على مهل إن الله لا يحب الخائنين أي حتى ولو في حق الكفار لا يجبهها أيضا. قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي الفيض عن سليم أنت وهم في ذلك قال الرازي. فاضرب وجوه الغدر للأعداء حتى يجيبوك إلى السواء وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالى فانبذ إليهم على سواء أي على سواء أي أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء أي تستوي تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وإما تخافن من قوم قد عاهدتهم خيانة أي نقضا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهد فانبذ إليهم أي عهدهم

يقول

تفسير ابن كثير

تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة. 59 أن يسبقونا ساء ما يحكمون أي يظنون. وقوله ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير وقوله تعالى لا يغرنك الذين كفروا سبقوا أي فاتونا فلا تقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا كقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن يا محمد

خبر عنهم. والصواب قول ابن عباس وابن إسحق أنه خبر عن المؤمنين وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق الكلام والله أعلم. 60 صفة الآخرين هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر. ثم قال ابن جرير ولا معنى لما قاله لأن الذي قيل قوله يجادلونك في الحق خبر عن أهل الإيمان والذي يتلوه يساقون إلى الموت وهم ينظرون قال هؤلاء المشركين جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام وهم ينظرون. قال وليس هذا من الله به. قال ابن جرير وقال آخرون عنى بذلك المشركين حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما أي كراهية للقاء المشركين وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا له وقال السدي: يجادلونك في الحق بعد ما تبين أي بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك وقال مجاهد يجادلونك في الحق: في القتال وقال محمد بن إسحق: يجادلونك في الحق

على أهل الإسلام حتى نزلت وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم فأمر بالصدقة بعدها على كل من سأل من كل دين وهذا أيضا غريب. 60 الدشكي حدثنا أبي عن أبيه حدثنا الأشعث بن إسحق عن جعفر بن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أن لا يتصدق إلا سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنا أحمد بن عبد الرحمن رواه أبو داود أن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف كما تقدم في قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون أي مهما أنفقتم في الجهاد فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال ولهذا جاء في الحديث الذي وهذا أشبه الأقوال ويشهد له قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم وقوله وما وسلم لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل. وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المنافقون عن إبراهيم بن دحيم عن أبيه عن محمد بن شعيب عن سنان بن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد: قال رسول الله صلى الله عليه بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قول الله تعالى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم قال هم الجن. ورواه الطبراني ابن أبي حاتم حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرغ الحمصي حدثنا أبو حيوة يعني شريح بن زيد المقرئ حدثنا سعيد بن سنان عن ابن غريب يعني يزيد بن عبد الله من دونهم قال مجاهد يعني بني قريظة وقال السدي: فارس وقال سفيان الثوري قال ابن يمان هم الشياطين التي في الدور وقد ورد حديث بمثل ذلك. قال وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنى. وقوله ترهبون أي تخوفون به عدو الله وعدوكم أي من الكفار وآخرين بالصدقة لا يقبضها والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة. وفي صحيح البخاري عن عروة ابن أبي الجعد البارقى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها ومن ربط فرسا في سبيل الله كانت النفقة عليها كالماد يده عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال لابن الحنظلية يعني سهلا حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سمعت رسول الله صلى يحيى القطان به. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا المطعم بن المقدم الصنعاني يقول اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من أحب أهله وماله إليه أو أحب أهله وماله إليه. رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين رزقي بيده فاجعلني أحب إليه من أهله وماله وولده. قال وحدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن أبي جعفر حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس له دعوته. قال وما دعاء بهيمة من البهائم؟ قال والذي نفسي بيده ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول: اللهم أنت خولتني عبدا من عبادك وجعلت حبيب عن ابن شماس أن معاوية بن خديج مر على أبي ذر وهو قائم عند فرس له فسأله ما تعاني من فرسك هذا؟ فقال إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي وقول الجمهور أقوى للحديث والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج وهشام قال حدثنا ليث حدثني يزيد بن أبي وأما فرس الإنسان فالفرس يربطها الإنسان يلتمس بطنها فهي له ستر من الفقر وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل وذهب الإمام وفرس للإنسان فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله فعلفه وروته وبوله وذكر ما شاء الله وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليها شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن وفرس للشيطان يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه البخاري وهذا لفظه ومسلم كلاهما من حديث مالك وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج أخبرنا فخرًا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفادة فمن ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له فهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواتها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه قال الخيل لثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال بها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها وأن ترموا خير من أن تركبوا وقال الإمام مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

منها ما رواه الترمذي من حديث صالح بن كيسان عن رجل عنه وروى الإمام أحمد وأهل السنن عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا من معروف وأبو داود عن سعيد بن منصور وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب به. ولهذا الحديث طرق أخر عن عقبة بن عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي رواه مسلم عن هرون أحمد: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي أخيه عقبة بن عامر أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت فقال وأعدوا لهم ما استطعتم أي مهما أمكنكم من قوة ومن رباط الخيل قال الإمام

عليه وسلم يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم. وقوله وتوكل على الله أي صالحهم وتوكل على الله فإن الله كافيك وناصرك. 61 نظر أيضا لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إن كان العدو كثيفا فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وعطاء الخراساني وعكرمة والحسن وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية. وفيه يكون السلم فافعل وقال لمجاهد نزلت في بني قريظة وهذا فيه نظر لأن السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتنف لهذا كله وقال ابن عباس ومجاهد وزيد عن إياس بن عمرو الأسلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيكون اختلاف أو أمر فإن استطعت أن من الشروط الأخر. وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثني فضيل بن سليمان يعني النميري حدثنا محمد بن أبي يحيى ذلك ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا سواء فإن استمروا على حربك ومناذرتك فقاتلهم وإن جنحوا أي مالوا للسلم أي المسالمة والمصالحة والمهادنة فاجنح لها أي فمل إليها واقبل منهم يقول تعالى إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم عهدهم على

المهاجرين والأنصار فقال هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم أي جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك. 62 ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقوا ويستعدوا فإن حسبك الله أي كافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه مما أيد به من المؤمنين المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار. 63 سالم بن غيلان سمعت جعدا أبا عثمان حدثني أبو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن المسلم إذا لقي أخاه يرفع من الناس الألفة وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني رحمه الله حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا عبد الله بن عمر القواريري حدثنا الله ألف بينهم فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم مني وكذا روى طلحة بن مصرف عن مجاهد وقال ابن عون عن عمير بن إسحق قال: كنا نتحدث أن أول ما المسلمان فتصافحا غفر لهما قال: قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما؟ قال مجاهد أما سمعته يقول لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن قال عبدة فعرفت أنه أفقه مني وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن إبراهيم الجزري عن الوليد بن أبي مغيث عن مجاهد قال إذا التقى خطاياهما كما تحات ورق الشجر. قال عبدة فقلت له إن هذا ليسير فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أبو عمر والأوزاعي حدثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد ولقيته فأخذ بيدي فقال: إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه تحاتت لتقطع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثم قرأ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم. رواه الحاكم أيضا وقال في المتحابين في الله. رواه النسائي والحاكم في مستدركه وقال صحيح وقال عبدالرازق أخبرنا معمر عن ابن طائوس عن أبيه عن ابن عباس قال: إن الرحم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سمعه يقول لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية. قال هم المتحابون في الله. وفي رواية نزلت وإذا المودة أقرب الأسباب قال البيهقي لا أدري هذا موصول بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة وقال أبو إسحق السبيعي عن أبي الأحوص إن دعوته أجاب وإن يرمي العدو الذي ترمي قال ومن ذلك قول القائل: ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم وبلوت ما وصلوا من الأسباب فإذا القرابة لا تقرب قاطعا أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم وذلك موجود في الشعر: إذا بت ذو قربي إليك بزلة فغشك واستغنى فليس بذئ رحيم ولكن ذا القرى الذي بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن طائوس عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنه النعمة تكفر ولم ير مثل تقارب القلوب يقول الله تعالى لو عبد الله محمد بن الحسين القنديلي الاستربادي حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار حدثنا ميمون بن الحكم حدثنا بكر بن الشروخ عن محمد من توكل عليه عليه حكيم في أفعاله وأحكامه وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبيد الله الحافظ أنبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا أنبأنا أبو متفرقين فألفكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن ولهذا قال تعالى ولكن الله ألف بينهم أي عزيز حكيم أي عزيز الجنب فلا يخيب رجاء الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضللا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وكنتم فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وفي الصحيحين أن رسول في الجاهلية بين الأوس والخزرج وأمور يلزم منها التسلسل في الشر حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء قوله: لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة

يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من شهد معك قال وروي عن عطاء الخراساني وعبدالرحمن بن زيد مثله. 64 أمداهم ولو قل عدد المؤمنين. قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبيد الله بن موسى أنبأنا سفيان عن ابن شاذب عن الشعبي في قوله وسلم والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران ويخبرهم أنه حسبهم أي كافهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وترادفت

تفسير ابن كثير

يحرص تعالى نبيه صلى الله عليه

لما نزلت إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين حتى فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف. 65 كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة. قال عبدالله بن المبارك حدثنا جرير بن حازم حدثني الزبير بن الحريث عن عكرمة عن ابن عباس قال: إلى المدينة والله أعلم. ثم قال تعالى مبشرا للمؤمنين وآمرا إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون وفي هذا نظر لأن هذه الآية مدنية وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه وقد روي عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه على قولك بخ بخ؟ قال رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتهن جنة عرضها السموات والأرض. فقال عمير بن الحمام عرضها السموات والأرض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال بخ بخ فقال ما يحملك الله صلى الله عليه وسلم يحرص على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعدتهم قوموا إلى ولهذا قال يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال أي حثهم أو مرهم عليه ولهذا كان رسول

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا رفع ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. 66 يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي عمرو بن العلاء والضحاك وغيرهم نحو ذلك وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث المسيب بن شريك عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله إن وروى علي بن أبي طلحة والوعوفي عن ابن عباس نحو ذلك قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني ضعفا الآية. فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفرؤا من عدوهم وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجازلهم أن يتحوزوا عنهم الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألف فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم من مائتين وروى البخاري عن علي بن عبدالله عن سفيان به نحوه وقال محمد بن إسحق حدثني ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه في هذه الآية قال: كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم خفف الله عنهم فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فلا ينبغي لمائة أن يفرؤا العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. وروى البخاري من حديث ابن المبارك نحوه. وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس فقال الآن خفف الله عنكم إلى قوله يغلبوا مائتين قال خفف الله عنهم من

الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقيل منهم الفداء. 67 فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال إن الله قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم قال الإمام أحمد حدثنا علي بن هاشم عن حميد عن أنس رضي الله عنه

في قوله لولا كتاب من الله سبق يعني في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم. 68 وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق أي لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري رحمه الله وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عظيم. وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحدا شهد بدرا وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء يكون له أسرى فقرأ حتى بلغ عذاب عظيم. قال غنائم بدر قبل أن يحلها لهم يقول لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب رضي الله عنه ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلا فإله أعلم. وقال محمد بن إسحق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس ما كان لنبي أن أسارى يوم بدر إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموه واستمتعتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة وابن حبان في صحيحها من حديث الثوري به وهذا حديث غريب جدا وقال ابن عون عن عبيدة عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل على أن يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا رواه الترمذي والنسائي ولم يخرجاه وقال سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسلهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآية. قال الحاكم صحيح الإسناد وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه إسلامك قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فيهم فقال أبو بكر عشيرتك فإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فخذ فأخذه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب عمر أفاتهم فقال نعم فأتى عمر الأنصار فقال لهم أرسلوا العباس فقالوا لا والله لا نرسله فقال لهم عمر فإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى قالوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه. فقال له عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الأنصار قال وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه عليه وسلم نحوه. وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدركه من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل

تفسير ابن كثير

والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا سهيل بن بيضاء فأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يسرى له أسرى إلى آخر الآية. رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي معاوية عن الأعمش به رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيته في يوم أخوف من أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكافرين ديارا أنتم عالة فلا ينفكن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق قال ابن مسعود قلت: يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام فسكت قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال رب لا تذر على الأرض مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم وإن ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد ثم ألهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال: ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس: يأخذ بقول عمر وقال وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم نارا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستبتهم لعل الله أن يتوب عليهم وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك وقال الأعمش عن عمر بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال وأنزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

المشركين وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه. 69 رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل بني قريظة وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر أو بمن أسر من المسلمين كما فعل شعبة عن أبي العنيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة وقد استمر الحكم في حلالة طيبا الآية. فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء وقد روى الإمام أبو داود في سننه حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العنسي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا ولهذا قال تعالى فكلوا مما غنمتم لي الأرض مسجدا وطمورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة وقال الأعمش عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت أيضا أن المراد لولا كتاب من الله سبق لهذه الأمة بإحلال الغنائم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين عن غنمتم حلالة طيبا الآية. وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروى مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن البصري وقتادة والأعمش قال الله تعالى فكلوا ما

نحو هذا وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف اختصروا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحق. 7 ذلك ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروى العوفي عن ابن عباس غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه فامض يا رسول الله لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل فقال: فقد آمنا بك وصدقتك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد بن معاذ والله لكأننا إذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة الله عنه فقال فأحسن. ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله أمض لما أمرك الله به فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى فاهب بمسيرهم ليمنعوا غيرهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن. ثم قام عمر رضي سريعا إلى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بن عمرو الغفاري فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو من لقي من الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حربا وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار. ويسأل وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم. وقال هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم

تفسير ابن كثير

من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وقال محمد بن إسحق رحمه الله حدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم كقوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم بهم وينصركم عليهم. ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله غالبا على الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره وإن كان العباد حد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العير ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أي هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك إسناده جيد ولم يخرجوه ومعنى قوله تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي يحبون أن الطائفة التي لا بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناده العباس بن عبدالمطلب قال عبدالرزاق وهو أسير في وثاقه إنه لا يصلح لك. قال ولم؟ قال لأن الله عز وجل إنما وعدك رحمه الله حدثنا يحيى بن بكير وعبدالرزاق قالوا: حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من وقال الإمام أحمد

منها درهم وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقا بصيغة الجزم يقول: وقال إبراهيم بن طهمان ويسوقه وفي بعض السياقات أتم من هذا. 70 على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي عنه عجا من حرصه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي قال لا قال فإرفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له رسول الله صلى وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في مسجدي قال وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى حدثنا محمد بن عمام حدثنا حفص بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عبدالعزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى الصلاة فصلى. حديث آخر في ذلك قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله السعدي مما أخذ منا وما أدري ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماثلا على ذلك المال حتى ما بقي منه درهم وما بعث إلى أهله بدرهم يقول: وهو منطلق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا وما ندري ما يصنع في الأخرى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى الآية ثم قال هذا خير الله أرفع علي. قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكه أو نابه وقال له أعد من المال طائفة وقم بما تطيق قال ففعل وجعل العباس إلا فيضا وجاء العباس بن عبدالمطلب فحثا في خميصه عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول فنثرت على حصير ونودي بالصلاة. قال وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فمئل قائما على المال وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين ثمانين ألفا ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد. قال فأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي فكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضع لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شاكيا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية فأتاني أربعين عبدا وإني لأرجو المغفرة التي وعدنا الله عز وجل. فقال قتادة في تفسير هذه الآية: ذكر لنا أن رسول يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية لقد أعطاني الله عز وجل خصلتين ما أحب أن لي بهما الدنيا: أني أسرت أعطاني خيرا مما أخذ مني مائة ضعف وقال ويغفر لكم وأرجو أن يكون قد غفر لي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: كان العباس أسرا ويغفر لكم الشرك الذي كنتم عليه. قال فكان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وإن لي الدنيا فقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد رسول الله لننصحن لك على قومنا. فأنزل الله إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم إيمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أخذ منكم الخراساني عن ابن عباس يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى عباس وأصحابه قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت ونشهد أنك العباس بن عبدالمطلب يقول في نزلت والله حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي ثم ذكر نحو الحديث الذي قبله. وقال ابن جريج عن عطاء عبدا كلهم تاجر مالي في يده وقال ابن إسحق أيضا حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن جابر بن عبد الله ابن رباب قال: كان حتى يتخن في الأرض فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذت مني فأبى فأبدلني الله بها عشرين أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن إدريس عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال العباس في نزلت ما كان لنبي أن يكون له أسرى مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل وقد روى ابن إسحق أيضا عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم. وقال خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم قال العباس: فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدا كلهم في يده ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك فدى نفسه وابني أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى أن يعلم الله في قلوبكم لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا: وأم الفضل؟ فقلت لها إن أصبت في سفري هذا فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقتم قال والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا وعقيل بن أبي طالب بن عبد الله وحليف عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر قال ما ذاك عندي يا رسول الله قال فأين المال الذي دفنته أنت الله عليه وسلم الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب

تفسير ابن كثير

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا وقال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا والله لا تذرون منه درهما وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهري عن جماعة سماهم قالوا: بعثت قريش البخاري من حديث موسى بن عقبة قال ابن شهاب: حدثنا أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه. وسلم قال محمد بن إسحق وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس ابن عبدالمطلب وذلك أنه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهباً وفي صحيح أسير العباس رجل من الأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله مالك لا تنام؟ وقد التي قلت ولا أزال منها خائفا إلا أن يكفرها الله تعالى عني بشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا رضي الله عنه. وبه عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيوف؟ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك والله ما آمن من تلك الكلمة فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص قال عمر والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص أ يضرب وجه عم رسول الله فقال أبو حذيفة بن عتبة أنقتل آبءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرننا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه بالسيوف فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم أحدا منهم أي من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البخترى بن هشام فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر إني عرفت أن أناسا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي قال محمد بن إسحق: حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس

الخراساني عن ابن عباس: نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا لننصحن لك على قومنا وفسرها السدي على العموم وهو أشمل وأظهر والله أعلم. 71
عليه السلام أي عليم بفعله حكيم فيه قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركون وقال ابن جريج عن عطاء قبل أي وإن يريدوا خيانتك فيما أظهروا لك من الأقوال فقد خانوا الله من قبل أي من قبل بدر بالكفر به فأمكن منهم أي بالأسارى يوم بدر والله وقوله وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من

من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادنة إلى مدة فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنه. 72
هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فأنصروهم فإنه واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم في الدين إلا أن يستنصروكم على قوم عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم انفراد به مسلم وعنده زيادات أخر وقوله وإن استنصركم في الدين فعليكم النصر الآية يقول تعالى وإن استنصركم على المؤمنين ولا يكون لهم في الفياء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية. فإن أجابوا فاقبل منهم وكف ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري إليها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم إن فعلوا خيرا وقال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله إذا لقيت عدوكم من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال فأيتهم ما أجابوك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال. كما قال أحمد: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن يزيد بن الخصب الأسلمي من شيء حتى يهاجروا هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغان نصيب ولا لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم قرأ حمزة ولايتهم بالكسر والباقون بالفتح وهما واحد كالدلالة والدلالة حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن حذيفة قال: خيرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة ثم قال بين العلماء لا يختلفون في ذلك ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار وهذا أمر مجمع عليه من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وأحسن ما قيل في قوله ولا يجدون في الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون تجري من تحتها الأنهار الآية وقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية وقال تعالى للفقراء المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه فقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات والطلاق من قريش والعقاة من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود. وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين حدثنا عكرمة يعني ابن إبراهيم الأزدي حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون والأنصار والأنصار بعضهم أولياء بعض والطلاق من قريش والعقاة من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة تفرد به أحمد. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سفيان أحمد: حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير وهو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون بالمواريث. ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عنه وقال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد. قال الإمام ولهذا أوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك

تفسیر ابن کثیر

إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم أولياء بعض أي كل منهم أحق بالآخر من كل واحد خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك أووا ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين

المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس. الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل. 73

من ترضون خلقه ودينه فزوجه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ومعنى قوله إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير أي إن لم تتجنبوا من حديث عبد الحميد بن سليمان عن ابن عجلان عن أبي وثيمة النضري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاكم الله وإن كان فيه قال إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات وأخرجه أبو داود والترمذي من حديث حاتم بن إسماعيل به بنحوه ثم روى المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض قالوا يا رسول الله والمشرِك وسكن معه فإنه مثله وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن إسماعيل عن عبد الله بن هرمز عن محمد وسعيد ابني عبيد عن أبي حاتم أنبأنا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعيد بن سمرة بن جندب: أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جامع كل مسلم بين ظهرائي المشركين ثم قال لا يتراءى ناراهما وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد حدثنا محمد بن داود بن سفيان أخبرني يحيى بن حسان وإنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب وهذا مرسل من هذا الوجه وقد روي متصلا من وجه آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا بريء من محمد عن معمر عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث أهل ملتين شتى وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا من رواية أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت الحديث في الصحيحين عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين ولا يرث مسلم كافرا ولا كافر مسلما ثم قرأ مستدركه: حدثنا محمد بن صالح بن هانئ حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروي حدثنا محمد بن أبان حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين عن الزهري لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالة بينهم وبين الكفار كما قال الحاكم في

قال شريك فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبدالرحمن بن هلال عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله تفرد به أحمد من هذين الوجهين. 74
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء لبعض والطلاق من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة
وفي الحديث الآخر من أحب قوما فهو منهم وفي رواية حشر معهم. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال:
جاءوا من بعدهم الآية. وفي الحديث المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المرء مع من أحب
وتنوعه. ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال والسابقون الأولون الآية وقال والذين
بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه
لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما تقدم في أول السورة وأنه سبحانه سيجازيهم

في كتاب الله مسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا والله أعلم. آخر تفسير سورة الأنفال ولله الحمد والمنة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل. 75 بالاسم الخاص ومن لم يورثهم يحتاج بأدلة من أقواها حديث إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث قالوا فلو كان ذا حق لكان ذا فرض عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد على أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أولا وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام وأولاد الأخوات ونحوهم كما قد يزعمه بعضهم ويحتاج بالآية ويعتقد ذلك صريحا في المسألة بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القربات كما نص عليه ابن بقوله وأولوا الأرحام خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة الذي لا فرض لهم ولا هم عصبه بل يدلون بوارث كالخاله والخال والعمة وأولاد البنات وأما قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي في حكم الله وليس المراد

لا يوجد تفسير لهذه الآية 8

قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. 9 الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ والصواب رواية البخاري والله أعلم. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة انفرادًا بخارجة البخاري. وقد رواه بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقني عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقال البخاري: باب شهود الملائكة بدرًا. حدثنا إسحق بن علي الميموني قال فخر مستلقيا قال فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثني ابن عباس قال: بينا رجل من المسلمين يشترى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم

تفسير ابن كثير

وروى الإمام أبو جعفر ابن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن وليد الحنفي عن ابن عباس عن عمر الحديث المتقدم ثم قال أبو ابن عباس قال: وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة. في الميسرة. وهذا يقتضي إن صح إسناده أن الألف مردفة بمثلها ولهذا قرأ بعضهم مردفين بفتح الدال والله أعلم. والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة عن جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا حدثنا إسحق حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبدالعزيز بن عمران عن الربيعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي رضي الله عنه قال: نزل قال وراء كل ملك ملك. وفي رواية بهذا الإسناد مردفين قال: بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة وقال ابن جرير حدثني المثنى قال مجاهد وابن كثير القارئ وابن زيد مردفين ممدين وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يمددكم ربكم بألف من الملائكة مردفين متتابعين ويحتمل أن المراد مردفين لكم أي نجدة لكم كما قال العوفي عن ابن عباس مردفين يقول المدد كما تقول أنت للرجل زده كذا وكذا. وهكذا عن عبد الوهاب عن عبد المجيد الثقفي وقوله تعالى بألف من الملائكة مردفين أي يردف بعضهم بعضا كما قال هارون بن هبيرة عن ابن عباس مردفين أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر. ورواه النسائي عن بندار قوله. حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم قوم موسى فاذهب أنت وربك فقاتلا ولكتنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعني شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال ربكم فاستجاب لكم إلى قوله فإن الله شديد العقاب حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله: بعض مناشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك قال البخاري في كتاب المغازي باب قول الله تعالى إذ تستغيثون جريح وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح قال: لما كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد المناشدة يدعو فأتاه عمر بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس أن هذه الآية الكريمة قوله إذ تستغيثون ربكم في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال يزيد بن تبيع والسدي وابن وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به وصححه علي بن المديني والترمذي وقال لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار اليماني وهكذا روى علي بن مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير بأخذكم الفداء. ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله أو لما أصابتكم مما غنمتم حاللا طيبا فأحل لهم الغنائم. فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب الشجرة لشجرة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض إلى قوله فكلوا بكيت وإن لم أجد بكاء تابكيت لبكائكما. قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت والله رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكونوا فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا. واستشار فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه وسلم إلى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال اللهم حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح قراد

سورة 9

لكونه عصابة له كما سيأتي بيانه فقوله تعالى براءة من الله ورسوله أي هذه براءة أي تبرؤ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. 1 أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وأن ينادي في الناس براءة من الله ورسوله فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغا عن رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا على الحج تلك السنة ليقم للناس مناسكهم ويعلم المشركين السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم

تفسير ابن كثير

وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق أخر عن عوف الأعرابي به وقال الحاكم صحيح الأسناد ولم يخرجاه وأول هذه عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول. وكذا رواه الإمام أحمد وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت أنها قبض رسول الله صلى الله عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي يزيد الفارسي أخبرني ابن عباس قال: قلت لعثمان ابن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثني وقرنتم بينهما كما قال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن أبي جعفر وابن عدي وسهيل بن يوسف قالوا: حدثنا عوف عن أبي جميلة أخبرني لم يبسم في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام بل اقتدوا في ذلك بأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه. حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال: سمعت البراء يقول آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة وإنما هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال البخاري

قوله جبريل ميكائيل إسرافيل أنه يقول لا يرقبون الله والقول الأول أظهر وأشهر وعليه الأكثر. وعن مجاهد أيضا الإل العهد. وقال قتادة الإل الحلف. 10 لا يرقبون الله ولا غيره وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سليمان عن أبي مجلز في قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة مثل بن ثابت رضي الله عنه: وجدناهم كاذبا إليهم وذو الإل والعهد لا يكذب وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن إلا: قال الإل الله وفي رواية عن ابن عباس: الإل القرابة والذمة العهد وكذا قال الضحاك والسدي كما قال تميم بن مقبل: أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الإل وأعراق الرحم وقال حسان إنهم ساء ما كانوا يعلمون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوفي

ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون. 100 منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عن رضي الله عنه فيسبون من سبه الله ورسوله الله عنه فإن الطائفة المخدولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويغضونهم ويسبونهم. عياذا بالله من ذلك وهذا يدل على أن عقولهم منكوسة وقلوبهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي عطا علي والسابقون الأولون فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فيا ويل من أبغضهم من بعدهم الآية وفي الأنفال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم الآية ورواه ابن جرير قال وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤها برفع الأنصار يبلغها أحد بعدنا. فقال أبي تصديق هذه الآية هكذا؟ قال نعم. قال: وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم. قال لقد كنت أرى أنا رفعنا رفعة لا يقرأ هذه الآية والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ فقال أبي بن كعب. فقال لا تفارقني حتى أذهب بك إليه وقتادة هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي. مر عمر بن الخطاب برجل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن يخبر تعالى عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم المقيم قال الشعبي:

ممن يرى أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى عليه وإلا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أنهم أنا؟ قال لا ولا أو من منها أحدا بعدك. 101 الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى يفضي إلى صدره وستة يموتون موتا. وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسر إلى حذيفة بائني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيهم في القبور إذا صاروا إليها ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة والخلد فيه وقال سعيد عن قتادة في قوله سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا قال النار وقال محمد بن إسحق سنعذبهم مرتين قال هو فيما بلغني ما هم فيه من أمر الإسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حصة ثم عذابهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فهذه المصائب لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر وعذاب في الآخرة في النار ثم يردون إلى عذاب عظيم البصري عذاب في الدنيا وعذاب في القبر وقال عبد الرحمن بن زيد: أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد وقرأ قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وقال في رواية بالجوع وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم وقال ابن جريج عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم النار وقال الحسن من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر وكذا قال الثوري عن السدي عن أبي مالك نحو هذا وقال مجاهد في قوله سنعذبهم مرتين يعني القتل والسبي فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم قال ابن عباس فهذا العذاب الأول حين أخرجهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاخترأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبئوا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم فجاء عمر الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان إنك منافق واخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم فجاء بحفيظ وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لا تعلمهم نحن نعلمهم وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال: قام رسول قبلك قال في الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم

تفسير ابن كثير

الناس فلان في الجنة وفلان في النار فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمرى أنت بنصيبك أعلم منك بأحوال الناس ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الأنبياء وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبي بكر الباغندي عن هشام ابن عمار به وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في هذه الآية أنه قال ما بال أقوام يتكلفون علم الله: إنه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم أفلا أتيتك بهم؟ قال من أتانا استغفروا له ومن أصر فإله أولى به ولا تخرقن على أحد سترنا . قال الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل له لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحب من يحبني وصير أمره إلى خير. فقال يا رسول الله حرملة أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: الإيمان ههنا وأشار بيده إلى لسانه. والنفاق ههنا وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا فقال رسول أبي عمر البيروتي من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا بن جابر حدثني شيخ بيروت يكنى أبا عمر أظنه حدثني عن أبي الدرداء أن رجلا يقال بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقا وهذا تخصيص لا يقتضي أنه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كلهم والله أعلم وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم وتقدم في تفسير قوله وهموا بما لم ينالوا أنه صلى الله عليه وسلم أعلم حذيفة ثعلب وأصغى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال إن في أصحابي منافقين ومعناه أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في حجر كان يراه صباحا ومساء وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم عن رجل عن فيهم بصفات يعرفون بها لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وإن عتا وتجبر وقوله لا تعلمهم نحن نعلمهم لا ينافي قوله تعالى ولو نشاء لأريناكم فلعرفتم بسيماهم ولتعرفهم في لحن القول لأن هذا من باب التوسم المدينة منافقون وفي أهل المدينة أيضا منافقون مردوا على النفاق أي مرونا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد ومارد ويقال تمرد فلان على الله أي يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن في أحياء العرب ممن حول

كانوا شطر منهم حسن وشرط منهم قبيح فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم . هكذا رواه البخاري مختصرا في تفسير هذه الآية. 102 فقعدوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قالوا وأما القوم الذين أتيان فابتعثاني فانتهديا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقتنا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشرط كأقبح ما أنت راء قالوا لهم اذهبوا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أتاني الليلة الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال البخاري حدثنا معه وقيل وتسعة معه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة وخمسة معه وقيل وسبعة المخلطين المتلوثين وقد قال مجاهد إنها نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة إنه الذبح وأشار بيه إلى حلقه وقال ابن عباس وآخرون نزلت في أبي ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال وآخرون اعترفوا بذنوبهم أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكديبا وشكا شرع في بيان حال المذنبين

أبي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحديفة قال مسعر وقد ذكره مرة عن حذيفة إن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لتدرك الرجل وولده وولد ولده. 103 عمرو بن عتبة عن ابن لحديفة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابته ولده وولد ولده ثم رواه عن أبي نعيم عن مسعر عن وقار وقوله والله سميع أي لدعائك عليهم أي بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو العميس عن أبي بكر بن وقوله إن صلاتك سكن لهم قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرءوا إن صلاتك على الأفراد سكن لهم قال ابن عباس رحمة لهم وقال قتادة صل على آل أبي أوفى . وفي الحديث الآخر أن امرأة قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم صل علي وعلى زوجي فقال صلى الله عليك وعلى زوجك كما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفى قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأثاء أبي بصدقته فقال اللهم رواية عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لأقاتلهم على منعه وقوله وصل عليهم أي ادع لهم واستغفر لهم الصحابة وقتلهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق: والله لو منعوني عناقا وفي بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا بقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصا أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى

عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ففعل الرجل فقال معاوية رضي الله عنه لأن أكون أفئتيه بها أحب إلي من كل شيء أملكه أحسن الرجل. 104 نعم فقال اذهب إلى معاوية فقل له اقبل مني خمسك فادفع إليه عشرين دينارا وانظر إلى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فإن الله يقبل التوبة ليقبلها منه فأبى عليه فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع فمر بعبد الله ابن الشاعر السكسكي فقال له ما يبكيك؟ فذكر له أمره فقال له أو مطيعي أنت؟ فقال منه وقال: قد تفرق الناس ولن أقبلها منك حتى تأتي الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يأتي الصحابة فيقولون له مثل ذلك فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية

تفسير ابن كثير

زمان معاوية رضي الله عنه وعليهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل من المسلمين مائة دينار رومية. فلما قفل الجيش ندم وأتى الأمير فأبى أن يقبلها بن الشاعر السكسكي الدمشقي وأصله حمصي وكان أحد الفقهاء روى عن معاوية وغيره وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصي قال غزا الناس في أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات . وقد روى ابن عساكر في تاريخه في ترجمة عبدالله الثوري والأعمش كلاهما عن عبدالله بن السائب عن عبدالله بن أبي قتادة قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقوله يحق الله الربا ويربي الصدقات وقال الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتكون مثل أحد الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم كما قال الثوري وو كيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول إليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيريها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أحد كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات هذا تهيج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها وأخبر تعالى أن كل من تاب وقوله ألم يعلموا أن

بعده خيرا استعمله قبل موته قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه. 105 عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا وإن العبد لي عمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا وإذا أراد الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يخطئ له فإن العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقد ورد في الحديث شبيه بهذا قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وقال البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم فقل اعملوا فسيروا عن سمع أنسا يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وأن كان غير وعشائركم في قبورهم فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك وقال الإمام أحمد أنبأنا عبدالرزاق عن سفيان أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار عن الحسن بن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أعمالكم تعرض على أقربائكم صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كأنما ما كان وقد ورد: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ كما قال بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لو أن أحدكم يعمل في صخرة خافية وقال تعالى يوم تبلى السرائر وقال وحصل ما في الصدور وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهذا كائن لا محالة يوم القيامة كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم قال مجاهد: هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين أو أمره بأن أعمالهم

ولكن رحمته تغلب غضبه والله عليم حكيم أي عليم بمن يستحق العفو ممن يستحق العفو حكيم في أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب سواه. 106 رحبت الآية كما سيأتي في حديث كعب بن مالك وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم أي هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهي قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجى هؤلاء عن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا ونفاقا فكانت منهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد: هم الثلاثة الذين خلفوا أي عن التوبة وهم مرارة بن

ضرارا لمسجد قباء وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وهو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه الله. 107 بنوه إن أردنا إلا الحسنى أي ما أردنا بنياننا إلا خيرا ورفقا بالناس قال الله تعالى والله يشهد إنهم لكاذبون أي فيما قصدوا وفيما نواو وإنما بنوه وهم من بني ضبيعة وبجاد بن عمران وهو من بني ضبيعة ووديعه بن ثابت وموالي بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر. وقوله وليحلفن أي الذين بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة ونبتل الحارث وهم من بني ضبيعة ومخرج الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وموالي بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد مسجدا ضرارا وكفرا إلى آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا: خدام بن خالد من بني عبد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتردان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا وحرقاته فخرجوا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم. فقال مالك لمعن انظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ الله عليه مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عامر بن عدي أخا بني عجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدما إن شاء الله تعالى أتيناكم فصيلنا لكم فيه فلما نزل بني أو أن أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة واللبلة المطيرة واللبلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال إني على جناح سفر وحال شغل عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بني أو أن بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا

تفسیر ابن کثیر

العلماء وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمرو بن قتادة وغيرهم قالوا: أقبل رسول الله صلى الله لنا بالبركة فأنزل الله عز وجل لا تقم فيه أبداً إلى قوله الظالمين وكذا روي عن سعيد بن جبيرة ومجاهد وعروة بن الزبير وقاتدة وغير واحد من الروم وأخرج محمد وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعوهم أناس من الأنصار بنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فإنني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتي بجند فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس في أول يوم على التقوى. الصلاة فيه فقال إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض اليوم نزل أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى وتمرد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيداً طريداً فثأله هذه الدعوة وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا: لا نعلم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبوه عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رابعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه وتقدم أبو عامر في أمر المسلمين ما كان وامتنحهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفيين فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من مهاجرة إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج الراهب وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الزهري ولم يرو عنه سوى ابنه قلت وإنما ذكرته بهذا اللفظ لأنه مشهور بين الفقهاء ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين أوكلهم والله أعلم. 108

أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا نتبع الحجارة بالماء. رواه البزار ثم قال تفرد به محمد بن عبد العزيز عن بن محمد بن عبد العزيز قال: وجدته في كتاب أبي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون قال لأهل قباء قد أثنى الله عليكم في الطهور فماذا تصنعون؟ فقالوا نستنجي بالماء وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أحمد من الذنوب وقال الأعمش التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك وقد ورد في الحديث المروي من طرق في السنن وغيرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العباد ويعين على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها وقال أبو العالية في قوله تعالى والله يحب المطهرين إن الطهور بالماء لحسن ولكنهم المطهرون آخرين عن عبد الملك بن عمير عن شبيب أبي روح من ذي الكلاع أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فدل هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام فلما انصرف قال إنه يلبس علينا القرآن إن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء ثم رواه من طريقين شبيباً أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ الروم فيها فأوهم العالمين المحافظين على إسباغ الوضوء والتنزه عن ملابس القاذورات. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له وعلى استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين والعباد بن المسيب واختاره ابن جرير وقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين دليل الخراط به وقد قال بأنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد قال سمعت أباك يذكره رواه مسلم منفرداً به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن حاتم بن إسماعيل عن حميد في بيت لبعض نسائه فقلت: يا رسول الله أين المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال فأخذ كفاً من حصاء فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا ثم بن عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال إني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن أنيس قال أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد الخراط المدني سألت أبا سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال هو هذا المسجد لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في ذلك يعني مسجد قباء. طريق ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العمري هو مسجد قباء فأتيا طريق أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان رجل من بني خدره

تفسير ابن كثير

وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى وكذا رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن الليث وصححه الترمذي ورواه مسلم كما سيأتي. عن أبيه أنه قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا تفرد به أحمد. طريق أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا ليث حدثني عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا ليث عن عمران بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الخدري قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدى هذا تفرد به أحمد أيضا. حديث آخر قال سهل بن سعد الساعدي قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله الذي أسس على التقوى مسجدى هذا تفرد به أحمد. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأخرى ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى وهذا صحيح. ولا منافاة بين الآية وبين هذا لأنه إذا كان الزهري عن عروة بن الزبير وقاله عطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والشعبي والحسن البصري ونقله البغوي عن سعيد بن جبيرة وقتادة وقد ورد في مكتوبا عليهما في التوراة الاستنجاء بالماء. وقد صرح جماعة من السلف بأنه مسجد قباء رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قباء فقال إن الله عز وجل قد أثنى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني؟ يعني قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا فقالوا يا رسول الله إنا نجد مالك يعني ابن مغول سمعت سيارا أبا الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال: لقد قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط. حديث آخر قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حدثني محمد بن عمارة الأسدي حدثنا محمد بن سعد عن إبراهيم بن محمد عن شرحبيل بن سعد قال: سمعت خزيمة بن ثابت يقول: نزلت هذه الآية فيه قال لعويم بن ساعدة ما هذا الذي أثنى الله عليكم: فيه رجال يحبون أن يتطهروا؟ الآية قالوا يا رسول الله إنا نغسل الأديبار بالماء وقال ابن جرير: من الغائط فغسلنا كما غسلوا ورواه ابن خزيمة في صحيحه وقال هشيم عن عبد الحميد المدني عن إبراهيم بن المعلى الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطهور في قصة مسجدهم فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟ فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم حدثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة الأنصاري أنه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في ولا امرأة من الغائط إلا وغسل فرجه أو قال مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو أويس أن يتطهروا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عويم بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم؟ فقال يا رسول الله ما خرج منا رجل حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون الآية. رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث وهو ضعيف وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وقال الطبراني: حدثنا الحسن بن علي العمري عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه أعلم. وقال أبو داود: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بناه وأسس أول قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف كان جبريل هو الذي عين له جهة القبلة فآله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلاة في مسجد قباء كعمرة وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يزور مسجد قباء راكبا وماشيا تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله الصلاة بمسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى وهي طاعة الله وطاعة رسوله وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا وموثلا للإسلام وأهله ولهذا قال وقوله لا تقم فيه أبدا نهى صلى الله عليه وآله وسلم والأمة تبع له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي أبدا. ثم حثه على

بن ياسين الكوفي رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواه ابن جرير رحمه الله. 109 منه الدخان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج ذكر لنا أن رجلا حقروا فوجدوا الدخان الذي يخرج منه وكذا قال قتادة وقال خلف أي طرف حفيرة مثالة في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يصلح عمل المفسدين قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذي بنى ضاررا يخرج من الله ورضوان ومن بني مسجدا ضاررا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل فإنما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار يقول تعالى لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى

الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ثم قال البزار: آخر الحديث عندي والله أعلم فارقها وهو راض وباقية عندي من كلام الربيع بن أنس. 11 ذلك في كتاب الله فإن تابوا يقول فإن جعلوا الأوثان وعبادتها وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقال في آية أخرى فإن تابوا وأقاموا به وأقام الصلاة وآتوا الزكاة فارقها والله عنه راض وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس قال: سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته لا يشرك

تفسير ابن كثير

وكذا الآية التي بعدها فإن تابوا وأقاموا الصلاة إلى آخرها تقدمت وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المنثري حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والله عليم أي بأعمال خلقه حكيم في مجازتهم عنها من خير وشر. 110 قلوبهم كما أشرب عابدين العجل حبه وقوله إلا أن تقطع قلوبهم أي بموتهم. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والسدي وحبيب بن أبي ثابت وقوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أورثهم نفاقا في فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم أي فليستبشروا من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم. 111 عليهم أجمعين. وقوله ومن أوفى بعده من الله فإنه لا يخلف الميعاد. هذا كقوله ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قليلا ولهذا قال نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزل على موسى والإنجيل المنزل على عيسى والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه إلى منزله الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن تأكيد لهذا الوعد وإخبار بأنه قد كتبه على لهم الجنة. ولهذا جاء في الصحيحين وتكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسلي بأن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية وقوله يقتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون أي سواء قتلوا أو قتلوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت به شيئا واشترط لنفسه أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت عبدالله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا بيعة وفي بها أو مات عليها ثم تلا هذه الآية. ولهذا يقال من حمل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد ووفى به. وقال محمد بن كعب القرظي وغيره قال بما تفضل به على عبيده المطيعين له. ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأعلى ثمنهم. وقال شمر بن عطية ما من مسلم إلا وله عز وجل في عنقه يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض عما يملكه الله قال القائلون بطاعة الله وكذا قال الحسن البصري وعنه رواية الحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وفي رواية القائلون على أمر الله. 112 مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وقال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله والحافظون لحدود إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكون خير حاتم وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض والتفرد في شواهد الجبال والكهوف والبراري فإن هذا ليس بمشروع الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف وعن عكرمة أنه قال: ثم طلبة العلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المهاجرون. رواهما ابن أبي وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة. أخبرني عمارة بن غزية إن السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدلنا داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون وهذا مرسل جيد وهذا أصح الأقوال وأشهرها وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد وهو ما روى أبو هم الصائمون وهذا الموقوف أصح وقال أيضا: حدثني يونس عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن حديثي محمد بن بزيع حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون الصائمون شهر رمضان وقال أبو عمرو العبدى السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا وقال ابن جرير: وسعيد بن جبيرة وعطاء وعبد الرحمن السلمي والضحاك بن مزاحم وسفيان بن عينة وغيرهم أن المراد بالسائحين الصائمون وقال الحسن البصري السائحون أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا إبراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام وهكذا قال مجاهد عن ابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك رحمه الله وقال ابن جرير: حدثنا أن المراد بالسياحة الصيام قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال السائحون الصائمون وكذا روي عن سعيد بن جبيرة والعوفي وتحريمه علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال وبشر المؤمنين لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به. بيان ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى سائحات أي صائحات وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع ومن أفضل الأعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة ههنا ولهذا قال السائحون كما وصف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التاركون للفواحش العابدون أي القائلون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي الأقوال والأفعال. فمن أخص الأقوال الحمد فهذا قال الحامدون هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة التائبون من الذنوب

مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان ربي حفيّا فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى إن إبراهيم لأواه حليم. 113 كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وأناله مكروها ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني وأولى الأقوال قول من قال إنه الدعاء وهو المناسب للسياق وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياها وقد كان إبراهيم إن إبراهيم لأواه قال كان إذا ذكر النار قال أوه من النار وقال ابن جرير عن ابن عباس إن إبراهيم لأواه قال فقيه. قال الإمام أبو جعفر بن جرير ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح. هذا حديث غريب رواه ابن جرير. وروى عن كعب الأحبار أنه قال: سمعت

تفسير ابن كثير

قاصا يحدث عن أبي ذر قال: كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه أواه قال فخرجت عليه وسلم دفن ميتا فقال رحمك الله إن كنت لأواها يعني تلاء للقرآن وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة وكان أصله روميا وكان وسلم فقال إنه أواه وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن هانيء حدثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن حجاج عن الحكيم عن الحسن بن مسلم بن بيان أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم الأواه الذي إذا ذكر خطاياهم استغفر منها وعن مجاهد الأواه الحفيظ الوجمل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه الله وقال ابن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: المحافظ على سبحة الضحى الأواه وقال شفي بن ماعة عن أبي أيوب إنه أواه وذلك أنه رجل كان إذا ذكر الله في القرآن رفع صوته بالدعاء ورواه ابن جرير وقال سعيد بن جبير والشعبي الأواه المسيح وقال ابن وهب عن حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو النجادين زاد علي بن أبي طلحة عنه هو المؤمن التواب وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة وكذا قال ابن جرير هو المؤمن بلسان الحبشة. وقال الإمام أحمد الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي عن ابن عباس أنه الموقن وكذا قال مجاهد والضحاك وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الأواه وأبو ميسرة عمر بن شرحبيل والحسن البصري وقتادة وغيرهما إنه أي الرحيم أي بعباد الله وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الأواه قال الأواه المتضرع الدعاء وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطيين عن أبي الغدير أنه سأل ابن مسعود عن الأواه فقال هو الرحيم وبه قال مجاهد يا رسول الله ما الأواه؟ قال المتضرع قال إن إبراهيم لأواه حلیم . ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولفظه الحجاج بن منهال حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل عن عاصم بن بهدلة عن زرین حبیب عن عبد الله بن مسعود أنه قال الأواه الدعاء. وكذا روي من غير وجه عن ابن مسعود وقال ابن جرير حدثني المشني حدثنا إلى ما وراءك فإذا هو بذخ متلطخ أي: قد مسخ ضبعا ثم يسحب بقوائمه ويلقى في النار. وقوله إن إبراهيم الأواه حلیم قال سفيان الثوري وغير واحد فيقول يا إبراهيم إني كنت أعصيك وإني اليوم لا أعصيك فيقول أي رب ألم تعدني أن لا تخزني يوم يبعثون؟ فأخزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقال انظر قال مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم رحمهم الله وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبير أنه يتبرأ منه يوم القيامة حين يلقي أباه وعلى وجه أبيه القنطرة والغبرة له أنه عدو لله تبرأ منه قال ابن عباس ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وفي رواية لما مات تبين له أنه عدو لله وكذا عصمة بن وامل عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لأبيه هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا. قال إن أبي مات مشركا وقوله فلما تبين الله حجب الصلاة إلا عن المشركين يقول الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية. وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه عن أبي طالب قال وصلتكم رحم يا عم وقال عطاء بن أبي رباح: ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لأنني لم أسمع إن عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني فذكر تمام الحديث وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه إبراهيم لأبيه إلى قوله تبرأ منه لم يدع. وشهد له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره عن علي رضي الله عنه لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فكان ينبغي له أن يمشي منه ويدفنه ويدعوا بالصلاح ما دام حيا فإذا مات وكله إلى شأنه ثم قال وما كان استغفار له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله علي كفاف . وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم الله عليه وآله وسلم قال قد أوحى الله إلي كلمات فدخلن في أذني ووقرن في قلبي: أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ماله فهو خير للمشركين حتى بلغ قوله الجحيم ثم عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية. قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل والله إنني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه. فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا يا نبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر عن الاستغفار لمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية. وقال قتادة في الآية ذكر لنا أن إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فأمسكوا وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال إن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لأبيه فأنزل الله وما كان استغفار فإذا صح فلا مانع منه والله أعلم. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية. أن النبي صلى الله عليه وسلم الشمس قال القرطبي فليس إحياءهما يمتنع عقلا ولا شرعا قال وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فأمن به قلت وهذا كله متوقف على صحة الحديث ابن دحية في هذا الاستدلال بما حاصله أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيوبتها وصلى علي العصر قال الطحاوي وهو حديث ثابت يعني حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت وكذلك ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون: أن الله أحيا له أباه وأمه فأمن به. وقد قال الحافظ لهم وهذا حديث غريب وسياق عجيب وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث الله عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت كداء وكانت عسفاث اثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين: دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه فرحمتهما وهي أمتي أرفع عن أمتي أربعا فرفع عنهم

تفسير ابن كثير

أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيت ثم جاءني جبريل فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة فقال ما يبكيكم؟ قالوا يا نبي الله بكينا لبكائك فقلنا لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه قال لا وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت الله ثم إنه بكى فاشتد بكأؤه وبكى هؤلاء لبكائه وقالوا ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث الله في أمته شيئا لا تطيقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم لما قفل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه ف ناجى ربه طويلا علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية. فأخذني ما يأخذ الولد للوالد. وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة حديث آخر في معناه قال الطبراني: حدثنا محمد بن ثم أوردته من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريبا. وفيه وإنني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم؟ فقلنا بكينا لبكائك. قال إن القبر الذي جلست عنده قبر أمانة وإنني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام إليه يومئذ. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا خالد بن خدش حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن جريج عن أيوب بن هانيء عن مسروق عن عبد الله بن فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت. قال إنني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رأيي باكي أكثر من من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا. وروى ابن جرير في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عينا رحمة لها من النار وإنني كنت نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم وقال: يا رسول الله ما لك؟ قال إنني سألت ربي عز وجل زبيد بن الحارث الياامي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب أو قاله إسرائيل أو هو في الحديث لما مات قلت هذا ثابت عن مجاهد أنه قال: لما مات. وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا إبراهيم لأبيه؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية. قال لما مات فلا أدري قاله سفيان إسحاق عن أبي الخليل عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رجلا يستغفر لأبيه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لأبيه وهما مشركان؟ فقال أو لم يستغفر الجحيم قال ونزلت فيه إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه. وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا سفيان عن أبي وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عني فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب بها عند الله عز وجل. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وآله عليه أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن

مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان ربي حفيا فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى إن إبراهيم لأواه حليم. 114 كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وأناله مكروها ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني وأولى الأقوال قول من قال إنه الدعاء وهو المناسب للسياق وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياها وقد كان إبراهيم إن إبراهيم لأواه قال كان إذا ذكر النار قال أوه من النار وقال ابن جرير عن ابن عباس إن إبراهيم لأواه قال فقيه. قال الإمام أبو جعفر بن جرير ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح. هذا حديث غريب رواه ابن جريج. وروى عن كعب الأحبار أنه قال: سمعت قاصا يحدث عن أبي ذر قال: كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه أواه قال فخرجت عليه وسلم دفن ميتا فقال رحمك الله إن كنت لأواه يعني تلاء للقرآن وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة وكان أصله روميا وكان وسلم فقال إنه أواه وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن هانيء حدثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله عليه جبرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن حجاج عن الحكيم عن الحسن بن مسلم بن بيان أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله عليه الأواه الذي إذا ذكر خطاياهم استغفر منها وعن مجاهد الأواه الحفيظ الوجلي يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه الله. وقال ابن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: المحافظ على سبحة الضحى الأواه وقال شفي بن ماعة عن أبي أيوب إنه أواه وذلك أنه رجل كان إذا ذكر الله في القرآن رفع صوته بالدعاء ورواه ابن جرير وقال سعيد بن جبيرة والشعبي الأواه المسيب وقال ابن وهب عن حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو النجادين زاد علي بن أبي طلحة عنه هو المؤمن التواب وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة وكذا قال ابن جريج هو المؤمن بلسان الحبشة. وقال الإمام أحمد الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي عن ابن عباس أنه الموقن وكذا قال مجاهد والضحاك وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الأواه وأبو ميسرة عمر بن شريحيل والحسن البصري وقتادة وغيرهما إنه أي الرحيم أي بعباد الله وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الأواه قال الأواه المتضرع الدعاء وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي الغدير أنه سأل ابن مسعود عن الأواه فقال هو الرحيم وبه قال مجاهد

تفسير ابن كثير

الله عليه وسلم ما الأواه؟ قال المتضرع قال إن إبراهيم لأواه حليم . ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولفظه حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل يا رسول الله صلى عن زرير حبيش عن عبد الله بن مسعود أنه قال الأواه الدعاء . وكذا روى من غير وجه عن ابن مسعود وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا الحجاج بن منهال هو بذيق متلطخ أي: قد مسخ ضبعا ثم يسحب بقوائمه ويلقى في النار. وقوله إن إبراهيم الأواه حليم قال سفيان الثوري وغير واحد عن عاصم بن بهدلة إنني كنت أعصيك وإني اليوم لا أعصيك فيقول أي رب ألم تعدني أن لا تخزني يوم يبعثون؟ فأخزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقال انظر إلى ما وراءك فإذا وقتادة وغيرهم رحمهم الله وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جببر إنه يتبرأ منه يوم القيامة حين يلقي أباه وعلى وجه أبيه القفرة والغبرة فيقول يا إبراهيم قال ابن عباس ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وفي رواية لما مات تبين له أنه عدو لله وكذا قال مجاهد والضحاك أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا. قال إن أبي مات مشركا وقوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه عن المشركين يقول الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية. وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه عن عصمة بن وامل عن رحم يا عم وقال عطاء بن أبي رباح: ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لأنني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا مات قال اذهب فواره ولا تحدث شيئا حتى تأتيني فذكر تمام الحديث وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال وصلتكم لم يدع. وشهد له بالصحّة ما رواه أبو داود وغيره عن علي رضي الله عنه لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عمك الشيخ الضال قد فكان ينبغي له أن يمشي منه ويدفنه ويدعوا بالصلاح ما دام حيا فإذا مات وكله إلى شأنه ثم قال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلى قوله تبرأ منه علي كفاف . وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جببر عن ابن عباس قال: مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال الله إلي كلمات فدخلن في أذني ووقرن في قلبي: أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ما له فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله ثم عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية. قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قد أوحى وسلم بل والله إنني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه . فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين حتى بلغ قوله الجحيم وآله وسلم قالوا يا نبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي صلى الله عليه يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية. وقال قتادة في الآية ذكر لنا أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وآله عليه إياه الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فأمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن الله عز وجل عن ذلك فقال إن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لأبيه فأنزل الله . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية. أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه يمتنع عقلا ولا شرعا قال وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فأمن به قلت وهذا كله متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه والله أعلم. أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيوبتها وصلى علي العصر قال الطحاوي وهو حديث ثابت يعني حديث الشمس قال القرطبي فليس إحياءهما وكذلك ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون: إن الله أحيا له أباه وأمه فأما به. وقد قال الحافظ ابن دحية في هذا الاستدلال بما حاصله وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت من الأرض وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت كداء وكانت عسفان لهم وهذا حديث غريب وسياق عجيب دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع الله عنهم الرجم من السماء والفرق تبرأ منه . ففبرا أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه فرحمتها وهي أمي ودعوت ربي أن يرفع عن أمي أربعا فرفع عنهم اثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين: فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيت ثم جاءني جبريل فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله الله بكينا لبكائه فقلنا لعله أحدث في أمك شيء لا تطيقه قال لا وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة هؤلاء لبكائه وقالوا ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث الله في أمته شيئا لا تطيقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم فقال ما يبكيكم؟ قالوا يا نبي هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلا ثم إنه بكى فاشتد بكأوه وبكى العزيز بن منيب حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة تبوك واعتمر فلما وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة . حديث آخر في معناه قال الطبراني: حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد حديث ابن مسعود قريبا. وفيه وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا الآية. فأخذني ما يأخذ الولد للوالد. ما أبكاكم؟ فقلنا بكينا لبكائك. قال إن القبر الذي جلست عنده قبر أمته وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي ثم أوردته من وجه آخر ثم ذكر من عليه وسلم يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال حدثنا أبي حدثنا خالد بن خدّاش حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن جريج عن أيوب بن هانيء عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رني باكيا أكثر من يومئذ. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه فخطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا رأينا ما صنعت.

تفسير ابن كثير

ونهيتمكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا . وروى ابن جرير من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن لها من النار وإني كنت نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم وقال: يا رسول الله مالك؟ قال إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عييتي رحمة بريدة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان هذا ثابت عن مجاهد أنه قال: لما مات. وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا زبيد بن الحارث الياامي عن محارب بن دثار عن ابن فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية. قال لما مات فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل أو هو في الحديث لما مات قلت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان؟ فقال أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه. وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي رضي الله عنه قال: سمعت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم قال ونزلت فيه إنك لا تهدي من أحببت أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي

بالضلال فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي وأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا أو عاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه. 115 للإيمان به وبرسوله حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا فأما قبل أن يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم تضيعوا نهيه إلى ما نهاكم عنه فإنه لا يحكم عليكم عامة فافعلوا أو ذروا: وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم الآية. قال بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه لهم في معصيته وطاعته إنه لا يضل قوما إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى فأما ثمود فهديناهم الآية وقال مجاهد في قوله تعالى يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل

إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مخه مسيرة مائة عام. 116 إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تنط ما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم وقال كعب الأحبار ما من موضع خرمة إبرة من الأرض قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه إذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سواه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر وأنهم يثقوا بنصر الله مالك السموات والأرض ولم يرهبوا من أعدائه فإنه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير وقوله تعالى إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى

المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه إنه بهم رءوف رحيم . 117 أي من النفقة والطهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم أي عن الحق ويشك في دين الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتاب للذي نالهم من ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر وقال ابن جرير في قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وسلم إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فقال تحب ذلك؟ قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سألت السماء فأهطلت ثم سكنت فملئوا حتى يظن أن رقبته ستقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرته فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع بن أبي عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقفلهم من غزوتهم وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان نفر يتداولون التمرة بينهم يمشيها هذا ثم يشرب عليها ثم يمشيها هذا ثم يشرب عليها فتأب الأمر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء قال قتادة خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد ما أصابهم فيها جهد قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من

الله عليه وآله وسلم في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم. 118 فسددت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحو من خمسين ليلة بأيامها وضائق عليهم أنفسهم وضائق عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها الصواب وقوله فسموا رجلين شهدا بدرا قيل إنه خطأ من الزهري فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرا والله أعلم. ولما ذكر تعالى ما فرج به عن مرارة بن ربيعة وكذا في مسلم بن ربيعة في بعض نسخه وفي بعضها مرارة بن الربيع وفي رواية عن الضحاك مرارة بن الربيع كما وقع في الصحيحين وهو الذين خلفوا قال هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار وكذا قال مجاهد والضحاك وقاتدة والسدي وغير واحد وكلهم قال

تفسير ابن كثير

بأحسن الوجوه وأبسطها وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى وعلى الثلاثة هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحب الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخليفه إيانا وإرجاءه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخليفنا عن الغزو وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال الله عز كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكنا أيها الثلاثة الذين خلفنا عن أمر أولئك الذين قبل حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله تعالى قال للذين كذبوه إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين إلى آخر الآيات. قال كعب فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي. قال أحدث إلا صدقا ما بقيت قال فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن مما قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قال فقلت فإني أمسك سهمي الذي بخبير وقلت يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله مر عليك منذ ولدتك أمك قال: قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال لا بل من عند الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس حوله فقام إلي طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين وانطلقت أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بتوبة الله يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته له والله ما أملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبيين فلبستهما الله علينا حين صلى الفجر ذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت بأعلى صوته: أبشر يا كعب بن مالك قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول إذا استأذنته وأنا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت أدن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال: فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شيء وإنه والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال: فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلالا شيخ ضعيف ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال لا ولكن لا يقربك قالت وإنه والله ما به من حركة إلى صاحبي بمثل ذلك قال: فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني يقول يأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتزل امرأتك قال: فقلت أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: بل اعتزلها ولا تقر بها قال وأرسل نواصك. قال: فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء قال فتيممت به التنور فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبها فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك وأن الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضیعة فالحق بنا فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له إلي الله ورسوله قال فسكت قال فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله أعلم. قال ففاضت عينا وتوليت حتى تسورت الجدار حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت له يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسي أحرك شفتيه برد السلام علي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيبوا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي فقال ونهى رسول الله أرجع فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي معي هذا أحد؟ قالوا نعم لقيه معك رجلان قال ما مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت فمن هما؟ قالوا مرارة الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن فقمتم وقام إلي رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت إلا أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى

تفسیر ابن کثیر

لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله عليك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه إني لأرجو عقبي ذلك من الله عز وجل والله ما كان ظهرا؟ فقلت يا رسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك تعالى حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي تعال فجيئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد اشتريت وطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله فأجمعت صدقه فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ف صلى ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون غدا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادما زاح عني الباطل وعرفت أنني لم أنج منه بشيء أبدا قال كعب بن مالك فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضر بذي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه الله عليه وسلم برده والنظر في عطفه فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة حبسه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذره الله عز وجل ولم يذكرني رسول ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفرط الغزو فهممت أن ارتحل فألحقهم وليت أني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذا خرجت معه ولم أقض من جهازي شيئا وقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فغدوت بعدما صلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت شيئا فأقول لنفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون طابت الثمار والظلال وأنا إليها أصغر فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض من جهازي قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان يغزوها إلا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعدوا كثيرا فخلى للمسلمين مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقتا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد غزاها قط إلا في غزاة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال كعب بن مالك لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بن مسلم الزهري أخبرني عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بني حنيفة حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبدالله عن عمه محمد

وقال الضحاك مع أبي بكر وعمر وأصحابهما وقال الحسن البصري إن أردت أن تكون مع الصادقين فليكن بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة. 119
قرأها ثم قال: فهل تجدون لأحد فيه رخصة؟ وعن عبدالله بن عمر في قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرأوا إن شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هكذا
يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا أخرجاه في الصحيحين وقال شعبة عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث
إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور
أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبدالله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي
الله وكونوا مع الصادقين أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجاً وقد قال الإمام أحمد: حدثنا
ولهذا قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا

منهم بالسيف فوالله لأن أقتل رجلا منهم أحب إلي من أن أقتل سبعين من غيرهم وذلك بأن الله يقول فقاتلوا أئمة الكفر رواه ابن أبي حاتم. 12

بن جبير بن نفيير أنه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى الناس حين وجههم إلى الشام قال إنكم ستجدون قوما مجوفة رؤوسهم فاضربوا معاقد الشيطان والصحيح أن الآية عامة وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم وقال الوليد بن مسلم: حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن أئمة الكفر رواه ابن مردويه وقال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال: ما قاتل أهل هذه الآية بعد وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله رجلا وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: مر سعيد بن أبي وقاص برجل من الخوارج فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر فقال سعد: كذبت بل أنا قاتلت إيمان لهم لعلمهم ينتهون أي يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال وقد قال قتادة وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل وعتبة وشيبة وأممية بن خلف وعدد وانتقصوه ومن ههنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص ولهذا قال: فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا يقول تعالى وإن نكت هؤلاء المشركين الذين عاهدتموهم على مدة معينة أي عهدهم ومواثيقهم وطعنوا في دينكم أي عابوه

تفسير ابن كثير

تحت قدرهم وإنما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالا صالحة وثوابا جزيلًا إن الله لا يضيع أجر المحسنين كقوله إنا لانضيع أجر من أحسن عملا . 120
ولا يطنون موطنًا يغيب الكفار أي ينزلون منزلا يرهب عدوهم ولا ينالون منه ظفرا وغلبة عليه إلا كتب لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلية
فيما حصل له من المشقة فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر لأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو العطش ولا نصب وهو التعب ولا مخمصة وهي المجاعة
يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته
يردها مرارا وقال قتادة في قوله تعالى ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم الآية ما ازداد قوم في سبيل الله بعدا من أهلهم إلا ازدادوا قربا من الله. 121
العسرة قال فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقلبها بيده ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم
سمرة عن عبدالرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش
ما عمل بعد هذا وقال عبدالله أيضا حدثنا هارون بن معروف حدثنا حمزة حدثنا عبدالله بن شاذب عن عبدالله بن القاسم عن كثير مولى عبدالرحمن بن
علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيده هكذا يحركها. وأخرج عبدالصمد يده كالمتعجب ما على عثمان
علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها قال: ثم حث فقال عثمان علي مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان
بن أبي طلحة عن عبدالرحمن بن حباب السلمي قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه
كما قال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثنا أبو موسى الغنوي حدثنا عبدالصمد بن عبدالوارث حدثني سليمان بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هاشم عن فرقد
لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة
أي في السير إلى الأعداء إلا كتب لهم ولم يقل ههنا به لأن هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وقد حصل
يقول تعالى: ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة أي قليلا ولا كثيرا ولا يقطعون واديا

شديد وقال الحسن البصري في الآية: ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. 122
وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ونزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب
البو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم فأنزل الله عز
النار ويبشرونهم بالجنة وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وما كان لأهل المدينة الآية قال المنافقون هلك أصحاب
منا وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمّه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرهم قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم
عليهم قال: فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا إن من أسلم فهو
وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله؟ وأخبرنا بما تأمر به عشائركم إذا قدمنا
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم الآية وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر رسوله أنهم ليسوا بمؤمنين فردهم رسول الله إلى عشائركم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله
مضر بالسنين أجديت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلو بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله
بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس في الآية قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبي الله صلى الله عليه وسلم قاعد ولكن إذا قعد نبي الله فسرت السرايا وقعد معه معظم الناس. وقال علي
في الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول إذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني
أصحابه القاعدين معه فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرئونهم ويفقهونهم
إلا أهل الأعداء وكان إذا قام وأسرى السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه وكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن وتلاه نبي الله صلى الله عليه وسلم على
تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم وقال الضحاك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه
صلى الله عليه وسلم الجيوش أمرهم الله أن يغزو بنبيه صلى الله عليه وسلم وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه في الدين وتنطلق طائفة
ما في الناس وما أنزل الله فعذرهم ولينذروا قومهم الناس كلهم إذا رجعوا إليهم لعلمهم يحذرون وقال قتادة في الآية هذا إذا بعث رسول الله
كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يبغون الخير ليتفقهوا في الدين وليستمعوا
به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا لوجدوا في أنفسهم من ذلك تخرجوا وأقبلوا من البادية
وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون
بنبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلمهم يحذرون
أنزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا ليتعلموا ما أنزل الله على
ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يسيروا إلا بإذنه فإذا رجعت السرايا وقد
فإنه فرض كفاية على الأحياء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفروا جميعا
رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو فيجتمع لهم الأمران في هذا التفسير المعين وبعده صلى الله عليه وسلم تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه وإما للجهاد

تفسير ابن كثير

بيان لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم إذا عليه وسلم ولهذا قال تعالى انقروا خفافا وثقالا وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب الآية قال فنسخ ذلك بهذه الآية وقد يقال إن هذا الأحياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فإنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله صلى الله هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نفير

وبقدر ما فيه من ولاية الله والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم. 123
الإسلام ولله الأمر من قبل ومن بعد فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه إليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم. القتال يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه وقوله واعلموا أن الله مع المتقين أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا الكفار رحماء بينهم وقال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا الضحوك الكافر كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على تعالى وليجدوا فيكم غلظة أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه مآربها وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقوله الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة. فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار فكسى الإسلام رئاسة حلة سابغة وامتدت الدعوة في سائر وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا وقربا. ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي. ثم لما مات شهيدا. وقد عاش حميدا أجمع الصحابة شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين وقمع الطغاة والمنافقين واستولى على الممالك شرقا وغربا. وقيصر ومن أطاعهما من العباد وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولى عهده الفاروق الأواب عن الرسول ما حمله ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان وإلى الفرس عبدة النيران ففتح الله ببركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى الله تعالى به فوطد القواعد وثبت الدعائم ورد شارد الدين وهو راغم ورد أهل الردة إلى الإسلام وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغاة وبين الحق لمن جهله. وأدى بأحد وثمانين يوما فاختره الله لما عنده وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد مال الدين ميلة كاد أن ينحفل فثبته البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام. ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجذب واليامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب إلى حوزة الإسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا الأقرب فالأقرب

الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء. بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك. 124
يقول أيكم زادته هذه إيمانا أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وهذه يقول تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمن المنافقين من

بعيد وهذا من جملة شقائهم أن ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالتهم ودمارهم كما أن سيء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالا ونقصا. 125
ونزل من القرآن ما هو شفاء الآية وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان في أول شرح البخاري رحمه الله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي زادتهم شكا إلى شكهم وربيا إلى ريبهم كما قال تعالى وقد بسطت الكلام على هذه المسألة

وفي الحديث عن أنس: لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد الناس إلا شحا وما من عام إلا والذي بعده شر منه. سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم. 126
في قوله أو لا يرون أنكم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين قال كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير رواه ابن جرير. من أحوالهم قال مجاهد: يختبرون بالسنة والجوع. وقال قتادة: بالغزو في السنة مرة أو مرتين. وقال شريك عن جابر عن الجعفي عن أبي الضحى عن حذيفة أنهم يفتنون أي يختبرون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون أي لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل يقول تعالى أو لا يرى هؤلاء المنافقون

بأنهم قوم لا يفقهون أي لا يفهمون عن الله خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم في شغل عنه ونفور منه فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه. 127

تفسير ابن كثير

أي ما لهؤلاء القوم يتفللون عنك يميناً وشمالاً هربوا من الحق وذهاباً إلى الباطل وقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم كقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وقوله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أي تلفتوا هل يراكم من أحد ثم انصرفوا أي تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون هذا أيضاً إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم إلى بعض وقوله وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا

بالمؤمنين رءوف رحيم كقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم . 128 حيث قال ما قال لدخل النار رواه البزار ثم قال لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه قلت وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم وقوله خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإنني لو أطعتم النبي صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا. فقال لهم صاحب الناقة فسألنا فأعطيناه فقال ما قال وإنما قد دعونا فأعطيناه فزعم أنه قد رضي كذلك يا أعرابي؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم فقال نعم. فلما جاء الأعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صاحبكم كان جاءك الله من أهل وعشيرة خيراً. قال النبي صلى الله عليه وسلم إنك جئتنا فسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت إلى البيت فقال إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً وقال أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي نعم فجزاك المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أن كفوا فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي في شيء قال عكرمة: أراه قال في دم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ثم قال أحسنت إليك؟ قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض منصور قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة بلى صدق والله لنتبعه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه. وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن لهم: ألم ألكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ فقالوا بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه أرايتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواءاً فأنطلق بهم فأوردتهم رياضاً معشبة وحياضاً رواءاً فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال: أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه. فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال: إن مثله ومثل الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ألا وإنني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو الذباب وقال النار إلا وقد بين لكم وقال الإمام أحمد: حدثنا قطن حدثنا المسعودي عن الحسن بن سعيد عن عبدة الهذلي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن قطن عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال: تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه حريص عليكم أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم وقال الطبراني: حدثنا محمد أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال بعثت بالحنيفية السمحة وفي الصحيح إن الدين يسر وشريعته كلها سهلة من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يمسن من سفاح الجاهلية شيء وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم أي يعز عليه الشيء الذي يعنت محمد بن جعفر بن محمد قال: أشهد على أبي لحدثني عن أبيه عن جده عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الزاهرزمي في كتابه الفاصل بين الراوي والواعي. حدثنا ابن أحمد يوسف بن هارون بن زياد حدثنا ابن أبي عمر حدثنا قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وقد وصل هذا من وجه آخر كما قال الحافظ وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وذكر الحديث. وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم

عبد الله بن عبد الرزاق عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة وهذا منكر والله أعلم. آخر تفسير سورة براءة ولله الحمد والمنة. 129 وهو رب العرش العظيم سبع مرات صادقا كان بها أو كاذبا إلا كفاه الله ما أهمه وهذه زيادة غريبة ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد عن أحمد بن سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول ما من عبد يقول حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمة وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عبد الرزاق عن عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه عن أبي بن سعد قال يزيد شيخ ثقة عن يونس بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت

تفسير ابن كثير

بن ثابت حين ابتدأهم بها والله أعلم. وقد روى أبو داود عن يزيد بن محمد عن عبدالرزاق بن عمر وقال كان من ثقات المسلمين من المتعبدین عن مدرک فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمه بن ثابت أو أبي خزيمه وقد قدما أن جماعة من الصحابة تذكروا ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال خزيمه هو الذي أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنهم بجمع القرآن فأمر زيد بن ثابت فجمعهم وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك. وفي الصحيح أن زيدا قال ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها فوضعوها في آخر براءة وقد تقدم الكلام أن عمر بن الخطاب لا أدري والله إنني لأشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووعيتها وحفظتها فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قال أتى الحارث بن خزيمه بهاتين الآيتين من آخر براءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال من معك على هذا؟ قال وهذا غريب أيضا وقال أحمد: حدثنا علي بن بحر حدثنا علي بن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن الزبير رضي الله هذا آخر ما نزل من القرآن ففتح به بالله الذي لا إله إلا هو وهو قول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقراني بعدها آيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة قال رضي الله عنه فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الآية فظنوا أن هذا عمر بن شقيق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنهم أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر قال: آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة. وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن حدثنا قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي حدثنا بشر بن عمر حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب السموات والأرضين وما بينهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدره الله تعالى وعلمه محيط بكل شيء وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل لا إله إلا هو فاتخذة وكيفا وهو رب العرش العظيم أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة فقل حسبني الله لا إله إلا هو أي الله كافي لا إله إلا هو عليه توكلت كما قال تعالى رب المشرق والمغرب وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى فإن تولوا أي تولوا عما جنتهم

شئت كان وما لم أشأ لم يكن ثم قال تعالى عزيمة على المؤمنين وبيانا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده. 13 أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين يقول تعالى لا تخشوهم واخشون فأنأهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي فبيدي الأمر وما لخذاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وكان ماكان والله أعلم ولله الحمد والمنة. وقوله لنصر غيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلبا للقتال بغيا وتكبيرا كما تقدم بسط ذلك وقيل المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر بالله ربكم الآية وقال تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها الآية وقوله وهم بدؤكم أول مرة قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجا وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا وهذا أيضا تهيج وتحريض وإغراء على قتال المشركين الناكثين بأيمانهم الذين هموا بإخراج الرسول من مكة كما قال تعالى

ويشف صدور قوم مؤمنين وهذا عام في المؤمنين كلهم وقال مجاهد وعكرمة والسدي في هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين يعني خذاعة. 14 قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم

والشرعية فيفعل ما يشاء. ويحكم ما يريد وهو العادل الحاكم الذي لا يجوز أبدا ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة. 15 حدثنا عبدالرحمن بن أبي الجوزاء عنه ويتوب الله على من يشاء أي من عباده والله عليم أي بما يصلح عباده حكيم في أفعاله وأقواله الكونية قولني اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ساقه من طريق أبي أحمد الحاكم عن الباغندي عن هشام بن عمار بن عبد العزيز رضي الله عنه عن مسلم بن يسار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال يا عويش وأعاد الضمير في قوله ويذهب غيظ قلوبهم عليهم أيضا. وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة مؤذن لعمر

كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا إله إلا هو ولا رب سواه ولا راد لما قدره وأمضاه. 16 على ما أنتم عليه الآية والحاصل أنه تعالى لما شرع لعباده الجهاد بين أن له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه وهو تعالى العالم بما فتنا الذين من قبلهم فيعلم الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة؟ الآية وقال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين وما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يليني وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله فاكتمى بأحد القسمين عن الآخر كما قال الشاعر: المؤمنين أن نترككم مهملين لا نخبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون يقول تعالى: أم حسبتم أيها

خالدون وقال تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياؤه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون. 17 لقال نصراني ولو سألت اليهودي ما دينك لقال يهودي والصابني لقال صابئ والمشرک لقال مشرک أولئك حبطت أعمالهم أي بشرکهم وفي النار هم

تفسير ابن كثير

عبادة الله وحده لا شريك له وأسس خليل الرحمن هذا وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر أي بحالهم. وقال لهم كما قال السدي: لو سألت النصراني ما دينك؟ مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له ومن قرأ مسجد الله فأراد به المسجد الحرام أشرف المساجد في الأرض الذي بني من أول يوم على يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمرُوا

عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهي الشفاعة وكل عسى في القرآن فهي واجبة وقال محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله: وعسى من حق الله. 18 إلا الله يقول لم يعبد إلا الله ثم قال فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين يقول تعالى إن أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم الله من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول من آمن بما أنزل الله وأقام الصلاة يعني الصلوات الخمس ولم يخش أي ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إنما يعمر مساجد وقوله وأقام الصلاة أي التي هي أكبر عبادات البدن وآتى الزكاة أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلاق وقوله ولم يخش إلا الله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية رواه ابن مردويه. وقد روى مرفوعا من وجه آخر وله شواهد من وجوه آخر ليس هذا موضع بسطها. بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ولم يأت المسجد ويصلي فلا صلاة له وقد عصى الله ورسوله قال الله تعالى وهم يقولون إن المساجد بيوت الله في الأرض وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها وقال المسعودي عن جبيب بن أبي ثابت وعدي بن ثابت عن سعيد وعليكم بالجماعة والعمامة والمسجد وقال عبدالرازق عن معمر عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون الأودي قال: أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت ذلك عنهم ثم قال ابن عساكر: حديث غريب وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا حدثنا منصور بن صفير حدثنا صالح المري عن ثابت عن أنس مرفوعا يقول الله: وعزتي وجلالي إني لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلى أهل المساجد فصرفت عنهم ثم قال غريب وروى الحافظ البهائي في المستقصى عن أبيه بسنده إلى أبي أمية الطرسوسي قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح وقد روى الدارقطني في الأفراد من طريق حكام بنت عثمان بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا بكر البزار عن عبد الواحد بن غياث عن صالح بن بشير المري عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما عمار المساجد هم أهل الله. ثم البناني عن ميمون بن سيرة وجعفر بن زيد عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما عمار المساجد هم أهل الله ورواه الحافظ أبو وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب به. وقال عبدالرحمن بن حميد في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح المري عن ثابت الله عليه وسلم قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان قال تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ورواه الترمذي كما قال الإمام أحمد: حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى ولهذا قال تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد

القوم الظالمين ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه. 19 الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال ففعل فأُنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله والله لا يهدي رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجره عمر بن الخطاب جده أبي سلام الأسود عن النعمان بن بشير الأنصاري قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله لا يستوون عند الله. طريق أخرى قال الوليد بن مسلم: حدثني معاوية بن سلام عن لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه. فنزلت آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر رضي الله عنه. وقال عبدالرازق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رجلا قال: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا ورواه محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا قال عمرو بن الحسن قال: نزلت في علي وعباس وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أراني إلا أني تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا وجل أجعلتم سقاية الحاج الآية كلها وهكذا قال السدي إلا أنه قال: افتخر علي والعباس وشيبة بن عثمان وذكر نحوه وقال عبدالرازق: أخبرنا معمر عن عليها ولو أشاء بت في المسجد فقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأُنزل الله عز عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم ذلك. وقال ابن جرير: حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني الله أجعلتم سقاية الحاج الآية. وقال عبدالرازق: أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل عن الشعبي قال: نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلما في العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأُنزل إلى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاک بن مزاحم أقبل المسلمون على

تفسير ابن كثير

حين أسر بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعم المسجد الحرام نسقي ونفك العاني قال الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: قد نزلت في العباس بن عبد المطلب به وإن كانوا يعمرن بيته ويحرمون به. قال الله تعالى لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم عليه وسلم فخير الله الإيمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال به سامرا كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبي صلى الله بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال: إن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون

وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولهذا قال تعالى: 2 لهم وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا وهكذا روي عن السدي وقتادة وقال الزهري: كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ المحرم وهذا القول غريب بها وبالمواسم كلها فأذنوا أصحاب العهد بأن يوثقوا أربعة أشهر فهي الأشهر المتواليات عشرون من ذي الحجة إلى عشر يخلون من ربيع الآخر ثم لا عهد فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليهما رضي الله عنهما فطافا بالناس في ذي المجاز وبأمكنهم التي كانوا يتابعون كان له عهد أو غيرهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال إنما يحضر المشركون لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله إلى أهل العهد خزاعة ومذلة ومن في الأرض فقرأها عليهم يوم عرفة أجملهم عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسبحون أن يضع فيهم السيف أيضا حتى يدخلوا في الإسلام وقال أبو معشر المدني: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر حيث شاءوا وأجل أجل من ليس له عهد انسلخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى سلخ المحرم فذلك خمسون ليلة فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر الآية قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسبحون في الأرض وأقواها وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وروي عن الكلبى ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله براءة فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم الآية ولما سيأتي في الحديث ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهد إلى مدته وهذا أحسن الأقوال الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته مهما كان لقوله تعالى فسيحوا في الأرض أربعة أشهر اختلف المفسرون هنا اختلافا كثيرا فقال قائلون هذه

القوم الظالمين ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه. 20 صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال ففعل فأنزل الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله والله لا يهدي الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله أن لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتنم فزجره عمر بن عن جده أبي سلام الأسود عن النعمان بن بشير الأنصاري قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي فنزلت أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله لا يستون عند الله. طريق أخرى قال الوليد بن مسلم: حدثني معاوية بن سلام وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسلأناه. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتنم. فزجرهم عمر رضي الله عنه. قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رجلا قال: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا ورواه محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا عمرو عن الحسن قال: نزلت في علي وعباس وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أراني إلا أني تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا وجل أ جعلتم سقاية الحاج الآية كلها وهكذا قال السدي إلا أنه قال: افتخر علي والعباس وشيبة بن عثمان وذكر نحوه وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن عليها ولو أشاء بت في المسجد فقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله عز عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم ذلك. وقال ابن جرير: حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شبة من بني الله أ جعلتم سقاية الحاج الآية. وقال عبدالرزاق: أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل عن الشعبي قال: نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلم في العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعم المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأنزل الحاج إلى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاک بن مزاحم أقبل المسلمون على

تفسير ابن كثير

المطلب حين أسر بيدر قال لئن كنتم سبقتُمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام نسقي ونفك العاني قال الله عز وجل أجعلتم سقاية العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: قد نزلت في العباس بن عبد الله مع الشرك به وإن كانوا يعمرُون بيته ويحرمون به. قال الله تعالى لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا أنهم أهل والنبي صلى الله عليه وسلم فخير الله الإيمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال به سامرا كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتي تتلى قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال: إن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد

القوم الظالمين ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه. 21
صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال ففعل فأُنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله والله لا يهدي الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله أن لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قُلتُم فزجره عمر بن عن جده أبي سلام الأسود عن النعمان بن بشير الأنصاري قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله لا يستوون عند الله. طريق أخرى قال الوليد بن مسلم: حدثني معاوية بن سلام وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر رضي الله عنه. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رجلا قال: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا ورواه محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا عمرو عن الحسن قال: نزلت في علي وعباس وشيبة تكلما في ذلك فقال العباس ما أراني إلا أني تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا وجل أجعلتم سقاية الحاج الآية كلها وهكذا قال السدي إلا أنه قال: افتخر علي والعباس وشيبة بن عثمان وذكر نحوه وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن عليها ولو أشاء بت في المسجد فقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأُنزل الله عز عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم ذلك. وقال ابن جرير: حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني الله أجعلتم سقاية الحاج الآية. وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن عبيدة عن إسماعيل عن الشعبي قال: نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلما في العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأُنزل الحاج إلى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاک بن مزاحم أقبل المسلمون على المطلب حين أسر بيدر قال لئن كنتم سبقتُمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام نسقي ونفك العاني قال الله عز وجل أجعلتم سقاية العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: قد نزلت في العباس بن عبد الله مع الشرك به وإن كانوا يعمرُون بيته ويحرمون به. قال الله تعالى لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا أنهم أهل والنبي صلى الله عليه وسلم فخير الله الإيمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال به سامرا كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتي تتلى قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال: إن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد

القوم الظالمين ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه. 22
صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال ففعل فأُنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله والله لا يهدي الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله أن لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قُلتُم فزجره عمر بن عن جده أبي سلام الأسود عن النعمان بن بشير الأنصاري قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله لا يستوون عند الله. طريق أخرى قال الوليد بن مسلم: حدثني معاوية بن سلام وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر رضي الله عنه. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رجلا قال: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج.

تفسير ابن كثير

على سقايتمكم فإن لكم فيها خيرا ورواه محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا عمرو عن الحسن قال: نزلت في علي وعباس وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أراني إلا أني تارك سقايتم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا وجل أ جعلتم سقاية الحاج الآية كلها وهكذا قال السدي إلا أنه قال: افتخر علي والعباس وشيبة بن عثمان وذكر نحوه وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن عليهما ولو أ شاء بت في المسجد فقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأ نزل الله عز عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أ شاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم ذلك. وقال ابن جرير: حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني الله أ جعلتم سقاية الحاج الآية. وقال عبدالرزاق: أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل عن الشعبي قال: نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلما في العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعبرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأ نزل الحاج إلى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاك بن مزاحم أ قبل المسلمون على المطلب حين أسر ببدر قال لئن كنتم سبقتُمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام نسقي ونفك العاني قال الله عز وجل أ جعلتم سقاية العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: قد نزلت في العباس بن عبد عند الله مع الشرك به وإن كانوا يعمرون بيته ويحرمون به. قال الله تعالى لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا أنهم أهل والنبي صلى الله عليه وسلم فخير الله الإيمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال به سامرا كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتي تتلى قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال: إن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد

فلما أ كثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله فأ نزل الله فيه هذه الآية لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية. 23 الأنهار الآية. وروى الحافظ البيهقي من حديث عبدالله بن شاذب قال: جعل أبي أبو عبيدة بن الجراح ينعث له الآلهة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها كانوا آباء أو أبناء ونهى عن موالاتهم إن استحبوا أي اختاروا الكفر على الإيمان وتوعد على ذلك كقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون أمر الله تعالى بمباينة الكفار وإن

عن يزيد بن هارون عن أبي حباب عن شهر بن حوشب أنه سمع عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شاهد للذي قبله والله أعلم. 24 يقول إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم وروى الإمام أحمد أيضا أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث أبي عبدالرحمن الخراساني عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين وروى الإمام عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبدالله بن هشام عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقد أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر انفرد بإخراجه البخاري فرواه آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يهدي القوم الفاسقين وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جده قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا أي فانتظروا ماذا يحد بكم من عقابه ونكاله بكم. ولهذا قال حتى يأتي الله بأمره والله لا أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال وتجارة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أي تحبونها لطبيعتها وحسنها أي إن كانت هذه ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من أثر

الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلا عليه وعلمنا منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به ويظهر دينه على سائر الأديان. 25 وهو مع هذا على بغلة وليست سريعة الجري ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغي وقد انكشف عنه جيشه الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فانهزم الناس فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته البيضاء وهو يقول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناءهم وفي الصحيحين من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رجلا قال له: يا أبا عمارة أفررت من رسول جعلت آخرًا بالخزرج وكانوا صبراء عند الحرب وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ملقون فقتل الله منهم من قتل وانهزم منهم من انهزم وأفاء الله على سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ثم يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة فأجابوه لبيك لبيك فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيه فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ

تفسیر ابن کثیر

أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله فلا شيء وركبت الإبل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الناس قال الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات اليمين يقول وسلم فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي وأحنائه وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح فلما انحط حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبدالرحمن بن جابر عن أبيه عن عبدالله قال: فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وآله كإمرار الحديد على الطست الجديد وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة به وقال محمد بن إسحاق فهزمهم الله تعالى. قال يعلي بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض المهاجرين أنا عبدالله ورسوله قال: ثم اقتحم عن فرسه فأخذ كفاً من تراب فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب به وجوههم وقال شاهدت الوجوه فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ثم وليتم مدبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله ثم قال: يا معشر فداؤكم فقال أسرج لي فرسي فأخرج سرجاً دفثاه من ليف ليس فيهما أثر ولا بطر قال فأسرع فركب وركبنا فصاففناهم عشيتنا وليلتنا فتشامت الخيلان السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته حان الرواح؟ فقال أجل فقال يا بلال فثار من تحت سمرة كأن ظلها ظل طائر فقال: لبيك وسعديك وأنا شديد الحر فنزلنا تحت ظلال الشجر فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في فسطاطه فقلت: عبدالرحمن الفهري واسمه يزيد بن أسيد ويقال يزيد بن أنيس ويقال كرز قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين فسرنا في يوم قانظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يعلى بن عطاء عن عبيد الله بن سيار عن أبي همام عن أبي إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال ثم انهزموا فاتبع المسلمون ألقاءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس إلا والأسرى مجندلة بين يدي عليه السلام أن يصدقوا الحملة وأخذ قبضة من التراب بعد ما دعا ربه واستنصره وقال اللهم أنجز لي ما وعدتني ثم رمى القوم بها فما بقي إنسان منهم لبس درعه ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما اجتمعت شرذمة منهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم البقرة فجعلوا يقولون يا لبيك يا لبيك وانعطفت الناس فتراجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على أن لا يفروا عنه فجعل ينادي بهم يا أصحاب السمرة ويقول تارة: يا أصحاب السورة وأسامة بن زيد وغيرهم رضي الله عنهم ثم أمر صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة يعني شجرة قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون فمنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والعباس وعلي والفضل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن المسلمين إلى الرجعة ويقول إلي عباد الله إلي أنا رسول الله ويقول في تلك الحال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وثبت معه من أصحابه عمه أخذ بركابها الأيمن وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر يثقلاهما لئلا تسرع السير وهو ينوء باسمه عليه الصلاة والسلام ويدعو فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل وثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو والعباس الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد بادروهم ورشقوا بالنبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد كما أمرهم ملكهم مكة وهم الطلقاء في ألفين فसार بهم إلى العدو فالتقوا بوادٍ بين مكة والطائف يقال له حنين فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصباح انحدروا في إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيشه الذي جاء معه للفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ومعه الذين أسلموا من أهل من بني هلال وهم قليل وناس من بني عمرو بن عامر وعون بن عامر وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاة والنعم وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبله أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه وأن أميرهم مالك بن عوف النضري ومعه ثقيف بكمالها وبنو جشم وبنو سعد بن بكر وأوزاع كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة. وذلك لما فرغ صلى الله عليه وآله وسلم من فتح مكة وتمهدت أمورهما وأسلم عامة أهلها وأطلقهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومرسلاً. وقد رواه ابن ماجه والبيهقي وغيره عن أكنم بن الجون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه والله أعلم. وقد ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة وهكذا رواه أبو داود والترمذي ثم قال: هذا حديث حسن غريب جداً لا يسنده أحد غير جرير بن حازم وإنما روي عن الزهري عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وإن قل الجمع فكُم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت يونس يحدث وسلم ثم أنزل نصره وتأيبده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه كما سنّبنيه إن شاء الله تعالى مفصلاً ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبأماده من عنده سواء قل الجمع أو كثر فإن يوم حنين أعجبته كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وأن ذلك من عنده تعالى وبتأيبده وتقديره لا بعدهم ولا بعديتهم ونهبهم على أن النصر قال ابن جريج عن مجاهد: هذه أول آية نزلت من براءة يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه

جوامع الكلم ولهذا قال تعالى ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تراها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . 26
مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق أنبأنا معمر عن همام قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب وأوتيت
يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول كنا نجد في أجوافنا مثل هذا وقد تقدم له شاهد من حديث الفهري يزيد بن أسيد فإله أعلم وفي صحيح
أبيه قال: سمعت يزيد بن عامر السوائي وكان شهد حينها مع المشركين ثم أسلم بعد فكتنا نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين فكان

تفسير ابن كثير

من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم يكن إلا هزيمة قوم فما كنا نشك أنها الملائكة وقال سعيد بن السائب بن يسار عن عمن حدثه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يقتتلون إذ نظرت إلى مثل الجاد الأسود يهوي وانهمزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هزم الله تعالى المشركين قال محمد بن إسحاق: حدثني أبي إسحاق بن يسار ثم قال اللهم اهد شبيبة قال فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه وذكر تمام الحديث في التقاء الناس بلقاء فقال يا شبيبة إنه لا يراها إلا كافر فضرِب بيده على صدري ثم قال اللهم اهد شبيبة ثم ضربها الثانية ثم قال اللهم اهد شبيبة ثم ضربها الثالثة الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ولكنني أبييت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله إنى أرى خيلا رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره ثم روي من حديث أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شبيبة عن أبيه قال: خرجت مع رسول الله صلى وسلم وقال يا شبيبة يا شبيبة ادن مني اللهم أذهب عنه الشيطان قال: فرفعت إليه بصري وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال يا شبيبة قاتل الكفار سورة بالسيف إذ رفع لي شواط من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن يخمشني فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: عمه ولن يخذه قال فجنته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت: ابن عمه ولن يخذه فجنته من خلفه فلم يبق إلا أن أسوره وحمزة إياهما فقلت اليوم أدرك تأري منه قال فذهبت لأجيبه عن يمينه فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائما عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شبيبة بن عثمان قال: لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عري ذكرت أبي وعمي وقتل علي وسيوفهم بأيامهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان به نحوه وقال الوليد بن مسلم: حدثني عبد الله بن المبارك عن كفا من التراب فناولته قال فضرِب به وجوههم فامتلات أعينهم ترابا قال أين المهاجرون والأنصار؟ قلت: هم هناك قال اهتف بهم فهتفت فجاءوا الله عليهم السكينة قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يمضي قدما فحادث بغلته فمال عن السرج فقلت: ارتفع رفعك الله قال ناولني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار قدما ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الحرمي حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا ابن حصيرة حدثنا القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه كنت قال فانهمزنا وركبوا أكتافنا فكانت إياها وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثني محمد بن أحمد بن بالويه حدثنا إسحاق بن الحسن حتى انتهينا إلى أصحاب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قتلنا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقال لنا: شأته الوجوه ارجعوا. يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم الحسن بن عرفة قال: حدثني المعتمر بن سليمان عن عوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي قال: سمعت عبد الرحمن مولى ابن برثن حدثني رجل كان مع المشركين أي طمأنينته وثباته على رسوله وعلى المؤمنين أي الذين معه وأنزل جنودا لم تروها وهم الملائكة كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني ولهذا قال تعالى ثم أنزل الله سكينته على رسوله

إذا اجتدى ومتى يشأ يخبرك عما في غد وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهند فكانه ليث على أشباله وسط المباءة خادر في مرصد 27 عوف النضري واستعمله على قومه كما كان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها: ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد أوفى وأعطى للجزيل فرده عليهم وقسم الأموال بين الغانمين ونفل أناسا من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الإسلام فأعطاهم مائة من الإبل وكان من جملة من أعطى ماله مالك بن عند الجعرانة وذلك بعد الوقعة بقرين من عشرين يوما فعند ذلك خيروهم بين سبيهم وبين أموالهم فاختراروا سبيهم وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة وقوله ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم قد تاب الله على بقية هوازن فأسلموا وقدموا عليه مسلمين ولحقوه وقد قارب مكة عنه لأنه الكامل في أفعاله وأقواله العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالى ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة. 28 وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وغيرهم إن الله عليم أي بما يصلحكم حكيم أي فيما يأمر به وينهى إلى قوله وهم صاغرون أي هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الأسواق فعوضهم الله مما قطع أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ولتهلك التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فأنزل الله وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك إن شاء صافحهم فليتوضأ رواه ابن جرير وقوله إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال محمد بن إسحاق: وذلك أن الناس قالوا: لتقطع عنا الأسواق بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم وقال أشعث عن الحسن: من تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد يومهم هذا ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح الصحيح المؤمن لا ينجس وأما نجاسة الله عنه أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين وأتبع نهيهم قول الله تعالى إنما المشركون نجس وقال عطاء: الحرم كله مسجد لقوله عامنا هذا مشرك إلا أهل العهد وخدمهم تفرد به الإمام أحمد مرفوعا والموقوف أصح إسنادا وقال الإمام أبو عمر والأوزاعي: كتب عمر بن عبد العزيز رضي فقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا شريك عن الأشعث يعني ابن سوار عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل مسجدا بعد في قوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة. وقد روي مرفوعا من وجه آخر العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فأنتم الله ذلك وحكم به شرعا وقدرنا. وقال عبدالرازق أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول نزولها في سنة تسع ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامنذ وأمره أن ينادي من المشركين: أن لا يحج بعد هذا

تفسير ابن كثير

أمر تعالى عباده المؤمنين الظاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجس ديناً عن المسجد الحرام وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية وكان ملتناً وقبلنا عليه الأمان فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. 29 المسلمين وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم. قال فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه ولا يضرب أحداً من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام أسواقهم ولا يضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً وأن لا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء في حضرة المسلمين ولا نخرج شعابنا ولا بعوداً رءوسنا وأن نلزم زيناً حيثما كنا وأن نشد الزنابير على أوساطنا وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا وأن لا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا ولا نكتني بكنائهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجزم بمقادير المسلمين وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركاً ولا ندعو إليه أحداً ولا نمنع أحداً من ذوي قربانتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه وأن نوقر من المسلمين في ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من رأينا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ولا ننوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوساً ولا فيما حولها ديلاً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجد ما خرب منها ولا نحبي منها ما كان خططاً للمسلمين وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من نصارى مدينة كذا وكذا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرائعنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا بن غنم الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى من أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في إذلهم وتصغيرهم وتحقيرهم وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ من رواية عبد الرحمن الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه ولهذا اشترط عليهم أي ذليلون حقيرون مهانون فلماذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي هذه المذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا والله أعلم. وقوله حتى يعطوا الجزية أي إن لم يسلموا عن يد أي عن قهر لهم وغلبة وهم صاغرون ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب. وقال الإمام مالك: بل يجوز أن تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابي ومجوسي ووثني وغير ذلك ولما أخذ هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله: بل تؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين من يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشباههم كالمجوس كما صح فيهم الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس عشرين يوماً ثم استخار الله في الرجوع فرجع عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سيأتي بيانه بعد إن شاء الله تعالى. وقد استدلت بهذه الآية الكريمة وغيرهم وكان ذلك في عام جدب ووقت قحط وحر وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الشام لقتال الروم فبلغ تبوك فنزل بها وأقام بها قريباً من إلى إحياء العرب حول المدينة فندبهم فأوعبوا معه واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفاً وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك وأظهره لهم وبعث وهذه الآية الكريمة أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا واستقامت جزيرة العرب أمر الله رسوله وخاتمهم وأكملهم. ولهذا قال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من الله. بل لحظوظهم وأهوائهم فلماذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه فلما جاء كفروا به وهو أشرف الرسل لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد الرسل ولا بما جاءوا به وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وأبائهم فيما هم فيه لا لأنه شرع الله ودينه لأنهم لو كانوا مؤمنين ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله

أسامة عن ابن عون سألت محمداً يعني ابن سيرين عن يوم الحج الأكبر فقال كان يوماً وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الير. 3 الأكبر؟ ذاك عام حج فيه أبو بكر الذي استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج الناس رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو قال أبو عبيدة قال سفيان: يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أي أيامه كلها. وقال سهل السراج سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر فقال: ما لكم وللحج الأكبر وعن سعيد بن المسيب أنه قال: يوم الحج الأكبر اليوم الثاني من يوم النحر رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد أيضاً يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها وكذا عن عروة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: أي يوم هذا فقالوا اليوم الحج فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه فقال: أليس هذا يوم الحج الأكبر؟ وهذا إسناد صحيح وأصله مخرج في الصحيح. وقال أبو الأحوص عن شبيب بن أبي بكرة عن أبيه قال: لما كان ذلك اليوم قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير له وأخذ الناس بخطامه أو زمامه فقال أي يوم هذا؟ قال قالوا يوم النحر قال: صدقتم يوم الحج الأكبر. وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه حمراء مخضمة فقال: أتدرون أي يوم يومكم هذا؟ مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم عن هشام ابن الغازي به ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع به. وقال شعبة عن عمرو بن مرة الهمداني